إعلام بلا أيدولوجيا

د. صالح بن محمد النملة

ⓒ صالح محمد النمله ١٤٢٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النمله، صالح بن محمد
إعلام بلا أيدولوجيا / صالح بن محمد النمله
الرياض، ١٤٢٤هـ
٣٢٠ ص ، ١٧x٢٤ سم
ردمك: ١-٥٥٧-١٠-٩٩٦٠

١- المقالات العربية - السعودية ٢- الإعلام أ. العنوان
ديوي ٠٨١ ١٤٢٤/٣٨٣٠

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٣٨٣٠
ردمك: ١-٥٥٧-١٠-٩٩٦٠

مقدمة

عاشت فترة نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن حالة من التحول الكبير في أغلب المجالات وميادين المعرفة إلا أن التحول الذي أصاب نقل المعرفة كان جذرياً وقوياً وحقيقياً حيث أصبحت وسائل الاتصال من التحول والتلون والتغير ما يمكن أن نصف فيه هذه المرحلة بمرحلة التحول حيث استطاعت وسائل الاعلام المرئية أن تغزو العالم ولم يعد هذا الغزو مرتبطا بالمدن الكبيرة وبشرائح اجتماعية ثرية بل أصبحت تطال الريف والشرائح الاجتماعية المتواضعة والفقيرة لذلك جاء التغيير كبيرا وجذريا وسوف يكون له الأثر الكبير على مستقبل التفكير البشري بشكل أو بآخر.

وأكثر ما أصاب التغيير كان فلسفة الكتابة والنشر حيث أصبح الكتاب الرزين الذي يتطرق لنقطة واحدة وموضوع محدد يشبعه بحثاً وتنقيباً.. أقول أصبحت مثل هذه الكتب تتوارى في الرفوف وعن الاستخدام ومن جانب آخر أصبح المقال اليومي السريع الذي يعالج قضية وجزئية فرعية كذلك أصبح يحترق بعد صدوره إن لم يكن قد احترق قبل صدوره ولذلك أصبح هناك حاجة ماسة وكبيرة لتجسير هذه الفجوة بنشر كتاب يحتوي على العديد من المواضيع ذات التوجه المعرفي المتقارب وفي ذات الوقت تكون هذه المواضيع مطروحة وبشكل يرفع من مستوى القارئ لفهم العديد من القضايا الشائكة التي تختزنها العديد من الكتب العلمية والفكرية.

إن كتاب اعلام بلا ايدلوجيا جاء ليغطي هذا الفراغ وهذا الجانب حيث ان أكثر المواضيع والمقالات سبق نشرها في الصحف اليومية إلا أن كاتب هذا الكتاب يهدف إلى طرح العديد من القضايا السياسية والاستراتيجية باسلوب معرفي رزين يكون بلغة اعلامية قادرة على الوصول للقارئ المتابع بمعنى آخر أن مؤلف هذا الكتاب أراد عن سابق استيعاب واصرار طرح بين يدي القارئ العديد من النظريات السياسية والفكرية والاستراتيجية بمنهج اعلامي رزين يصور هذه النظريات والأحداث من منظور المحلل السياسي السعودي الذي يستطيع أن يراقب الأحداث الدولية ويطرحها من وجهة نظر المراقب في المملكة العربية السعودية.

وبحكم تخصص المؤلف بالعلوم السياسية فإن الجهد كان منصباً لقراءة النظريات

السياسية والتحليل السياسي للعديد من الأحداث الدولية والاقليمية من أجل بسطها وشرحها بلغة اعلامية مقبولة وسهلة من أجل فهمها واستيعابها.

بل إن الوعي بهذه الأهمية كان واضحا للمؤلف من أجل أن يكون تبسيط هذه النظريات وقراءة الأحداث قراءة سياسية مبسطة من أجل تجسير الفجوة بين الكتاب العلمي الرزين والمقال الصحفي العابر ومن أجل أن تكون هناك كتابة قادرة على ايصال المعرفة بشكل رزين من وجهة نظر ومصالح عربية لا تؤثر على موضوعيتها وحياديتها.

إن الاعلام العصري هو بحث الموضوع بشكل رزين وترك القارئ الواعي الفاحص أن يقرر مدى قناعته واعجابه بما يقرأ وأن يحترم الكاتب عقل وذهن القارئ ومكانته ولهذا السبب جاء هذا الكتاب وجاء هذا الجهد.

المؤلف

د. صالح بن محمد النملة

الرياض ٢٠/ ٥/ ١٤٢٤هـ

٢٠ مايو/ ٢٠٠٣م

التنظير لمنطقة الخليج

من الفوارق المهمة بين العقل الشرقي والغربي هي مسألة التنظير والبناء النظري حيث أمتازت الحضارة الغربية منذ بداية عصر التنوير بمرحلة البناء النظري وأصبح العلم والمعرفة بشقيها العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية هي مكان ومرتع خصب لشخذ الخيال التنظيري. والفرد الذي ينحدر من العالم الاكاديمي يعرف تمام المعرفه مدى أهمية البناء النظري للفرد المتلقى أو للطالب الجامعي. حيث وعلى عكس من يُفهم أن البناء النظري للفرد هو الخطوة الأولى لمحاولة خلق عقل يتميز بالمنطق والتسلسل المنطقي، والبناء النظري كذلك أحد أهم الوسائل وأنجحها من أجل خلق عقليه تحليليه تصويريه يتم تحليل الخيال وبتسجيل النقد عليه وضده. والعالم العربي والعقل العربي يعمل ويسير نقيض هذا التوجه. بل أن العقل العربي يستهجن البناء النظري ويمل الخيال الفكري إلى حد كبير إلا في مسألة الشعر والشؤون الغراميه الرومانسية وما يرتبط بها من أدوات ومقدمات ونتائج. وما عدى عن ذلك فإن مفهوم التنظير العلمي يكاد يكون أحد أهم مثالب وكوابح العقل العربي عن الأنطلاق. وقد يقول قائل أن كاتب هذه السطور يبحر عكس التيار وينوي عن سابق أصرار وتصميم مواجه الواقع حسب المنظور والتفكري العربي. ويكون هذا الاحتجاج المغلف بالتسائل أكثر وجاهه خصوصاً وأن هناك توجهات واسعه في كثير من القطاعات الاقتصادية والاكاديمية نحو الواقعيه المفرطه والتعامل مع المحيط بهذا المنطق. ورغم وجاهة مثل هذه النظرة وأهميتها إلا أنه لا يمكن اطلاقها على جميع الجوانب والأحوال. بل أن كل ما نراه اليوم من حولنا من مخترعات تكنولوجية ونشاطات أقتصادية وأنظمة أقليمية ودولية وأوضاع سياسية سائدة كانت ذات يوم نظرة أو فكرة أو تصور. وأن ما يشهده العالم العربي على وجه الخصوص والتحديد كان ذات يوم مجال للبحث والتنظير في ردهات الجامعات الغربيه ومؤسساتها الاكاديميه ودوائرها السياسية والفكريه. بمعنى أن الواقع الذي نعيشه اليوم هو فكرة وخيال الماضي وأن خيال اليوم وفكرة اليوم يمكن إلى حد كبير أن يكون واقع الغد.

ولكون كاتب هذه السطور مُعنى ومهتم بالتطور والتنظير على المستوى السياسي وما يدور في فلكه من تطورات فإن الخيال السياسي والتنظير السياسي يجب أن يكون أحد أهم أهتمامات المفكر العربي اكاديمياً كان أو ممارساً للعمل السياسي. وأن لا يكون عقلاً مستهلكاً لوقع السياسة الغربيه وخصوصاً تجاه العالم العربي. أرجو أن لا يفهم من هذا الموقف الكف عن دراسة وفهم ومتابعة السياسة الغربيه بكل أجزائها وتفاصيلها بل العكس هو الصحيح وذلك وجوب خلق مراكز الدراسات المتعددة والمتنوعه التى يكون صلب عملها وأهتمامها هو رصد

السياسة الدولية بشكل عام والسياسة الغربيه والأمريكيه بشكل خاص. رصد هذه السياسة الغربية منذ بنائها النظري حتى مراحلها التكتيكيه فى التطبيق ورصد النتائج وتقييمها وإعادة تقييمها من جديد. وأنما الدعوة تبقى مهمة ومفتوحه لممارسة التنظير السياسي وذلك على العكس من نظرة السياسي العربي والمتابع العربي الذي يهمل هذا الجانب وهذا التوجه، أقول أن الدعوة للتنظير السياسي في غاية الأهمية وذلك من أجل خلق آفاق سياسية يستطيع من خلالها السياسي تلمس المستقبل المتوسط والبعيد من خلال التنظير يستطيع السياسي وضع استراتيجيته البعيدة وبالتالي بناء الخطط التكتيكية والمرحلية للوصول للهدف الاستراتيجي. ومن هنا تتضح الرؤيا السياسية لدى السياسي العربي بدل من هذه الانتقالية والتخبط في بعض الأحيان والعمل على خلق توازن قوى محليه وأقليمية ودولية تؤدي إلى أبقاء الحال أطول مدة ممكنه. وإذا كانت هذه التوجهات السياسيه جيدة في مرحلة من المراحل وجيدة تحت ظروف معينه فإنها تحمل جذور فنائها ونهايتها داخلها وبالتالي فإن الانظمه السياسيه التى تنشد البقاء والازدهار هي التى تخلق المستقبل في أحسن الاحوال أو تساهم بخلق المستقبل في أقل وأسوء الحالات.

قاد إلى مثل هذا الحديث هو التقاء كاتب هذه السطور على هامش مهرجان الجنادرية مع أحد رموز الحرة الفكرية السياسية في الغرب، بل لا نبالغ إذا قلنا أن فرد هوليداي كان واحد من المفكرين والمنتظرين الغربيين في القضايا السياسية وخصوصاً في بعدها الأيدلوجي. ورغم أن الرجل ذو تاريخ يساري كان يدافع عنه بكل الوسائل إلا أن الرجل الذى التقيت به كان رجلاً آخر غير الذي عرفت من خلال الكتب والمقالات. حيث قام بعرض وتحليل الشرق الأوسط بشكل عام ومنطقة الخليج بشكل خاص وكان رأية يقول أن العالم العربي يعاني من أزدواجية المحرك السياسي بمعني أن المفكرين السياسيين يرون أن هناك أحتمال محركين للسياسة داخل أطر الوطن العربي.

الأول : أن العالم العربي يحمل بذور شقاقه وخلافاته وصراعه السياسي داخل النظام السياسي العربي. أي أن الصراع العربي العربي هو نابع من الداخل وأن العالم العربي يعيش هذه الحالة وسوف يستمر يعيشها في المستقبل المنظور وأن العالم الغربي والدول الغربية لا تعدو كونها أن توظف هذه المسألة لمصالحها السياسية والأستراتيجية. بمعنى أن الاختلاف فى المنطقة العربيه أو في منطقة الخليج هي من أنتاج المنطقة ذاتها وأن الدول الغربية لا تعدو أنها تستثمر مثل هذه الخلافات لمصالحها السياسية والأستراتيجية. وبالتالي فإن العبء السياسي يقع فى الدرجة الأولى على النظام السياسي العربي وليس على السياسات الغربية.

ثانيا : وأن التوجه الثاني هو أن المحرك للسياسة العربيه وللنظام السياسي العربي سواء في مشرقه العربي أو منطقة الخليج ناتج عن إدارات الدول الغربية لمثل هذه السياسة وأن الدول

الغربية تذكي وتشجع مثل هذه الصراعات، بل وتخلقها أحياناً من أجل تنفيذ أستراتيجيتها فى المنطقة. وهنا يقع العيب على النظام السياسي الدولي وبالاخص القوى الأوربيه المتعاظمه القوة والهيمنة.

وذهب الرجل في معرض حديثه عن التوجه الأول إلى التركيز على منطقة الخليج وذلك بقوله أن الترتيب الامني الخليجي لم يتغير أطلاقاً بين مرحلة ما قبل الثورة الايرانيه والحرب العراقية الايرانيه ثم حرب الخليج الثانيه التى أخرجت العراق من الكويت وأن وضع النظام الأمني فى الخليج هو هو لم يتغير من حيث أنه لم يحدث أن وجد ترتيب أمنى فى الخليج يسمح بخلق منطقة مستقرة بشكل كامل. حيث أعقب الحربين الخليجيتين حاله من حالات سباق التسلح والاستعداد لجولات قادمة من عدم الأستقرار وحاله من حالات اللاحرب واللاسلم وهنا يأتي مفهوم التنظير السياسي العربي الخليجي المفقود حيث أن النظام الاقليمي الخليجي يفتقد المبادرة لخلق ظروف واجواء تساهم بخلق مناخ من الثقه المتبادلة ومناخ الثقه هنا مهم لخلق حالة من حالات الحديث السلمي عن الترتيب السياسي والعسكري للمنطقة.

وفي هذه النقطة بالذات يأتي دور السياسي الخليجي والمثقف الخليجي للعمل على خلق وأحياء أفكار جديدة يمكن أن تسهم بخلق هذا المناخ. وهنا نبرز أهمية الأرتباط بين المثقف والسياسي لخلق رابط بينهما يمكن بجميع نمط التفكير السياسي بخلق أجواء السلم والهدوء السياسي، بمعنى العمل على بلورة أستراتيجية ذات مراحل وخطط تكتيكية من شأنها أن تفتح الحديث الصريح والمباشر بين الدول المطله على الخليج العربي كلها من أجل خلق بوادر لبناء ومراحلة الثقة المتبادله مثل:

أولاً : تشجيع التبادل الاقتصادي بين الدول المطلة على الخليج العربي كلها. حيث سوف يسمح هذا التبادل لتعزيز وخلق أجواء جديدة لديها القدرة على أستمرار التحدث المباشر بدون وسطاء بين هذه الدول.

ثانيا : العمل على تشجيع التبادل الثقافي والتقاء المثقفين بين الاطراف بحيث يحصل مصارحة غير مباشرة بين الأطراف عن مخاوف كل طرف من الطرف الآخر وهواجس كل طرف عن الطرف الآخر. بهذه الطريقة يتم فتح بعض الملفات التى تهيمن على عقل السياسي ولكن بادارة وطرق ثقافية تسمح بناقاشها ولا أقول حلها وأنما نقاشها وتفهم كل طرف لاهتمام ومخاوف الطرف الثاني بعيداً عن الاطر السياسية الرسمية هنا ومن خلال النقاش والحديث يتم تحسس وتفهم كل طرف للطرف الآخر دون أن تعد هذه محادثات مباشرة وتدخل فيها مخاوف وحذر السياسيين.

ومن خلال هذين المدخلين يمكن أن يخلق نقاط الالتقاء والاختلاف يتم توظيف نقاط الالتقاء من أجل البناء عليها وتعزيزها وتطويرها وهنا يدخل البعد السياسي من أجل رصدها

وتطوريها وخلق منهـا اجواء الثقة يمكن من خلالهـا أستمرار الحديث حـول نقاط الخلاف. ومن خلال هذه المنطلقات يتم التسليم ببعض الاختلافات بين هذه الدول ومنها:

أولاً : أن الدول المطلة على الخليج العربي هي دول ذات سـيادة وحرمة قانـونيه ودولية يجب عدم المساس بأمنها ومصالحها الحيويه.

ثانيـا : التسليم أن هناك نقـاط خلاف بين هذه الدول ويجب فـهم وأحتـرام هذه الاختـلافات والعمل الدؤوب على احتوائها أو على الأقل أبقائها خلافات متعارف عليها.

ثالثا : العمل على خلق وتفـاهم من أجل أيجاد الأرضيه للحوار المبـاشر دون الوسطاء وهذا ما يعمل على تعزيز ثقة الاطراف ببعضـهم البعض .

رابعاً : تـفهم دول الخليج للمـخاوف والهواجـس الأمنية التى تتـعرض لها هـذه الدول سواء داخليه أو خارجـية مما يعنى أن هذه الدول تتفهم مـخاوف الدول الأخرى سواء كـانت مخاوف حقيقيـه أو وهميه يجب تفهمها وذلك لكون مثل هذه المخـاوف حتى وإن كانت وهمية تلعب دوراً مهماً فى تسيير والتأثير على السياسات الخارجية لهذه الدول.

خامساً : أهميـة وإيمان وفهم الدول المطلة على الخليج العربي أنه بدون السلام بين هذه الدول وخلق أجواء التـفاهم والاحترام المـتبادل فإنه لن يكون هناك مـنتصر ومهـزوم بل سوف تكون الهزيمة هي للجـميع وهنا تخـرج لنا مقولت السـيد هوليداي أن المنـطقة لديها بواعث الخـلافات السياسية وبواعث عدم الاستقـرار وأن الطرف الخارجي لا يعمل إلا على أستغلال هذه الارضيه الخصبه لانشاء الخلاف وبالتالي عدم الاستقرار وعدم التنمية ويبقى الضحية الحقيقيه والأولى والاخيرة هو مواطن هذه الدول الذي يأمل بالعيش في مستـقبل مشرق يضعه على الخريطة مع العالم الآخر بشكل سلمي وحضاري وآمن .

أعلام بدون أيدلوجيا

خطة المحطات الغربية لنفسها خطاً واضحاً منذ بدايتها حيث أصبحت هذه الوسائل الأعلامية الغربية رمزاً وعلاماً من أعلام الحضارة الغربية بكونها أصبحت جزء من الايدلوجيا الغربية المرتكز على النظام الرأسمالي اللبرالي والقائم على الحرية الأعلامية والمعلوماتية التى تصب وتنبع من المصالح القومية للدول المنطلق منها هذه الوسائل الأعلامية فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما تنطلق هيئة الاذاعة البريطانية بأسلوبها المميز، ولا أقول المتميز، أقول عندما تنطلق هذه الاذاعة منذ فترة زمنية قديمة وتنقل معلوماتها واخبارها بكل لغات العالم عن طريق الارسالات الموجهة إلى مناطق مختلفة من العالم وذلك بمنهج الحرص على الموضوعية إلا في حالة رسم أو تنفيذ خطة قومية أو حدث يكون مرتبط بالمصالح القومية البريطانية فإن هذه الموضوعية تتحول إلى موضوعية موجهة بمعني موضوعية من أجل خلق ظروف فكرية وبيئية ثقافية تعمل لصالح الأهداف القومية البريطانية. وهيئة الاذاعة البريطانية مثلها مثل المحطات التلفزيونية أو الاذاعية أو الصحفية التى تنشر في الغرب وتصدر منه حيث أن سمتها الحرية مع اعطاء أولوية للمصالح الوطنية لدولها ويأتي على رأسها الأعلام الأمريكي بشكل خاص حيث يتضح بجلاء أهمية المصالح القومية في أطروحاتها الأعلامية المختلفة سواء السياسية أو الفكرية أو حتى التسلية ومن هذا المنطلق خطت وسائل الأعلام الغربية لنفسها خطاً واضحاً في مجملة بتمحور حول الحرية الاعلامية مع وضع المصالح الوطنية والقومية الحقيقية التى لا ترتبط باشخاص بعينهم موضع الاولوية بحيث تصبح مثلاً BBC لسان حال المصالح القومية البريطانية أو القناة الخامسة الفرنسية هدفها المصالح القومية الفرنسية وCNN، NBC، ABC والاذاعة العامه الأمريكية يكون هدفها أيجاد الحقائق التى تخدم المصالح القومية والسياسية للويالات المتحدة الأمريكية مع اعطاء قوة الأعلام في القضايا المحلية من أجل الوصول إلى أفضل النتائج على المستوى الداخلي والخارجي ومن هنا أصبحت الرسالة الأعلامية والوسائل الأعلامية تأتي كواحدة من عوامل قوة النظام اللبرالي الغربي بدل من أن تكون عامل هدم وتناقض.

وعلى الجانب المقابل فإن المشاهد للإعلام العربي سوف يكتشف النقيض وباستثناء الأعلام السعودي الذي يحمل مضامين أيدلوجية واضحه قائمة على البعد الديني الاسلامي الذي تنطلق منه المملكة العربية البسعودية وهنا لا نقول أن الأعلام السعودي بلغ القمة ولكن نقول أن الأعلام السعودي على الرغم من كل ما قيل وما يقال عنه فإنه الأعلام العربي الوحيد الذي يحمل مضمون فكري أيدلوجي يعبر عنه ولذلك فإن الأعلام السعودي لا يدخل في دائرة هذا المقال

وأنما يجد المراقب أن الأعلام العربي ينقسم الى قسمين رئيسيين هما : ـــ

أولاً : الأعلام الحكومي أو المحطات الاعلامية التابعة للحكومات العربيه وهذه المحطات لا تخرج عن نقطتين هما تعزيز الثقافة الوطنية المحلية واعطائها الصبغة الايدلوجية الشاملة واعطائها صبغة العالمية مع العلم أنه لا توجد ايدلوجية أصلاً ولا يوجد سوى التركيز على جزئية وطنية أو حتى جزئية شعبية تخص جزء من هذا البلد أو ذلك وبالتالي فإن عملية البناء الوطني التى تحاول أن تعززه هذه الفضائيات يأتي بشكل مش مشوَّه وممجوج لدرجة أنك تتسائل هل أن هذه الوطنية أو التركيز على موروث أجتماعي فرعي داخل هذه الدولة يستحق كل هذا الأهتمام والتركيز أم أن المسألة لا تعدو كونها قصر نظر إعلامي وفكري وفقدان وجود أيدلوجيا أو فكرة يمكن التعبير عنها.

النقطة الثانية التى تتمتع بها المحطات الحكومية العربية هو التوجه إلى المتعه أو الفن الرخيص من أجل شد المشاهد الرخيص أيضاً وهذا يجعل هذه المحطات في حالة من التناقض مع ذاتها حيث أنها تحاول شد المشاهد من أجل ايصال مفهومها حول القضية الوطنية وهنا القضية الوطنية لا تعني الوطنية الأرضية أو المصالح القومية بل تعني القضية الفردية اكثر من كونها مسألة وطنية وبالتالي فهي تشد المشاهد الغير فعَّال أو المشاهد المُخدر أو الخامل اكثر من شدها للمشاهد الفاعل والمتفاعل الذي ينتظر نوعيَّة برامجيه فاعلة وجيدة. ومن جانب آخر فإن هذه المحطات كذلك تقوم بتجاهل المناسبات الرئيسية التى تهم المشاهد بما فيهم المشاهد الخامل مثل المناسبات الدينية والروحانية بحيث نجد أن يوم عرفة مثلاً يُخص بحفلة غنائية على هذه المحطة التابعة لهذه الدولة العربية أو تلك وهذا واضح لا يعكس الحقيقة الشعبية المحلية أطلاقاً بقدر ما يعكس مصالح فردية واضحة. أو أن نجد أن يوم الجمعة الذي من المفترض أن يكون يوم روحاني وصلاة جمعة يعج وخصوصاً وقت الظهر بالحفلات الغنائية الراقصة وهذا يمجه المشاهد الخامل فما بالك المشاهد الفاعل والمتفاعل.

ثانياً : المحطات الفضائية التجارية فإن ملاحظة عابرة لهذه المحطات وأن كان هدفها في البداية محاولة خلق امبراطورية أعلامية تسيطر على الفضاء الاعلامي وقت الازمات السياسية وخصوصاً من أجل خلق رأي عام شعبي حيال قضية معينة في حالة الأزمة إلا أن هذه المحطات فقدت البوصلة الثقافية خلال مراحل السلم ومراحل الركود السياسي حيث أصبحت هذه المحطات بدون هوية ثقافية أعلامية وبدون بوصلة سياسية واضحة ولذلك توجهت بشكل باهت إلى تقديم أرخص العروض الثقافية واكثرها بعثاً الحزن والتقزز على المستوى المنحدر والمتهاوي ومن جانب آخر حاول تبعث أسوء مالدى الانسان من البواعث الحيوانية واستخدام الجانب الغرائزي من أجل الغريزه ذاتها عكس المعمول به في جميع أنحاء العالم من أستخدام الغرائز لاسباب سياسية أو أقتصادية بل أن الفضائيات العربية أستخدمت أسوء مالدي العربي من أجل

ضرب الانسان العربي والمسلم نفسه.

الاعلام الفضائي العربي باستثناء الاستثناء المذكور يعيش حالة من اللابداية والانهاية يعيش مرحلة اللاهدف واللاغاية يعيش مرحلة اللارسالة واللامضمون ومن هذا المنطلق يبقي الاعلام الغربي اكثر فاعلية لدى المتلقي العربي على اعتبار أن يحاول أن يعالج قضية ايدلوجية ويخاطب العقل والغريزة التى هي جزء من التركيب الانساني بينما يظل الفضاء الاعلامي العربي يخاطب غريزة الغريزة لدي المتلقي ومن هنا فإن على الاعلام العربي أن يعيد أولوياته وأن ينطلق من منهج فكري واضح يتم استقائه من الشارع العربي وليس من أجل خلق حالة أجتماعية تخدم هذا الفرد من الناس أو آخر. أن لم يحدث ذلك فإن المواطن العربي الفاعل والمتفاعل سوف يظل مشدود التفكير والانتباه إلى الأعلام الغربي ساعياً ورائه دافعاً ماله تاركاً الاعلام العربي للرعاع والدهماء من الناس وبالتالي فإن النتيجة أنه حتى وقت الازمات لن تجد القنوات العربية الفضائية سوى المشاهد الذي أعتاد على المخدر الذي أعتاد عليه من المحطات العربية بينما سوف يجد الفرد والمراقب أن غايته ومصدر معلوماته تأتي من الطرف الآخر كل ذلك يحدث حتى تكتشف الدول العربية أنها تدفع مالديها من أموال حتى تعمل ضد ذاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

الأبتعاث والتنمية

تعد المملكة العربية السعودية واحدة من أكثر الدول التى عاشت نقلة نوعية وكمية في العملية التعليمية حيث أنتقلت من مراحل الكتاتيب إلى الجامعات ومن مراحل عدد المتعلمين على أصابع اليد إلى الأرقام بالملايين ومن البساطة في الطرح إلى التعقيد في معالجة العملية التعليمية كل ذلك كان في سنوات وجيزة وسريعة يعترف فيها الناقد للمملكة قبل المادح. وهذا التدرج التعليمي الذي عاشته المملكة العربية السعودية كان أحد حلقاته المهمة هو الأبتعاث إلى العالم الغربي وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية حيث كان أعداد الطلبة في مرحلة من المراحل يتجاوز ١٤ ألف طالب بين دارس لمرحلة البكالوريوس ودارس لمرحلة الماجستير والدكتوراه. وإذا كانت تلك المرحلة من الأبتعاث قد أعطت نتائج جيدة وقوية خصوصاً في العمل في القطاع الخاص من الذين درسو مرحلة الدراسة الجامعية حيث نجد هؤلاء ونتائجهم بين القطاع العام والخاص إلا أنها كانت أحد التجارب الجيدة والجديرة بالدراسة والتقويم. وأن كانت هذه التجربة كان لها سلبية فإن صغر سن المبتعثين في ذلك الوقت مما دفع عدد لا بأس به إلى عدم أكمال المرحلة الدراسية الجامعية وأن كانت التجربة يمكن أن يطلق عليها النجاح. إلا أن تجربة الابتعاث التي انتهجتها الجامعات السعودية ووزارة التعليم العالي لمرحلة الماجستير والدكتوراه كانت واحدة من أنجح التجارب التي مرت بها العملية التعلمية في المملكة من حيث نتائجها القوية حيث كانت اغلب حالات الابتعاث أتسمت بالنجاح والتفوق وما تراه اليوم من اعداد حملة الشهادات العليا في بلادنا ليعد مفخرة يمكن للمملكة أن تباهي بها إلى جانب نجاحاتها الأخرى وكان من ضمن أسباب هذا النجاح هو :

أولاً : أن أغلب من أبتعث للدراسات العليا كان على مستوى المسئولية والمعرفة بالهدف الذي ذهب من أجلة.

ثانياً : أن أغلب من ذهب للدراسة العليا كان مرتبط بشكل قوى على المستوى الاجتماعي (بزواج وأطفال) أو على المستوى الوظيفي (أبتعث على شكل معيد من الجامعة أو موظف على عمل).

ثالثاً : حصرة هذه البعثات في مجملها على الذين أثبتو جدية في الدراسة والحياة والعمل حيث كانت هذه البعثات مقتصرة على المتفوقين دراسياً والجادين عملياً.

رابعاً : كان الهدف من البعثة والدراسة واضح محدد المعالم بحيث أن كل مبتعث له مكان شاغر فارغ ينتظرة ليعود إليه كأستاذ فى الجامعة على سبيل المثال لا الحصر.

لكل هذه الأسباب الآنفة الذكر وغيرها كانت تجربة الابتعاث السعودية لما بعد المرحلة

الجامعية أو للدراسات العليا واحدة من أكثر التخطيطات التعليمية نجاحاً ونتائجاً على مستوي البعثات الدراسية. ومع أن المملكة العربية السعودية قد قللت من البعثات الدراسية للمرحلة الجامعية بشكل قوى وكان ذلك عائد لأسباب اجتماعية وأن نتائجها التعليمية على الرغم من النجاح الحقيقي في هذا المجال وكان هذا الاجراء وجد قبول في بعض القطاعات الاجتماعية في المملكة إلا أن المملكة استمرت في خفض معدل أرقام مبتعثيها للدراسات العليا بشكل واضح وهذا ما يرى صاحبكم أنه من العوامل التي يجب دراستها والنظر إليها بجدية من حيث أثرها على مستوى البلاد وتقطيع وتيرة التنمية بمفهومها العام. حيث أن خفض معدل المبتعثين لمستوى الدراسات العليا سوف يخلق فجوة حقيقية على المستوى التعليمي والاداري لن نشعر بها بشكل حقيقي إلا عندما يذهب الجيل الجديد الذي عاد لتوه من أبتعاثه بعد أن أنهى دراسته العليا وتقلد مكانه الطبيعي في البناء والتنمية لهذه البلد الفتي.

ومن الملفت حقاً أن تطالعنا جريدة USA Today (أمريكا اليوم) في عددها الصادر يوم الأربعاء ١٨/٢/١٩٩٨م هذه الجريدة الواسعة الانتشار داخل الولايات المتحدة الأمريكية. أقول من الملفت أن هذه الجريدة تعرضت للطلبة الاجانب الذين يدرسون داخل الولايات المتحدة الأمريكية وكان الهدف من المقال هو تسليط الضوء على الطلبة الآسيويين الذين يدرسون في الجامعات الأمريكية خصوصاً بعد الهزة الاقتصادية التي ضربت الدول الآسيويه بشكل قوى وخصوصاً تايلند، كوريا الجنوبية، أندونيسيا، ماليزيا. وكيف تصرف هؤلاء الطلبة مع هذه المعطيات الجديدة ومعاناتهم معها كما كيف عملت الجامعات الامريكية على تفهّم أوضاعهم الاقتصادية والنفسية. إلا أن القارئ العربي سوف تذهلة أرقام الطلبه الاجانب الذين يدرسون في الجامعات الأمريكية وأن العالم العربي نصيبه لا يذكر من هولاء الطلبة ومنها دول الخليج العربي، بل أن القارئ العربي سوف يرقب ويربط بين الدول النامية والدول الآخذة بالنمو والتطور وعدد الطلاب الذين يدرسون في الجامعات الأمريكية حيث تطالعنا الأحصائية لعدد الطلاب الواردة في المقال الآنف الذكر على النحو التالي : اليابان الدولة التي تعد واحدة من أكثر دول العالم تطوراً تأتي في المرتبة الأولى من حيث عدد طلابها في الجامعات الأمريكية حيث يكون نصيب اليابان في العام الدراسي ١٩٩٦ــ ١٩٩٧ (٤٦٢٩٢ طالب وطالبة) والصين (٤٢٥٠٣ طالب وطالبة) وكوريا الجنوبية (٣٧١٣٠ طالب وطالبة) الهند (٣٠٦٤١ طالب وطالبة) تايوان (٣٠٤٨٧ طالب وطالبة) وكندا (٢٢٩٨٤ طالب وطالبة) ماليزيا (١٤٥٢٧ طالب وطالبة) تايلند (١٣٤٨١ طالب وطالبة) أندونيسيا (١٢٤٦١ طالب وطالبة) هونج كونغ (١٠٩٤٢ طالب وطالبة) المانيا (٨٩٩٠ طالب وطالبة) المكسيك (٨٩٧٥ طالب وطالبة) موزعين هؤلاء على أشهر وأهم الجامعات الأمريكية.

من الملاحظه لهذه الأرقام هي : ـ

أولاً : أن أعداد الطلبة كبيرة وهم ينحدرون من دول نامية أو هي في طور الانطلاق التكنولوجي والتقني.

ثانياً : أن هناك قناعة واندفاع لهذه البعثات وأهميتها التنموية لهذه الدول لذلك توجح ذلك إلى تطور تكنولوجي أو بغيت الاستمرار وعدم التقطيع في المسألة التنموية.

ثالثاً : أنه لا توجد دولة عربية سواء في آسيا أو أفريقيا هي أحد هذه الدول ذات الأعداد من الطلبة الدراسين في الجامعات الأمريكية وهذا يبعث للتسائل والاهتمام خصوصاً وأن هناك علاقة بين أعداد الطلبه وحجمهم في أمريكا والمرحلة التنموية التى بعثتها تلك الدول.

رابعاً : أين تقع دول الخليج من هذه البعثات وخصوصاً دولة مهمة وصاحبة باع ومجال في العلمية التعليمية والتنموية مثل المملكة العربية السعودية.

أن المقال يذكر أن هناك ما يقارب ٤٥٨٠٠٠ طالب وطالبة أجنبي في الولايات المتحدة الأمريكية يشكلون ٣٪ فقط من الطلبة في التعليم الجامعي وما فوق الجامعي من هؤلاء الطلبة ٥٧٪ من هؤلاء الطلبه من آسيا وهذا يشكل أن أكثر عشر دول تبعث طلبتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية تسع من هذه الدول هي في اسيا.

وإذا كانت الأزمة الاقتصادية الآسيوية قد شكلت معاناة لدى الطالب الآسيوي فإن بعض الجامعات الأمريكية قد عملت وسعت لحل هذه المعضلة بالتعاون مع هؤلاء الطلبة الذين يعانون من مشاكل مادية ولم يكن الهدف من هذا التعاون هو التعاطف مع الطالب الآسيوي بل كانت قناعة متخذي القرار في الولايات المتحدة الأمريكية أهمية الطالب الاجنبي للعملية التعليمية والتجربة للطالب الامريكي نفسه الذي يسمح له هذه الاعداد من الطلبه بالتعرف على تجارب وثقافات الأمم الاخرى ولا يمكن تتحقق للطالب الامريكي هذه الفرصة إلا بوجود الطالب الاجنبي في الجامعات الامريكية.

وإذا كان هذا هو منطلق الدول الباعثة للطلاب هو أستمرارية العملية التعليمية والتنموية وكذلك أثراء التجارب والخبرة للطالب الامريكي من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية فإن ذلك يحفزنا نحن في العالم العربي للعمل الحقيقي والجاد لإعادة النظر والتأمل الجاد والحقيقي في مسألة الابتعاث والاستفادة من تجارب الأمم التى سبقتنا في مضمار التقدم العلمي والمملكة هي الدولة التي يجب أن تبادر إلى مثل هذا الاهتمام.

الأزمة الخليجية في قمة مسقط

لعله ليس سراً أن يكون انشاء مجلس التعاون الخليجي جاء كأحد ثمار أو رد فعل للحرب العراقيه الأيرانية وهذا يعني أن البعد الأمني السياسي هو الهاجس حول وجود المجلس وليس غيره، ولعل هذا الهدف على أهيته أصبح أحد أهم العوائق الذي يقف فى وجة تطور مجلس التعاوم الخليجي حيث أن العائق السياسي أستطاع تعطيل البعد الاقتصادي والاجتماعي وتطويرهما من أجل مصلحه التعاون الخليجي مما يعني أن البعد السياسي وهو الأصل أستطاع أيقاف المسيرة الخليجية حتى على المستوي النفسي التعاوني مما أفقد المجلس حركتة وديناميكيتة وجعلة أسير التطور السياسي. فكان من الأجدي صرف كثيراً من الجهد لتطوير التعاون الاقتصادي والاجتماعي والسكاني حتى يمكن أن تكون عملية التطوير السياسي والأمني اكثر أمكانية. ولهذه الأسباب فأن مجلس التعاون الخليجي ليس مرشح للعمل بفاعليه إلا عندما تكون أنظمته السياسية مهدده وهنا يتوقف على من يهدد من، ومن هو أقل تهديداً سوف لن يدخل في تعاون مع دول مجلس التعاون الاخري وذلك راجع الى عدم تعدد الروابط التعاونيه أي الروابط الخلفيه والأماميه لربط الدول بعضها ببعض. وخلال مسيرة مجلس التعاون الخليجي لم تكن الازمات السياسيه جديدة عليه فقد كانت عمان أحد الدول الغير منضبطة في المجلس في بداياته الأولى ثم تحول إلى دولة الامارات العربية المتحدة ثم دولة الكويت وأخيراً جاء دور دولة قطر وهذا يرجع للبعد السياسي الأوحد لمجلس التعاون الخليجي من جهة ويعود الى العوامل السياسية الدولية والأقليمية وأخيراً يعود الى طبيعة نظام مجلس التعاون الذي يشكل الكثير من نقاط الضعف في تركيبه المجلس السياسية والتنظيمية. إذاً التوجه القطري والتصرف القطري الحالي ليس جديد على مجلس التعاون الخليجي أنما الجديد هنا هو الظروف الدوليه التى تجعل تصرف قطر مثلاً سوف يفرز أبعاداً تختلف اختلافاً يكاد يكون كبيراً في النتائج المحتمله.

ولعلنا نبدأ ببعض المسلمات فيما يخص المملكة العربية السعودية ثم نتطرق إلى الدول المستفيدة والمتضررة من الخلاف الخليجي الخليجي ثم نختم بالحلول التى يمكن للمملكة القيام بها

أولا : أنه يمكن تفسير السياسيه القطرية ببعدين

١ ــ البعد النفسي أي توجه قطر الى أثبات مكانه الدولة القطريه ولا يأتي ذلك إلا بالانشقاق بل والتمرد على الأخ الأكبر المملكة العربية السعودية وكثيراً ما يحدث ذلك فى السياسة الدولية

سواء في آسيا أو أمريكا اللاتينيه أو حتى أفريقيا.

٢ ــ رغبه قطر بأن تلعب دوراً أكبر من حجمها وقدراتها وذلك عن طريق لعب توازن القوي الخليجي بين العراق، وأيران والمملكة العربية السعودية مما يعني أنها سوف تجني ثمار هذا التوازن وكذلك التوازن الأقليمي العربي وذلك بادخال مصر والأردن فى المعادلة حيث يكون التوازن كالتالى مصر، المملكة العربيه السعودية، أيران، العراق، الأردن.

كما أن ذلك يعطي قطر لعب دوراً توازن عالمياً بأدخال أسرائيل والولايات المتحدة الأمريكيه مفهوم توازن لقوي الخليجي والعربي بشكل أكثر تفصيلاً. خلاصه القول أنه معروف فى دراسات السياسية الخارجية أن الدول الصغيره تستطيع أن تلعب دوراً يتعدى وأمكانياتها أذا أستطاعت توظيف صراع القوى في مرحلة توازن القوي الأقليمي أو العالمي وهذا ما ينطبق علي الحالة القطرية في هذه الحالة.

ونأتي للشق الثاني وهو من هي الدول المستفيدة والمتضرره من السلوك القطري بمجلس التعاون الخليجي يمكن ترتيب الدول المتضرره على النحو التالى الأول دول مجلس التعاون الخليجي والاخري عمان، الامارات العربيه المتحده، الكويت وتأتي أهم المتضررين هي المملكة العربيه السعوديه حيث أن فقدان الحلقه القطريه في الترتيبات السياسيه والأمنيه السعوديه هى خساره كبيره تهدد المملكه في المدي البعيد.

أما الدول المستفيده من السلوك القطري وعندما نقول الدول المستفيده نلمح أنها يمكن أن تكون الدول المحرضه وسوف نسردها الأقل أهمية إلى الأكثر أهمية

أولاً : أيران : أن دوله أيران تعتبر من الدول المستفيده في فك عقد مجلس التعاون الخليجي حيث أن أضعاف الطرف الآخر هو تقويه لها بشكل مؤكد وهو يعني أن الدخول من البوابه القطرية بالاضافه الى أمارة دبي يعني تسلسل التأثير الايراني في المدي الطويل الأمد على دول الجزيرة العربيه. إلا أن الحلقه الصعبه بهذا التصور هو أن أيران بتفكيكها مجلس التعاون الخليجي يمكن أن تكون ايران نفسها من الدول المتضررة مثل دول الخليج الأخري وذلك يرجع هو أن تفكك مجلس التعاون هو أنكشاف الأمن الفردي للدول مما يعني أعتماد هذه الدول بشكل أكثر بكثير مما يحدث الآن بالدول الاخري ولن تكون الحاميه فقط الولايات المتحدة الأمريكيه وبريطانيا وفرنسا بل سوف تدخل أسرائيل، مصر، الأردن المعادله وهو ما يزعج الساسه الأيرانيين. كما أن أيران من مصلحتها تأجيل كل هذه الاشكالات الى أن يكتمل برنامجها التسليحي النووي وبعد ذلك تخطط لنفسها سياسة خارجية مغايره.

ثانياً : مصر والأردن، أن هاتين الدولتين على الرغم من أختلافهما حول النظام الأقليمي العربي ألا أن كلتا الدولتين تعانيان فشل كبير في سياستهما الخارجيه ولعل دولة مثل مصر تكاد تكون ليس لديها عوامل حقيقية تستطيع أن تعبء بها سياستها الخارجيه فمهوم العروبه

والقوميه العربيه أستهلك مع ذهاب عبدالناصر وموضوع مثل النظام الدولي في المنطقة في عهد السادات والصلح مع أسرائيل فقد أهميته وهذا يعني أن مصر فقدة أهميتها العالمية وخصوصاً للولايات المتحدة الأمريكيه وأوروبا من جانب كما فقدة أهميتها بالنسبه لأسرائيل كحلقه وصل تدخل بها اسرائيل الى العالم العربي خصوصاً بعد دخول العرب محادثات مباشرة مع أسرائيل. كل هذه العوامل صُحبت بفشل السياسة الاقتصادية والتنمويه المصريه ولم تتزامن مع أستقراراً سياسياً أو نموذجاً ديمقرطياً حقيقياً يمكن أن يكون نموذجاً قابل للتصدير. لذلك فإن أهمية العوده المصريه للقيم والمفاهيم العروبيه تعني أن التوجهات الأقليمية الحديثه على غرار مجلس التعاون الخليجي يعمل عكس المصالح المصريه من جهة كما أن تأجيج الصراع الخليجي الايراني يعني الحاجه الخليجية للدعم والموقف المصري كما يسمح باستعاده مصر لمكانتها أو على الاقل لمكان أكثر أهمية.

ثالثاً : من الدول الواضحة الاستفادة هي أسرائيل وهي الدوله التى تعتبر خارج وداخل النظام العربي في وقت واحد حيث التشجيع الاسرائيلي للسياسة الخارجية القطريه المستقلة عن دول الخليج العربي مما يعني اسقلالاً ووعوداً أقتصادية بأستيراد الغاز والنفط والمشاركة الفعالة القطريه لأقتصاد الشرق أوسطي المزمع أقامته بتشجيع أسرائيلي وهذا يعني أن أسرائيل أستطاعت الدخول والتأثير الكبير عل النظام العربي والنظام الخليجي سواء لأفساح المجل لمشاريعها الاقتصادية أو حتى لمشاريعها السياسية وذلك باشعال فتيل الحرب الخليجية الخليجية والخليجية الايرانيه من أجل أضعاف وأستنزاف الأطراف المختلفه وتكون أسرائيل هي المرجحة لمفهوم توازن القوى الخليجي والعربي حتى يتسنى لها أن تلعب دوراً أكبر بكثير من حجمها وأمكانياتها كما أنها توقف أي تطوير تسليحي في العالم العربي والاسلامي وخصوصاً البرنامج النووي الايراني .

رابعاً : الولايات المتحدة الأمريكية إن من اكثر الدول أستفاده من الخلاف الخليجي الخليجي هي الولايات المتحدة الأمريكيه فقطر الدولة التي دعت إلى أنهاء المقاطعة العربيه والخليجية لأسرائيل وقطر الدوله القادره على جر أيران للمستنقع الخليجي مما يعني أدخال أيران في حرب باردة وسباق تسلح مع دول الخليج مما يعني أستنزاف المنطقة ومزيد من مبيعات السلاح التقليدي وأستمرار الحاجة الى المظلة الأمنيه الأمريكيه مما يعطيها مرونة سياسية أقليمية وعالمية لتحكمها بالمخزون الاستراتيجي النفطي الخليجي ولأهم من كل ذلك وهو عند جر أيران للمستنقع الخليجي يعني ذلك أدخال أيران في حرب خليجية أيرانيه بدعم الأول بالولايات المتحدة الأمريكية يتم بها تدمير القدرات النووية الايرانيه وبرامجها التسليحيه مما يعني أنهاء قدرات الطرفين العسكريه بعد أستنزاف قدراتهم المالية وأنهاء البرنامج النووي الايراني قبل أن يشرف على الانتهاء. بمعني آخر لعب قطر دور دولة الكويت في حالة حرب الخليج الثانيه

بضرب القدرات التسليحيه العراقيه والقضاء على برنامجه النووي والتقليدي.

أما البعد الأخير في هذه الورقه وهو الحلول الممكنه التى تقوم بها المملكة العربية السعودية في هذا المضمار فلعله من المعروف التوجهات العسكريه التى تدعو المملكة الى الحزم تجاه قطر وتحجيمها ووضعها في مكانها الطبيعي ويرى آخرون هو التجاهل الكامل للمواقف القطرية فيما يرى الفريق الثالث هو التساهل وعدم اثارة القضية اكثر مما تستحق نقول لعل هذه الحلول تمثل نمط التفكير العربي بكل سماته أي الحديه الذهنيه أما التشدد أو التساهل ولا شيء بينهما. غنى عن القول أنه ليس بهذه الطريقه تدار العمليه السياسيه الأقليمية والدولية وأنما يكون هناك تصور عام يأخذ بكل هذه النقاط بشكل فعال أي أستخدام الجوانب التشدديه من أجل الضغط وفي نفس الوقت وضع بعض المساحات والمخارج التى تسمح للطرف الآخر بالتصرف وحفظ ماء الوجه ومن ذلك مثلاً استضافة المملكة أمير قطر السابق على أن لا يمارس النشاط السياسي من المملكة ضد قطر «ورقة ضغط مخففة» أدخال دول الخليج العربيه للوساطة بين الطرفين مثل عمان والامارات العربيه المتحدة والكويت «ورقة جذب» تصعيد ورقة الحدود وأتخاذ مواقف توحي النظرة التساهليه للحل «ورقة ضغط وجذب في نفس الوقت» والأهم من كل ذلك العمل على المدي المتوسط بتحجيم قطر عن طريق جعلها بموقع أكثر حاجه للمملكة العربية السعودية من الجوانب السياسيه والاقتصادية والاجتماعية والأمنية بحيث يكون تصرف قطر غير عقلاني بوقوفها أمام المملكة العربيه السعودية بمعنى آخر وضع قطر في موقف يكون التصرف العقلاني القطري في السياسة الخارجية يكون يصب في صالح المملكة العربيه السعودية وهذا يمكن أن يتحقق ويحتاج الى وقت وأقتناص للفرص المواتيه. والأهم من ذلك هو عدم السماح لقطر الخروج من دائرة النظام الخليجي لأن ذلك سوف يكون تأثيره سلبي على المملكة العربية السعودية.

الأستعداد للمستقبل

منذ التوقيع على أتفاقية أوروجواي في مراكش المغرب عام ١٩٩٤م والذي فيه أُعلن قيام منظمة التجارة العالميه والتي نقلت العالم من اتفاقية الجات (GATT) والعالم يسير بشكل لم يسبق له مثيل نحو العولمة العالمية ويتضح من ذلك العولمة الأقتصادية والتي من المتوقع أن تتبعها العولمة الثقافية كنتيجة طبيعية ثم تتبها السياسية. ولكن العالم المتطور يفاجؤنا مرة بعد أخرى بهذا التوجه القوي وكان أخر هذه الاستعداد لنموذج العالمية أوالتحضير للتعامل مع نظام وشروط منظمة التجارة العالمية كان الأعلان عن أندماج شركتي برتش-بتروليم (BP) وأمكو(Amoco) لتكون بذلك تحت شعار (BP.Amoco) وبعد هذا واحد من اكبر .صفقات الاندماج في التاريخ بحيث سوف يكون راس مال الشركة مايعادل ١١٠مليار دولار والتي شكلت منه BP ٦٠٪ و Amoco ٤٠٪ ويكون مقر هذه الشركة لندن ومن المتوقع أن تسرح هذه الشركة الجديدة أعداد كبيرة من موضفين وعمال نتيجة لتوفير الوضائف المتكررة في الشركتين المجتدتين في نشاطها حول العالم وكنتيجة لهذا التوفير والنشاط الجديد فسوف تكون ارباح الشركة الجديدة مايعادل ا بليون جنية أسترليني سنوياً وكل هذا ليس كل نتائج وأرباح الصفقه بل تعد هذه الصفقة واحدة من ثلاث اكبر شركات نفط في العالم وهي إكسان وشل بحيث تستطيع الشركة الجديدة أن تنافس علي مستوى التجارة الدولية في القطاع النفطي وقطاع الطاقة بشكل عام هذا الاندماج يحقق لشركة BP قدرة على الاستفادة من الشركة Amoco في انتشارها في وسط القارة الامريكية وفي أمريكا الجنوبية وخبرتها الكبيرة في مجال الغاز وتصنيع الغاز وكذلك خبرتها في مجال صناعة البتزوكميكل في شرق اسيا وسوف تضيف شركة BP قدرتها وتواجدها في الاسواق الاوربية وهذا ما يجعل هذا الاندماج فرصه لكلتا الشركتين العمل على مستوى الكرة الارضية بشكل قوى ومنافس خصوصاً وان BP تدخل اليوم منافسة حادة وكبيرة في اسيا الوسطى وخصوصاً انها تعد الشركة الاكثر حضاً في السيطرة على نفط اذربيجان وجزء من مناطق نفط بحر قزوين كل هذه العوامل سوف يعطي الشركة الجديدة اكبر قدرة على المنافسة في انتاج النفط وتكرير النفط وتسويقه الامر الذي سوف يضع كثير من شركات النفط في حاله اكثر صعوبة وسوف تكون المنافسة اكبر في سوق عالمي تتوج الى حد كبير. والحقيقة ان اندماج شركتي BP و Amoco لم ياتي جديد او مفاجئ بل جاء بعد سلسلة من الاندماج شهدها قطاع البنوك في العلم الغربي واليابان بحيث شهد هذا العام والعام السابق العديد من هذه العمليات الاندماجية وخصوصاً في قطاع البنوك والمصارف ثم تلي ذلك بعض العمليات الاندماجية في قطاع صناعة السيارات وقطاع الاتصالات والمعلومات

والاعلام حيث شهد العالم قيام اكبر مراكز المعلومات والاخبار ووسائل الاعلام بالاندماج كان آخرها شركة CNN مع Time والتي تعد في حده من الاندماجات الكبيره في هذا القطاع.

كل هذه الاندماجات دفعها التوجة نحو تطبيق لوائح ونظام منظمة التجارة العالمية التي سوف تكون واحدةمن العوامل الدافعة لمفهوم العالمية الاقتصادية والمنافسة الحرة على مستوى العالم. هذه العامل يدفع للسؤال اين العالم الثالث من كل مايجري اليوم ؟ ثم السؤال يقول اين العالم العربي من كل ذلك ؟ والاكثر حدة هو اين موقع دول الخليج العربي من كل ذلك ؟ تقول اين موقع دول الخليج من كل ذلك خصوصاً على مستوى المصارف وتقاربها وحتى توحيد نشاطها واعمالها من اجل الوصول الى مرحلة من التقارب والتنسيق الذي يدفع الى الاندماج في المستقبل حتى تكون هذه المصارف على قدر كافي من القوة للعمل في عالم منافس قوي ويكون ذلك عن طريق فتح المجال للعمل داخل دول الخليج وتسهيل هذه العملية بشكل قوي وسريع على ان تتفهم هذه المصارف البعد الاجتماعي ولاقتصادي لهذه المنطقة حتى تكون اداة في دعم الاقتصاد ولاستقرار بدلاً من أن تكون اداة للضغط الاجتماعي والاقتصادي.

واذا كان اتحاد المصارف ملح في هذه الوقت بالذات وعلى مشارف الدخول للقرن القادم عصر عولمة المنافسه والاقتصادية فان السؤال اكثر اهمية والحاح حول ماذا يمكن ان تقوم به شركات النفط في دول الخليج العربي خصرصاً بعد الاندماجات الكبيرة على مستوى الشركات النفطية العالمية. ان شركات نفط دول الخليج العربي مطالبة أكثر من قبل في تجاوز مرحلة التنسيق بين هذه الشركات في قظايا الانتاج من النفط ولاسعار الى عملية توحيد قدراتها وامكانياتها حتى يمكن لها العمل في فضاء عالمي تنافسي كبير وان التنسيق بين شركات النفط في دول الخليج العربي سوف يعمل على توفير مبالغ كبيرة في مسالة التشغيل والصيانة والانتاج

ناهيك عن القدرة المالية الكبيرة التي سوف تجعل هذه الشركات اكثر قدرة على المنافسه العالمية خصوصاً وان هذه الشركات تعتمد على خبرات بعضها ليسة خليجية. ان الوقت قد يكون مهم للتفكير بجدية حول تقارب هذه الشركات ان لم يكن اندماجها حتى يمكن لمنطقة الخليج ودولة ان تأخذ مكانتها الطبيعي في عالم الطاقة سواء انتاجاًوتكريراً وتسويق وان كان اشراك شركات النفط الخليجية دول اخرى وشركات اجنبية في مسألة الانتاج والتكرير مفيدة ومهمه فان هذه الاستراتيجية لم تعد كافيه للتعامل مع المستقبل خصوصاً وان هذه الاستريجية تدعم مسألة البيع والبحث عن اسواق املتها ضروف تنافس المنتجين على السوق في ضل الفائض النفطي الكبير في الاسواق العالمية والتي دفع الى تدني الاسعار على النفط. ان استريجية البحث عن سوق لم تعد كافية اليوم ويجب التفكير بشكل واسع واكثر طموح في جعل منطقة الخليج اكثر من كونها دول تحتوي على مخازن نفطية الى دول تملك قرار مهم في صناعة النفط

وتكريره وتسـويقه بل وتطوير تكنلوجـياً النفط والطاقة وهـذا مايمكن ان يجعل منطـقة الخليج ودولة قادرة على المنفـسة العالميـة في ضل نظام عالمي تنافسي كـبير . وهذا مايدعـو الى تعاون دول الخليج العـربي والدول المحيطة به من اجل الدخـول في القرن القادم بشـكل اقوى يدل من دخولة القرن القادم مع حـمل مشاكل وتبعيات القـرن الحالي والذي سوف يكون الخليج بكاملة دوله العربية وغير العربية الخاسر الاكبر من هذا التوجة. في عصر المنافسة العالمية.

الأمة والهيبة الدولية

يعد مفهوم الهيبة الدولية والتى كانت أحد عناصر القوة فى الصراع الذى ذهب إليه العديد من المحللين في القضايا الدولية وكان مفهوم الهيبة الدولية عامل من عوامل تحقيق الهدف على المستوى الدولي أي هدف السياسة الخارجية وعلى الرغم أن مفهوم الهيبة هذا مفهوم هلامي أي غير قابل للتحديد والقياس من الناحية العلمية البحته إلا أنه أيضاً عامل فاعل في مسائل الصراع الدولي وأداة حقة في تحقيق الهدف سواء بالهدف السياسي والعسكري أو حتى في الاقتصادي والثقافي بالمعنى الفلسفي.

في هذا المقال يمكن تسليط الضوء على الهيبة للامة العربية الإسلامية على أن كاتب هده السطور ينظر لها وبكل بساطة أن العرب هم المسلمين هم قلب العالم الاسلامي وأن المسلمين هم محيط العرب الطبيعي أي أن المفهوم القومي البحت لا يدخل في هذه المعادلة بل ان العرب المسلمين هم أصول التاريخ والحضارة الاسلامية وأن المسلمين هم أمتداد وقوة العالم العربي ومن هنا يمكن تصنيف العرب غير المسلمين بمفهوم التسامح الديني أكثر من كونهم جزء من الكل. ومن هذا المنطلق التوضيحي والاجرائي الذي كان لابد منه فإن الناظر الى العالم العربي والاسلامي لا يمكن أن يبتعد عن الصواب إذا قام بمقارنة حول العوامل الهامة في مسألة الهيبة ومكوناتها بين العالم العربي الاسلامي والعوالم الأخرى.

وبالفعل فإن العالم الاسلامي يحتل مكان فريد على مستوى الحضارة الزمنية والمكانية أى أنه يحتل مفهوم منبع الحضارات الدينية الرئيسية وهو كذلك محتل مواقع هذه الحضارات وتراثها الساكن فى ذهن الرقعة الجغرافية في هذا الموقع من العالم. والعالم العربي يحتل أفضل الممرات الدولية على الاطلاق على الرغم من انخفاض الأهمية الاستراتيجية للعديد من هذه الممرات الدولية نتيجة التطور المذهل في وسائل النقل والاتصال والتكنولوجيا الحديثة. والعالم العربي والاسلامي يكاد يتوسط العالم من الناحية الجغرافية والجغرافيا البشرية الأمر الذي أثر على المد الحضاري بالشكل الايجابي من الناحية التاريخية على الأقل وهو كذلك الذي جعل هذه المنطقة محط أهتمام تاريخي وسياسي من القوى الصاعدة في العالم. والعالم العربي والاسلامي أيضاً يحوى على أكثر المناطق ثروة طبيعية سواء بالعوامل البترولية المتعددة والغاز وعلى الرغم من صحاريه الهائلة إلا أنه أيضاً من المناطق الغنية بالمياه وان كان توزيع المياه فيه شيء من التشوية أي توفرة بكثرة في مناطق وشحه الى حد الجفاف في مناطق أخرى من هذا العالم.

على الرغم من كل هذه العوامل الايجابية فإن العوالم الأخرى تعد بحق متطورة على العالم العربي والاسلامي في العديد من الجوانب سواء من ناحية التعليم ومستوى نسب التعليم حيث يتقدم العوالم الأخرى على العالم العربي والاسلامي المستوى التحديث البشري والتقني ومستوي فهم التراث والسلام معه فيما يعيش العالم العربي أزمة الحديث والقديم التراث والمعاصرة الأمس والغد السجن الزمني والمكاني الذي أخذ يمزق القوى والطاقات العربية والاسلامية.

ان من اكثر عوامل تفوق العالم الآخر على العالم العربي والاسلامي وهنا مسألة المقارنة اكثر من مفهوم أبعاد وأقصاء الآخر، أقول ان من اكثر تطور العوالم الاخرى هي هذه القدرة الهائلة على أدارة الموارد والحداثة الهائلة في هذه القدرة على إعادة وترتيب الموارد المادية والنسبية والمعنوية بشكل تصب في مفهوم ونهر فكري أجرائي قابل للتطبيق والانتاج وبالتالي النتائج المستقبلية. أن المراقب لا يجد العناء الكبير حيث يلاحظ العوالم الاخرى في استثمار قواها مهما تكن متواضعة حيث ان العديد من الأمم أستطاعت تعبئة هذه القوى والعوامل سواء قدراتها العسكرية والفكرية وتحويلها الى قوى أقتصادية وتكنولوجية أستطاعت أن تغزو العالم على المستوى الحضاري والفلسفي بينما ركزت أمم أخرى على أستثمار ضعفها في مجال محدد مثل البعد الاقتصادي مثل اليابان وكوريا الجنوبية من أجل رفع المستوى الاقتصادي بشكل يخدم البعد الاستراتيجي ونرى أمم أخرى تسعى بشكل حقيقي وجاد الى بناء منهج فكري استراتيجي من أجل أن تصب فيه عوامل القوى التي تتوفر لهذه الأمة.

والحال ذلك فإن الناظر والدارس للعالم العربي والاسلامي فإنه يكتشف بدون عناء أن العربة تسبق الحصان في التفكير العربي الاسلامي أي أن استخدام الموارد وعلى تعددها وتوفرها يسبق الخطة الاستراتيجية والفكرة الاستراتيجية. أي أن اختيار الهدف لم يتم أنفاق تعريفه أو تحديده في العديد من الدوائر الفكرية العربية والاسلامية بينما يتم الموارد المتعددة على هدف لم يحدد بعد ومستقبل لم يخطط له بعد ولذلك فإن مفهوم الأولوية غير مفهوم وغير متواجد في الذهن العربي والاسلامي أى أنه لا يوجد قنوات يمكن أن تستثمر فيه هذه الموارد الهائلة التى تتوفر للعالم العربي والاسلامي ولذلك فإن مفهوم البداية والانقطاع والتردد والانتقال من حالة الى حالة ومن هدف الى هدف وعدم الانفاق على هدف مستقبلي واضح أو شبه واضح كان واحد من العوامل التي يعيق عوامل القوة التى يحتضنها العالم العربي والاسلامي منذ عقود عديدة وكل ذلك يرجع الى عدم وجود رؤية وأستراتيجية واضحة للمستقبل بين الدول العربية والاسلامية بل ان هذا المستقبل ينظر اليه بشكل متناقض بين الدول العربية والاسلامية ولذلك فإن مفهوم نهر القوة الذي يمكن

يشكل قوة دفع لعوامل القوة لم يتشكل بعد لذلك فإن الجهود والعوامل سوف تتبعثر حتى يتم تمديد أو تقريب أهداف مشتركة.

كل ذلك فإن أمة تؤهلها عواملها المتعددة للحصول على الهيبة الدولية لم تستطع أن تحقق هذه الحالة ولذلك فإن أي قوة مهما كانت ضعيفة وتستطيع أن تقارع هذه الامكانيات والعوامل المعطلة في العالم العربي والاسلامي طالما أن نهر التفكير والهدف الواحد لم يتشكل أو حتى تتحدد معالمه.

الأنتفاح والديناميكية

جدل لا ينتهي حول الدول القوية والاكثر قوة حول الدول الضعيفة والفقيرة ويبقى السؤال محيراً لماذا بعض الدول اكثر قوة من غيرها؟ بل لماذا تصبح بعض المناطق وبعض الدول مكان للهجرة ومقصد للحياة بينما تكون الدول الاخرى مكان لتصدير أفرادها.

خذ على سبيل المقارنة وأثارة الجدل أن تصبح الهند مكان لتصدير البشر والهروب بينما تكون الولايات المتحدة الأمريكية مكان للأستقبال؟ لماذا تكون الصين مناطق هجرة بينما تكون كندا مناطق أستقبال؟ لماذا تكون أوروبا مكان هجرة وطرد عند مقارنتها بالولايات المتحدة الأمريكية؟ بينما تصبح أوربا مكان أستقبال عند مقارنتها بالعالم العربي أو الهند؟ لماذا تكون هونغ كونغ مكان أستقبال حتى من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا؟ كل هذه الاسئلة تزيد المراقب للكرة الأرضية مزيد من الاسئلة على أسئلة بل تدفعة للقول هل فعلاً أن الحرية السياسية هي المحك الحقيقي لكل ذلك ولكن هونغ كونغ لم تكن اكثر ديمقراطية من أمريكا بل الهند اكثر ديمقراطية من كوريا الجنوبية. وإذا كانت المسألة السياسية ليست مفتاح المفاتيح فهل مسألة الموارد الطبيعية هي المحك والمعيار الحقيقي ولكن العديد من الدول بنيت قوتها الاقتصادية على موارد قليلة وشحيحة.

إن الجواب يكمن فيما يكمن فيه هو ذلك الانفتاح على الآخر سواء الانفتاح الفكري أو الاقتصادي أي محاولة قبول الأفكار الاقتصادية ووضع جميع الحوافز من أجل تسهيل مهمة تطبيق هذه الأفكار على حيز الواقع.

إن العديد من الدراسات تحاول مقارنة الولايات المتحدة الأمريكية مع دول العالم الأخرى وهل فعلاً تعتبر أفضل مكان في العالم؟ حتى أن العديد يرجعون هذا التفوق الأمريكي إلى هذا الأنفتاح على الآخر والبساطة في المعاملة والقوانين وجزء من هذا المنطق يذهب الى اليونان والصينيون عندما كانوا الاكثر تفوق على المستوى الفلسفي بل أن الصينيون هم أول من أخترع نوع من المتفجرات في الصين القديمة وهم أول من أخترع الساعة والتوقيت وهم أول من أوجد الكتابة وأخترع الورق للكتابة عليه ونتيجة لهذا التفوق فإن الصين وجدت نفسها أنها في مجال اكثر تفوق من الأخرين ولذلك فإنها أغلقت على نفسها الأحتكاك الحضاري مما دفعها الى العزلة تحت أسم النقاء الحضاري مما دفع الصين الى التخلف عبر الزمن. وهذا ما حدث بالعفل للحضارة اليونانية عند بداية نهضتها الفلسفية.

واليوم يدور الحديث عن أهمية الانفتاح والبساطة في وضع القوانين من أجل أن يحدث الارتقاء الحضاري بل ان هذا الارتقاء الحضاري لا يتطلب تطوراً على المستوى السياسي وإن

كان الانضباط والنزاهه السياسية شرط لابد من توفره إلا أن المفهوم الديمقراطية الحرفي ليس شرطاً ضرورياً للارتقاء الاقتصادي أو الحضاري بل إن العديد من الدول التى ليست ديمقراطية بالمفهوم الحديث هي في وضع اكثر تطور على المستوى الاقتصادي والحضاري من بعض الدول ذات النمط الديمقراطي. هذا لا يعني ابداً أن الدكتاتورية والتسلط هي الحل بل يعني ذلك أن الديمقراطية ليست شرط للتطور الاقتصادي.

إننا نجد اليوم الهند الدوله العريقة في مجال الديمقراطية اكثر دول العالم فقراً وذلك يكمن أن القوانين البيروقراطية تكاد تشل الهند حتى أن البيروقراطيين الهند يناقشون مدى أنطباق المعايير الصحية على مطاعم الواجبات السريعة في الهند في مجتمع يموت اعداد فيه من جراء الجوع والعوز. بينما نجد أن مفهوم الفقر في الولايات المتحدة يتعدي مفهوم الفقر المعتاد من حيث توفر المنزل والتلفاز والراديو والضروريات الرئيسية للحياة ومع ذلك فإن هذه الشريحة من المجتمع تصنف على أنها من الطبقات الفقيرة فيما يصنف الفقر في الهند هو الموت جوعاً بكل ما تحملة هذه الكلمة من معنى.

إن الانفتاح والديناميكية الاقتصادية تقود إلى التطور وتحسين مستوى المعيشة ولا يمكن تحقيق هدا الانفتاح وهذه الديمقراطية دون رفع يد البيروقراطيين عن القوانين الاقتصادية حتى وإن كانت تحت مبرر وشعار حماية المجتمع التى دائماً ما يتذرع بها البيروقراطيين من أجل مزيد من القوانين التى تعطل الحركة والديناميكية الاقتصادية.

إن القوانين البروقراطية هذه هي التى دفعت العديد من أصحاب الأفكار الخلاقه من أوربا منها المانيا وسويسرا وفرنسا إلى الهجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية هروباً من القوانين البيروقراطية حيث أن العديد من هؤلاء الذين هربو من فرنسا يقولون ان البيروقراطيين الفرنسيين مشغولون بسن القوانين لحماية العمال اكثر من التنمية وخلق الفرص الجديدة. وإذا كانت الحال كذلك في أوروبا مع العالم الجديد فإن نفس البيروقراطيين العرب كذلك مشغولون بسن القوانين لحماية البروقراطيين أنفسهم بينما نجد ان الفرص الأقتصادية تذهب الى المناطق الأقل بيروقراطية وأقل تعقيد وأقل قوانين وأقل أنظمة مثل دبي على سبيل المثال أو حتى خارج العالم العربي إن الدول العربية بحاجة ماسة إلى أبعاد الغول البيروقراطي عن العمل الاقتصادي والايمان بالانفتاح الاقتصادي اكثر من الحماية المزيفة والمصطنعة وأن الديناميكية الاقتصادية لا يمكن أن تعيش مع الانظمة المنظمة والقوانين المتراكمة.

إن الدراسات عن مستوى الدول المختلفة كشفت أن العديد من أفضل الدول معيشة هي الدول الأقل قوانين وتعقيد بيروقراطي وتتركز في نيوزيلندا، استراليا، أمريكا، كندا بينما تبقي اكثرها بيروقراطية أقساها في المعيشة ومنها كوريا الشمالية الهند وبعض الدول الاشتراكية القومية في الوطن العربي.

الايدلوجيا والمرأة العربية

يصفق الكثير من الكتاب والمفكرين في الوقت الحاضر على أنتحار الايدلوجية وبعضهم يذهب إلى القول أن الأيدلوجية أخذت بالذوبان فى معرض التطور السياسي والأقتصادي الدولي، بل أندفع البعض الآخر إلى الحكم على أن الايدلوجيات توحدت فى أيديولوجية واحدة و هي الايدلوجية الغربيه الرأسمالية الديمقراطية وأن هذا التوحد هو الذي دفع إلى سقوط جميع الايدلوجيات بعد أنتصار الايدلوجية الغربية وأن هذا الانتصار جعل هناك فكراً واحداً مهيمنا ومنهج حضاري واحد سائد ونموذج سياسي وفكري واحد أستطاع الهيمنة عل الآخر وبالتالي فإن التاريخ وصل الى نهايته وهو ما تحدث عنه فيكوياما عندما أعلن من جانب واحد أن الصراع في التاريخ أنتهي أي أن الصراع السياسي والفكري والذي يرتكز على الايدلوجية في كثير من الاحيان قد أنتهي وبالتالي فإن التاريخ توقف عند أنتصار أحد الطرفين أنتصاراً كاسحاً وأبدياً حسب تعبيره. أنطلق فيكوياما من نظرته هذه بعد أن إذهله مثلما أذهل الاخرين معه السقوط المريع والغير متوقع للاتحاد السوفيتي، القوة الهائلة الداعمة والواقفة خلف الايدلوجية الماركسيه التى كانت تشترك مع الرأسمالية بالتراث الفكري والخلفية الفلسفيه وتتناقض معها بالاستنتاجات والنتائج حيث أن الطرفين يرجعون للقيم الفلسفيه اليونانية ومفكرو العقد الاجتماعي من جان لوك وهوبز وجان جاك روسو إلى مبادئ الثورة الفرنسية القائمة على الحريه والعدل والاخاء حيث أخذه الفلسفه الرأسمالية بمفهوم الحرية وجعلة أحد متطلبات الايدلوجية الغربية وتعنى الحرية السياسية، والاقتصادية والاجتماعية وأن كان ذلك مقصور على المجتمعات الغربية ولا ينطبق أو يطبق على العالم الآخر الذي هم في موضع صراع مع العالم الغربي. والنظرية الماركسية بقاداتها ومفكريها أخذوا مبدأ العداله تحت مفهوم الاشتراكية والشيوعية وان كانوا كذلك أخفقوا في التطبيق إلى حد كبير مما دفع هذه الدول الى الأفلاس والأنهيار حتى قبل الأوان. إذاً كلا من الطرفين يعود للفكر والفلسفة الغربية الأم وأن مفهوم الشرق يناقض الغرب هو في حالة الصراع الايدلوجي بين الماركسية والرأسمالية هو مفهو مضلل حيث أنه شرق غربي في صراع سياسي مع غرب غربي.

والايدلوجية هنا نعني بها أبعد وأشمل من مفهوم العقيدة السياسية، بل نقول أنها القيم والبعد الفلسفي السياسي والاقتصادي والاجتماعي التى يتمسك بها المجتمع، أي مجتمع وبها ومن خلالها يمكن تفسير الماضي وفهم الحاضر والتطلع الى المستقبل وبالتالي تصبح الايدلوجية هنا هى أستخدام وتوظيف القيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية بطريقة ومنهج

معين يخدم المصالح الوطنية وهذا مانحاول التطرق إليه والربط بين المرأة العربية والايدلوجية، محاولا القول بصوت مسموع أن المنادين والقائلين بموت الايدلوجية يحتاجون إلى مراجعة هذه المقولات المتسرعه خصوصاً وأن الايدلوجيا تعني وترتبط بالقيم الاجتماعية السياسية والاقتصادية. وأن الايدلوجيا كذلك هي أحد أنماط التعبئة الفكريه والسياسية يمكن أن تقل أهميتها في وقت من الاوقات ومكان من الامكنه أو أن نجدها أخذت مكاناً بارزاً في مكان وزمان آخر. وأن ما يشهده العالم من تطور مذهل وهائل على مستوي التكنولوجيا والاتصالات والمعلومات سوف يسهل بلا شك بنشر وبث أيدلوجية الجانب المنتصر ولكن قد لا يصل إلى حد الغاء والطرف الآخر. حيث يمكن أن تنشاء الايدلوجية في مكان مقابل وتستطيع العمل على أحياء القيم الاجتماعية وجعلها عامل من عوامل التوحد الوطني أو حتى التحالف الأقليمي بشكل أو بأخر وهذاما تحاول العمل به دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية عندما تحاول تشجيع أيدلوجيتها الوطنية من أجل التماسك السياسي الداخلي ووضوح الهدف الخارجي عند توحد الجبهة الداخليه.

كل هذه الفذلكه السابقه كان لابد منها من أجل فهم الايدلوجيا من جهة وفهم أغراضها وتعدد استخدامها ومنها نستطيع القول أن العالم العربي وخصوصاً المرأة العربية أستخدمت الايدلوجيا السياسية والاجتماعية لأغراض وأهداف وطنية، بل ساهمت المرأة العربية بشكل قوى وفعال إلى تعزيز الثقافة العربيه الاسلامية في مراحل الصراع مع الآخر وكانت أحد أهم السدود المنيعة التى أستخدمت بها الايدلوجيا من أجل أقفال الباب أمام حضارة الآخر التي كانت تسعي إلى أستلاب المجتمع العربي والاسلامي، قيمة الدينية والاجتماعية وكان أختراق المرأة العربية وتغريبها أحد أهم هذه التوجهات.

والملاحظ لتاريخ المرأة العربية منذ بداية عهد الاستعمار حتى الاستقلال لعبت أحد أهم الأدوار أيجابية تجاة الآخر مستخدمة الايديولجية الوطنية تارتاً والايدلوجية العقائدية تارتاً أخري من أيقاف أختراق الآخر للمجتمع العربي الاسلامي حيث أستطاعت المرأة العربية أن تكون أحد عوامل التوحد الوطني وحفظ القيم والتراث الاجتماعي كان ذلك عندما أرتكزت أهم محركات نشاط المرأة العربية سواء السياسي أو الاجتماعي على : ـــ

١ ـــ البعد الديني (الاسلام).

٢ ـــ البعد العرفي أو التراثي للاعراق المختلفة فى العالم العربي

عندما قامت مجموعة من الباحثات بدراسة المرأة العربية من خلال كتابتهن المهم «المرأة العربية : الحدود القديمة والتوجهات الجديدة» (Aarab Women: Old BoundOries New Frontieps) (Edited by: Judith.E. Tuchker.)

حيث سلط الضوء الكتاب على محاولة تحسس التوجهات الغربية لدي المرأة العربية وهل هي

تغيير نحو التغريب أم لا. ومن النتائج التي خرجن بها أن المرأة العربية لديها أهداف وتطلعات تختلف بشكل إلى حد كبير عن أهداف وتطلعات المرأة الغربية حيث أن المرأة العربية يشغلها البعد الاجتماعي والبعد الديني والبعد الوطني كل هذه الابعاد تتعارض مع البعد الغربي أو التغريبي للحركة النسائية.

ورغم أن الكتاب حاول كتابة تاريخ المرأة العربية منذ بداية القرن السابق وأهتماماتها متدرجا إلى دور المرأة فى القرن الماضي في قضايا الاقتصاد والتجارة وخصوصاً في بلاد الشام ثم دورها في محاولة الاحياء الفكري ومرحلة الحركة الثقافية العربية بعد الصدمه الاستعماريه مروراً في مرحلة التحدي الوطني والصراع والحرب من أجل الاستقلال حيث تشكلت هذه الفترة بانتقال المرأة من القيم الاجتماعية التقليدية ليس إلى الدخول في القيم الاجتماعية الغربية، بل إلى محاولة أعادة فهم القيم التقليدية من جديد وتوظيفها للصالح الوطني والذاتي ذاته حيث لعبت المرأة المصرية دوراً مهماً فى إعادة تشكيل التراث ولكن المثل الصارخ على دور المرأة القوى كان للمرأة الجزائرية حيث لعبت أهم أدوار الجزائر وإعادة أحياء مفهوم الوطن الجزائري حيث أن تمسك المرأة الجزائرية بالقيم الدينية الاسلامية لعب دوراً تقليدياً دفع الحركة الجزائرية الى التماسك الوطني على أسس من الدين الاسلامي والوطنية الجزائرية وأن الزائر للجزائر اليوم سوف يشاهد بأم عينيه ذلك الدور التى لعبته المرأة الجزائرية في حرب الاستقلال، تبدو نتائجة واضحة على أسس العائلة الجزائرية وبالتالي علي القيم الدينية المساندة والتى استطاعت الحفاظ على الجزائر من التغريب الكلي بعد مائه وأثنان وثلاثون سنة من الهيمنة والاستعمار الفرنسي ومحاولة الدمج الفرنسية للجزائر. وفي هذه الحالة تمثل أحد أبرز أرتباط المرأة بالتعبئة الايدلوجية حيث أن ما أشغل المرأة الجزائرية هو الوطن والقيم الاجتماعية والدينية وليس تتبع القيم الغربية مع وجود بعض الحالات التى لا يقاس عليها ولا يمكن أخذها كمعيار.

الحالة الثانية التي تمثل فيها الربط بين المرأة ولتعبئة الايدلوجية هي حالة المرأة الفلسطينية حيث أن المرأة الفلسطينية أستطاعت أن تلعب أحد أهم الأدوار أهمية في حفظ الهوية الفلسطينية سواء عن طريق حفظ التراث الفلسطيني بالموروث الشعبي أو عن طريق الجمعيات النسائية المختلفة التى عملت على أبقاء القيم الاجتماعيه والثقافية الفلسطينية حيه عصية على الاندثار وقت تضحي جل النساء الفلسطينية بكل المغريات من حولهن متنكرات لرغباتهن ورضين بالعمل بالمجال التقليدي وذلك من أجل حفظ الهوية الفلسطينية على أسس من القيم الاجتماعية والدينية.

وأكد الكتاب السابق الذكر أن الربط بين الانوثه والثقافة الاجتماعية لعب دوراً مهماً فى أحياء الهوية وتأكيدها ولم يكن الانوثه رمز من رموز المغامرة والانفتاح كما كان يشغل المرأة الغربية حيث وضح ذلك من خلال أستخدام الأنوثة والتراث الشعبي النسائي للتأكيد على الهوية الوطنية والقومية والشعبية مثل دور المرأة في استخدام الحجاب الاسلامي في الثوره الجزائرية كتعبير

عن الرفض السياسي والاجتماعي للسياسة الغربية في الجزائر. ويندرج تحت هذا المنطلق كذلك أرتداء المرأة الايرانية الحجاب خلال مرحله السبعينات من هذا القرن تعبيراً واحتجاجاً واضحاً على سياسة الشاه التغريبيه. كما أن المرأة الفلسطينية ترتدي الملابس الوطنية التراثية الفلسطينية كدليل ورمز على الهوية الفلسطينية والتأكيد عليها.

إن استخدام المرأة العربية للايدلوجيا هو أحد عوامل التقنية الوطنية في حالة من الحالات التى تعاني منها وازمة من الازمات والمرأة هنا أحد أهم عوامل الربط الوطني والتمسك بالقيم الاجتماعية والدينية وبالتالي الاستقرار والتنمية، فهل يحدث هناك أستغلال وتعبئة حقيقيه وصحيحه لهذه الطاقات الهائلة التى تختزنها الأمة. أرجو أن يكون ذلك كذلك.

ألبانيا الدرس المستفاد

عاشت البانيا على هامش الأحداث الدوليه خلال فترة العزلة المضروبة عليها من قبل نظامها السياسي اليساري الشمولي منذ الحرب العالمية الثانية حتى تخلخل الاتحاد السوفيتي السابق وسقوط المنظومة الماركسية فى الشرق الأوربي. والبانيا التى عاشت هذه العزلة هي الدولة الفاعل قبل الحرب العالمية الثانية في احداث البلقان وتأثيرها على التشكيل السياسي الحديث لمنطقة البلقان. والبانيا من الناحية النظرية تتقارب مع دول شرق أوربا من حيث الثقافة السياسية مع اختلاف جزء من تركيبتها السكانيه التى يطغى عليه العنصر المسلم والذي ينحدر من تأثيرات ثقافية تركية وهذا الاختلاف في التركيبة السكانية لا ينفي هذا التقارب فى الثقافة السياسيه. البانيا اتعزلت خلال تلك الفترة ما يقارب من الاربع عقود من الزمن تحت مبرر ومطرقة نقائها الأيديولوجي وهذا الأمر ينطبق إلى حد بعيد على يوغسلافيا السابقه أو حتى دول من هنغاريا والمجر إلى حد ما.

ولكن ما الذي حدث أن البانيا تبرز إلى صدور العناوين في وسائل الأعلام الدوليه هكذا بشكل سريع بعد أن عاشت هذه الفترة الزمنية الطويلة من البيات الايديولوجي، على وزن البيات الشتوي، حيث بعد الغاء البعد الايديولوجي اليساري انكشف المبرر الشرعي القائم على البعد الايديولوجي بمعني آخر ان الايديولوجية كمنهج سياسي وحياتي والذي كان مبرر النظام السياسي بالنشوء والبقاء والاستمرار أخذ بالزوال والذوبان في ذات الوقت لم تكن هناك روافد شرعية للنظام السياسي الالباني يمكن ان تغطي أو تعوض تآكل الشرعية الايديولوجية حيث تكشّف الينا ان الزعماء السياسيين الألبان طوال فترة العزلة ليس لديها المبررات الشرعية للبقاء فهي أي هذه القيادات السياسية لا تنحدر من أصول سياسية واضحة بل العكس كان هو الصحيح ان القوي السياسيه الحاكمة أبان النظام الماركسي الألباني جاء على صهوة المبرر الايديولوجي بل تم استغلال المبرر الايديولوجي للوصول الى الهدف وهو السلطة. وفي ذات الوقت لا تستطيع البانيا بناء روافد يمكن ان تغطى انكشاف تآكل شرعية الايديولوجيا كأحد عناصر شرعية النظام السياسي حيث لم يستطع النظام السياسي الالباني بناء المؤسسات السياسية ذاتية الحركة بمعني آخر نقل مصدر الشرعية من البعد السياسي القائم على بعد الفرد إلى بعد المؤسسة أي لم يستطع السياسي الالباني في فترة العزلة أقناع ونقل المواطن الالباني من الايمان بالنقاء الايديولوجي والتمّيز السياسي وترجمة هذه الى مؤسسات سياسية قابلة للبقاء والاستمراريه والتجديد الذاتي . وبالتالي نقل مصادر الشرعية إلي رافد جديد هو وجود المؤسسة التي تجعل الفرد الالباني يؤمن بأهمية وفاعلية المؤسسات السياسية على أنها مبررات

الانصياع للنظام السياسي تحت طائلة هيمنة المؤسسات السياسية على الحياة العامة في البانيا.

ولكون مثل هذه المؤسسات السياسية لم تشّيد، وغالباً ما تكون مبنيه ان وجدت على بعد المشاركة السياسية الكاملة أو النسبية من أجل أمكانية الاحتفاظ بها وتجديدها ومع ذلك فإن النظام السياسي الألباني لم يعمل على إيجاد روافد شرعة أخرى كأن يحول النظام السياسي الالباني الى دولة متطورة من الناحية الاقتصادية أو حتى يساهم النظام بوضع مخطط كامل لمستقبل البانيا فى بناء البنية التحتية للأقتصاد الالباني من أجل دفعها الى دخول عالم التطور الاقتصادي والتقني.

بمعني آخر أن البانيا أعتمدت على مايربو على أربعة عقود من الزمن علي الشرعية الايديولوجية فقط دون إيجاد روافد شرعية سياسية أخرى مثل بناء المؤسسات السياسية ذاتيه الحركة أو الاعتماد على عناصر فردية ذات شرعية تاريخية أو وطنية قوية ومن جانب آخر أهملت البانيا كذلك بناء الشرعية على أسس من التطوير الاقتصادي وأنما ركزت على البعد الأيديولوجي كأحد أهم مصادر الشرعية السياسية للنظام السياسي الالباني. والذي حدث بعد أنهيار الاتحاد السوفتي الدولة التى أختار لها الزعيم السوفيتي جوزف ستالين ان تكون الدولة الاشتراكيه العلمية التى تبني قدراتها العسكرية من أجل الدفاع عن المبادىء الماركسية اللينينية ضارباً عرض الحائط توجهات تروتسكي الذي ذهب إلى تأجيج الثورة الماركسية في أرجاء العالم الرأسمالي حتى قبل بناء الدولة الماركسية القوية في الاتحاد السوفيتي. هذا الصراع الذي أنهى حياة تروتسكي على يد المخابرات السوفيتيه في منفاه في المكسيك. نقول أن ذوبان الدول المنضوية تحت النظام السياسي والايديولوجي الماركسي دفع إلى ذوبان المصدر الشرعي الوحيد لدوله مثل البانيا لتكتشف بعد هذه العزلة الطويلة أنها خرجت من هذه العزلة دون حصيلة تذكر سوي عدد كبير من كتب التنظير الماركسي التى فقدت معناها وأهميتها بدون دفاع الجيش الأحمر عنها في المحافل والساحه الدولية.

البانيا التى عانت العزلة كل هذه السنوات تعيش اليوم شبه الفوضى السياسيه بل تندفع الدول الأوربيه بارسال قواتها العسكرية من أجل أرساء النظام فيها أو على الأقل أحتواء الازمة الالبانية قبل أن تجر لها جيرانها المتاخمين من أيطاليا واليونان وبقايا يوغسلافيا السابقة خصوصاً وأن منطقة البلقان كانت اكثر المناطق الدولية سخونه خلال الفترة الممتدة مائتين سنه قبل الحرب العالمية الثانيه وهي اليوم وبعد ما يقارب أربعين سنه ترجع هذه منطقة إلى الظهور من جديد على أحداث الساحه الدولية والأوروبيه.

وإذا كان كل ما قيل سابقاً يتعلق بالتاريخ الالباني في إطاره الأوروبي والايديولوجي . ما هي الدروس التى يمكن لدول مثل العالم الثالث أن تستفيد من التجربة الألبانيه؟ لعل من أهم هذه الدروس هو : —

أولاً : أن النظام الدولي هو في حالة حركة دائمة والتوازنات الدولية وفي حالة تموجات مستمرة ويجب على الدولة أي دولة أن تكون في حالة حركة دائمة تناغماً وتفاعلات مع الاحداث الدولية وأن العزلة والبعد عن خوض تعرجات النظام الدولي يعني الانزواء ثم الضعف حتى يآتي التيار الجارف الذي لا يبقي على شيء.

ثانياً : النظام السياسي، أي نظام سياسي، لابد أن يعتمد ويقوم على مقومات شرعية واضحة وقوية تنبع من الخصائص الاجتماعيه والسياسية والدينية للمجتمع.

ثالثاً : أن مفهوم الشرعيه هو مفهوم ذو ديناميكيه وتغّير مستمر فيجب الوعي والحرص على إعادة تأكيد الشرعية وأحياناً إعادة انتاجها بشكل يتعامل مع المستجدات الدولية والتغيرات الاجتماعيه والسياسية التى تحدث في المجتمع وان الركون الى مفهوم واحد للشرعية فإنه غالباً ما يتقادم ويتآكل ويجب إعادة أنتاجه بشكل يتعامل مع الواقع دون أن يكون هناك تغيير جوهري على هذا المفهوم.

رابعاً : التركيز والاهتمام على بناء مصادر شرعية إضافية منها شرعية الانجاز كما يطلق عليها أحد الكتاب السياسيين المعاصرين والتى ترمي إلى إيجاد مبرر بقاء وأستمرار النظام السياسي ، أي نظام سياسي، تحت مبرر الانتاج الاقتصادي والتطور الاقتصادي والتقني ومستوي المعيشة الاجتماعية والفكرية.

خامساً : الاهتمام بمصادر الشرعية القائمة على الافراد واذا كان اعتمد هذا على الزعماء الكبار والسياسيين المحنكين والابطال الوطنيين في تاريخ الدول فإن هذا المفهوم بدأ بتطور وبتوسع بحيث اصبح يشمل العنايه باختيار الافراد لتقلد ادارة البروقراطية وتطبيق النظام بشكل عادل وواضح مما يدفع الى انشاء مفهوم سلطة المؤسسة بدل من سلطة الأفراد ونقل إيمان الفرد العادي الى أن المؤسسة والنظام هما المحركان للعمل السياسي والاجتماعي اكثر من كونها عوامل فردية معزولة.

سادساً : ولعل من أهم الدروس المستفادة من الدرس الالباني لدول العالم الثالث هو مفهوم الانتفاح والتغيير التدريجي البطيء والمدروس بدل من الانفتاح الفجائي العشوائي الغير مدروس والمشكلة أن مفهوم الانفتاح أو الانغلاق ليس عملاً معزولاً بذاته فإنه مرتبط بشكل قوى وواضح ومهم بقوة النظام السياسي نفسه.

عُرف في السابق وتاريخياً أن النظم السياسية القوية التى لا تأخذ المنهج الليبرالي نموذج لها تعمل على عدم أتاحة الفرصة للتغيرات التدريجية المتواليه المدروسة نتيجة لقوتها وعدم رغبتها في هذا التغيير ولكن الذي يحدث أن هذه القوة لا تلبث ان تزول بعد فترة من الزمن يخلف بعدها حالة من الفوضى على اثر التغييرات والاصلاحات المفاجئة من أجل ترتيب الوضع الداخلي ولكن الذي يحدث أن هذه التغيرات والاصلاحات المفاجئة بعد بداية مرحلة الضعف هي بمثابة أعلان

حرب أهلية. وهذا الذي حدث في البانيا حيث عندما كان النظام السياسي قوي فإن النظام السياسي لم يبادر إلى الاصلاح التدريجي بل عمل على أبقاء الوضع القائم أطول مدة ممكنة وبعد أن أخذ الضعف يدق أطنابه على جنبات النظام السياسي بدأت النخبة السياسية في أحداث بعض الاصلاحات القوية والمفاجئة من أجل تدارك الوضع ولكن يكون الوقت قد مضى ويصبح النظام السياسي من الضعف في إدارة وتنظيم مثل هذه التغيرات الجوهرية الكبيرة ما يعني أنفلات الوضع دون أن يكون النظام السياسي لديه القوة المعنوية أو التنظيمية أو حتى الشرعية لأستعادة المبادرة السياسية وضبط النظام مما يعنى أن التغيرات المتأخرة عن وقتها في حالة ضعف الدولة هي مثابة أعلان حرب أهلية تآكل كل ما بقي من القيم الاجتماعية والمصالح الاقتصادية. وبالتالى فإن الدول مطلوب منها التفكير بالاصلاح السياسي في مرحلة القوة اكثر منها في مرحلة الضعف حيث أن الدولة في مرحلة القوة قادرة على التفكير السليم والتأمل السياسي الجيد والقدرة على تطبيق وأختيار هذه الاصلاحات والتراجع عن الاخطاء دون أن يعد ضعف منها ولكنها في مرحلة الضعف سوف يعد أي تغيير واصلاحات هي بمثابة ضعف وتنازل يقدمه النظام أي نظام، مقابل عدم قدرتة على السير في أدارة دفة البلاد وهذا هو ما حدث في البانيا والجزائر من قبلها وغيرها من الدول رغم اختلاف الظروف التفصيلية التى تميز نظام سياسي وثقافة سياسية وأجتماعية عن أخري.

البطالة والاستقرار السياسي

كان من الأسهامات الهائلة التى قدمها الفكر السياسي اليوناني وخصوصاً الاسهامات التى قام بها أرسطو الذي يعد واحداً من أهم المراجع الفكرية والأنسانية ليس فقط على مستوى الحضارة الغربية، بل على مستوى الفكر السياسي والاجتماعي. وأن كنا نحن العرب ننظر للعالم الاجتماعي عبدالرحمن بن خلدون لربطه بين ظاهرة نشوء وقيام الدولة والبعد الاجتماعي فإن أرسطو في فترة زمنية بعيدة سابقة جاء ليربط لنا التناغم الواضح والعلاقة القوية بين الاقتصاد والأستقرار السياسي، بل أن أرسطو جعل من الاقتصاد وأتساع سوء التوزيع الاقتصادي إلى توسيع دائرة الفقر مما يعني التمهيد إلى أدخال المجتمع أي مجتمع في دائرة العنف أو ما يعرف بعدام الاستقرار السياسي أو ما يطلق عليه في الفكر الاسلامي الفتنه. وخلاصة مقولة أرسطو تقول أن المجتمع ينقسم إلى ثلاث طبقات يمكن تصنيفها أقتصادياً من حيث الطبقة العليا والطبقة الوسطى والطبقة السفلى أو الدنيا. وبتعبير حديث يمكن القول أن أرسطو قسم المجتمع داخل الدولة أي دولة أو داخل أي تجمع بشري إلى طبقة عليا قليلة تحظى بنصيب الأسد من الدخل أو تحظى بالنسبة العالية من الدخل وطبقة متوسطة يكون دخلها معقول في تيسير حياتها الطبيعية وطبقة دنيا وهذه الطبقة تعاني من سوء دخلها وعدم قدرتها على الوفاء بالتزاماتها اليومية إذا لم تكن تعاني من الفقر والفاقه. وأرسو عندما أطلق مثل هذا الفكر كانت واحدة من النقاط التى أنطلقت منها حيثيات الفكر الماركسي والفكر اللبرالي الرأسمالي ولذلك يمكن القول أن المركسية والرأسمالية تعود الى نفس الجذور الفكرية الغربية وإن كان بعض المؤرخين لا يرجعون اليونان إلى العالم الغربي ولكن بالرجوع إلى مفهوم الطبقات الاقتصادية حسب التعبير الارسطي إن جاز مثل هذا التعبير فإنه يمكن القول أو تحليل هذه المقولة وتفسيرها تفسيراً حديثاً بالتالي :

أن الطبقة العليا غالباً ما تحقق مستوى عالي من الدخل يقابله مستوى منخفض من الاستهلاك أي أنه إذا كانت الطبقة العليا تحصل على نصيب ٦٠٪ من الدخل في الدولة أي دولة فإن مستوى استهلاكها قد يتجاوز نسبة ٥٪ من الاستهلاك وحركة تدوير الاقتصاد الاستهلاكي. وفي المقابل فإن الطبقة الوسطي والتى يمكن أن تحظي بدخل معقول فإن قدرتها وطبيعة نمط سلوكها وحياتها تلزمها باستهلاك ما يقارب ٨٠٪ من دخلها على الاستهلاك الداخلي في حالة الدولة الطبيعيه المنتجة. وبالتالي فإن الطبقة الوسطي هي الطبقة التى يتناسب دخلها مع انتاجيتها وهي اكثر الشرائح الاجتماعية تحريك للسوق وللحركة الاقتصادية وهي في ذات الوقت اكثر استقراراً من الطبقة العليا على مستوي القيم السياسية والاجتماعية والاستقرار

للمال في موطن واحد وهي بلد الاقامة. بينما نجد أن الطبقة الدينا فإن انتاجيتها متدنية كما أن دخلها ايضاً يعتبر قليل وبالتالي فإن قدرتها على التأثير الاقتصادي يكون سلبياً أكثر من كونة ايجابياً وبالتالي فإن قدرتها على تحريك الاقتصاد يكون أقل قدرة من الطبقة الوسطى على سبيل المثال ومن هنا فإن هذه الطبقة تكون عبىء على الدولة وتكون عبىء على الاقتصادي وتكن الاستفادة منهم هو باستثمار الاموال لاعادة بنائهم بالقدرات والامكانيات حتى يمكن رفع جزء كبير من هذه الطبقة الى الطبقة الوسطى.

عندما أطلق أرسطو مثل هذه المقولات وتلقفها علماء السياسة والاقتصاد والاجتماع بهذا الشغف والتحليل كان من زاوية يربط بين السياسة والاقتصادي أي أنه يربط بين المستوى الاقتصادي وعملية الاستقرار السياسي، بين الازدهار الاقتصادي وعملية التنمية والنمو. ومن هنا برزت مفهوم الربط بين البطالة والاستقرار السياسي حيث شهد العالم الكثير من الأحداث الدولية التى تعد أكثر المآسي فظاعة وعنف وكان البعد الاقتصادي هو المحرك الأكثر تأثير في مسيرة هذة الاحداث. وان كان علماء السياسة والاستراتيجيات يعزون للحدث السياسي وتحليلة إلا أن البعد الاقتصادي كان واحد من عومل الاحداث الكبرى حيث قاد الكساد العالمي الكبير عام ١٩٢٩م الى دفع العالم المتحضر في ذلك الوقت أوروبا والولايات المتحدة الامريكية إلى واحدة من أكثر المراحل خطورة بل دفع هذه الكساد إلى قيام تشنجات سياسية قادها الوضع الاقتصادي المتردي وهذا ما قاد إلى قيام أنظمة سياسية متطرفة في ايطاليا أو اسبانيا والمانيا واليابان الدول التى قادت الحرب العالمية الثانية ضد الدول التى سعت الى استثمار الحرب اقتصادياً من أجل أخفاء المأزق الاقتصادي التى تعاني منه هذه الدول على الجبهتين من الحرب.

تتحدث الحقائق التاريخية أن رجل مثل هتلر لم يصل إلى مستوى المستشارية في المانيا لولا الوضع الاقتصادي المتردي وأرتفاع مستوى البطالة وأنهيار الطبقة الوسطى فى المانيا نهاية العشرينات ومنتصف الثلاثينات من هذا القرن. وإذا كان الفكر السياسي الغربي وخصوصاً النظام الديمقراطي الذي يسمح بتعاطي التفكير الحر والمباشر ويسمح ما هو أهم من ذلك في تداول السلطة بشكل سلمي وقانوني أقول إذا كان الطبيعة الديمقراطية قد أعطت متنفساً قانونياً من أجل التعبير عن المأزق ومحاولة تغييرة بالطرق السلمية كما يحدث لالمانيا اليوم من أندفاع الناخب الالماني بالتلويح بتغيير الحكومة خصوصاً وأن الحكومة الحالية تحت قيادة المستشار هيلموت كول لم تفي بوعودها التى قطعتها لشريحة أجتماعية هائلة قادمة من الشرق الألماني فإن المخرج القانوني والديقمراطي كان أحد السبل التى اتخذتها قوى المعارضة والتغيير في التعبير عن ضائقتها الاقتصادية وأرتفاع مستوى البطالة وهذا هو جوهر المشكلة والفرق بين المانيا ١٩٢٩م والمانيا ١٩٩٨م.

إذا كانت هذه حالة الدول المتطورة بتضخمتها الاقتصادية والسياسية فإن مأزق الدول في

الجنوب أو دول العالم النامية هي قضية مركبة حيث تعاني من ضائقة أقتصادية ومن مديونية مزمنة ومن أنظمة سياسية لا تسمح بتفريغ الشحنات الاقتصادية والسياسية بطريقة قانونية مقبولة ولذلك تصبح هذه الدول مكان واضح للتشنج الاجتماعي وبالتالي السياسي. ولو أخذنا أندونيسيا على سبيل المثال لا الحصر فإن الأنغلاق السياسي وعدم إيجاد مخارج سياسية وبدائل سياسية وبطرق قانونية معقولة من أجل التغيير السياسي والذي أخذ يخرج للسطح بشكل واضح بعد الازمة الاقتصادية التى أرجعت أندونيسيا ما يقارب عشرون عاماً إلى الخلف، هذه الضائقة الاقتصادية التى قضت على الطبقة الوسطى التى كانت طاقة الانتعاش الاقتصادي الاندونيسي وهذه الضائقة الاقتصادية التى حولت ملايين الاندونيسيين الى البطالة هذه البطالة التى تشكل عوامل التغيير السياسي أو عوامل الانفجار السياسي فى أندونيسيا. حيث أن الضائقة الاقتصادية والبطالة تدفع المجتمع الى الاهتمام بالشؤون السياسية حتى وان كان بطريقة متطرفة وإذا ما قوبلت هذه الاهتمامات السياسية بأليه سياسية قانونية لأستيعابها فإن عدم الاستقرار هو النتيجة الطبيعيه.

إننا نحن هنا في العالم العربي نعاني من قضية البطالة والضائقة الاقتصادية فعلى الدول التى بدأت بوادر البطالة تأخذ طريقها بالتبلور أن تفكر بشكل جدي وحقيقي بالعمل للحد منها ومحاولة خلق طبقة وسطى فاعلة وهذا لا يمكن أن يأتي عن طريق الشعارات والحديث من وقت إلى آخر. بل لابد من طرق الموضوع بشكل جدى وحقيقي وقانوني مع عدم أغفال الابعاد الاجتماعية والسياسية لهذة القضية. وأن لم يكن ذلك جاد فإن البديل هو عدم الاستقرار السياسي الذي سوف يطل هذه المرة بشكل أكثر عنفاً وضراوه.

البعد التاريخي للحدث

بفضل المعرفة الهائلة التى تجتاح الفكر الانساني المادي وغير المادي وبفضل الوسائل الحديثه لتصوير وتسجيل هذه المعارف وبفضل أدوات الحفظ التى أصبح بمقدورها حفظ العديد من المعارف بشكل لم يسبق له مثيل وبشكل يسهل على الانسان أسترجاعها والرجوع إليها وما عليك اليوم سوي التفكير بنظام الانترنت، الحمى التى تجتاح العالم اليوم. ومن جانب آخر فإن المهتمين بالعلوم السياسية بشكلها الشامل والصراع الدولي كظاهرة فكرية سياسية والأفراد الذين يعشقون الموضوعية الصارخه خصوصاً في مجال الصراع الدولي والذين كانو تقلقهم أحداث الحرب الباردة دون معرفة التفسير السياسي الحقيقي نتيجة للسرية التى تكتنف العديد من السلوك السياسي الدولي. أقول إلى كل هؤلاء تتفتح اليوم العديد من مجالات المعارف المتعددة في مرحلة الحرب الباردة والتى كان يسدل عليها ستاراً من السريه وأحياناً ستارةً حديدة من السرية.

اليوم وهذه المعارف بدأت تتفتح على مؤرخُ السياسة والعلاقات الدولية ومفهوم الصراع الدولي فإن على طالبي المعرفة السياسية عدم أحراق هذه المرحلة الجوهرية تحت مطرقة النظر إلى الأمام بل إن العلوم السياسية والعلاقات الدولية تتحدد بالعديد من القواعد الأساسية التى كانت مرتكزات اللعبة السياسية ومن المتوقع ان تلعب شيء ومن الدور في النظام السياسي الدولي في المستقبل ولذلك فإن تفحص الخبرة السابقة يعد واحداً من المرتكزات الهامه في معرض الفكر الانساني وبالتالي الخبرة السياسية الأنسانية ولا أهم وأجدى من استعراض الوثائق السياسية التى تتكشف اليوم عن الصراع في مرحلة الحرب الباردة حيث يجب قرأة هذه المعلومات والأحداث بشيء من الوعي التاريخي الحقيقي من حيث وضع هذه الاحداث في بعدها التاريخي وجوها الفلسفي من أجل معرفة أبعاد وتوابع السلوك الحضاري الذي قاد الى هذه التصرف ولم يقود الى آخر . بل ان المسألة تبدو اكثر بعداً وأكثر عمقاً من مسألة فهم الحدث بذاته إلا أن تراكم فهم الاحداث يعطي للتاريخ سيراً منطقياً يتزامن مع المنطق الطبيعي للعقل البشري هذا التزامن مع المنطق الطبيعي مع العقل البشري هو الذي يقود الى التراكم المعرفي وهذا التراكم المعرفي يقود الى مفهوم علم المقاونة المعرفية التى تقود الى صياغة مناهج وبالتالي نتائج يمكن اعتبارها خطوط عريضه لفهم السلوك السياسي الدولي أو ما يطلق عليه جدالاً نظرية يمكن أفتراضها والقياس عليها.

ان التراكم المعرفي للحدث السياسي لابد ان يتزامن مع قواعد صحية من حيث معرفة البعد التاريخي والزمني للحدث مهما كان هذا الحدث وبدون هذا الفهم الزمنى للحدث فإن أبعاد الفكرة

تصبح مشوهة وتصل الي نطاق مشوه وبالتالي الى نتائج مشوهة وبالفعل فإن المراقب للعديد من التحليلات السياسية التى ترد في العديد من المصادر الفكرية ينقصها هذا التوثيق التاريخي والتوثيق التاريخي لا يعني فقط ضبط الزمن التاريخي وتسلسل الهدف كما يسعي وبشكل حقيقي العديد من المؤرخين بل أن الأمر يذهب أبعد من ذلك من حيث ضبط تاريخ البيئة الفكرية أي العوامل والظروف التى دفعت لهذا القرار دون ذلك أو العوامل والظروف التى دفعت لهذا الحدث دون ذلك ان هذا الضبط البيئي التاريخي عاملاً مهماً في ضبط نبض الحدث وبالتالي فهم الحدث كما هو وليس كما يجب ان يراه الكاتب.

ان الدعوة مفتوحة اليوم للفهم التاريخي في مجال التاريخ السياسي للحرب الباردة حتي يتم تراكم الزخم المعرفي من أجل الحصول علي اكبر قدر من الخبرة السياسية المتراكمة وبالتالي محاولة ضبط درجة إيقاع الحركة السياسية بشكل اكثر دقة واكثر خبرة. وهذا الحديث يصدق على محاولة فهم تاريخي أو فهم البيئة التاريخية للتاريخي السياسي العربي من أجل ضبط نبضه السياسي وسلوكه السياسي بدون هذا الفهم للبعد التاريخي للحدث يكون هناك نقص حقيقي في التراكم المعرفي الضروري للتراكم المعرفي وهذا الحديث يبعدنا عن مفهوم المتابعة اليوميه للحدث إلى فهم الرشد والتوثيق والتحليل للحدث مع باقي أحداث سبقت أو تزامنت أو لحقت بالحدث الذي تحت البحث والتنقيب.

بدون هذا الاطار للفهم يكون هناك قدرة على تجميع المعلومات دون القدرة على قرأتها وتحليلها بشكل صحيح ويصح هنا برمجة جميع معلومات دون أن يكون هناك برامج أستفادت من هذه المعلومات المتراكمة وبالفعل فإن أي جهاز من أجهزة الحاسب الآلي يكون ذو قدرة استيعابية من المعلومات الهائله ولكن بدون أن يكون هناك برامج قادرة على تحويل هذه المعلومات الى وسائل قابلة للاستفادة منها فإن جمع المعلومات سوف تبقي جمع معلومات دون فائدة تذكر وهنا يجب الاهتمام بالعقل المحلل مثل ما هو العقل المجمع للمعلومه وبدون ذلك فإن الفقر المعرفي للحدث الدولي سوف يكون مستمر وبدون هذه المعارف سوف يكون هناك خلل حقيقي بالتفكير الاستراتيجي طويل الأمد.

التثقيف السياسي

درجت الثقافة العربية علي فهم أن التثقيف السياسي تدخل في خانة الولاء المطلق أو المعارضة المطلقة وذلك ناتج لعوامل عديدة ومتنافرة لا يمكن نقاشها في مثل هذا المكان إلا أن هذا المفهوم التعاطفي أو التعارضي في وضع الثقافة السياسية هو يتلخص في مفهوم الولاء المطلق أو العداء المطلق في الخلفية الشكيه والريبة التى اكتنفت التفكير والعمل في مجال الحياة العامة بل ان هذا التاريخ من التفكير جعل مفهوم العمل في الحياة العامة هو عمل ضد رغبات الجماهير من جانب ومن جانب آخر هو هذا اللاوضوح والغموض والضبابية التي تكتنف العقل السياسي على أمتداد الوطن العربي بحيث يصعب إلى حد كبير معرفة الحدود القانونية لفعل معين بل ان الشعار الذي يمكن أن يسود العديد من الأطر القانونية العربية هو مفهوم السماح المطلق والمنع المطلق أي أنك تشعر وأنت تسير في أغلب المدن العربية غموض القانون سواء الشخصي أو العام لدرجة أنك لا تعرف بشكل واضح ودقيق ما هو لك وما هو عليك بل إنك تشعر أن كل شيء يندرج تحت سقف الممنوعات ومع ذلك فإنك تشاهد كل هذه الممنوعات والتى يحذر منها القانون ماثلة أمام عينك في كل مكان وتحت شعار كل شيء ممنوع وكل شيء ممكن يدخل مفهوم تصرف رجال الخدمة العامة وكأنهم مطلقوا الايدى من دخولك أي مطار في الوطن العربي حتى مغادرتك البلاد عبر بواباتها الخارجيه وأنت تحاول تلمس بوادر واضحة يمكن من خلالها أن تتصرف وتحتفظ بحقوقك كاملة إلا أن ذلك لا يحدث أبداً بل ان رجال الخدمة العامة يستطيعون أدخالك في حزمة من الدهاليز التى تجرفك وفي نفس الوقت تستطيع تغير مزاج هؤلاء الافراد في الخدمة العامة أن تخرج محمل بأكثر المخالفات ومع ذلك يمكن أن تنفذ بدون حتى مسائلة.

لماذا يحدث ذلك؟ إذا كان للسؤال مكان هنا وهل أن التثقيف السياسي مختل بهذا الشكل الواضح؟ أم أن هناك بيروقراطية وليدة لم تتشكل بالمعنى الواضح لهذا التغيير.

وفي مجال المقارنة مع العوالم الاخرى يمكن توضيح هذه النقطة من حيث أن العديد من المدارس الابتدائية وما بعدها وصولاً الى الجامعة تجعل جزء من معلوماتها يندرج تحت مفهوم التثقيف السياسي وهذا المفهوم لا يعني مفهوم حشو المعلومات من أجل الغوغائية والتعصب للذات كما يحدث في دول العالم العربي بل يندرج مفهوم التثقيف السياسي تحت دائرة معرفة المحيط السياسي الذي تعيش فيه وكيف يمكنك أن تتعامل معه وأذكر في هذا المجال أن الطلبة في العديد من المدارس الابتدائية وما فوقها في العديد من الولايات المتحدة الامريكية يعلّمون الاطفال كيفية التعامل مع البروقراطية العامة بداءً من مفهوم قانون الانتخابات الى صدور القوانين من الكونغرس حيث يقومون الطلبة في عمل نشاط يتمثل في البدأ في مشروع قانون

يتم متابعته عبر الدهاليز البروقراطية حتى صدوره على شكل قانون عام. ومن خلال هذه التمارين يتم تعريف الطلبة على عدة دروس تتلخص في التالي : ـــ

١ ـــ التعرف على مفهوم مشروع القانون وكيف يتم طرحه وصياغته.

٢ ـــ يتم التعرف على الخطوات الأدارية التى يجب أتباعها من أجل البداية في مثل هذا المشروع وكيفية متابعته وما هي العوائق المحتمله سواء القانونية أو السياسية أو الاجتماعية التى من المحتمل أن تقف مع أو ضد صدور مثل هذا القانون.

٣ ـــ هذه وسيلة تثقيفية لمعرفة الواقع الذي يعيش فيه الطفل أو الطالب أو الطالبة ومن المتوقع أن يتعامل معه بقية حياته.

٤ ـــ يتم أقناع الجيل الجديد بالواقعية الادارية والسياسية ويتم التعامل معها كما هي وليس كما يجب أن يكون أي التخلي عن اللاواقعية والتركيز على الجانب الواقعي من الحياة وكيفية أدارة دفة الحياة بشكل واقعي.

٥ ـــ تخلق لدى الجيل الجديد والنظام السياسي قاعدة لفهم شرعية النظام السياسي والقانوني من أجل تعاون بناء بين القطام العام والمجتمع.

ان المقارنة بين مفهوم التثقيف السياسي في دول عديدة وبين العالم العربي يمكن للباحث والدارس يرجعة الى عملية ضعف التثقيف السياسي الواقعى في العالم العربي من جانب ومن جانب آخر هو عدم وجود ثقافة سياسية حقيقية يمكن البناء عليها لدي القطاع العام في الدول العربية أي أنه لا توجد آلية لصناعة سياسية معينة يمكن فهمها وادراكها وبالتالي يمكن نقلها الى الجيل الجديد وإذا كان هذا حقيقي على المستوى السياسي فإن ذلك اكثر وضوح على المستوي القانوني والاداري حيث لا يوجد آلية واضحة يمكن التعامل معها أو من خلالها ويبقى القانون السائد في العديد من الدول العربية ليس الولاء فقط بل الصدفة والحظوة والواسطة اكثر من التركيبة البروقراطية والحزم الاداري والقانوني القائم على العدالة وتكافؤ الفرص.

التجربة الأسبانية

القارىء للفكر السياسي الحديث يكتشف أنه بدأ وترعرع في جنبات القارة الأوروبية وخصوصاً في مراحل عصر النهضة الأوروبية الحديثة التي بها بدأ أزاحة الكنيسة كأحد عناصر القوة والتأثير في الحياة السياسية والأجتماعية وهذه الازاحة لم تكن كليه حتى اليوم إلا أنها أصبحت اكثر ضعفاً اليوم ويختلف ضعف الكنيسة من دولة إلى أخرى. إلا أن ما يميز العصر الحديث هو الأنتقال إلى المرحلة العقلانية بالتفكير والابتعاد عن اللاواقعية في البعد السياسي على وجه الخصوص. وكان السيد ميكافيللي أول من توج الواقعية والعقلانية السياسية وصبغها بمفهومها الحديث والذي جعل التعامل مع السياسة والظاهرة السياسية شيء مستقل وجعل هذا العمل هو فن وعلم في ذات الوقت والسيد ميكافيللي لم يخترع شيء جديد وكلما في الأمر أن الرجل حدد ووضح شئ موجود وجعلة في متناول فهم العقل البشري وهذا هو ديدن الاختراعات الحديثه بما فيها اختراعات العلولم الطبيعية الى حد كبير.

وكان من نتائج الكتابات حول تطور الفكر السياسي هو الانتقال الى الواقعية المنطقية واستخدام قيم وأدوات جديدة من أجل تسيير الدفة السياسية والاجتماعية في القارة الأوروبية كان من نتائجها هو الانتقال من مرحلة التفكير السياسي الكنيسي أو القائم على تعاليم الكنيسة إلى مرحلة التفكير الانساني الطبيعي القائم على قوى الانسان العقلانية وتوج ذلك بمحاولة أنهاء الحروب الأوروبية الأوروبية على أسس من الصراع الديني الى تحويلها الى صراع على أسس من البعد القومي أي أنهاء الصراع الغير منتهي الى صراع ذو حدود في القارة الأوروبية. وإذا كانت هذه المحاولة كانت تصب في مهفوم العلاقات الدولية في محاولة انهاء الصراع على أساس ديني من تعاليم الكنيسة بين الدول وخصوصاً في القارة الأوروبية فإن هذا المفهوم تحول فيما بعد الى مفهوم تغيير مجري الصراع الاجتماعي داخل الدول الأوروبية من بعد قيمي الى بعد قيمي آخر أي بمعني أن أضعاف الكنيسة على المستوى السياسة الدولية أنعكس على ضعفها على المستوى المجتمعي داخل هذه الدول وبدأ مفهوم التسامح الاجتماعي الذي قادتة الحركة الاجتماعية الجديدة القائمة على أسس من مفهوم الحرية والتداول السلمى للمراكز. أي الانتقال من مفهوم الولي الى مفهوم المنتج أي الانتقال من مفهوم الحافظ على بقاء المجتمع الى مفهوم المشارك والدافع للانتاج داخل المجتمع كل هذه العوامل كانت قد قادت الى سلوك اجتماعي عرف بالحربة العامة والحرية الشخصية كانت تصب في قوى اجتماعية ناشئة أضعفت من قوة الكنيسة. هذه الموجة من التغييرات السياسية والاجتماعية التي عاشتها أوروبا تركزت على وسط وشمال أوروبا وشرقها إلا أن ظهور الثورة البلشيفية عام ١٩١٧م قد سرق

التطور الطبيعي من أوروبا الشرقية وأصبح محصور هذا التطور الطبيعي في مراكز شمال ووسط أوروبا إلا أن الملفت للنظر أن أسبانيا والتى كانت واحدة من أهم البوابات الأوروبية أصبحت في عزلة ومعزل عن هذه التطورات التى اجتاحت العالم الأوروبي خلال مراحل تزيد عن القرنين من الزمن ولعل السؤال الذي يتبادر للاذهان لماذا بقيت أسبانيا بعيدة عن تأثير القوى والتغيرات التى عاشتها أوروبا في ذلك المراحل.

أن القارئ والمراقب للتاريخ الأسباني سوف يلحظ أن أسبانيا تعيش بعد تاريخي يمكن أنه يختلف عن بقية الدول الأوروبية باستثناء منطقة البلقان عدى الاختلاف مع البلقان أن أسبانيا تهيمن عليها السلطة الكاثوليكية ذات التوجه التديني دون التركيز على البعد العرقي والعنصري بينما أن الكنيسة الأرثوذكسية التي حاولت الربط بين البعد الديني والعامل العرقي وهذا ما يفسر الكثير من أرتباط المجازر اليوم في البلقان بالبعد الديني العرقي ضد مسلمى كسوفو والبوسنة والهرسك الى حد ما.

أن الكنيسة الكاثوليكية استطاعت وعلى عكس من دول أوروبا الأخري أن تستخدم الربط بين الوطنية الاسبانية والبعد الديني الكاثوليكي وهذا ما عرف في ذلك الوقت في مرحلة توحيد أسبانيا في عام ١٤٩٧م وهي المرحلة التى وصلت مرحلة التعصب الاسباني الوطني الديني أوجة خصوصاً ما عرف في التاريخ الاسباني والعربي بمحاكم التفتيش أي كان أخراج العرب من أسبانيا عملاً سياسياً دينياً وطنياً كما ينظر اليه عند الاسبان، بل إن الاسبان استطاعو تصفية الوجود العربي على أسس من البعد الديني المرتبط بالوطني الاسباني أي أن الذي لا يدين بالكاثوليكية ليس أسبانياً والذي هو اسباني لابد أن يكون كاثوليكيا.

إن مثل هذه المعادلة كانت هي مرتكز الشرعية السياسية لحرب أبعاد العرب من أسبانيا وهي المرتكز للشرعية في مطاردة بقايا الوجود العربي وأن كان تحقق ذلك على المستوى الانساني الفردي فإن مسألة أبعاد الثقافة والحضارة العربية من هناك مازالت موضع بحث وأختلاف في الرأي. أن مفهوم المزاوجة بين البعد الديني والوطني من أجل أخراج العرب وتوحيد أسبانيا تحت السيطرة الاسبانية وتحت هيمنة الكنيسة الكاثوليكية أقول إن كان ذلك يعد عملاً سياسياً من أجل تحقيق الهدف فإن هذا العامل بالذات قد أدخل أسبانيا ولقرون بعدها في عملية التعصب والعنف والخوف حيث كان في البداية موجه ضد الآخر وعندما ذهب الآخر تحولت هذه القيم نحو الذات أي أصبح مفهوم الدين والتعصب الديني والعنف تحت مفهوم الوطنية أصبح مصدر خوف بين الشرائح السياسية والاجتماعية عاشتها أسبانيا لمرحلة طويلة. ولا أدل على هذا الخوف من المعاناة الحقيقية التى عاشتها أسبانيا حتى السبعينات من هذا القرن التى جلبت حكم السيد فرنكو إلى السلطة تحت مفهوم تنزية وتطهير أسباينا من التلوث الاجتماعي والسياسي الذي أصاب العالم الأوروبي حسب فهم وتعبير فرنكو. وبأسم هذا التطهير وتنزية أسبانيا

ارتكب الكثير من العنف والتخويف تحت مطرقة التعصب الاعمى سواء الديني الكاثوليكي أو الوطنية الاسبانية هذه الحالة سوف تجعل أسبانيا متخلفة عن التطور الأوروبي على المستوى السياسي والتقني إلى أن تنتهي مرحلة فرنكو ثم تبدأ مرحلة التحول الديمقراطي التى منيت بالعديد من النكسات وخصوصاً من ضباط الجيش والبحرية الذين رأو بهذا التحول هو أفلات زمام سيطرة التعاليم الكنيسية على أسبانيا وأن هذا التحول الديمقراطي يعني ضياع الوطنية الأسبانية إلا أن مثل هذا التفكير ينحسر عن الواجه السياسية بعد ضعف مراكز هذه القوى وبعد أن نجحت أسبانيا بالدخول للسوق الأوروبية المشتركة وأصبح مفهوم التسامح والديمقراطية مكان التعصب والخوف والعنف بفعل فتح قنوات أقتصادية وسياسية جديدة بدل من الانغلاق على قيم قديمة قائمة على مفاهيم كنسية لا يمكن أن تتعامل مع العصر الحديث.

التدرج التنموي

لم يعد هناك جدل متناقض حول أهمية التنمية وتوازنها ولم يعد هناك حكم قطعي وواضح حول الأولوية هل هي سياسية كما حدث في بعض النظم السياسية وعلى رأسها النظام السياسي الهندي وهذه التنمية السياسية تسبق المعيار الاقتصادي وذلك راجع لظروف الهند ومجتمعها أي أن الهند ما بعد الاستقلال هي دولة بحاجه الى توجيه سياسي اكثر من ثورة أقتصادية على حد فهم الساسة الهنود في ذلك الوقت وإن كان أصحاب التوجه الأقتصادي يرون أن التنمية الاقتصادية ليست كفيلة بتحقيق التوحيد الوطني بل إيجاد هيبة دولية قادرة على أيقاف الاطماع الدولية. بينما يري المهتمون بالعامل الاقتصادي أن الاقتصاد هو مفتاح المفاتيح من حيث أن التنمية الاقتصادية قادرة على إيجاد نوع من الرشدية والشفافيه وبالتالي سوف ينعكس على البعد السياسي والاجتماعي وأخذت الصين فى هذا المنحنى وهذا العامل من حيث أن العربة الأقتصادية حسب رأي الصينويون هي العامل الحقيقي والمنطقي لهذه التنمية وأنه بدون وجود حكومة قوية فإن التنمية الاقتصادية غير قادرة على الاستمرار والتحرك دون صدمات سياسية وإجتماعية يمكن تعيق هذا التحرك الاقتصادي نفسه ومن هذا المنطلق راهن الصينويون على وجود حكومة ونظام سياسي قوي يستطيع أن يضع الخطط التنموية الأقتصادية باستثمار الخبراء والاخصائيين في كل مجال وأن قوة النظام السياسية هي الضمان حسب وجهة النظر الصينية لوجود مثل هذه الخطط التنموية ووجود قوة قادرة على تطبيقها على أرض الواقع وعلى ضمان استمراريتها وتبلورها. ومن جانب أخر يشكك المتخصصين في المجال السياسي والتنمية السياسية على استمرارية التنمية الصينية الاحادية الجانب ولذلك فإن العديد من الدارسين ركزو على أن التنمية الصينية ركزت على البعد الاقتصادي إلا أن هناك العديد من المضامين والقرارات وأنه ليس دقيق أن التوجه الصيني أقتصادي فقط ولكن أيضاً صحيح أن طبيعة النظام السياسي لم تتغير من حيث الشكل إلا أن آلية عمل النظام السياسي وأدواته تختلف عن آلية النظام السياسي وآليته قبل ربع قرن من اليوم ولذلك يبقى الجدل حول توازن النمو الصيني والعلاقة بين الاقتصادي والسياسي مسئلة غير واضحة المعالم وذات جدل يمكن من خلاله نفي أو أثبات أي من هذه التوجهات المختلفة.

ومن جانب آخر تسعي بعض القوى السياسية والاجتماعية ذات المصالح الايديولوجية أو السياسية أن تطرح البعد الاجتماعي أو الثقافة الاجتماعية أو الثقافة التاريخية على أنها تحتاج إلى أدخال فى المعادلة التنموية ولهذا المنطلق يعطى أهدافه النبيله وأهداف قد تكون

ليست لهـا أهداف ميكافيليـه اكثر منهـا حقيقـية وذات دوافع صادقـة. بمعنى أن العديد من المفكرين يرى أدخال مفهوم البعد السياسي والاقتصادي والاجتماعي حتى يتم نقل المجتمع بشكل هادي ومرن إلى التنـمية المشنودة مهـما كانت هذه التنمـية شكلها ولونهـا بحيث أن تكون على عـلاقة صمـيمة مع الـبعد الاجـتماعي ولـذلك فإن العديد من المفـكرين يحذرون التطورات الاجتـماعية المتـفردة والتى لا يصاحـبها تطور أقتـصادي وسياسي إلى مـهاوي أجتـماعية قـد تكون حتمـية ولذلك فإن العـديد من المجتمـعات وخصـوصاً في بعض المدن الافريقية والآسيوية وفي أمريكا اللاتينية ذات الانفتاح الاجتماعي الهائل والذي لم يصاحبه تطور أقتـصادي وسيـاسي فإن هذه المدن أصبـحت معقل مـن معاقل الفـساد والرذيلة فى أحسن أحوالهـا ولذلك فإن مسألة التطور والتغـيير الاجتماعي تـعد بحق هامة وتمس البناء الاجتماعي من قواعدة الأصلية.

وبالفعل فإن التوازن الاقتصادي السياسي مطلب حقيقي للتعامل مع البعد الاجتماعي من أجل ضبط أيقاع التـغيرات الاجتمـاعية التى كانت سبب ونتيـجة للتغيرات الاقـتصادية في كثير من الاحـيان والسياسية في بعض الاحـيان خصوصاً إذا كانت هذه التـغيرات تنبع من قاع البعد الاجـتماعي وليست على الغلاف النخـبوي وبالتالي فإن البعد الاجـتماعي هنا في غاية الأهمية والحساسية ولذلك فإن مفهوم التدرج الطبيعي والمتوازن للتنمية مطلب حقيقي ومنطقي وبدونه فإن العـامل الاجتمـاعي سوف يكون عامل من عـوامل أعتقال التنمـية في مهاوى القـدم والتقليد بينما سوف يكون أثر التنمـية الأقتصادية الآحـادية عامل من عوامل التخزين الاجتماعي القابل للانفجار فيمـا نجد التنمية السياسية المتفردة ما هي إلا أرضاءات ثقافية اكـثر من كونها ذات بعد وتجذر حقـيقي ولذلك فإن مفهوم التنمـية المتوازنة والتدرج بها مطلب حـقيقي من أجل تلافي الصـراع الاجتمـاعي سواء المعلن أو المحتـقن والمخزَّن في الذاكرة الاجتـماعية والقـابلة للانفجار. ولذلك فإن على النـخب المختلفة هي تنشيط مـفهوم التنمـية وجـعلهـا هم اجتـمـاعي لجمـيع القـوى والاطراف حتى يمكن ضـمـان صحـتهـا واستمراريتها وقوتها وتجذرها وهذا لا يعني أن القرار يكون في يد الدهماء والعامه بل فقط يجب أن يكون المجتمع وهو مادة التنمية وهدفه جزء من عملية التنمية المتوازنه والمتدرجه.

التصدير والتنمية

لم يعد العالم كما كان في السابق عندما قامت رحلة الكشوفات الأوروبية تمهيد للأنطلاق من القارة الأوروبية الي أرجاء العالم لبث الحضارة الأوروبية التي سوف تصب في الصالح الاقتصادي فيما بعد أو ما يطلق عليه الاستعمار أو الأمبرياليه اليوم. ولكن كان الدافع الاقتصادي المحلي الأوروبي أحد محركات الانطلاق للخارج وبث التفوق الاقتصادي الأوروبي حول العالم وترجمته على شكل قوة أقتصادية وسياسية وعسكرية سوف تسفر عن استعمار غربي بعيد الأمد وسوف يخضع العالم الآخر للارداة والحضارة الغربيه ردحاً من الزمن. ومن الناحية الاقتصادية فأن ما حدث في أوروبا هو عملية تأزم الوضع الاقتصادي وبالتالي الاندفاع إلى الخارج من أجل فك الاختناق الاقتصادي الداخلي أي أن عملية الاستعمار هي عملية سياسية فلك الاختناق الأقتصادي المحلي. وهي من جهة أخرى عملية الربط بين الروابط الاقتصادية الخلفية (المواد الخام وعملية التصنيع) والرابط الأمامية (عملية التسويق والاستهلاك) وبدون الروابط الخلفية والأمامية لأي عملية أقتصادية أو عملية أنتاجية فأن التأزم الاقتصادي هو النتيجة الحتمية.

نسترجع التجربة الأوروبية بحيثياتها السياسية والاقتصادية مع الوعي للتغير على الساحة الدولية وبروز الاقتصاد كأحد العناصر الهامة في العملية السياسية بل أن الاقتصادي بدأ يفرز أبعاداً مالية وتسويقية وليس بعداً ايديولوجياً كما أراد له الماركسيون في زمن من الأزمان. أقول نسترجع التجربة الأوروبية وفي الذهن المحاولات الهامة والكثيرة التى تقوم بها بعض الدول العربية للدخول في عالم الاقتصادي الدولي وعالم التصنيع ولعل المملكة العربية السعودية من الدول العربية القليلة التي تحمل مستقبل واعد في مجال التصنيع وخصوصاً الصناعات النفطية أو الصناعات القائمة على مشتقات نفطية مستفيدتاً بذلك من أهميتها النفطية واستمرار هذه الأهمية.

أن المملكة العربية السعودية اليوم تعد أحد الدول التى قلبت الماضي القائم على الصناعات البدائية والحرفية إلى خلق مراكز صناعية قادرة على أدارة وأنتاج أفضل السلع متخذة من اكثر مظاهر التكنولوجيا تعقيداً وأهمية. وهذه الحركة التصنيعية الواعده والضخمة التى تشهدها المملكة العربية السعودية لابد أن يواكبها عملية تسويقية لهذه المنتجات وذلك من أجل إعادة أدارة الاقتصاد من جانب ومن أجل الدخول في السوق العالمية ومواكبة المستجدات على صعيد الانتاج والتسويق. ورغم النجاحات التى حققتها الكثير من الصناعات السعودية فأن الباب مازال واسعاً والمجال مازال كبيراً أمام أحياء المزيد من الفرص للصادرات والمنتجات السعودية للوصول الى

جميع أنحاء العالم.

إن العديد من دول العالم تعرف المملكة العربية السعودية بصادراتها النفطية وقليل منها يعرف المملكة بمنتجاتها الصناعية الأخرى لذلك فإن الجهاز الأداري للمنشأة الاقتصادية المختلفة مطالبة بإيصال رسالتها بشكل واضح وجلي حول أهمية ربط المنتجات السعودية بأسواق أستهلاكية جديدة وهذا لا يمكن تحقيقه بالوسائل الأقتصادية وحدها كأن نقول أن المنافسة والجودة هي المحك الحقيقي والوحيد بل لابد من التكاتف بين البعد الاقتصادي للمؤسسات الانتاجية وبين الادارة السياسية من أجل أستخدام قوة ونفوذ المملكة العربية السعودية لفتح آفاق جديدة أمام الصادرات السعودية ولعل ذلك ما تقوم به الكثير من الدول المتقدمة والدول الآخذه في التطور.

ومايدفع للقول والمطالبة في استخدام وأستثمار النفوذ والأحترام الكبير التى تحظى به المملكة العربية السعودية حول العالم من أجل مصلحة فتح افاق جديدة للصادرات السعودية هو ما أطلقت عليه التبادل التجاري المتكافىء بين المملكة العربية السعودية والصين حيث أن العجز في الميزان التجاري بين البلدين أنتقل من ٥٥ مليون ريال عام ١٩٨٦م الى ٤٥١ مليون ريال عام ١٩٩٤م (مجلة الأسواق سبتمبر ١٩٩٧ ص ٥٤) ورغم ان المملكة العربية السعودية تنتج وتصنع السلع التي الصين من الدول المرشحة لاستقبال وأستيراد مثل هذه الصناعات والمنتجات، بمعنى آخر إذا كانت المملكة العربية السعودية تنتج سلع يكون السوق الصيني بأمس الحاجة إليها وأن هناك عجز في ميزان المدفوعات بين البلدين هو لصالح الصين إذاً السؤال هو لماذا هذا العجز على الرغم من حاجة الصين للمنتجات السعودية ؟ وعلي الرغم كذلك من أهتمام الصين الكبير في تنمية العلاقة الاقتصادية مع المملكة وذلك لتوقع الصين حاجتهم المتزايدة للنفط من المملكة العربية السعودية في السنوات والعقود القادمة ؟ ثم اين هو الخلل الحقيقي هل هو (١) في عملية المنتجات السعودية نفسها وعدم قدرتها على المنافسة. أن الجواب على مثل ذلك هو النفي حيث أن المنتجات السعودية تعد أحد أجود المنتجات وعند مقارنتها بالمنتجات الصينية المتواجدة في أسوقنا اليوم فأن الفارق الهائل عن مقارنة الجودة السعودية بالجودة الصينية. (٢) يمكن ان يكمن السبب هو قلة الخبرة وعدم التنسيق وتشتيت الجهود ومحاولة أبراز الصناعات السعودية والبحث لها عن طرق من أجل إيصالها الى الأسواق العالمية ويمكن حل ذلك عن طريق تشكيل مجلس أعلى للصادرات مهمته معرفة أمكانيات المملكة العربية السعودية الصناعية ودراسة السوق الدولي وبالتالي تحديد الخيارات المناسبة التى يمكن أن تحقق العائد الجيد والتنسيق حتى تصل الصناعات والمنتجات السعودية إلى الأسواق العالمية بشكل أفضل. (٣) أم أن المشكلة تكمن بعدم أستثمار البعد الأقتصادي للبعد السياسي بمعنى أن الاقتصاد السعودي وخصوصاً قطاع المنشآت والتصنيع التى يمكن تصدير منتجاتها إلى

الخارج أنها لم تستطع أن توظف الأهمية السياسية والاستراتيجية للمملكة لصالح الصناعات السعودية. أي أن البعد الاقتصادي مطالب باستثمار الحضور السياسي والأهمية السياسية للمملكة العربية السعودية على مستوي الساحة الدولية وبالتالي تحويل هذا الحضور إلى فرصة أقتصادية. ومن جانب آخر فأن البعد السياسي مطالب باستثمار هذا الحضور من أجل تعزيز القدرة التصنيعية والتسويقية للصناعات السعوية.

ومثل هذا التنسيق والتزامن بين السياسي والاقتصادي يمكن أن يعطي نتائج جيدة في منطقة شرق آسيا والصين على سبيل المثال حيث أن أهتمام الصين الكبير بالمملكة العربية السعودية لأهميتها الاقتصادية والعربية والاسلامية جعل الصين تعير المملكة الأهتمام في العديد من المشاكل الدولية وخصوصاً في المسألة النفطية إذا أخذنا الاحتياج والمتزايد الصيني للنفط من المملكة العربية السعودية. والمملكة في نفس الوقت تثمن الأهمية الصينية ودورها العالمي المرتقب فأن هذه العوامل كفيلة باستثمار هذه التوجهات الباعثه للتقارب لصالح المنتجات والصادرات السعودية ومحاولة خفض العجز التجاري المتنامي لصالح الصين من عام ١٩٨٦م.

أن حضور المملكة العربية السعودية والدور الفاعل وأهميتها الدينية والعربية والنفطية ومحاولة زيادة هذا الحضور عن طريق تفعيل هذا الحضور بالديناميكية السياسية الدؤوبة والمتواصلة والمتجددة كفيل بأن يكون للمملكة أستمرارية هذا الحضور السياسي الدولي وبالتالي فأن هذا الحضور يمكن استثماره لصالح المملكة العربية السعودية في معظم مصالحها وأهدافها الخارجية ولعل البعد الاقتصادي وتصدير المنتجات السعودية أحد هذه الأهداف التى تزيد من العمل على إيصال السلع الى إلى الأسواق العالمية مستثمرين البعد السياسي والحضور الدولي ومستفيدين من التجربة اليابانية والأمريكية في أستثمار البعد السياسي للصالح الاقتصادي في هذا المجال. وبالتالي فأن أستمرار العجز التجاري مع بعض الدول لغير صالح المملكة أمر يجب التفكير فيه وتغييره في السنوات القادمة وأن لم يحدث ذلك فإن الأسواق سوف تكشف أن البلايين من الريالات التى صرفت على هذه الصناعة لن تحقق الأهداف المرجوة من تحويل المملكة العربية السعودية من دولة معتمدة على النفط الى توزيع مصادر الدخل وتنويعها في المستقبل من أجل مزيد من الرخاء الاقتصادي والاستقرار.

التغيير في مرحلة القوة

ان مفهوم الديناميكية في دراسة وممارسة العلاقات الدولية يعد واحد من معطيات معرفة علم السياسة بل وواحد من مسلمات هذا العلم وهذه المعرفة لا يمكن تمثل العلاقات الدولية وفهمها دون معرفة حقيقية التداخلات والتفاعلات داخل هذه الاطر المعرفية والحركية التى تحكم حركة العلاقات الدولية. بل أنها أشبه الى حد كبير بمفهوم التوازن النسبي داخل النفس البشرية إذا أردنا استعارة نموذج التحليل النفسي من أطباء علم النفس بشكل غير معمق. إلا أن دراسة العلاقات الدولية ليست إلا أنعكاس لدراسة العلاقات بين الدول والتى تعد أحد أهم عناصر النظام الدولي بل أهمها على الأطلاق هذه الأهمية تتعاظم أو تقل قليلاً من وقت وآخر حسب مزاحمة العوامل الأخرى في النظام الدولي من منظمات أقليمية ودولية أو من عوامل سياسية وأقتصادية بل حتى العوامل الطبيعية والفكرية سواء أيديولوجية أو مناهج وبرامج سياسية تأخذ بها هذه الحكومة أو المنظمة أو تلك.

ولكون النظام السياسي أي نظام سياسي هو عبارة عن حلقة وعنصر من عناصر النظام الدولي وبالتالي عامل من عوامل العلاقات الدولية وبالتالي الصراع الدولي فإن ما يجرى داخل هذه النظم أو أي نظام سياسي بعينه يعد من عوامل التغيير والتأثير في النظام الدولي وذلك يرجع اكثر الى عوامل عديدة منها درجة تماسك النظام الدولي ودرجة زيادة التفاعل وحجم هذا التفاعل في النظام الدولي ودرجةحساسية النظام الدولي تجاه هذه النظام السياسي أو ذاك بل ودرجة حساسية النظام السياسي تجاه النظام الدولي أي أن حساسية ما يحدث في دولة هامشية في افريقيا أو في آسيا أو أمريكا اللاتينية ليس لها أرتباطاتها السياسية أو أهميتها الاقتصادية أو الاستراتيجية فإنه من المتوقع أن لا يكون هناك أهتمام حقيقي بالحوادث بهذه الدولة الهامشية بل ان ما يحدث في النظام الدولي وأنتقالة من حالة سياسية معينة الى أخرى لا يعد مهماً أو مؤثراً على النظام السياسي لهذه الدولة الهامشية. وعلى الطرف الآخر من المعادلة نجد أن درجة حساسية النظام الدولي عالية جداً للحدث السياسي أو التغيير السياسي في نظام سياسي معين ومهم كأن يحدث تغيير سواء محسوب بانتخاب أو غير محسوب بقلاقل سياسية أي من الدول ذات الأهمية فإن رد فعل النظام الدولي سوف يكون يتناسب مع أهمية هذا التغيير ودرجة الحساسية تجاهه. أي أن الانتخابات الامريكية تعد بحق أهم بكثير من الانتخابات الهندية أو حتى الروسيه بينما تعد الانتخابات في هاتين الاخيرتين يعد بحق أهم من انتخابات مالي أو النيجر على سبيل المثال.

كل هذه الايضاحات المتقدمه من أجل ابراز وتوضيح بشكل قوي درجة الحساسية المتبادلة

والمتوقعة التى توجد بين النظام الدولي كطرف المعادلة وبين النظام السياسي أي نظام سياسي كطرف آخر من المعادلة السياسية. ولذلك فان مفهوم التغيير والتحول سواء الايدلوجي القانوني أو التدريجي الناتج من الضغوط أو المفاجيء يأتي بشكل فعل وتفاعل بين حقيقة النظام السياسي وتفاعله الداخلي وبين حقيقة النظام الدولي كتفاعل دائم ومستمر الاشتعال والتوقد والديناميكية. ومن هذا المدخل فإن مفهوم السكون والتوقف عن التغيير يعد بمثابة اللامعقول والمستحيل إذا نظرنا لديناميكية الانسان سواء للفرد نفسه أو ديناميكية الجيل البشري يجري التغيير بشكل طبيعي وتلقائي ومن جانب آخر فإن هذه الديناميكية الانسانية تنعكس على ديناميكية التغيير للدولة أي دولة كنتيجة طبيعية ومتوقفة للتغير الفردي فإن الدول ايضاً تصاب بمفهوم التغيير الديناميكي وأن كان بطيء وغير متسارعة الزمن إلا في الحالات الغير طبيعية أي الحالات الاستثنائية. ولكون الدولة أي دولة عضو ومؤثر بشكل نسبي في النظام الدولي فإن النظام الدولي بدورة أيضاً ذو صبغة ديناميكية ومتغيرة.

إذا كان الأمر على ما سبق فإن مفهوم التغيير هنا هو القاعدة والثبات والجمود وهو الاستثناء بل ان الثبات والجمود يكاد يكون مستحيل التحقيق فترة طويلة حتي وان بدأ أنه ممكن لمرحلة قصيرة. أقول إذا كان ذلك كذلك فإن التجارب المستفادة من التاريخ والتاريخ الحديث بشكل خاص تبعث على القول ان العقلانية الطبيعية التى يتمتع بها الانسان هو البحث عن التغيير بل ان تجارب الدول التي نجحت أو لديها مؤثرات قوية أنها في طريقها الى النجاح هي الدول التى سلمت بمفهوم التغيير وأخذت تعد للأمر عدته وهذا التغيير أول ما يشمل هو التغيير في العناصر البشرية وادخال الطاقات الجديدة الشابة في رسم المستقبل والوصول اليه بل يتطلب قوة ارادة جديدة من أجل تلمس احتياجات المستقبل. ويشمل كذلك المراجعة الدورية والغير متوقفة الى عمل ما يمكن ان يعمل بل ومحاولة مسابقة الزمن في التغيرات الضرورية التى لابد من حدوثها قبل ان يكون الوقت قد تجاوزها مما يدفع الى التغيرات الغير مدروسة سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي.

وبالفعل فإن تجارب الأمم الأخرى التى أخرت ديناميكية التغيير كانت اكثر قسوة من الأمم التى فتحت النوافذ من أجل الدراسة المتأنية للتغير والاصلاح في مرحلة القوة وامكانية التراجع بينما يصبح التراجع وإعادة الحسابات في مرحلة الضعف يأخذ مفهوم الهزيمة والضعف بل يمكن أن يأخذ مفهوم التشنج في قبول مفهوم التطوير والتحولات الطبيعية.

التفكير الاستراتيجي

كان لمفهوم الحروف الأبجدية واختراع الكتابة الأثر الحقيقي بتسجيل الفكرة والمعرفة ، وبتسجيل الفكرة والمعرفة تتم عملية تراكم المعارف الإنسانية . هذا التراكم سمح بعملية الجمع والاختزال أي عملية التجربة وتسجيل الخلاصة المعرفية . والخلاصة المعرفية هنا تعني اختزال التجربة الانسانية لمرحلة طويلة بفكرة قصيرة وسريعة مثل قولنا بأهمية البعد الاجتماعي في التفكير الانساني أو أن تقول دور المحرك الاقتصادي في الموجات البشرية المتعاقبة أو القول بالظاهرة المدنية وارتباطها بالسلوك البشري كل ذلك يعني اختصار واختزال مرحلة زمنية طويلة بمفردات قصيرة ذات دلالة بالغة .

بهذه الطريقة والمنهج يختصر لنا مراقب النبات تفتح زهرة تأخذ أياماً باكتمال تفتحها وتألقها . يتم تسجيل ذلك واختصاره إذا ما أعدناها بالحركة السريعة مما يعني مشاهدة عملية التفتح والاكتمال بشكل بارز للأعيان. والكلام يصدق كذلك على نمو صغار الطير في أعشاشها التي تأخذ أسابيع في الاكتمال إلى إختزالها في فترة زمنية قصيرة جداً يتم بها إطلاع المراقب والمشاهد على عملية التفتح أو النمو بشكل يثبت عملية الحركة والديمومة .

بهذه الاختزالات المعرفية تتم عملية منهجة وتدريب الفكر البشري في المؤسسات التعليمية من أجل اختزال المعرفة وتدريب الطالب . أو الطالبة على عملية الاختزال المعرفي حيث يأتي بعدها عملية التركيب والاستنتاج . ومن هنا يُخْلَق لدى الإنسان عملية النظرة الشمولية من ربط هذه الاختزالات والاستنتاجات بعضها ببعض . هذه العملية التعليمية تخلق لدينا ما يسمىّ بالنظرة الشاملة والتي تولد المعرفة الاستراتيجية التي تبسط أجزاء الحالة ماضيها وحركتها بالمستقبل الآتي وإمكانية حدوثه . والتفكير الاستراتيجي جاء إلى الدراسات الانسانية أكثر منه في الدراسات ذات المنحنى العلمي البحت حث أرتبط التفكير الاستراتيجي أو بُعد النظر بالقيم الانسانية زادها ثبوتاً وتألقاً الدعم العلمي المعرفي حتى يستطيع الإنسان أن يعزز قدرته على النظرة الاستراتيجية ولهذه الأسباب أرتبط مفهوم التفكير الاستراتيجي بالدراسات العليا والبحث العلمي ولكون ذلك ، كذلك فإن النظرة الاستراتيجية والتفكير المستقبلي أصبح مطلباً من ذوي المؤهلات العالية أكثر من غيرهم . والتفكير الاستراتيجي طويل الأمد مكمل للتفكير التتكتيكي قصير المدى أي أن الثاني جزء من الأول والأول يحوي ويشتمل على الثاني . ومن هذا المنطلق قيل إن الاستراتيجية تحتوي على خطط تكتيكية متكاملة تشكل في مجملها الخطة الاستراتيجية . وإذا كان التفكير الاستراتيجي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي أصبح سمة من سمات العالم الغربي حيث وردت إلينا المفاهيم الاستراتيجية كما تعرف الآن بمفرداتها

وحيثياتها مع أنها وجدت بالتفكير البشري ولكن ليس بشكلها العلمي المحكم وشروطها المتكاملة كما نعرفها الآن .

أقول إذا كان التفكير الاستراتيجي أصبح سمة من سمات دول العالم الغربي فإن دول العالم الثالث هي بأمس الحاجة للتفكير والنظرة الاستراتيجية المستشرفة للمستقبل . فدول العالم الثالث معنية بالضرورة لدراسة حالتها بشكل معمق سواءاً بأمكانياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ودراسة النظام الدولي بتفريعاته المختلفة وأبعاده الأساسية من أجل الخروج بنظرة تتسم بالواقعية والمصداقية حتى تتم عملية استشراف المستقبل القصير والبعيد الذي سوف تعيشه هذه الدول سواء بشكلها الفردي أو الجماعي والخروج من معمعة السير بالظلام ، مثل هذه الدراسة يجب أن تتسم بالواقعية بعيداً من التهويل والمغالاة المعلوماتية من أجل الخروج بأحكام موضوعية وحقيقية تضع هذه الدول بامكانياتها الحقيقية في موضعها الحقيقي دون الجنوح إلى التهويل والتضخيم هذه الواقعية سوف تجعل هذه الدول تُقيمّ قدراتها وامكانياتها الحقيقية حتى تستطيع العمل للعب دور لا أقول أكبر من حجمها وإنما تلعب دوراً يتناسب مع قدراتها الحقيقية كما يتم إطلاع الذات داخل هذه الدول بامكانية القيام بأدوار ذات فائدة وممكنة التحقيق وبعيداً عن المجازفات التي لا تُبنى على أسس صحيحة ودقيقة . هنا كأننا نقول وندعو بشكل مباشر إلى أهمية وضرورة إيجاد وتشجيع النظرة والتفكير الاستراتيجي من أجل استشراف المستقبل القادم هذا الاستشراف يجب أن يتحسس القدرات الحقيقية وأن يكون من الواقعية وبعيداً عن الإسراف بالتوقعات . كما أننا ندعو إلى أن الإغراق بالإستراتيجية يؤدي إلى إنعدام الرؤيا الحقيقية وبالتالي فإن اللاواقعية في النظرة الاستراتيجية تتساوى مع اللااستراتيجية في كثير من الدول . وإذا كانت النظرة الاستراتيجية ذات أهمية قصوى في العالم الثالث فإننا هنا في المملكة العربية السعودية تكون الحاجة إليها أكثر إلحاحاً وأهمية حيث أن المملكة العربية السعودية البلاد التي تشكل قلب العالم الاسلامي وشريان العالم الصناعي فإننا معنيين بالضرورة إلى دراسة حقيقية وجادة إلى مستقبل النظام الدولي وإنعكاس هذا النظام الدولي على النظم الاقليمية سواء ببعده الاجتماعي والسياسي أو ببعده الاقتصادي حيث سوف نجد التأثير المتبادل بين هذه العناصر بشكل يثبت لنا من التجارب التاريخية تلازم هذه العناصر بعضها ببعض وتأثير كل واحد منها على الآخر . هذه الدراسة التي يجب أن تبنى على تحري الدقة في نوع وكمية المعلومات اللازمة للدراسة ونحن عندما نقول البعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي الدولي فإننا نتحدث عن الجوانب التي تشكل ذهنية الإنسان أي إنسان مهما اختلف الزمان أو المكان . هذا الإنسان هو المطلب الحقيقي للدراسة وذلك لكونه النواة الحقيقية للعمل والنشاط الحالي والمشكل للنشاط المستقبلي . مثل هذه الدراسة والتفكير المستقبلي الذي سوف تغطيها الخطوط العريضة للتوجهات المستقبلية ببعده الثقافي الانساني وبالتالي تأثيره علينا

نحن هنا في العالم العربي والاسلامي وبالتالي إنعكاسه علينا هنا في المملكة العربية السعودية ، هذه الدراسة التي سوف تفتح موجات دراسية حول الثقافة السياسية العالمية المتجددة ، النظام السياسي الدولي، المستقبل للطاقة والمستجد بها ، الأبعاد الغيبية والحسية لدى الفرد حول العالم ، العالمية الاقتصادية ، العالمية السياسية ، وأخيراً وليس آخراً هذه الموجة الهائلة من المعلومات التي سوف تعيد تشكيل العقل الإنساني بشكل سوف يعد أحد منعطفات التاريخ البشري والتي تعني إعادة تشكيل النظرة الإنسانية لذاته وللمحيط حوله وإعادة تقييم القيم التي طالما رأتها أنها من المسلمات الحياتية نقول إذا كان التفكير الاستراتيجي في هذه المرحلة الزمنية مهمة فإن دولة ذات أهمية ومكانة مثل المملكة العربية السعودية معنية بالضرورة إلى التوجه إلى التفكير الاستراتيجي ولعله من المناسب في هذا المقام القول إن التطوير النوعي الذي عاشته المملكة وخصوصاً تلك التي طالت أهم المراكز الإدارية ونعني بها تلك التغيرات الوزارية التي استطاعت جلب الكفاءات ذات التأهيل العالي . نقول إن مثل هذه التغيرات تخلق لنا مناسبة أن نقول إن مثل هذه المراكز المهمة معنية عناية حقيقية بالتفكير الاستراتيجي وإيجاد حلول لها فإن الروتين اليومي والمعاملات اليومية لن توجد حلاً لشيء بل على العكس من ذلك سوف تخلق نوعاً من تأجيل المشاكل الصغيرة إلى أن تكبر وتصبح مشاكل مستعصية يصعب حلها في المستقبل . ولعله من هذا المقام تكون فرصة إلى الدعوة والتذكير أن المراكز الإدارية القيادية هي مركز للتفكير الاستراتيجي وليس حلاً للإشكالات اليومية . هذا التفكير الاستراتيجي يدخل ضمن النظرة الاستراتيجية الكبرى التي تعد في هذه المرحلة من أجل الإنتقال إلى المستقبل . هذا التفكير المستقبلي يجب أن يتسم بالواقعية والشمولية وأن يكون شاملاً لجميع المناحي المختلفة حتى يمكن عملية الربط الحقيقي بين أطراف المعادلة حتى تأتي النتائج ذات مردود حقيقي وصحيح وأنه بالنظرة الجزئية للتطوير أو للنظرة الاستراتيجية الجزئية فإنه سوف يحدث عدم إتساق في عناصر النمو الذي تنشده أي دولة في مستقبليها تتطلع إلى النجاح.

باختصار القول إن النظرة المستقبلية والتفكير الاستراتيجي أصبح عنصراً حيوياً ومهماً لإستباق الحدث بل وخلق حدث المستقبل وأن الإغراق في حل المشاكل اليومية لن يحل شيء بل سوف يؤجل هذه الحلول الممكنة إلى أن تصبح غير قابلة للحل ومستعصية مقارنة الإمكانات المتوفرة .

التفكير الأكثر شمولاً

تمطرنا في السنوات الأخيرة الدراسات المتعددة والكثيرة حول القضايا الاقتصادية وعلى رأسها دراسة المستقبل السوقي للنفط والصناعات النفطية وتكاد تكون هذه الدراسات أن تتشابه إلى حد كبير بحيث أنها يمكن القول أنها ترجع الى نفس المصادر والمراجع المعلوماتية وأن توحيد مصدر المعلومات لعب دوراً مهماً في عملية الخلاصات التى تصل اليها هذه الدراسات سواء المتعمقة منها والأقل عمقاً في بحثها واستقصائها للمستقبل السوقي والاقتصادي النفطي.

ومن أبرز النتائج التى وصلت اليها هذه الدراسات هي أن هناك زيادة في الطلب على الطاقة على المستوى العالمي إلا أن الزيادة في الطلب على الغاز والتوسع في استخدام الطاقة النووية كان يسير بشكل اكثر تصاعدي منه على النفط وان هناك استقرار مع زيادات خفيفة على الطلب على الفحم اكثر الطاقات قدماً واكثرها تلوثاً. وتجمع أغلب الدراسات الاقتصادية في مجال الطاقة ان الطلب على النفط سوف يزداد حتماً في المستقبل وذلك راجع الى : ـــ

١ ـــ ان هناك زيادة عالمية متواصلة ومتصاعدة على استخدام الطاقة بشكل واضح ومتسارع الى حد ما .

٢ ـــ ان الازمة الآسيوية هي في طريقها الى الانفراج وبالتالي فان الطلب على الطاقة من المتوقع ان يزداد بشكل اكثر وضوح.

٣ ـــ ان انخفاض اسعار النفط خلفت حالة من التفكير في مسألة الاكتشافات النفطية الجديدة ومدى جدواها الاقتصادية مما خلق نوع من فتور الحماس في مسألة الاكتشافات النفطية .

٤ ـــ على الرغم من تعدد اماكن تواجد وتوفر النفط إلا أن الخريطة النفطية اليوم اكثر وضوح بحيث انه رغم تعدد اماكن الكميات النفطية إلا أن هناك مناطق بارزة وواضحة في الكميات الاستراتيجية واين أماكن وجودها وهي المرشحة للاستمرار في تزويد العالم بالطاقة النفطية لقعود قادمة من المستقبل.

٥ ـــ ان الحديث عن التوسع في الطاقة النووية يواجه مصاعب تقنية حقيقيه حول أحتمال حدوث حوادث خطيرة ترجع كل ما بني وكل اهتمام بالطاقة النووية الي مرحلة الصفر بعد أي حادث يمكن ان يحدث من جراء استخدام الطاقة النووية.

بل أن الحديث عن استخدام الطاقة النووية ذو حساسية عالية لدى الدول الكبيرة خصوصاً إذا كان هذا الاستخدام مطروح من قبل الدول الاقل تطوراً أو من دول العالم

الثالث وذلك أنه لا يوجد ضمانات واضحة وقوية من أحتمال تحويل هذه المعرفة التكنولوجية في مجال الطاقة النووية الى أمكانيات عسكرية في المستقبل ولذلك فان كثير من الدول المتطورة تفضل استخدام النفط من قبل الدول النامية على استخدام الطاقة النووية.

بل أن اغلب الدراسات أجمعت على ان التوسع في مجال الغاز هو لا يعدو أن يكون ايجاد بدائل مؤقته ووصفة لمجابهة مفهوم التلوث الكوني الذي تشهده كرتنا الارضية. ولذلك فان الرجوع الى الطاقة المستخرجة من النفط لا يعدو أن يكون مسألة وقت ولذلك كانت أغلب الدراسات تشير الى أن الطلب على النفط سوف يزداد في المستقبل وان المناطق المعنية بهذه المادة سوف تعيش الرخاء الاقتصادي أو الاستقرار الاقتصادي على أقل تقدير.

ومع الاحترام الذي يجده القاريء والباحث الاقتصادي لهذه الدراسات المتعددة والمكثفة إلا أنها نسبة دراسة مفهوم العرض والطلب في دراسة المدخل لعلم الاقتصاد ودراسة العرض والطلب تعني بالدراسة الاكاديمية هي أنه في حالة دراسة الطلب فيجب الافتراض ان العرض موقف أو متوقف لا يتحرك والعكس صحيح حيث أنه في حالة دراسة العرض فان الطلب في حالة جمود لا يتحرك ويتفاعل وإذا كان الاقتصاديون يفعلون ذلك من أجل ايصال فكرة العرض والطلب فان الكثير هذا لا يعني ان الطلب أو العرض يتوقف في حالة دراسة الطرف الآخر وهذا ما نشاهده من الدراسات الاقتصادية عن الطاقة بشكل عام والنفط بشكل خاص بحيث تفترض هذه الدراسات ان دراسة اقتصاديات الطاقة والنفط بشكل خاص هو محرك بذاته ويصل الى نتيجة بذاتها مع أن التاريخ الاقتصادي لهذه السلعه لا يدعم هذا التوجه في هذا الانطباع والفرضيه بل ان ارتباط الطاقة بالبعد السياسي الدولي والاستراتيجية الدولية وهيكلية وهرمية النظام الدولي كانت اكثر من كونها وثيقة ومتشابكه. ومع أنني أدعو الي «قصدية النفط» أي جعل النفط يخضع للمعايير الاقتصادية والسوقية إلا ان الواقع يعكس ان هذه السلعة ذات بعد سياسي واستراتيجي الى جانب كونها ذات بعد اقتصادي ولذلك فان الدراسات المتفائلة حول النفط تفتقر الى الوعي السياسي والوعي الاستراتيجي وأن المؤشرات الدولية على الجبهة السياسية والاستراتيجية لا تدعم هذه التوجهات والدراسات الاقتصادية حيث نجد ان اكثر المناطق النفطية وفرة بدأت تفقد نوع من بريقها الاستراتيجي أو ان كان هذا ليس واضحاً بشكل جلي وواضح إلا أن كثير من المؤشرات تدفع نحو هذا التفكير.

ومن جانب آخر فان مثل هذه الدراسات الاقتصادية في مجال الطاقة والنفط تفترض أن الطاقة هي التي تقود التفكير الاستراتيجي الدولي وان كانت الطاقة هي محرك لمثل هذا التفكير فانها تكون أحد اسباب ومحركات البعد السياسي والاستراتيجي بمعني آخر ان بعد

الطاقة يكون سبب لعدم الاستقرار وليس بالضرورة انه مربوط بشكل قوي بمفهوم الاستقرار والانجازات والرفاهية الاقتصادية بل قد يحدث العكس من حيث ان عند مزج أو ربط عامل الطاقة والنفط والغاز على رأسها مع البعد السياسي الدولي فان بعد الاستقرار وعدم الاستقرار وبعد الرفاهية والمأزق الاقتصادي مفهومان متداخلان الى حد كبير ويمكن ان يلعب كل واحد منهما بدل الآخر في حالة ظرف من الظروف السياسية المستقبلية.

ان الدراسات الاقتصادية حول مفهوم الطاقة وخصوصاً في مجال الطاقة ذات البعد السياسي الاستراتيجي سوف تكون ناقصة وعرجاء عند عدم المامها بالبعد السياسي والاستراتيجي والخطط الاستراتيجية الكونية التى تتبناها الدول العظمى ودون متابعة دقيقة للاحداث المشاهدة والمسموعة وللاحداث غير المشاهدة وغير المسموعة فان مثل هذه الدراسة سوف تعطى ابعاد سلبية اكثر من ابعادها الايجابية أو على الأقل سوف تعطي جانب واحد من الصورة بحيث تبدو الصورة التى تتوقع انها مكتملة هي صورة ناقصة وقليلة الفائدة للمستقبل الذي يجب ان يستعد له بشكل أفضل.

التفكير الموضوعي

يكاد يكون هناك أجماع محبط على أن العالم العربي والعالم الاسلامي يعيشان فترة من أكثر الفترات الزمنية تقهقراً ونهزاماً ومع أن الجزء اليسير من المتفائون يرون أن العالم العربي يعيش مرحلة تطور عند المقارنة بوضع نفس العالم قبل قرن من الزمن من حيث أعداد المتعلمون واعداد المدارس والجامعات إلا أن هذه المسألة رغم وجاهتها المنطقية والعقلية تبقي قضية نسبية وهل الأمم تقارن نفسها بنفسها أم أنها تدخل في عملية مقارنة مع الأمم الأخرى. فاذا ما كان المقارنة مع الذات ومع التاريخ فإن واقع الحال تدل على تطور لم يسبق له مثيل في العالم العربي أما إذا أخذ مفهوم المقارنة بالعالم المحيط من حولنا فإن هناك أشكالية حقيقية بحيث يمكن أن يكون العالم العربي واحد من اكثر المناطق تخلف مقارنة مع العالم المتقدم ويأتي العالم العربي جنب إلى جنب مع أفريقيا وأمريكا اللاتينية.

إن اجماع أجماع على تخلف العالم العربي نتيجة لعوامل واضحة وكان العامل السياسي واحد من كثر هذه العوامل وضوحاً حيث أن إسرائيل استطاعت اعتقال التطور السياسي للعالم العربي وأصبح تطور الفرد العربي مرهون بزوال اسرائيل بمالديها من قدرات ذاتية وشبكات غير محدودة من علاقتها الخارجية سواء الحضارية أو السياسية بل والاقتصادية التى أخذت بالتنامي بشكل واضح وقوي في السنوات الأخيرة مع العالم. أقول إن إسرائيل أستطاعت أن تعتقل التطور السياسي في العالم العربي إلى حد كبير وهذا ليس عيب في إسرائيل ذاتها وانما يكمن العيب في الخلل التفكيري لدى العالم العربي الذي أختلطت عليه الاولويات ونزامنت الظروف الداخلية العربية والدولية لتجعل من هذا الفرد العربي المسلم شبه مواطن أو حتى مواطن من الدرجه الثانية داخل بلادة بل وداخل مدينته التى يسكنها.

ومما يجعل هذه الحالة من الاحباط والهامشية اكثر تعقيداً وأقل فهماً على الباحث والمفكر هي كون العالم العربي يعيش وهم الأهمية التى تصل إلى مرحلة الغرور والعبث. أقول أن تناقض الذهنية العربية المحبطة وهي تشعر باهميتها المبالغ فيه شي يدل على خلل حقيقي في التفكير.

ورغم أن الفرد العربي يرى الاحباطات الحضارية والسياسية التى يعيشها يوماً بعد يوم وهذه الاحباطات مرتكزة على أسس واقعية وموضوعية بحيث يمكن القول وبدون تردد أن العالم العربي تزيد حالة الفقر فيه سنة بعد سنة ويمكن القول أن الأمية تزيد في العالم العربي سنة بعد سنة بل وحتى الفئه المتعلمة نسبة عالية منها يعد تعليمها غير ذي جدوى أو فائدة بل هي عبء على أمتها وبلادها وعلى ذاتها وبالتالي فإن تكاليف هذه الفئة المتعلمة عديمة الجدوى هي ذات تكاليف أقتصادية واجتماعية وحضارية اكثر بكثير من الفئة الغير متعلمة من المنطلق

والمعيار الاقتصادي. والعالم العربي أقل استقراراً سواء اجتماعي أو سياسي عن ذي قبل بل أن الفاجعة الحقيقية عدم وجود رؤية واضحة للعالم العربي سواء للدول مجتمعة أو لكل دولة على حدى وهذا ما يجعل النظرة للمستقبل اكثر تشائم عنه من التفائل. والعالم العربي يعاني من مشاكل حقيقيه أهمها البطالة والضائقة الاقتصادية والمديونية والهامشية السياسية مقرون كل ذلك بفقدان الوسيلة السياسية والحضارية التى تحركة نحو مستقبل ممكن تحقيقه ورغم هذه النقاط الموضوعية والحقيقية التى تعكس بؤس العالم العربي إلا أن الفرد في العالم العربي يعيش وهم الذات وتضخيم الذات الى حد المرض وهنا يأتي دور علماء النفس في مراقبة هذه الظاهرة التى يعيشها الفرد العربي. اليابان على سبيل المثال ورغم ما يتمتع من قوة أقتصادية ورغم ما تتمتع به اليابان من قدرات أقتصادية وتكنولوجية كبيرة إلا أن الافراد هناك يرون اليابان دولة صغيرة وضعيفة ويرون أن بلادهم تحاول أن تجد لها مكان بين الدول والأمم وهذا يكاد يكون التفكير لدى الكثير من الدول المتطورة بيما نجد الفرد العربي عكس ذلك تاماً حيث رغم البؤس الذي يعانيه يرى أهمية لنفسه بشكل يجعل هذه الحالة تنتقل إلى مرحلة مرضية بحيث عندما تتحدث مع الفرد العربي يرى بكل ثقة أن العالم العربي أو حتى بلاده الواحدة قادرة على تغيير العالم وعلى أشغال العالم برمته وهنا يختلط الوضع لديك هل هذا جاء نتيجة قناعات حقيقية وشموخ حضاري أم أن المسألة لا تتعدى عن استراتيجية نفخ إعلامي غير حقيقي.

على الرغم أن الاقتصاد العربي لا يشكل إلى نقطة هامشية في الاقتصاد العالمي وعلى الرغم أن الدخل القومي العربي لا يشكل إلا نقطة بسطية من الدخل العالمي وعلى الرغم أن عدد سكان العالم العربي لا يشكل إلى قليل مقارنة بالعالم وحتى هذه القلة من السكان منقسمة بين قيم وأقليات سواء عرقية أو دينية ورغم أن الوضع الاجتماعي والسياسي العربي يعد واحد من اكثر مناطق العالم تخلف ومع كل هذا نجد أن هناك آعتزاز داخلي بهذا العالم يمكن احتمالية ارجاعه إلى مسألة الوهم الاعلامي أو مستلة التعويض أي قلب هذا الضعف وهذا الهوان إلى قوة وهمية داخل الذات كما هي حالة احلام اليقظة لدى المراهق أو المراهقة ويمكن أرجاعه لاسباب حضارية تاريخية خصوصاً وأن العقل العربي هو عقل يعيش داخل البوتقة التاريخية ولم يستطع الخروج منها وذلك لكونه لم يفهم تركيبتها التاريخية وبالتالي لم يستطع تجاوزها وربما يكون الامر يعود إلى خلل حقيقي ببناء منهج التفكير لدى الفرد العربي بحيث خلقت عنده حالة من الامعقولية توهمها ثم تمناها ثم عاشها بعد ذلك وأصبحت جزء منه وهو جزء منها وهذا ما يمكن أن يؤدى إلى حالة من اللاموضوعية في التفكير أو اللاواقعية بطريقة نظرتنا للأمور. بحيث أصبحت النظرة إلى الوقائع والاحداث تقوم على أسس ذاتية محورية فردية وبالتالي كانت المدخلات الموضوعية يتم تشويهها وتحويرها داخل الذات القائمة على الذاتية التاريخية مما يعنى أن تكون المخرجات مشوهة بالذات المريضة بوهم الانا ووهم التاريخ مما يعني خروج النتيجة

مشوهه ايضاً.

ومفهوم اللاموضوعية والذي يرتبط بلاواقعية مرتبط إلى حد كبير في مسئلة الوهم التعليمي بحيث نريد أن نرفع من الجيل الصاعد وبالتالي ونسجنه بالمعلومات والخوارق التى لا يعرفها ولا يفهمها ولا يستطيع حتى تخيلها وبالتالي تتحول إلى حالة بذاتها يدخلها الطالب ويعيش في كنفها ونبعده عن الواقع المرير والذي يراه كل يوم بدون عينين وبدون ذهن واعي وذهن ناقد إنه قد حان اليوم لكي نعلم أبنائنا الواقعية والتفكير الموضوعي وأبعاد الوهم وأحلام اليقظة عن تفكيرهم المستقبلي حتى يكونون اكثر دراية واكثر معرفة للتعامل مع المشكلات الحقيقية والواقعية التى يعشونها كل يوم ومن المتوقع أن يعيشون اكثر منها في المستقبل ولن يكون ذلك بطرق باب الوهم بل بالدخول نحو عالم الواقع والحقائق.

«الجامعات العربية وعربة القطار»

العصر الذي نعيش في كنفه هو عصر الحضارة الغربية بدون منازع.المعارف على إختلاف ضروبها هي معارف ذات منبع واحد واتجاه واحد تنبع من العالم الغربي المتجه نحو العالم . والعالم المتلقي يختلف في قدرات التلقي؛ فهناك المتلقي المستهلك وهناك المتلقي المتعلم ، ولعله يمكن تصنيف بعض الدول الآسيوية بالمتلقى المتعلم وتصنيف العالم العربي بالمتلقي المستهلك . وكنتيجة حتمية للغلبة الغربية فإن العالم العربي يعيش مرحلة إستهلاك دفعته إلى التقليد أي محاكاة الغالب المنتصر والجامعات العربية على امتداد الوطن العربي لا تخرج عن هذه المعادلة ، معادلة الاستهلاك والمحاكاة . والجامعات العربية هي مؤسسات أكاديمية جزء من النظام السياسي والإقليمي العربي وما يسري على الكل سوف يسري على الجزء وإن كانت الجامعات العربية تمتلك نخبة ثقافية متعلمة . والمراقب للجامعات العربية سوف يلاحظ بما لا يقبل النقاش مدى المحاكاة التي تتبناها الجامعات العربية للجامعات الغربية سواء بجانبها البريطاني أو الأمريكي أو الفرنسي فأتت تراقب الجامعات العربية وسوف تجد السمة العربية الاسلامية على مظاهر الجامعة إلا أنه لو فتشت قليلاً عن الأنظمة المأخوذ بها لوجدت أن المضمون النظامي مستلاً استلالاً مباشراً من أنظمة الجامعات الغربية وخاصة الأمريكية . فأنت تقرأ في رسالة الجامعة «رسالة الجامعة الصادرة عن جامعة الملك سعود بالرياض» في العدد ٥٤٥ يوم الإثنين ١١ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ وعلى الصفحة الأولى نتائج بحث قدمه أحد أعضاء كلية الدراسات العليا في الجامعة وكان مضمون البحث يمكن اختصاره بالتالي : « وأشار البحث إلى وجود تشابه كبير في تقويم برامج الدراسات العليا بجامعة الملك سعود وبعض الجامعات الأمريكية من ناحية الأساليب ومواضيع التقويم وعناصره والتركيز على المتطلبات الأساسية لكل برنامج علاوة على وجود تشابه في عملية التقويم الذاتي للأقسام وعمل اللجان الخارجية بين جامعة الملك سعود وبعض الجامعات الأمريكية» عذراً لإطالة الإقتباس إلا أنه شاهد واضح من داخل المؤسسة الأكاديمية على الاقتباس الواضح من الجامعات الأجنبية ، ويحق للسائل أن يسأل وما الضير في ذلك ؟ والجواب قد يكون لا شيء أي لا ضرر من مثل هذا الإقتباس في الجوانب التنظيمية وتبادل الخبرات إلا أن الجامعات العربية ومن بينها جامعة الملك سعود ؛ فقد اقتبست الاستراتيجية والأهداف كذلك والمراقب الدقيق سوف يعرف ويلاحظ مدى الاختلاف في مستوى التنمية التي تعيشها الدول العربية والعالم الغربي والذي يتطلب في رأينا المتواضع أن تكون للجامعات العربية استراتيجية وأهداف تخدم المرحلة الزمنية والتعليمية والتنموية التي تعيشها الدول العربية ؛ وخذ على سبيل المثال الإقتباس

المشوه الذي تأخذ به الجامعات العربية من نظيراتها الغربية هو الإهتمام التام بالبحث العلمي فوضعت الجامعات العربية هذا الهدف من أسمى أهدافها وجندت له الأوراق والمحاضر ، بل وتوقف عليه ، وعليه فقط قضية الترقيه في الجامعات العربية . والنظرة المدققة لهذا الموضوع سوف يكشف أن الجامعات الغربية يحق لها الإهتمام بالبحث وآخر تطوراته سواء على مستوى العلوم الاجتماعية ـ الانسانية أو التكنولوجية العلمية . أما الجامعات العربية فإن تحديد هذا الهدف ساعد على شل حركة وطموح الاستفادة من الجامعات العربية حيث أن الجامعات العربية على اختلافها ليس لديها القدرة المادية الكافية لإقامة البحوث العلمية ذات الفائدة لبلادها وحتى الجامعات التي لديها مقدرة مادية فإن هذه القدرة المادية موجهة للجوانب الجمالية في الجامعات . عليك أن تتصور الحالة التالية : يأتي المتخرج الجديد الحاصل على شهادة الدكتوراه ويعرف عند تخرجه أن السبيل الوحيد للترقيه هو البحث العلمي وأن التدريس وتطوير المعامل ومرافق الجامعة والجهود الثقافية اللاصفية ليس لها نصيب من الترقيه اذاً من أجل الترقيه لا بد من البحث وأي بحث ؟ ! ولكون الجامعات العربية تعيش الظروف العربية . كذلك فإن الباحث في العلوم الاجتماعية والانسانية سوف يسعى سعياً حثيثاً إلى تجنب أي موضوع له علاقة بالعالم العربي سواء من قريب أو بعيد إما لحساسية الموضوع أو لعدم توفر المعلومات أو لعدم توفر القدرة المادية للسفر والبحث عنها من جانب والجانب الآخر هو فقر المكتبة العربية والفكر الأكاديمي العربي بالمنهجيات البحثية التي تخدم العالم العربي من داخله ولمصلحته وتكون النتيجة هو اختيار منهجيات مستلة ومقتبسة لموضوع بعيد عن الواقع العربي والإسلامي والوطني وتأتي البحوث في هذا الفرع الإنساني من المعرفة بعيدة عن الواقع عديمة الفائدة للمتلقي وحتى للباحث ولكن يبقى الهدف هو الترقية من البحث . أما الضفة الأخرى من المعرفة ونقصد بها العلوم الطبيعية والتطبيقية فإن الحالة ـــ في نظري ـــ أكثر سوءاً وأقل فائدة . فأنت تراقب البحوث المنشورة في مجالات الكيماء والفيزياء والأحياء والحاسب الآلي وغيره فسوف تكشف أن الباحث يتابع المجلات والإصدارات العلمية العالمية ويبحث فيها بتأني وتأتي البحوث المكتوبة في هذا المجال على مستوى جيد وراقي إلا أنها عديمة الفائدة للمجتمع العربي والإسلامي الذي لم يصل إلى الاستفادةمن مثل هذه المعلومات وفي كلتا الحالتين أي الجانب الإنساني والعلمي البحت ، فإن الباحث والبحث والمنهج المستخدم غريب من الوضع العربي الراهن ومتطلباته وبالتالي تأتي الفائدة من هذه البحوث قليلة جداً. إن لم تكن معدومة ويبقى الهدف أولاً وأخيراً هو كتابة البحث من أجل الترقية وليس غيرها .

وبناءاً على هذه الخلفية أصبحت الجامعات العربية لا تخلو من جانبين ؛ فالجامعات في الدول المكتظة بالسكان تخّرج أنصاف متعلمين وعاطلين عن العمل أما في الدول التي مازالت بحاجة إلى القوى العاملة الفتية فإنها تخرّج موظفين مصابين بازدواجية الشخصية المعرفية وهناك ضعف

واضح على المستوى المعرفي القريب من الظروف العربية التنموية أي هناك فصل واضح بين هدف الجامعة وهدف التنمية . والسؤال هنا ما هو الحل ؟

الحل من جوانب أن على الجامعات العربية إعادة التفكير والتروّي في دراسة الاستراتيجية والهدف ووضع هدف الجامعة في العالم العربي مواكب للنمط التنموي والمعرفي اللذيّن تعيشهما كل بلد من البلاد العربية . أي أن يكون من استراتيجية الجامعات العربية في هذه المرحلة هو التركيز على إيجاد العقول عن طريق وضع برنامج أكاديمي متكامل خاصة على الجوانب التدريسية أي التركيز على التدريس والبناء العقلي للطالب كما يجب ربط الأستاذ بالعوامل التنموية الوطنية المنتجة سواء في فرعها الإنساني أو العلمي التطبيقي وإعطاء القضايا التدريسية ثقلاً مهماً في الترقيه ووضع الجوائز المخصصة للأستاذ المثالي من حيث قدرته وجهده في تعليم طلبة الجامعة . كما يجب ربط البحوث في الواقع العربي ومحاولة بناء منهجيات قادرة على التغيير والخروج بنتائج تخدم العالم العربي والدول العربية مروراً بالمرحلة الزمنية التي تعيشها كل دولة . كما يجب إعادة النظر في مفهوم أن البحث فقط وسيلة الترقية الجامعية «وإن كنّا نتفق مع هذا المعيار في الجامعات الغربية» حتى لا ينصب إهتمام الأستاذ على البحث الذي لا يرتبط بالواقع العربي والوطني وإهماله التام للقضايا التدريسية والاجتماعية الأخرى .

وأود أن ألمح أن يكون هناك إعادة نظر في النظام التدريسي والبحثي ونظام الترقيه في الجامعات العربية ؛ وإذا ما إستمر إقتباس النظام الغربي بحذافيره فإن الجامعات العربية سوف تبدو في غاية التقدم للمراقب الخارجي إلا أنها في الحقيقة محدودة الفائدة للمراقب الداخلي الذي ينشد من الجامعات العربية مساهمة فعالة في بناء العالم العربي ووقف عملية هجرات الأدمغة سواء مصحوبة بأجسادها أو هجرة الأدمغة وأجسادها تستهلك المنتجات العربية . وإذا لم يحدث مثل هذا التغيير فسوف ينطبق عليها النكتة الشهيرة التي كانت تقال عن وضع الاتحاد السوفيتي السابق أنه مقبل على الإنيهار والإفلاس ؛ فيما كان القائمون عليه يفترضون أن كل شيء يسير على ما يرام ، والنكتة تقول : أن بريجنيف الزعيم السوفيتي الشهير الذي طال مكوثه على رأس الكرملين عندما اكتشف أن نظام القطارات السوفيتية لا يعمل بشكل جيد كما هو الحال في الغرب طلب أن يجلس هو ورفاقه في أحد عربات القطار وطلب أن يقدم له مشروب الفودكا الاثير لديه وأمر العمال هزّ عربة القطار حيث تبدو له ولرفاقه أنها تسير وهي في الحقيقة تراوح مكانها وأثناء ذلك أخذ يعطي الرفاق محاضرة عن تقدم الدولة العلمية السوفيتية الاشتراكية وتخلف العالم الغربي.

الديمقراطية والعالم الضعيف

الديمقراطيه ليست نظاماً مناسباً لكنها أفضل الممكن بهذا المعنى أو نحوه قال ونستن تشرتشل واصفاً النظام الديمقراطي الغربي وبالاحرى النظام الديمقراطي فى العالم الغربي وبشكل أكثر دقه واصفاً الفهم الغربي لأطروحات فلاسفه وعلماء العقد الاجتماعي جون لوك، وهوب،ز وجان جاك روسو، ثم جون ستيورت ميل، وآدام سمث بشقه الاقتصادي حيث تلخص المفهوم الديمقواطي الغربي برأي الأغلبيه الذي يكون له كلمة الفصل فى التصور العام للسياسة بشكلها العام والشامل وإن كان رأي الأغلبيه يكون أكثر تأثيراً وأهمية فى الشؤون الداخليه عن الشؤون الخارجية وذلك راجع لأرتباط البعد الداخلي بحياة الفرد اليوميه وتحديدها وتأثيرها على مداخيله وسلوك ونمط حياته بينما السلوك الخارجى للدولة فإنه يتميز بعدم الوضوح وعدم تأثيره المباشر على المداخيل الفرديه لأنه يتحقق في فترات زمنيه متباعده، لذلك كلة فإن الفرد العادي يكون أقل حماساً للأهتمام بالسياسة الخارجيه. ومن هنا جاء الأرتباط الوثيق والواضح بين تأثير الأغلبية والسياسة الداخليه. وهذا المفهوم للديمقراطية يعكس الحياة والبعد الاجتماعي والخلفيه الفلسفيه الاجتماعيه للعالم الغربي حيث أتسق رأي الاغلبيه مع القيم العليا والاهداف البعيده للدولة أي دولة فى العالم الغربي مع الأحتفاظ بحقوق الأقلية سواء ببعدها الوطني أو القانوني أي أن الديمقرطية البريطانية ليس لديها تعارض بحرياتها وقيمها الفلسفيه مع البعد الاجتماعي الديني البروتستنتي حيث تم التوافق بين تركيز الفلسفه الديمقراطية على البعد السياسي، والفلسفه الدينيه الاجتماعيه على البعد الفردي الشخصي وهذا يصدق على توافق البعد الفلسفي الديمقراطي في فرنسا مع القيم الاجتماعيه الكاثوليكيه بمعنى اخر أن ديمقراطيه بريطانيا وفرنسا لم تتناقض مع قيمها الاجتماعيه أو الاطر الاجتماعيه العامه رغم اختلافها بين الدولتين. وفي المقابل نجد المحاولات القليله لزرع البعد الديمقراطي في العالم الثالث بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص تعارضت مع القيم الاجتماعيه العليا أو القوميه للمجتمع بل كادت الأقليات العربية الغير مسلمة أن تقوم بدور الأغلبية وتفرض قيمها الاجتماعيه والثقافية على الاكثريه المسلمة هذه المحاولات كان لها الفشل مع بداية الحركات الاستقلالية العربيه وأنزياح العناصر المسيحيه عن تصدر الواجهات الفكرية والعسكرية والسياسية فى العالم العربي.

وبالعوده إلى صلب الموضوع وحيثياته فإن الديمقراطية الغربيه أرتبطت كذلك بالقدرة العسكريه والسياسية والاقتصادية التى دفعت القدرة العسكرية بالتوسع نحو العالم ثم ترجمت هذه القوه المتعددة الاطراف إلى تصدير ثقافي ونموذج حياتي بمعنى آخر أن الحياة الاشراقيه

الفكريه التى خلفت المفهوم الفكري الحر جر إلى المفهوم الاقتصادي الحر والمفهوم الاقتصادي الحر دفع إلي المزاوجه والتناغم بين الاقتصادي والاهداف السياسية دفعت إلى الحركه الأستعماريه والحركه الاستعماريه تحولت الى تصدير النموذج الفكري والسياسي أو ما يطلق عليه الامبريالية بمفهومها القديم والحديث والمعاصر. ما يرمى اليه هنا أن حلقة وموجات التحول الفكري العلمي تحول إلى منهجية أقتصادية، أي مفهوم الحريه الفكريه تحول إلى مفهوم حريه أقتصاديه والتى دفعت تزاوج المصالح بين الاقتصادي والسياسي إلى حركة أستعماريه ومن أجل أستمراريتها وفعاليتها تحولت إلى منهجية أستعمارية فكريه أو ما يطلق عليه الامبريالية أو الغزو الثقافي. كل هذه التحولات كانت تعمل على تعميق المفهوم الديمقراطي الغربي بمعنى آخر أنه تم دعم وتجذير المفاهيم الديمقرطية في الغرب على حساب العالم المَستَعر أو العالم الخاضع ولهذا فأنه تتضح وتتكشف لنا أن الديمقراطية الغربيه هي فلسفه سياسية يعمل بها داخل ردهات القاعات السياسية الغربية ثم تغيب عندما يأتي التعامل مع الآخر أي أنها ديمقرطية الاغلبيه الداخليه وليست ديمقراطية السياسة الخارجية.

ولهذا تتضح لنا القيم الديمقراطية العريقه في أمريكا وبريطانيا على سبيل المثال عندما تتصفح أو تراقب السياسة الداخليه في كلتا الدولتين بينما تغيب مثل هذه القيم عندما يكون التعامل مع الخارج وتتسم سياساتهم بالمناورات السياسية على الطريقه المخابراتيه. وهذا كذلك يقود إلى أن النظام الديمقراطي ليس بالعملية السهله أو الرخيصة فبدون القدرة المادية الهائلة فإن الديمقراطية تفقد دفعها الحقيقي وفعاليتها الحقيقيه وان كانت دولة مثل الهند تعد استثناء لهذه القاعدة وذلك لأن الهند فقيرة على المستوي الفردي إلا أنها غنيه على مستوي الدولة بمكانتها وعدد سكانها ومقدراتها الطبيعية.

إذا كانت الديمقراطية تحتاج إلي رخاء مادي وقدرة أقتصادية وسياسية وفكرية وثقافية من أجل حراسة وتمويل الفكر والفلسفه الديمقراطية من أجل أستمراريتها وفعاليتها فماذا يمكن أن يكون نصيب العالم الضعيف أو الدول الضعيفه من الديمقراطية سواء بضعفها السياسي أو الاقتصادي أو الفكري الفلسفي. أنه من الملاحظ أن الدول الضعيفه أقتصادياً أو سياسياً نجدها تحاول ممارسة الديمقراطية ولكن تأتي النتائج والاجراءات الديمقراطية بشكل مشوه بعيداً عن المفهوم الحقيقي والهدف المنشود من الديمقراطية أو سلطة ورأي الأغلبية فعلى سبيل المثال فإن المراقب للأنتخابات الروسيه الأخيره سوف يراي التالى : أن روسيا تعد أحد الدول الضاربه والقويه على المستوي العسكري مع تعرض قدراتها العسكريه التقليدية للهزات الحقيقيه سواء بالفساد الادراي الداخلي أو أنحسار الدعم السياسي والاقتصادي السابق للجيش وروسيا تعد كذلك أحد أكثر الدول تحولاً وتغييراً في العصر الحديث حيث تمر بمرحلة مخاض قويه تنقلها من النظام الشمولي السابق إلى نظام السوق الاقتصادي وهذا جعلها تعيش في مرحلة أرباك

وضعف اقتصادي على الرغم من ثراء الدولة على المستوي الجغرافي والمواد الخام والقدرات المعرفيه. بهذه الخلفيه دخلت روسيا المفهوم الديمقراطي والانتخابي أي أنها دخلت اللعبه الديمقراطية وهي تفتقد عناصرها الأساسية منها القدره الاقتصاديه والفعاليه الادارية والسياسية وقدرتها على التأثير الفكري الخارجي فجاءت انتخاباتها مشوهه لا تعكس البعد الحقيقي للديمقراطيه بمفهومها الفلسفي حيث أن المراقب للانتخابات الروسيه سوف يلاحظ التأثير الخارجي القوي (وهنا لا يهمل البعد الداخلي تماماً ولكن يتعاظم البعد الخارجي بالمقارنة مع الدول الديمقراطية الأخرى) على سير الانتخابات وذلك عن طريق تصريحات الزعماء الغربيين لتفضيلها الرئيس بوريس يلسن للأستمرار بادارة دفه السياسة الروسيه من الكرملن وهذه التصريحات تؤثر بشكل أو بآخر على النمط الانتخابي الروسي إلا أن أكثر عاملين أستطاعا التأثير على الانتخابات الروسيه من بعدها الخارجي هما : ـــ

أولاً الاعلام الغربي والثاني الادارة الامريكية.

أولاً : الاعلام الغربي حيث لعب دوراً نفسياً قوياً لدى الناخب الروسي فى أبراز الرئيسي الروسي بوريس يلسن على أنه رجل الدولة الذي يعرف كيف يتعامل مع العالم الخارجي وخصوصاً الغربي ويستطيع الحصول على مكاسب منهم ومن جانب آخر أظهار المنافسين على أنهم يريدون اعادة دورة الساعه السياسية إلى الخلف باضفاء المفاهيم الماركسيه الستالينيه ومحاولة تشوية أمكانية ذلك وطوباويته. والحملة الاعلامية شاء الناخب الروسي أم لم يشاء أثرت على قطاع لا بأس من الشرائح السكانيه التى أستفادة من النظام الاقتصادي الانفتاحي الجديد وعبأت القيم الدينية المحافظة في روسيا.

والعامل الثانى : هو السياسة التداخليه التى انتهجتها الأدارة الأمريكيه في الانتخابات الروسية وحاولتهم أنجاح الرئيس الروسي ضد منافسيه وذلك بتقديم قرض من البنك الدولي بقيمة عشرة بليون دولار يدفع جزء منه للرئيس الروسي للقيام بتكاليف حملته الانتخابيه والتى أستطاع الرئيس الروسي توظيف هذه الأموال لدفع مرتبات الموظفين المتأخره خلال زياراته المتعددة للأقاليم الروسيه والتى كان يصحب معه وزير الماليه لهذا الغرض ولم يكتفي الرئيس الروسي بدفع مرتبات هؤلاء الموظفين بل دفع الكثير من المبالغ لتشغيل الكثير من المصانع المتوقفه عن العمل من جراء الوضع الاقتصادي المتهالك هناك. كل هذه العوامل أعطت أنطباع لدي الفرد الروسي بالرجوع إلى الحياة الطبيعيه وبالتالي إلى التصويت لصالح الرئيس الروسي. هذه الأصوات صوتت لصالح الرئيس الروسي ليس لكفاءته السياسية أو الاقتصادية وأنما للقرض المقدم من البنك الدولي والمقترح من الأدارة الأمريكيه. وذلك راجع إلي أن الأدارة الامريكيه مقتنعه بأن مصالحها الاستراتيجية في روسيا تسير مع أستمرار الرئيس الروسي بالسلطة والدافعة إلى دعم أستقلال الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي وأضعاف روسيا على

المستوي الاقتصادي والذي سوف يترجم إلي مساعدات ومزيد من المسادعات الغربيه سوف يتم التفاوض عليها مستقبلاً ومقايضتها بالتنازل عن الترسانه النوويه الروسية أو جزء منها إو على الأقل تعطيل برامج تطويرها. التأكد من التحول الروسي إلى أقتصاد السوق وربطه بالعالم الغربي وخصوصاً بالاقتصاد الامريكي وذلك من أجل فتح أسواق جديدة للسلع الأمريكية لأكثر من ١٦٠مليون روسي.

خلاصة القول هي أن الديمقراطية ليست فقط تحتاج إلي فعالية سياسية بل إن الديمقراطية بمفهومها الفلسفي نظام سياسي بالغ التكاليف ويحتاج قدرة سياسية وعسكرية وفكرية وأقتصادية هائلة من أجل تموينها وحمايتها وإن لم يكن كذلك فإن البديل هي ديمقراطية مخترقه من الخارج يكون الصوت الخارجي أكثر روراجاً وتأثيراً من الصوت الداخلي حيث شاهدنا ونشاهد كيف يتم توظيف بعض الاحزاب السياسية في العالم الثالث ودعمها من الخارج لتحقيق أهداف العالم الغربي الغني وبدون ديمقرطية حقيقيه لديها القدرة على الاستقلال الحقيقي الداخلي والخارجي وبدون قدرات حقيقيه لحمايتها فإن عدم وجودها يكون أكثر فاعليه.

على المستوي التنموي والسياسي، والديمقراطية المخترقه سوف تكون أكثر العوامل التى تدفع إلى التبعيه الدكتاتوريه المغلفه بالديمقراطي أو الانتخابات الصوريه المزورة.

الديناميكية الاجتماعية

ان المقارنه السريعة التى يمكن أن يسوقها المراقب الاجتماعي البسيط وغير المتخصص يمكن بدون عناء أن يلاحظ هذا التغيير الواضح والقوي في السلوك الاجتماعي اليومي والذوق الاجتماعي العام من مفهوم البساطة الاجتماعية الى مفهوم الاستقلال المالي والفكري الى مفهوم الاختلال الفكري الجيلي الى مفهوم تغير نظره وتفكير المرأه بشكل لا يمكن الربط بين المراء في الماضي واليوم وهذه التجربة تكاد تكون في مرحلة التوسع القوي في المجتمعات الغربية التى عرفت مفهوم الانفتاح الاجتماعي منذ فترة زمنية كبيرة ويمكن التأريخ لها في مطلع الستينات من هذا القرن أي قبل ما يقرب من أربعون سنة وهذه المرحلة حددت مفهوم الانفتاح الاجتماعي الكبير والهائل بل والثورة في هذا المجال. ومنذ ذلك التاريخ والعالم الغربي يعيش مرحلة الصراع الاجتماعي الهائل بين رواد حقوق الرجل والمرأة وبين المنادين بالقيم الاجتماعية الكلاسيكية، بين المنادين بالتقيِّد بالقيم والتقاليد الاجتماعية وبين المنادين لفتح انفاق وجيوب داخل هذا الهرم الاجتماعي القيمي ومنذ ذلك التاريخ والمجتمع الغربي يعيش مرحلة الصراع مع الذات وهذا الصراع عرف مفهوم حقوق القوى الاجتماعية المختلفه من أكثرها بساطه وعفوية الى اكثرها تعقيداً وغرابة إلا أن ما يميز هذا الصراع أنه في غالبة كان صراعاً سلمياً ولم يتسم بالعنف إلا في مراحل قليلة. هذا الصراع رغم شدته وهذا القوى رغم غرابة بعضها إلا أنها استطاعت أن تستمر داخل بوتقة الفلسفة الغربية الداعية الى المأسسة الفكرية وتسعى الى تحقيق أهدافها بشكل سلمي داخل أسس المؤسسات السياسية والاجتماعية دون اللجوء الى العنف والعنف المضاد بل كان البعد الفكري والتحدي العقلي هو المحرك لمثل هذه الاختلافات على الرغم من بعد بعض الاطروحات الفكرية عن القيم والمثل الاجتماعية التى سبقتها إلا أن المؤسسة الاجتماعية لم تشعر بالحاجة للجوء الى العنف لنفي الآخر.

ان ما حدث للغرب من تغيرات اجتماعية قادتها التغيرات العلمية والسياسية والاقتصادية اليوم نراها على وسائل الاعلام والاتصالات المختلفة بشكل يبهر المطلع على المجتمع الغربي قبل هذه النقلة الهائلة في عالم المعرفة والتكنولوجيا سوف يكتشف أنه بفعل هذا التطور الغربي وحسب المعطيات العالمية على المستوى الحضاري والاقتصادي فإن النموذج الغربي الحضاري ولا أقول السلوكي وهناك فرق حقيقي بين النموذج الحضاري والنموذج السلوكي. أقول أن هذا النموذج الحضاري الغربي أخذ يتواجد في كل رقاع المعمورة بل أن هذا الاختراق دخل مناطق كانت عصيَّة على الحضارة الغربيه ومنها المناطق الريفية والنائية. بمعنى آخر أن قيم الحضارة الغربية كانت ترتكز على التجمعات الحضرية والمدن الكبيرة والشهيرة والساحلية أما اليوم فإن

هذه القيم أخذت تجتاح المناطق الريفية والنائية في جميع أنحاء العالم مدعومة بفعل القوة الاقتصادية الهائلة والقدرة التكنولوجية المذهله والوهج الحضاري الغربي ولم يعد هناك مناطق أصبحت عصيّة على هذا الحضور والتواجد.

أن الصراع الاجتماعي السلمي الذي عاشته المجتمعات الغربية مع هذه التغيرات الاجتماعية الكبيرة تطرح نفسها سؤالاً قوياً وهو هل سوف تكرر ذاتها بصرعاً سلمياً عندما تصدم هذه القيم الحضارية الغربية مع القيم الحضارية خارج دائرة الحضارة الغربية وبالتالي تتكرر التجربة الغربية الداخلية الى تجربة عالمية وهنا يكون هناك شبه صراع سلمي بين القوى المتصارعة أم أن التجربة الغربية سوف تكون فريدة بذاتها ولا يمكن أن تتكرر في مناطق أخرى مما يعني أن يحدث صراع حاد وحتى دموي داخل المجتمعات التى تصتدم فيها الحضارة المحليه مع القيم الحضارية الغربية المنتشرة وبالتالي يحدث هذا الصراع الاجتماعي الذي يقود الى تفكك المجتمعات الأخرى بشكل يسمح للقوة الغربية بالاجتياح السريع نتيجة لضعف وصراع المجتمعات الأخرى مع ذاتها ومع قيمها.

وهذا الصراع الذي يمكن حدوثه ليس كما وصفها السيد هنتنغتن في صراع الحضارات والذي كان يطرحها على أنها صراع حضارتين على حدود تماسهما مثل ما أطلق على مفهوم حدود الحرب أو حدود الدم والتى تعنى تصادم حضاري على حدود التقاء حضارتين ولكن المفهوم الذي أطرحه هنا أن الصراع هو صرعاً حضارياً أجتماعياً ليس على الحدود بل في قلب ومراكز تجمع حضاري واضح استطاعت الحضارة والقيم الاجتماعية الغربية أن تخترقه بشكل وأسلوب لم يسبق له مثيل وبالتالي فإن السؤال الذي يجد مشروعية طرحه هو: ما مدى أستعداد الشعوب والقوى الأخرى غير الغربية ومنها الشعوب الاسلامية والعربية اقول ما مدى استعداد هذه المنطقة لمحاولة فهم هذه الجدلية والتعامل معها حتي يتم العمل لصالح مجتمعاتنا العربية والاسلامية بعيداً عن الصراع الداخلي بل وحرب القوى الداخلية بين مؤيد ومعارض يخرج عن الأسس السلمية والعقلية الى مفاهيم صراعية يمكن أن تتحول إلى مجال وساحة للعنف ان هذا السؤال يبقي ملح على كل قوى المجتمع وبدل من التنافس الاقتصادي أي محاولة كل طرف أقصاء الآخر لابد من أيجاد صبغة سلمية للتعامل مع الأتي خصوصاً وأن الوقت يمكن أن يكون لصالح الصيغة السلمية المعتدله والتغيير المدروس بدل من أن يكون العنف سيد الموقف أو أن تكون الغلبة كلها لصالح القادم من القيم الدخيله في حالة الجمود وعدم التعامل العقلاني مع المعطيات الجديدة.

الرفاهية كأساس للشرعية

من العوامل التى جعلت النظام السياسي الدولي الحالي اكثر ديناميكية هو انتصاراته لديناميكية النظام الرأسمالي أي عولمة النظام والقيم الرأسمالية أي أن انتصار أوروبا الرأسمالية أو شبة الرأسمالية كانت بمثابة تعميم هذا النموذج على العالم ولكون الرأسمالية كانت عكس الاشتراكية والماركسية أي أنها تمجد القيم الفردية ومفهوم الحرية الاقتصادية التي أخذت مفهوم الحرية الفردية بكل أنواعها بما فيها الاقتصادية وفي المقابل فان المفاهيم التي كانت ترتكز على المفهوم الاجتماعي وما يحتويه من أبعاد ثقفاية أيديولوجية أو اخلاقية سلوكية أخذت بالتراجع إلى حد لم يسبق له مثيل وهذا لا عنى أبداً أن الايديولوجية والقيم الاجتماعية أصبحت مفقودة أو منقرضة في المجتمعات الغربية بل هي موجودة وكامنة في الوقت الحاضر وأنحصرت في دوائر الحلقات الاخلاقية والدوائر الدينية المسيحية إلى حد ما.

أقول أن النجاح الذي حققه المفهوم الرأسمالي على المستوى الاقتصادي من قدرته على أستخراج وشحذ همم الانسان الفكرية والعقلية أوصل الانسان الى نتيجة مفادها: إذا كانت الفلسفة الرأسمالية قادرة على هذا التطور المادي الهائل فإنها قادرة على أستيعاب أبعاد الانسان الأخرى سواء الاجتماعية أو النفسية.

ومن هذا المنطلق أصبح مفهوم الرفاهية الاقتصادية وتحقيق الاكتفاء المادي السلعي واحدة من أهم غايات الانظمة السياسية خصوصاً وأن هذه المواد السلعية الرأسمالية قادرة على التعويض عن الأبعاد النفسية والاجتماعية ولو لمرحلة زمينة معينة ولذلك أصبح مفهوم الانحسار الايديولوجي وانحسار القيم الاجتماعية يتزامن بشكل عكسي مع توسع مفهوم الأشباع المادي السلعي اليوم وأصبحت دول كبيرة منها الصين واليابان ثم كوريا الجنوبية ويمكن ان تلحق بها اندونيسيا وماليزيا في زحزحت المفهوم الايديولوجي كمصدر لتعزيز قوة النظام السياسي ومدى قبولة العشبي بمفهوم شرعيه قائمة على توفير الخدمات والسلع الاستهلاكية أي بمعنى الاستعاضة عن الرضى النفسي القائم على القيم والمعتقدات حتى وإن كانت قيم ومعتقدات سياسية أيديولوجية إلى رضى وشعور بالذات عن طريق توفير مستلزمات الرفاهية الاجتماعية ولتكون الفكرة اكثر وضوحاً فان الصين تحولت من مفهوم أرضاء الجماهير بالقيم الماركسية اللينينية التى تمجد البعد الجماعي والصين واحدة من الدول التى تقدس البعد الجماعي سواء على مستوى العائلة أو القرية ثم بعد ذلك أستعيض عنه بالمفهوم الماركسي الماوي من أجل أصباغ مفهوم الصينية عليه أي جعله

جماعي أيديولوجي ولكن بوجه صيني بدل من أن يكون لينيني روسي. ومع تغير القيادات الصينية التى كانت تتصارع بين مفهوم التجديد والتحديث والقوى الايديولوجية التقليدية فان الجيل الجديد أخذ بالمفهوم الاقتصادي المادي الفردي بشكل تدريجي من أجل أرساء دعائم للشرعية جديدة يرتكز عليها الزعماء الجدد عوضاً عن مفهوم الايديولوجي الماركسي الصيني.

ونحن نشاهد اليوم القيادة الصينية التى ساهمت في هذا التحول إلى مفهوم النظام الرأسمالي بنظام سياسي ماركسي ثم ماوي هي التى تمسك بهذا الموروث الايديولوجي بنيما نجد ان القيادات الشابة في الصين أخذة تحاول إيجاد موطيء قدم لها في الخريطة السياسية الصينية تحت مفهوم أحياء ليبرالية النظام السياسي عن طريق الربط بين التحديث الاقتصادي والسياسي وإن كانت هذه الدعوات هي حبيسة الجدل الداخلي شبه الرسمي أو على مستوى قيادات الجيل الثاني والدوائر الفكرية فإن سلوك النظام السياسي ونتيجة رد فعله العنيف تجاه أي حدث ضد الويالات المتحدة الامريكية فانه يعكس التشنج والاختلاف الداخلي اكثر مما يعكس حقيقة الموقف للحكومة الصينية. بمعنى آخر أن رد فعل الصين القوي والحاد من قصف السفارة الصينية في يوغسلافيا ورد الفعل القوي من قبل الصين وتشجيعها لاقامة المظاهرات أمام السفارة الامريكية والبريطانية وأبراز هذه الحادثه بشكل مأساوي فإنه يعكس بشكل قوي البعد الداخلي من تحذير النظام السياسي الصيني والحرس القديم للقوى المتنامية داخل النظام الصيني لمحاولة التقرب من الولايات المتحدة الامريكية والغرب وهذا ما دفع الولايات المتحدة الامريكيه على لسان رئيسها بيل كلنتون ان يعتذر ثلاث مرات في مناسبات مختلفة للصين بشكل صريح وواضح ليس لان الصين لديها القدرة على تهديد القوة الامريكية وليس لان الصين لديها القدرة على التأثير على الاستراتيجية الامريكية في أوروبا أو حتى في آسيا بل لكون الرئيس الامريكي يعي أن أجنحة التصارع داخل النظام السياسي الصيني مازالت في بدايتها وان جناح التوجه الغربي لم يصبح بالقوة الكافية فهو يحاول عدم تهديده بالسلوك الامريكي من قبل القوى الصينية المتمسكة في البعد التقليدي الداعي الى التطور الاقتصادي واحتفاظ النظام السياسي الماركسي بطريقته بالحكم.

وإذا كان النظام السياسي الصيني قد نجح إلى اليوم بشكل جيد وهائل في تحويل مصادر شرعيته وقبوله والتحول من البعد الايديولوجي الماركسي ذو الصبغة الصينية المرتبطة بالشخصية الجذابة للسيد مارتسي تونغ الى بعد الانجازات الاقتصادية البحته الغير مرتبطة بالبعد السياسيس المعنوي وان الجيل الجديد فأن الصينيون سوف يطرحون في المستقبل الربط بين بعد الرفاهية الاقتصادية وتطويرها مع اعطاء مفهوم تحقيق الحقوق

السياسية والبعد السياسي أهميته وحجمة ونقل الهم السياسي من دائرة الخاصة الى دائرة العامة عن طريق الانفتاح السياسي وهذا سوف يطرح بالمستقبل على أنه أحد أجنحة الشرعية السياسية للجيل الجديد من القيادات الصينية والتى سوف توطيء نفسها والشعب الصيني لامكانية قبول الصين كدولة عظمى لها صوت ورأي في النظام الدولي بشكل اكثر وهو أحد مراكز ومنطلقات الشرعية الصينية التى سوف تخدم الجيل الجديد من القيادات الصينية في المستقبل.

العالم الثالث... والزعيم الموهوب

منذ أن طوت الحرب العالمية الثانية فلولها كان آخر مفاهيم الزعيم الموهوب لدى العالم الغربي أخذ بالأفول بل والانقراض حتى أن زعيم مثل الرئيس الفرنسي ديغول واحد من قيادات فرنسا الأستقلال وصاحب إعادة بناء فرنسا الحديثة وضع كل مالدية من مكانة وأحترام أمام الشعب الفرنسي من أجل أن يوجد بعض التغييرات على الدستور الفرنسي فقرر الشعب الفرنسي التخلص من الزعيم الموهوب بالتصويت ضد رغبات السيد ديغول دافعاً به نحو الاستقاله والانحسار السياسي المبكر. والولايات المتحدة الأمريكية بمؤسساتها الديمقراطية والاعلامية نسفت واحد من اكثر الدهات السياسيين الامريكيين بعد الحرب العالمية الثانية وهو السيد نيكسون والذي يعد واحد من معلمي وراسمي السياسة الخارجية الامريكية والتي نرى نتائجها اليوم. و مع كل هذه المكانه فإن فكرة الزعيم نيكسون نسفت في فضيحة وترغيت التى اطاحت بالسيد نيكسون بشكل مبكر وأعلنت أنتهاء هيمنته السياسية.

هذه النماذج جزء من كل وامثال من أمثله للمرحلة التى عاشتها المؤسسات السياسية الأوروبية والامريكية بعد الحرب العالمية الثانية من محاولة الحد من هيمنة الزعيم والحد من فكرة أهمية القائد الموهوب وعهد نهاية الزعيم الغير منازع والمفكر السياسي الشامل تاركتا الباب مفتوح لعهد جديد من التفكير أو خط جديد من الايحاءات التفكيرية أو مؤسسة جديدة من التفكير كما أطلق عليها السيد تاموس كون (البراديم) أي اليه جديدة من التفكير نتيجة معطيات جديدة من الظروف خلقت طريقة منبثقه وجديدة في طرح القضايا والوصول الى النتائج.

وفي الوقت التى تخرج منه أوروبا الى حد بعيد من التشكيل الذهني الحامل لمفهوم الزعيم أو القائد الموهوب فإن دول العالم الثالث دخلت هذا النمط التفكير حول مفهوم الزعيم بشكل قوي وواضح بل أصبح هذا النمط التفكيري من مفهوم الزعيم والقائد الموهوب مسلح بأهلية إعلامية وبروقراطية ومصالح مختلفة لدرجة أنها أضفت عليه الطابع الهائل والمدلول الرمزي بشكله الاكثر. أن حركات الاستقلال وحروب الانعتاق من هيمنة الدول الغربية كان واحد من العوامل الهامة التى ساعدت على أحداث مثل هذا النمط التفكيري حول مفهوم القيادة الزعامية الموهوبة وكانت هذه المفاهيم تتكي علي تراث من هذه المفاهيم ولكن بدل أن تكون مغلقة على جزء من المجتمع فإنها أصبحت اكثر شمولية يدعمها آليه جديدة من التطور

التقني سواء الفكري أو الاعلامي ويدعمها كذلك آلية أيديولوجية ساعدت على تحديد الخيارات لدى البسطاء أوجدت أرضية خصبة من أجل اتساع ونفوذ مفهوم الزعيم وسطوتها وهيمنتها.

وبالفعل فإن مفهوم الزعيم يكاد يكون واحد من أهم المواضيع التى شغلت الاعلام للعالم الثالث وشغلت اكثر الوثائق الحكومية في العالم الثالث واكثر الاحاديث الاجتماعية على مدى أربعة الى خمسة عقود من الزمن أي منذ الحرب العالمية الثانية وهي مرحلة الاستقلال على الرغم من أن مفهوم الزعيم لم يأخذ القدر الكافي من البحث والتقصي فى أدبيات الكتابات السياسية والاجتماعية والنفسية وعلى الرغم من أهتمام الدوائر الفكرية الغربية بهذا الجانب وأهتمام أقوى من قبل الدوائر السياسية الغربية بهذا الجانب أي أهمية الزعامة في العالم الثالث ودورها الرئيسي والهام في تحديد الخيارات السياسية لدول العالم الثالث ولا أدل على ذلك من متابعة الوثائق الحكومية الامريكية والبريطانية والسوفيتية وخصوصاً في المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفيتي الذي تحول الى دعم الزعامات اكثر من الفكرة والشعوب.

ومن الملفت للنظر في دراسة وتقصي مفهوم الزعيم الموهوب والقائد الفذ هو أن انتشاره بشكل متفاوت في دول العالم الثالث والشيئ الذي يمكن للمراقب غير المتخصص هو أن المؤسسات العسكرية أنتجت مثل هذه الشخصيات والذهنية بشكل قوي وحاد لدرجة ان اكثر الزعماء أهتمام بمفهوم الزعيم الموهوب والشخصية الفذة هي من انتاج المؤسسات العسكرية. بل أن الكثير من هذه الشخصيات التى تخرجت من المؤسسات العسكرية وكان شيء طبيعي أن يكون التكوين العسكري أحد منتجي هذه النظرة السياسية المريضة التى عانت منها دول العالم الثالث بشكل واضح حيث أنتجت هذه المؤسسات العسكرية اكثر هذه الشخصيات أهتمام بهذا البعد وطرح أدواتها على انها أحد أقطاب القيادات العالمية على الرغم ان بعضها يتربع على اكثر دول العالم فقراً وهامشية سواء على المستوى الفكري أو السياسي أو الاستراتيجي أو الايديولوجي أو الاقتصادي وبالتالي فإن المراقب لا يحتاج الى كثير من العناء ليرى أن مفهوم الزعامة القيادة الشاملة والزعيم الموهوب تكاد تكون اكثر وضوح في الانظمة العسكرية في دول العالم الثالث ثم تبداء بالتفاوت والتدرج الى الانظمة السياسية الاخرى. والشيء الملفت للنظر هو يكاد يكون هناك علاقة جدلية وتصاعدية تجمع بين مفهوم سطوة شخصية الزعيم وأنفرادية السلطة ومستوى التخلف السياسي والاقتصادي والتعليمي لهذه الدول تحت قيادة الزعيم الفذ الموهوب بل ان الناظر لخريطة دول العالم الثالث يجد بدون عناء أن أكثر الدول تخلف على اكثر المستويات هلي الدول التى تدعي أن لديها زعيماً موهوباً وقائداً فذاً.

وهذا يعكس فيما يعكس أن مفهوم الهيمنة القيادية لهذه الدول تعكس مدى أنفرادية القرار السياسي والاقتصادي بيد فرد واحد بدل من أن تكون بيد خبراء ومتخصصين في المجالات المطروحة. وبدل من توزيع المهام المختلفة على التخصصات المختلفة، فإن القائد الموهوب يدعي معرفته بكل شيء دون أن يجد أي نقد أو تقبل وجهة نظر مختلفة من هذا كان تفوق الغرب ومن هذا كان تخلف دول العالم الثالث هو بجماعية القيادة هناك وفردية القيادة في دول العالم الثالث، يجعل القرار من صناعة القائد الموهوب الشامل فقط في دول العالم الثالث ويجعل القرار هو من اختصاص المفكر والخبير بالتجربة والمعرفة والجماعية التفكيرية هي من سمات العالم المتطور.

العالم العربي ... عالم الايدلوجيا

إن الأرقام التى تخرجها دوائر البحث والاحصاء عن التوجه الاقتصادي العالمي تصيب الانسان العربي بمزيد من ضبابية المستقبل بل تقرن العالم العربي ذلك الموقع الجغرافي والمناخي الجيد والمخزن من الحضارة والطاقة بالعالم الاكثر تخلف أي ان العالم العربي يأتي بدرجة أعلى بقليل بعد افريقيا ولكن نصيب هذا العالم مقارنة بالعالم الغربي أو الطاقة الاقتصادية والبشرية الهائلة التى تنبعث من شرق آسيا تشعرنا بالمأزق الحقيقي الذي يعيشه العالم العربي.

الارقام واضحة ومخيفه الى حد بعيد وهذا القلق رن جرس الأيقاظ ليس هذا معنى من معاني جلد الذات مثلما يسوغ له المتفائلون بدون أرقام واضحة أحياناً والمنافقون أحياناً والجاهلون فى أحيان أخري وأنما الأرقام تدل أن العالم العربي ينزلق في مهاوي حضارية وأقتصادية يمكن أن تجعله هامشياً في المستقبل المنظور وقد لا يختلف عن كثير من دول أفريقيا المصدرة للمادة الواحدة مع حالة من الفقر والعوز الهائلة.

إن المراقب للنشاط الاقتصادي الدولي وتوجهات الاقتصاد العالمى لا يملك إلا أن يخاف من المستقبل خصوصاً إذا ما اطلع عن كثب للطاقة البشرية الهائلة والاقتصاد والديناميكي الذي تتمتع به دول شرق آسيا ويقارن ذلك بالمختراعات الجديدة التي تحفل بها الدوائرالفكرية والتكنولوجية في العالم الغربي ثم يقارن كل ذلك بحالة الاعياء الاقتصادي للعالم العربي وحالة الشلل الفكري الذي تعيشه الشعوب العربية وحالة الجدل الايدلوجي الهائل الذي يتخبط به الفكر العربي.

الفكر العربي في مشرقه ومغربه دخل نفق المقارنه الغربيه ولم يخرج منها والمتابع لكل الكتابات الفلسفية سواء على البعد الاجتماعي أو الاقتصادي لم يخرج من دائرة المقارنة حتى ما يعرف بالاصالة كنقيض للمعاصرة هو نوع من هذه المقارنة ولذلك فبدأ من أن يساهم الفليسوف العربي والمثقف العربي بالنهوض أصبح الى حد ما جزء من الحلقه الايدلوجية المفرغة التى يعانيها الوطن العربي. بل ان مفهوم الاستيعاب والتجاوز التى أطلقها العديد من المفكرين أصبحت توصل الى نفق واحد اسمة التقصي والمقارنه أي تقصي الماضي ومقارنته في أوروبا والحصيله دائماً ايدلوجيا تدخلنا في مزيد من الايدلوجيا وحالة من الانطلاق الى مزيد من الانطلاق .

لقد سلط الضوء بشكل كبير على التجربة الأوروبية وهي حرية بالبحث والتقصي ولكن

يجب الالتفات الى التجربة الآسيوية ثم بعد ذلك النظرة الذاتيه للمرحلة الاقتصادية بعيداً عن التشنج الايدلوجي. لقد عاش العالم العربي ردحاً من الزمن يفكر بحياته اليوميه بمنطق ايدلوجي ويفكر اقتصادياً بمنطق ايدلوجي حتى الدراسة الاكاديمية ينظر اليها بنظرة ايدلوجية، وكانت النتيجة الطبيعية ومنطقية هي ان الايدلوجيات طغت على الحياة اليومية بكل تفاصيلها وأصبح الزعيم أو الفرد الذي يزايد على التشنج الايدلوجي هو الاكثر غيرة واكثر وطنيه دون أن تترجم هذه الغيرة وهذه الوطنية الى فوائد حقيقية ولذلك ان العالم العربي لم يعد بوسعه الوقوف والتفرج على العالم وهو ينطلق الى آفاق جديدة وهو يحرك أفراده وقدراته بنفس البعد الايدلوجي وان تغير مفاهيم الافراد ومسمياتهم أو التسميات التى تحيط بنشاطاتهم.

كل ما يتطلع اليه الفرد العربي هو التوقف عن المزايدات الايدلوجية المصطنعة والوقوف الجاد عند الثوابت الحقيقية وليس القيم الايدلوجية المستوردة ثم بعد ذلك البحث في البعد الاقتصادي بشكل اكثر جدية مع التصميم على أدخال العناصر الخلاقه والفاعلة التى تؤدي الى مزيد من الاضافات الحقيقة وان لم يحدث ذلك فسوف تتغير اسماء الافراد ولكن بنفس المنطلقات القديمة الشبه مهجنة والشبه مدجنة وبالتالي فسوف تكون النتائج من جنس العمل والحصيله هي تكرار للسابق ان ضخ الدماء الجديدة أصبح واحداً من المفاهيم الجديدة للانطلاق والتطور وان تدجين الجديد من قبل القديم هو اعادة أنتاج القديم بوجه جديد وهذا لان يفعل فعله للاقتصاد العربي الذي يتطلع الي الخروج من هذه الدائرة المغلقة وأصبح رسم استراتيجية لمحاولة أدخال دماء جديدة هو واحد من الخطوات المهمة التى يجب العمل من أجلها بشكل مدروس وتدريجي.

العالم العربي بعد السلام

عاش العالم العربي حالات من الحرب البارده تتحول الى حرب ساخنه خاصه به عندما بدأت القوات الأوروبية بسحب جيوشها وأحتلالها المباشر للأراضي العربيه سواء فى المغرب العربي أو في المشرق العربي وكانت حالة التوتر والحرب البارده العربيه أذكت وصُب عليها المزيد من الفاعليه بفضل الأستعداد الطبيعى التاريخي الذي عاشته المنطقه العربيه منذ انضوائها تحت لواء الدوله العثمانيه وتمرد البعض على هذه الدوله وخاصه في المغرب الأقصي واليمن وساعد هذا الاستعداد الطبيعى الاختراق السياسي والثقافي الغربي للعالم العربي على مستوى النخب الثقافيه من جانب وعلى النخب السياسيه من جانب آخر حيث تم الربط بين مصالح هذه النخب ومصالح العالم الغربي ونحن هنا لا ننتقد هذا الربط و أنما نعتبره وسيله سياسيه طبعيه لتعظيم مصالح القوى الغالبه. ومما زاد تمسك وأندفاع العالم الغربي على العالم العربي كذلك عاملين مهمين هما العامل الحضاري حيث يشكل العالم العربي مستودع للحضارات الفاعله بما فيها الحضاره الغربيه وهو في ذات الوقت قلب الحضاره الأسلاميه المنافس الحقيقي على المستوى العقائدي للحضاره الغربيه. وقد يسأل البعض كيف يشكل تحدياً للحضاره الأوروبيه؟ فإن الجواب على ذلك يتضح بجلاء بذلك الحوار الساخن والدائم الذي تعيشة الدول الغربيه و الولايات المتحدة الأمريكية بين القوى الفكريه وخاصه الدينيه على أختلافها بما فيها الأسلاميه حيث يتضح من هذا الحوار قوة المنطق والتماسك التى تتمتع بها مرتكزات العقيدة الأسلامية إذا ما قارناها بالصورة المشوهه والمعقده التى تُميز العقيدة المسيحيه من حيث الثالوث المقدس أو حتى قضية التضحيه من أجل تحمّل شرور الأنسان. نقول أن بساطه وقوه الطرح الأسلامي يوفر بديلاً مهماً وجاداً للعقائد السماويه الأخرى فما بالك بالعقائد الغير سماويه القائمة على الخرافه. وهذا البديل قد لا يجتاح النخب السياسيه أو الفكريه ولكنه يجتاح الفرد العادي وهذا هو الأجدى على المدى البعيد.

كما زاد من أندفاع العالم الغربي تجاه العالم العربي هو توفر ذلك المخزون الهائل من النفط والغاز الذي قامت عليه عصب الحياة الغربيه حتي يومنا هذا تمخض كل ذلك بالأهتمام بالعالم العربي ومستقبله ومحاولة توجيهة. مما دفع إلى أنشاء و دعم دولة إسرائيل كصمام أمان ومرجح للقوى في العالم العربي، هذا الدعم اللا محدود الذي تتمتع به إسرائيل فرضها على العالم العربى فرضاً حتى أصبحت أمراً واقعاً لا يمكن تجاهلة أو نسيانه. كيف يمكن تجاهلة وهى الدولة الأقوي والفاعله في العالم العربي والتي لعبت دوراً مهماً في أذكاء الحروب البارده والساخنه العربيه وكانت أحد أهم المشاجب والمبررات للانقلابات العسكريه التى دفعت الأنسان

العربي إلى أقصا مراحل الذل و الهوان. وإسرائيل اليوم تعيش مرحلة من أهم مراحل تاريخها فلقد حققت الجزء الأهم من أستراتيجيتها حيث دخلت في محادثاتها مع كل دولة عربيه على حدى وهي الدوله التى تملى شروطها وهي التي تقرر مع من تتحدث ومع من تؤجل محادثاتها، ونشاهد بعض الدول العربيه تنتقل من النقيض الى النقيض فبعد محاربة إسرائيل بكل الوسائل تحاول الدخول في علاقه حميمه مع إسرائيل بكل الوسائل أيضاً.

ورغم أن هذه المحادثات العربيه الأسرائيليه تشغل الفرد العربي المتابع و المهتم بالحدث الا أن أكثر ما يشغلنا هو ما سوف يحدث بعد هذه المحادثات حيث يُتوقع أن يعيش العالم العربي مرحلة من التأمل الذاتي أي مرحلة من الانكفاء على المشاكل العربيه الداخليه التي طالما أحيلت من أجل مجابهة إسرائيل وكان المبرر أنه لا يمكن لدولة عربيه دخول حرب مع دولة عربيه أخرى و إسرائيل تتربص بالجميع أما وقد أصبحت إسرائيل عنصراً طبيعياً فى العالم العربي فإننا نتوجس خيفة أن تطفو على سطح العلاقات العربيه العربيه مشاكل ذات أبعاد قد تعصف بالعالم العربي وتدخله فلي حلقه من العنف والعنف المضاد تكون إسرائيل و الدول الغربيه هما المحركان لمثل هذه النزاعات الداميه.

أذا كانت المخاطبة السياسية تتوجه إلى الناخب الأمريكي في حالة أمريكا والناخب الأسرائيلي في حالة إسرائيل فإن المخاطبه السياسية تتجه نحو النخبه السياسية في حالة العالم العربي وهذا ما فهمته وأستوعبته الحكومة الإسرائيلية، ومن هذا المبدأ والمنطلق بدأت حصر النخب السياسية العربية في الزوايا وأنتزاع الاعتراف والسلام منها أقول حصرها بحيث يبدوا للقارىء والمتابع للمناخ السياسي العربي أن موقف النخب السياسية العربية مبرراً تبريراً كاملاً حتى وإن كان ليس له هو أو هي أي علاقة من قريب أو من بعيد بقرار السلام والحرب بحيث يكون موقف القيادة الفلسطينية والسورية والاردنية ومعاهدة كامب ديفيد مبرره جداً بل وهي غاية المنطقية السياسية.

وبالفعل فأنت تستطيع أن تري وتسمع وتفهم أن الهيمنه السياسية والتفوق الأسرائيلي سواء على المستوي العسكري أو مستوي التخطيط الأستراتيجي والتحالفات الدولية على العالم العربي قاطبه قائم وواضح، فإن إسرائيل أستطاعت تشكيل قوة ردع نووية وقوة أحباط تقليدية وأمكانية مخابراتيه يشار لها بالبنان حتى أصبحت مضرب المثل وهي أي إسرائيل أستطاعت توظيف أوربا والولايات المتحدة الأمريكية بشكل يبعث على الأعجاب وهي الدولة التى لا تمر فرصه إلا ويتم استغلالها سواء داخل العالم العربي أو خارجة. فهي على سبيل المثال لا الحصر تستغل أي حدث دولي، زلزال الاتحاد السوفيتي في عهد الرئيس غرباتشوف حتى تهجم علي لبنان. أو مأزق بين الكوريتين حتى تقوم بتجارب على صواريخها البعيده المدى في البحر الابيض المتوسط ولا تمر الانتخابات الأمريكية حتى توظفها في صفقة سياسية أو عسكرية

ونحن هنا لا نقول إلا ما يحدث بدون زيادة أو نقص.

ان مثل هذه المعطيات التي دفعت النخب العربية الى تبرير الدخول في حلقة السلام إلا أن ما يفصل العقلية العربية عن العقلية العبرية الحديثة هو النظره الاستراتيجية من جهة والهدف من الاستراتيجية من جانب آخر فإن الجانب الاسرائيلي لديه خطة استراتيجية اهدافها واضحه هو أمن وأستمرار إسرائيل وهذا يتحقق بجعل إسرائيل قوية قادره على التحكم بالحدث السياسي في محيطها الأقليمي سواء بشكله المباشر أي التدخل المباشر أو غير المباشر عبر الأحلاف الدولية، وبالمقارنة فإن الجانب العربي استراتيجيته غير واضحه والهدف من الاستراتيجية غير واضح وهذا ما يقلقنا نحن سكان هذه البقعه من العالم وهو بالتحديد ما يجعلنا نطرح سؤالاً مباشراً جداً مفاده هل العالم العربي سوف يعيش مرحله سلام بعد الاتفاق مع إسرائيل؟ أم العالم العربي مرشح لمزيد من عدم الاستقرار؟ إن المعطيات السياسية تخلط الأوراق على المتابع السياسي حتى أنه لا يستطيع قرأة صافية واضحة لفكر النخب العربية وعلى سبيل المثال. نري ونسمع كيف تروج إسرائيل لنفسها عبر وسائل الاعلام العالمية على أنه جزيرة السلام ومستقر الاستثمار الدولي ومحطه تكنولوجية دولية متكاملة تجعلها المكان الأمين للدخول والاستثمار في الشرق الأوسط وفي نفس الوقت لا نجد أن الدول العربية لديها من القدرة التى تنافس بها إسرائيل فعلاً فعلى سبيل المثال فإن العالم العربي يعاني بعض العوائق الجوهرية لعل من أبرزها: ـــ

أولاً : التحدي السياسي : تجابه أغلب دول العالم العربي تحدي سياسي حقيقي مثل البطاله، الحدود، وعدم التمثيل الحقيقي مما يعني أن هذه المعضلات هي ليس لها اتصال مباشر وحقيقي بعملية السلام بمعني أنها مرشحه للأستمرار حتي بعد مرحله السلام.

ثانيا : التحدي الفكري والحضاري : ليس هناك من متخصص في شؤون العالم العربي أو مستشرق غربي إلا ويلمس المأزق الحضاري العربي بشكل واضح حيث ينشطر المجتمع العربي بين متوجه نحو الغرب ومنكفىء نحو الشرق مما يعني أن هذا المأزق الحضاري مرشح للأستمرار في السنوات القادمه والتى تعني أيضاً اهدار القدرات العربية في قضايا هي لا تصب في أي استراتيجية أو أهداف مستقبلية.

ثالثا : التحدى الاقتصادي : العالم العربي باستثناء العالم النفطي منه يعيش في مرحلة لا يستطيع معه حل مشاكلة الاقتصادية الداخلية فما بالك بالدخول في عالم يتسم بالمثايرة والتحدي والمنافسة مع العالم الآخر وإسرائيل في وضع قد تكون أحسن حالاً من الدول العربية خصوصاً بعد حرب الخليج الثانية التى أثرت على القدرات الاقتصادية الخليجية التى كانت تعد أحد أهم الروادف المادية العربية.

وبالنظر الى هذه المعطيات ومقارنتها بإسرائيل نكتشف أن إسرائيل في وضع يؤهلها لتبني

استراتيجية واضحه وتحقيق أهداف محدده مما يعني أيضاً أن الاستثمارات الاجنبيه سوف تدخل عن طريق البوابه الاسرائيلية وذلك لقدرت اسرائيل على حماية هذه الاستثمارات بنظامها السياسي وقدرتها العسكرية التقليدية والنووية الرادعه وهذه المعطيات كذلك تشير على أن الاستثمار الدولي سوف ينظر إلى أن إسرائيل هي المكان الذي يتسم بالاستقرار الحقيقي مع كل المعطيات الآنفه الذكر التي تشغل العالم العربي وتجعله يعيش في ضبابيه مستقبلية.

إن ما دفع إلى كتابة مثل هذه الأفكار هو الشعور الجارف بأن الحسابات الأسرائيلية اكثر واقعيه من الحسابات العربية وهنا لا نقول ولا ندعو بعدم الدخول في العملية السلمية فإن كاتب هذه السطور أقنعته المعطيات الواقعية التى دفعت الدول العربية لدخول عملية السلام ولكن ما يدعو اليه هذا المقال هو التنويه إلى القدرة التفكيريه لدى راسم الاستراتيجية الإسرائيلية والتى تدل معطياتها على أن إسرائيل سوف تكون صاحبة نصيب الأسد من العملية السلميه بمعنى أن العملية السليمه لن تحل المشاكل الحقيقيه التى يعانيها العالم العربي وبالتالي يجب أعادة النظر في المقولة أن المشكلة الأولى والأخيرة التى يعانيها العالم العربي هي الصراع مع إسرائيل.

وعلى الرغم من أن الصراع مع إسرائيل صراع حقيقي وحضاري مرشح للأستمرار سواء مع السلام أم بدونه إلا أن العالم العربي يعاني مشاكل حقيقيه يجب الالتفات اليها ومرجعتها، وكل ما يُخشي ان يدخل العالم العربي مرحلة من الصراع العربي العربي والحرب العربية الباردة أو الساخنة سواء حول قضايا الحدود والمياه، المصالح الاقتصادية والقضايا الفكرية والعرقية مما يدفع العلام العربي أن يعيش مرحلة تدمير الذات وهذه القضايا الآنفه الذكر يمكن استغلالها وتأجيجها من العناصر الخارجية خصوصاً وأن الأرضية الداخلية خصبه بها وتنتظر التشجيع والمأزرة.

ومن جانب آخر فإن عملية السلام مع إسرائيل تُطرح وكأنها مرحله رومانسية يتم فيها تتويج العريس العربي على صاحبة الجمال الإسرائيلية، كما تطرح العملية السلميه بشكل رومانسي هو أن يحتسي السائح الاسرائيلي (الشيشة) في المقاهي العربية أو اللقاءات الفكرية مع الجانب الاسرائيلي، إن هذه فيما يبدو أحلام يقظة يستعيدها العقل العربي من مخزونه الادبي وتراثه الرومانسي، والحقيقه أن إسرائيل كانت ومازالت تتبني استراتيجيتها القديمة وهو أضعاف الخصم إلى درجة توجيهة وهي بالتالي مرشحه لأستغلال الثغرات السياسية الاقتصادية والفكرية التى يعانيها العالم العربي بشكل اكثر دقة وأطول نفس وهي أي إسرائيل في نفس الوقت سوف تمارس الفارس القادم على حصان أبيض ينقذ حقوق الأنسان وحقوق المرأة وحقوق الطفل والحقوق الاجتماعية والأنسانية داخل العالم العربي وبالتالي تدخل إلى المجتمع العربي وكأنها العالم المتحضر الباعث للقيم والأخلاق ومن هذا المنحني يمكن أن نجد في المستقبل أن إسرائيل أصبحت أحد أهم عوامل موازين القوي العربية العربيه وبدون رضاها

وموافقتـها فإن المشاريع العربية على اخـتلاف أنواعها سواء منها السيـاسي أو الأقتصادي أو الاجتماعي لن تري النور أو النجاح.

على العالم العربي وعي المرحلة المقبله وعـياً حقيقياً ولكون العالم العـربي غير مرشـح للاتفاق حول الكثيـر من القضايا فلعل الاتفاق يكون جـزئياً أي على المستوي الجغـرافي الاقليمي وعلى مسـتوي القضـايا التى يمكن الاتفاق عليهـا وبدون الحد الادني من الفهم السـياسي الحقـيقي للنخب العربية لمشاكلها الحقيقيه ومحاولة حلها أو التخفيف من حدتها فإن العالم العربي مرشـح أن يكون أقل أمناً منه بعد السـلام منه قبل السلام وسوف تكون مرحلة المخـاض السياسي التى سوف يمر بهـا بعد مـرحلة السلام مرحـلة عسيـرة وليست مـضمونه النتـائج ومن هنا تكون إسرائيل هي الدولة القـادرة على قطف ثمرة مرحلة السـلام سواء على المستوي الاقـتصادي أو السياسي ويكون العالم العربي دخل في نفق إللارؤيا وإللامستقبل.

العالم العربي والتنمية

أن المتصفح للجغرافيا العربية منتقلاً من دولة عربية إلي أخرى داخلاً المدن العربية واحدة تلو الأخرى مسلحاً بالتاريخ العربي القديم والحديث مقارناً بين تجارب الأمم الأخرى والأمة العربية لابد أن يتبادر اليه العديد من الأسئلة ولعل من أهمها وفي مقدمتها هو : هل الوطن العربي محرَّم على التنمية. أو هل التنمية لا يمكن أن تكون من نصيب العالم العربي؟ أو لماذا بعض المناطق الجغرافية الأخرى والشعوب الأخرى حققت إنجازات جيدة فى مجال التنمية بينما العالم العربي لا يحقق مثل هذه الانجازات؟

أن المتأمل في وضع العالم العربي وبالأرقام التى تنشرها المنظمات الدولية حول مستوى الدخل، البطالة، التحسن الاقتصادي، الاستقرار، التعليم، الأمية يجد أن نصيب العالم العربي لا يقارن في بعض المناطق الأخرى من العالم مع التسليم أن هناك أنجازات حقيقية ملموسة ومحسوسة على مستوى التعليم والحياة أكثر حضارية في العالم العربي عن ذي قبل وأن كانت بعض مناطق الوطن العربي تتفوق على بعضها في مناطق أخرى من عالمنا العربي إلا أن الصورة بمفهومها الشامل تعطي أن العالم العربي لا يجاري العالم الآخر في مستوى التطور على مستوى الأرقام والاحصائيات وبنظرة فاحصة للجغرافيا العربية نجد أن الشمال الافريقي يعاني من ضعف أقتصادي واضح وحرب أهلية فى أماكن أخرى منه وحصاراً غربياً على أحد دولة بينما نجد الصورة الأقتصادية لمصر أكثر أشراقاً فى هذا الوقت مع المقارنة مع الدول العربية الأخرى، ومع أن المطلوب هو ليس التنمية الأقتصادية فقط بقدر ما يكون هناك تنمية متوازنة على المستوى السياسي والتعليمي (من محو الأمية حتى التعليم العالي المتخصص) والاجتماعي وعندما تنحدر للجنوب من نهر النيل فإن الحرب الأهلية تسود تلك المناطق. وعندما تقطع قناة السويس وتتجه نحو القارة الآسيوية تطالعك دول بلاد الشام التى تنتقل من ضائقة أقتصادية إلى صراع مع إسرائيل ولكن الوضع بكاملة لا يوحي أن هناك بالافق خطة أو أفكره للتنمية أو استراتيجية تتجة نحو خلق وإيجاد مستقبل قادم وعندما تذهب إلى بلاد الرافدين فإن الوضع أسوء من كل ما قيل ومما يمكن أن يقال وأن كانت المنطقة الخليجية المحفظة النقدية التى مونت التنمية الأقليمية وساعدت على تخفيف آلام المناطق الأخرى فإن هذه المناطق أصبحت تعاني من الضوائق الاقتصادية بفعل الأزمات المتعاقبة التى أجهزت على مدخراتها المالية وحدة من أكمال مشروعها التنموي وأحدثت تقطعات تنموية سوف يكون أثرها السلبي كبير بدون تدارك هذه النواحي قبل أن يكون الوقت متأخر على الحلول الممكنة.

والملفت للنظر أن العالم العربي أما بفعل صراعة التاريخي مع الآخر وهنا هو العالم الغربي

المتنفذ والقوى وبقربة الجغرافي جعل هذه المناطق تحت المجهر الحضاري اكثر من غيرها أم أن العوامل الداخلية تضافرت مع العوامل الخارجية من أجل أن تكون هذه المناطق مناطق محرمة على التطور والنمو خصوصاً وأنها تملك وتحتضن واحدا من اكثر الايديولوجيات مقاومة وفاعلية على مستوى التعبئة البشرية وهي بذات الوقت واحدة من اكثر الايديولوجيات مغايرة من الناحية الحضارية ومقارعة من الناحية الفلسفية مع العالم الغربي مما جعل الآخر المنتصر يصل إلى نتيجة ان نهوض هذه المناطق يعنى بالحقيقة تقوية الآخر لذلك يكون الجواب السياسي المنطقي هو أن هذه المناطق العربية تعتبر الآخر بالنسبة للفلسفة الحضارية الغربية وبالتالي يجب تتحجيم قوتها واقلمتها للتعامل مع الحضارة الغربية من منطلق المنتصر والمهزوم.

أن الفاحص للحالة في العالم العربي يكاد أن يصاب بنوع الأحباط بأستثناء بعض البوادر البسيطة هنا وهناك سواء على مستوى بعض النجاحات مقارنة في ماضي هذه المنطقة ومما يجعل مثل هذه النظرة السوداوية اكثر امعاناً وقوة هو القناعة بعدم وجود خطة استراتيجية واضحة ومحددة وضعت موضع التنفيذ من أجل النهوض بهذه المنطقة الجغرافية من العالم بل العكس أن الأزمات السياسية والأقتصادية تعصف بهذه المناطق بشكل متوالي ومتتابع بحيث أنه لم يكن هناك من لدية الوقت للتأمل الهادي والقادر على تشخيص المشكلة الحقيقية ومحاولة أيجاد الحلول الحقيقيه لها. أن المنطقة العربية منذ الحرب العالمية الثانية ومنذ حركة الاستقلال لم تشهد أستقراراً حقيقياً حيث نجد أنه منذ حرب ١٩٤٨م وقيام إسرائيل اعقبها حروب صغيرة حتى حرب ١٩٥٦م ثم حرب ١٩٦٧م ثم حرب الاستنزاف حتى حرب ١٩٧٣م، ثم حرب اجتياح بيروت عام ١٩٨٢م، هذه المرحلة كانت مخصصة لضرب الثقل العربي الحقيقي المتمثل في مصر وبلاد الشام لكي ينتقل بعد ذلك الى المنطقة الخليجية حتى تشهد بعض القلاقل السياسية منذ عام ١٩٧٩ ثم الحرب الخليجية الأولى التى دامت ثمان سنوات ثم «حرب التفليس» حرب الخليج الثانية التى نقلت دول الخليج العربي من أحد مدخرات العالم الى الضائقة الاقتصادية حتى تأتي الأزمات السياسية المتعاقبة حتى عام ١٩٩٨م عند كتابة هذه السطور وهذه الحالة وهذه الازمات متعاقبة من أجل التأكيد على تحصيل أي مدخرات لدول هذه المنطقة والتأكيد على ضعفها من الناحية الاقتصادية ومحاولة قطع وتيرة الاستمرارية التنموية.

أن القارىء لهذه السطور سوف يكتشف أثر الآخر ولكنه في الحقيقة أن هناك أسباب تكمن في العالم العربي ذاته وغير قادمة من الآخر تساهم مساهمة حقيقه في هذه الحالة التى يشهدها العالم العربي .

السؤال هو هل هناك مخرج من هذه الانفاق المتتالية التى دخلها العالم العربي؟ أن الجواب على مثل هذا الجواب ليس بالأمر اليسير ولا السهل. والعالم العربي لا يخلو من هذه المحاولات التى تأخذ طابع الواقعية حيناً سواء الواقعية السياسية والاجتماعية. وحيناً تأخذ بالجناح الاقتصادي

مع أهمال واضح للأجنحة السياسية والاجتماعية. ومن وقت إلي آخر يظهر كذلك بعض المشاريع الفكرية التى ترى أن ما يدور في العالم العربي هو محض تضييع للوقت والجهد وأن المشروع الفكري المتكامل الذي يعالج الحالة النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية هو المخرج الحقيقي للعالم العربي للتعامل مع ذاته ومع الآخرين. ويطرح أصحاب هذا التوجه مفهوم مراجعت الذات وتفكيك الذات التاريخية من أجل فهمها وتجاوزها الى المستقبل.

ومهما يكن من أختلاف في وجهات النظر المتداولة سواء المفرطة بالنظرة الاكاديمية النظرية أو المعرفة بالنظرة العملية الاجرائية الذين يشكلات حلقة النقيض فى العالم العربي فإنه من الواضح أن العالم العربي يعيش حالة متردية تزداد عمقاً بفعل الزمن الذي قامت عليه الذات العربية وذات الآخر السياسية من أجل التأكد من أن هذه المنطقة العربية تكون بعيدة عن قطار التنمية والنمو الحضاري بمفهومه الشامل. ومادام العالم العربي يعيش حالة الصراع مع الذات العربية نفسها أي أن أجنحة العالم العربي تعيش حالة الصراع ومادم أن الجناح العربي الواحد يعيش حالة من الصراع الداخلي الذاتي ومادام الفرد العربي ذاته يعيش هذة الأزدواجية الحضارية الذاتية فإن مفهوم التعاون والتعارف على التنمية هو مفهوم غير واقعي حيث تنطلق المسميات حول التنمية من بعدها السياسي المثير للجدل إلى مفهومها التعليمي المثير أكثر للجدل والنقاش.

وبدون شبه اتفاق على الخطوط العريضة لمعنى التحول والتغير ومادام أن هناك صراع حقيقي حول نقطة الانطلاق فإن الانطلاق سوف يكون ضعيف ومهزوز أن وجد أصلاً وسوف يكون متقلباً ومتغيراً ومتحولاً في وجهته وتوجيهاته أن وجد من الناحية المبدئية وحتى يكون ذلك يبدو أن الوطن العربي يعيش حالة غريبة الذاتية ويعيش حالة حرمان من التنمية الحضارية الحقيقيه.

العالم العربي والحروب العشرية

منذ أنشاء الدولة العبرية عام ١٩٤٨م والعالم العربي يعيش حالة الصراع وعدم الاستقرار، بل أن العالم العربي يعد أحد أهم وأكبر نقاط التوتر في العالم ومنذ أنشاء الدولة العبرية والعالم العربي يعيش حروب عشرية ونقصد بالعشرية أي أن هناك حرب كل ما يقارب عشر سنوات حيث الحرب الأولى عام ١٩٤٨م والتى قامت عليإثرها دولة إسرائيل تم تلتها حرب ١٩٥٦ والتى قامت بها كل من فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ضد مصر وذلك من أجل أيقاف المد الوطني الذي كان يجتاح مصر في ذلك الوقت والتى أعلنت فيها القيادة المصرية خروجها عن الطوق الاستعماري المتعارف عليه، بل وأتخذت بعض القرارات التى هي لست فى صالح الدول الاستعمارية. ورغم إن مصر كانت في هذه الحرب قد حُطمت آلتها العسكرية إلا أن نجاحاتها السياسية غطت على هذا الفشل. تلت هذه الحرب حرب الصدمة أو ما يطلق عليها النكسة وهي حرب ١٩٦٧م الخاطفة والتى خطفت ودمرت الآلة العسكرية المصرية بشكل درامى وسينمائي والتى لم تفق منها إلا على معركة ١٩٧٣م والتى تّكون لكل من مصر وسوريا قدرة عسكرية وتسليحية بفضل تسليحهما والمساعدات العربية الاخرى وخصوصاً من دول الخليج العربية وبالاخص المملكة العربية السعودية. ورغم الانتصار المبدئي لحرب ١٩٧٣ إلا أن إسرائيل أستطاعت تحطيم الآلة العسكرية الفلسطينية وتشتيت قواتها بحرب ١٩٨٢م وأحتياج لبنان والذي خلف أختراق إسرائيلي للبنان وتشتيت القوى الفلسطينية وضرب بعض الامكانيات العسكرية السورية في لبنان. ويعقب ذلك حرب العراق وإيران التى دمرت البلدين على المستوى العسكري والاقتصادي والسياسي تختم هذه المرحله بحرب الخليج الثانية التى أجهزت على قدرات الدول العربية العسكرية والاقتصادية وخصوصاً منبع القوة الاقتصادية العربية المنطقة الخليجية.

ومن مسلسل هذه الحروب يتضح التالي أن حرب ١٩٤٨م كانت ضد القوى الفلسطينية المحلية في فلسطين ولأنشاء الدولة العبرية وكانت هذه القوة الإسرائيلية مدعومة من بريطانيا. وحرب ١٩٥٦م كانت ضد قوة مصر الناهضة على المستوى السياسي والعسكري خصوصاً بعد صفقة التسلح التشيكية ١٩٥٤م والتى بها كسر أحتكار السلاح الغربي وكان لابد بهذه الحرب من تحطيم الآلة العسكرية المصرية. ومع توسع مصر في تسليحها الشرقي وكذلك تزعمها العالم العربي في ذلك الوقت أستطاعت مد أمكانياتها العسكرية فأصبح هذا الوضع من وجهة النظر الإسرائيلية لابد من تغييره فجاءت حرب ١٩٦٧م من أجل ضرب القوة المصرية. حرب

١٩٧٣م كانت حرب عربية ولذلك كانت حرب أنتقام لعام ١٩٦٧م وحرب أعلنت دخول القوة النفطية العربية وبروز منطقة الخليج كأحد دورع العالم العربي القوية التى دعمت المجهود العربي في مصر وبلاد الشام ولكون مصر خرجت من الساحة العربية في نهاية السبعينيات من هذا القرن نتيجة للإتفاق المصري الإسرائيلي في كامب ديفيد فإن الساحة أصبحت شامية (سوريا ــ لبنان) أو ما يمكن أن يطلق عليه الهلال الخصيب العربي مع قوة مادية وأستراتيجية خليجية ولذلك كان لابد أن تنصرف الحروب العسكرية تجاة هذه المنطقة لتأتي حرب ١٩٨٢م وأجتياح لبنان وتشتيت القوة الفلسطينية خصوصاً وأن الدول الخليجية في ذلك الوقت كانت تدعم المجهود الحربي الفلسطيني كما أن حرب ١٩٨٢ كانت تضرب جز ءا من القوة السوريه في لبنان.

بعد حرب ١٩٨٢م وصلت الذهنية الاسرائيلية والغربية الى سياسة تجفيف المنابع أي تجفيف منابع القوة العربية وهي القوة الخليجية حيث ما أن بدأت شراسه الحرب العراقية الايرانيه بفعل السياسات الرعناء من قبل الدولتين حتى أستثمرت هذه الحرب من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بأطالة الحرب أطول مدة ممكنة ودعم الطرفين من أجل مزيد من تدمير هاتين الدولتين بأكبر كمية ممكنة من الخسائر المادية والأقتصادية والاجتماعية وكان شعار الإداراة الأمريكية وإسرائيل في ذلك الوقت هو يجب أن لا ينتصر أي طرف، بل ويجب أن تستمر الحرب أطول مدة ممكنة حيث أن هذة الحرب لم تنهك الطرفين فقط ، بل أدخلت هذه الحرب دول الخليج بشكل قوي وتكبدت هذه الدول الخسائر المادية الكبيرة من جراء هذة الحرب. وإن كانت سياسة التوازن المزدوج الذي قادة الولايات المتحدة الأمريكية كان يطبق على إيران والعراق وهو يعني توازن للقوي بين الدولتين ولكن على مستوى منخفض من القوه لكلا الدولتين. أقول إذا كانت هذه السياسة تعني توازن القوى بين الدولتين فإن منابع القوة العسكرية العربية مازالت جيدة في منطقة الخليج ولذلك كان لابد من الأمعان في تجفيفها وأفقارها لذلك كان لابد من استغلال السياسات الغير مدروسة وعدم الدراية الاستراتيجية للقيادات العراقية للزج في المنطقة الخليجية برمتها تحت رحمة القوى الاجنبية ولصالح إسرائيل للتتوج هذة الحروب بحروب الخسائر المادية وهي حرب ١٩٩١م أو حرب الخليج الثانية والتى أعلنت أخذ وصرف كل المدخرات الخليجية لتعاني هذه الدول من الضائقة الاقتصادية خلال السنوات التي تلت الحرب الخليجية الثانية. وبالتالي فإن الحرب الخليجية الثانية كانت حرب أستنزاف مادي أكثر من كونها حرب قتال حقيقي علي الرغم من أن أهداف الولايات المتحدة الأمريكية ضرب القوة العسكرية العراقية وإعادة توازن القوي السلبي مع إيران.

أن الملاحظة للحروب التى عانتها المنطقة العربية هي حروب فُصلت حسب الحاجة الغربية والاسرائيلية بحيث نجد أنها ضد مصر عندما تكون مصر هي الاقوى وتكون حرب عسكرية

وضد المقاومة الفلسطينية وسوريا عندما يكون الخطر ضد إسرائيل يأتي من فلسطينيين لبنان أو القوات السورية هناك وكذلك الدول الخليجية عندما تكون هذه الدول لديها القدرة على دعم المجهود الحربي العربي وأستثمار هذه القدرة لدعم المجهود الحربى العربي. والعمل على استثمار القدرة الخليجية ولكن ليس ضد إسرائيل وليأتي ضد القلب العربي وقدرتة المادية في حرب الخليج الثانية التى أستنزفت القدرات العربية الخليجية المادية وأصبح المنبع ليس فقط غير قادر على دعم المجهود الحربي العربي بل أصبح القلب الخليجي منشغلاً بتسليح ذاته من الاخطار المحدوقة فيه من دول غير إسرائيل. وبهذا الطريقة تكتمل حلقة الاستنزاف العربي على المستوى العسكري والسياسي والاقتصادي. ضرب القوة العسكرية العربية، أحداث عدم استقرار سياسي في المنطقة وأستنزاف القوة الاقتصادية العربية.

أن السؤال المطروح الآن هو أين الموقع القادم للصدام؟ ثم ماهي ماهية الصدام ؟ وماهي طبيعة الاستنزاف في الصراع القادم؟. حسب ما ذكر في السابق حيث أن آخر حرب هي عام ١٩٩١م فإن الأعوام بين ٢٠٠١ ــ ٢٠٠٥م يمكن ان تشهد معركة في مكان محدد وذات طبيعة محددة تخدم المصالح الغربية والإسرائيلية وتمعن في ضرب القوى العربية وأضعافها تجاة إسرائيل ومن خلال مثلث القوة العسكرية، القوة السياسية، أو الايديولوجية والقوة الاقتصادية يمكن تلمس مكان وطبيعة الصراع القادم حيث أن المنطقة التي سوف يطغي فيها أحد هذه القوى بشكل يهدد إسرائيل فإن المنطق الغربي والاسرائيلي يدعوى إلى أدخال هذه القوة في صراع وتصادم سواء مباشر مع إسرائيل أو غاير مباشر مع قوي محلية أخرى سواء عربية أو غير عربية كل ما أرجوه أن تكون منطقة الخليج وهي مرشخة كبرى لتكون أحد ساحاته أقول كل ما أرجوه ان تكون منطقة الخليج خارج هذه الدائره كما أرجو أن تكون ذهنية الساسة العرب تعي المخاطر الحقيقية لمثل هذا الاستنزاف الحقيقي وبالتالي أبعاد المنطقة العربية عن مثل هذه الصراعات من أجل فتح المجال للتنمية الاقتصادية والبشرية وأنتظار التحول الحقيقي لميزان القوى العالمية.

العرب تنظر الى الغرب

حُبرت الأوراق وسالت الأقلام وتردد صدى الكلمات في الردهات الخاصه والعامه حول حضارة العرب وحضارة الغرب والعلاقة بينهما. ومنذ بداية البداية لمرحله ما يعرف بعصر النهضة التى بدأت منذ أنحسار الحضارة الاسلامية وطى صفحه الامبراطورية العثمانية وصدمة الغرب بحضارتة الواعدة للعالم العربي النائم على أحلام اليقظة، منذ ذلك الوقت وحالة العالم العربي فكراً وسياسة هي مثل حالة تائة الصحراء لا يعرف هل يتوقف يتظلل حتى لا يستهلك ما معه من الماء أو يحزم أمتعته شاداً السير ليلاً ونهاراً لعل الحظ يصادفه أن يصل إلى خلاص من هذا المأزق الحقيقي.

وبالفعل فإن العالم العربي منذ أن باغته العالم الغربي وهو لايستطيع أن يحزم أمره بشكل واضح ودقيق حول أمر من الأمور فهو، أي العالم العربي، تارتاً مندفعاً الى الحضارة الغربية بخيرها وشرها ويريد أن يكون جزء من العالم المتحضر بل يكون هو (قطعة من أوربا كما كان يقال سابقاً) دائراً ظهره للشرق الحضاري بحضارتة وخلفيتة الثقافية وأصبح اللباس الاوربي عنوان التحضر والتقدم ولم يكن ذلك فقط في علم أتاتورك وحده بل كان هماً شاغلاً في شمال أفريقيا وشرق المتوسط حيث أصبح تقمص الحضارة الأوربيه بكاملها عملاً أبداعياً وليس عملاً تلفيقياً بمعنى أن من يتقن فن الحضارة الأوربيه أصبح من مبدعين العالم العربي وليس فقط الناقل لها بل الذي يعيشها بحذافيرها هو المفكر والسياسي المشار اليه بالبنان أعجاباً وأطراء به. وعاش العالم العربي تارتاً أخري فن المزواجه بين التراث والمعاصره وهي جدلية لم تحسم بعد وذلك راجع لعدم دقة مفهوم التراث وماذا يقصد به والمعاصره وماذا يراد منها ،خاض في ذلك الكثير من المع نجوم الفكر والفلسفه. وخلال هذا النقاش حول العرب والغرب لم يحدد بشكل واضح هل التراث تعني البعد الفكري أم البعد الاجتماعي المعاش، وهل المعاصره التوصل إلى خلق وأبداع الآلة ولعل القارىء الفاضل سوف يتحسس أن بني المنهجية الفكريه لا يمكن الأخذ بها دون أخذ الأسس التى قامت عليها المنهجية والافتراضات التي قامت عليها ومنها أنبثقت وعليها ترعرعت ونمت.

الفكرة، التراث، الآله، المنهجية، المعاصره شكلت أزدواجية لدى العقل العربي، والفكر العربي لم يستطع فك هذه الازدواجية مما دفع بعض المفكرين إلى الخروج من هذه الدائرة الغير واضحة المعالم بقبول التراث الثقافي المنهجي العربي وتقديمة على غيرة بينما نهج

طرف ثاني إلى نبذ التراث ومحاولة الالتصاق بالالة الفكرية الغربية دون عودة إلى المفاتيح الفكرية العربية وهؤلاء بالتالي نفو أنفسهم من العيش داخل دهاليز الفكر العربي على الرغم من أن أجسادهم تعيش فيه أمعائهم تتلذذ بطّيب طعامهم. وكان القله من هؤلاء المفكرين الذين دعو إلى محاولة أعادة دراسة التراث وتفكيكة من أجل فهمة وتجاوزه وكان على رأس هؤلاء الفيلسوف المغاربي الاستاذ الجابري.

ومع الاحترام والتقدير لهذا الرأي الأخير إلا أنه مازال مشروعاً يحتاج إلى تضافر حقيقي وأيمان حقيقي بهذه الفكرة من أجل أخراجها من حيز المنهج والمشروع إلى أسلوب تفكير ودراسة للمستقبل.

والمراقب للمشاريع الفكرية العربية بدون أستثناء جاءت بوحي مباشراً وغير مباشر من التهديدات الحقيقيه التى يشكلها الغرب للعالم العربي وهذا ما دفع الكثير من الحكم على أن المثقف العربي لا يخرج عن ثلاثه أصناف :

الأول : مفكر دخل نفق الحضارة العربية مشدود اليها مأخوذ بجواهرها اللغوية وبلاغتها الأخاذه فاصبح يري نفسه داخل كينونه حلمه لا يريد أن يخرج منها الى ضجيج الواقع وعجلته السريعه لذلك فهو دائماً متذمراً من عدم معرفة الآخرين بالاكتشافات الجوهرية التى يعيشها والحالة النرجسيه التى يستمتع داخلها وهذا بالتالي راضي بما حصل عليه غير آبة بما يدور خارج الفناء النرجسي الذي أحاط نفسه به وبالتالي فهو ليس على عجله من أمره وهو يعيش خارج الهم اليومي سواء المعيشي أو الفكري الكوني لعالمه العربي وذلك أن مفهوم الأمه وصراع الأمم قضية لغوية نرجسية بالنسبه اليه وليست هماً يومياً ثقيلاً شاغلاً ومشغلاً.

الثانى : مفكر ومراقب داخل نفق الحضارة الغربية فهو يعيش أغتراباً ذهنياً حقيقاً ولولا هذه الملابس الغريبه على الحضارة الغربيه التى يرتديها أو يرتديها من حوله لخيل اليه أنه جزء من الآخر لا يربطه بما حولة شيء وهذا النمط يعيش هم الآخر الفكري ويفكر معة ونيابة عنه وهذا النوع دائماً متشرباً منهجاً فكرياً من صنع الحضاره الغربيه.

الثالث : مفكرو الحل الوسط وهو الاخذ بما لدي الطرفين وهؤلاء يتميزون بالتوفيقيه وعدم الجدية في الحكم على الأمور وذلك أن الكثير من المفاهيم التي تعيش مرحله الالتباس مثل مفهوم الحداثه والمعاصره الآله والمنهج والايدلوجيا والبعد الحضاري، أقول أن مثل هذه المفاهيم لم تجد تحديداً واضحاً لها لذلك فإن هذا المثقف يعيش حالة انعدام الوزن وضبابيه الرؤيا وبالتالي نجد أن مثل هؤلاء المفكرين الكرام لم يحزموا امتعتهم الفكريه بشكل واضح حتى تستطيع الحكم عليهم بشكل أكثر وضوحاً.

أن الانماط التفكيرية والفكرية الثلاث الآنفه الذكر يعيشها العالم العربي منذ عصر

النهضة، والحقيقه أن هذه الانماط وأبعادها كتب عنها الكثير وبالتالي سوف نعدها مقدمه ونتجاوزها إلى الدخول في عملية تحديديه مبدئية. العالم العربي يعيش الحاله الدينيه بكاملها من آلفها الى يائها وهي حالة تكاد تكون أقوى من غيرها في بقاع العالم حيث يشهد هذا التوجه وهذه الشموليه وهذا ما يدفعنا إلى تسميه الاسماء باسمائها بدلاً من طرحها على أنها ثقافة اجتماعية أو أيدلوجيا سياسية أو تراث أو عمق تاريخي فيجب أن يطلق عليها التوجه الاجتماعي نحو الدين وبالتالي هذا التوجة لا يلتقي مع الافرزات الفكرية للحضارة الغربية والشواهد على هذا اسطع واكثر من أن تورد في هذا المقام فاذا ما حسم هذا الأمر وأتضحت معالمه فإن ذلك سوف يضع وزراً حقيقياً عن العقل العربي وتخبطه في متاهات التعاريف وتموجات التخاريخ الفلسفيه.

ومن جانب آخر يجب الفصل في الحضارة الغربيه وتحديد معالمها و أوجه التنافر مع البعد الديني بشكل اكثر وضوحاً أو بكلمات أخرى يجب تحديد مفهوم الحداثه مقارنه بالقيم الدينيه التى يعيشها العالم العربي والتسليم أن الآله الغربيه هي أنتاج المنهج التفكيري الغربي شئنا أم أبينا وأنه يصعب الفصل بينهما في جيل فكري وأجتماعي واحد رغم التجربه اليابانيه والصينيه التى تتسارع اليها القيم الغربيه بشكل يصعب مقاومته.

حقيقه يجب مواجهتها وتوضيحها بكامل حجمها وطبيعتها وهو أن الحضارة الغربية كل، والآله جزء من هذا الكل ولذلك عمد الكثير من النقاد العرب إلى القول أن ما يكتبه المفكر العربي هو بشكل أو بأخر يرجع إلى الانتاج الفكري الغربي. وهذا المقوله لا تخرج عن الصواب بشكل كبير وأنما هي توضح بشكل غير مباشر وربما غير واعي إلى هذا التماسك بين المنهج التفكيري الغربي ومحاولة النقل التكنولوجي الى العالم العربي هذا الحالة من الازدواجية التفكيرية التي يعيشها العالم العربي التى أصابته بالارباك هي نفسها التى جعلت الدول الواقعة في شرق آسيا الواثبة اقتصادياً، أن تجتازها وذلك لكنوها أخذت الآلة الغربيه بكاملها ومنهج التفكير الذي أفرزها وهي من جانب آخر أي الدول الآسيوية لا تعيش الحاله الدينيه الشامله التى عيشها العالم العربي ويتشرف بالأنتماء اليها.

وبالتالي فإن مثل هذا المأزق الذي يعيشه العالم العربي هي حالة طبيعية ويجب التسليم بها هذا على المستوي الحضاري الديني فقط وأذا ما أضيفت العوامل السياسية والاقتصادية التى تحكم العالم العربي فإن الحالة سوف تكون أوضح وأشد يقيناً. ومن هذا المنطلق على العالم العربي محاولة تحديد رسالته الحقيقيه بشكل واضح وكل جلاء آخذاً ومستوعباً البعد الزماني والمكاني وهو تركز الحضارة المادية الحقيقية في هذا المرحله الزمنيه في يد العالم الغربي والعالم الاسيوي مرشح لها سواء بالتكامل مع العال الغربي أو خلافته فيها وأن حظ العالم العربي في ذلك حسب المعطيات العالمية يكاد يكون قليل ان لم يصل الى

العدميه على المدى المتوسط على الاقل. وبالتالي فإن العالم العربي فكرياً وسياسياً مطالب بتحديد الحيز الفكري الذي يستطيع أن يبقيه على السطح دون الغرق في ذاكرة النسيان وإلى التقليل من الفجوه الحضاريه أو على الاقل الابقاء عليها حتي يخلق الله ما لا نعلم. وهنا على العالم العربي تحسس مواطن القوة الفكرية لديه والعمل على نشرها بشكل عقلاني ومقبول لعل هذه القوه الفكرية الحضارية التى يعيشها العالم العربي بشكل جماعي هي التى ترسخ اقدامه في المستقبل مع مصاف الشعوب التى يبدو أنها رسمت لها مكاناً حقيقياً في المستقبل الحضاري التكنولوجي البشري.

العرب لا يستعدون للقرن القادم

الهند بلاد المهاتما غاندي الرجل القيادي الذي أخرج مفهوم وفلسفة المقاومة بدون استخدام العنف بل باستخدام الطرق والوسائل السلميه، الهند تجري اختباراتها النوويه الثلاثة لتدخلها في عصر ليس القوة النووية فإن الهند معروفة أنها دولة نووية وانما تدخلها في مجال التطوير النووي وتجديد قدراتها النووية الضاربة من أجل أدخالها إلى عالم القوى النووية الضاربة والهند تدخل هذا السباق ليس فقط كرد فعل لدولة مثل باكستان التى أجرت تجاربها على قدراتها الصاروخية المتوسطة المدى كما يحاول الهنود تبيان ذلك وليس لان الصين ماضية قدماً فى تطوير قدراتها النووية وأنما يرجع التصرف الهندى من ضمن ما يرمى إلى ايجاد قوة هندية قادرة على خوض غمار السياسية الدولية في القرن القادم. صحيح أن ما يجرى في بكين وأسلام أباد يهز العاصمة الهندية ولكن الهند بنظرتها الاستراتيجية البعيدة المدى ترى أنه لن يكون للهند مكان في القرن المقبل دون الحصول على قوة عسكرية ضاربه خاصة بها ومن خلالها تدخل نادى القوى العظمى أو ما أحب أن أطلق عليه السياسة العليا أي الارتفاع عن مستوى السياسة السفلى وبالتالي فأن الهند بتجاربها النووية سوف تكون اكملت ثاني أضلاع المثلث وهو التطور الاقتصادي والذي يعني التطور الاقتصادي والتكنولوجي وخصوصاً في مجال الصناعات والالكترونيات وخصوصاً في مجال الكمبيوتر وصناعة السيارات ثم يأتي الضلع الثاني في هذا المثلث وهو القوة العسكرية القادرة على حماية المكتسبات الاقتصادية والسياسية وهذا لا يمكن أن يتحقق عن طريق بناء القوة التقليدية من دبابات وطائرات ومدرعات وناقلات جنود، بل لابد أن يكون عن طريق قوة نووية ضاربة قادرة على ردع البعيد قبل القريب ثم يأتي في المستقبل استكمال الضلع الثالث للمثلث والذي يركز على التنمية البشريه بشكل متكامل خصوصاً وأن الهند تعد واحدة من أوسع الدول طبقه وسطى وبالتالي فأن حصار الفقر والتضييق عليه يعد واحد من الأهداف الاستراتيجية البعيدة المدى للهند من أجل خلق دولة ضاربة في المستقبل.

وعندما نترك الهند جانباً ونبدأ نتأمل الكرة الأرضية تكتشف التالي، الصين دولة لديها أمكانيات الدولة العظمى وهي ماضية قدماً فى تحقيق ذلك بتطوير قدراتها العسكرية والمدنية والتكنولوجية ثم باكستان الدولة الفقيرة التى تعاني من مشاكل حقيقيه هيكلية على مستوى الفساد السياسي والمالي وسوء توزيع الدخل لديها القدرة على امتحانات

واختبارات نووية وأقامت بعض تجاربها على صواريخها المتوسطة المدى. واليابان الدولة الهائلة التطور تتقرب من الولايات المتحدة الأمريكية أكثر فأكثر من أجل أهداف إحداث توازن ضد الصين. والدول الآسيوية أو النمور تنطلق على المستوى الاقتصادي رغم وقع الضربة الاقتصادية الموجعه نجدها تحاول مرة أخرى من جديد التمسك في زمام الامور سواء في العلاج الاقتصادي كما هو الحال في كوريا الجنوبية وماليزيا أو العلاج السياسي كما هو الحال في أندونيسيا أو كلاهما كما هو الحال في تايلند. ايران الدوله الجاره من الدول الجادة والماضية قدماً في تطوير قدراتها الدفاعية والهجومية وقد أعلنت تطوير قدراتها الصاروخية ولن يهد بال ايران دون أمتلاك سلاح قادر علي ردع القوى الغربية الآن أو فى المستقبل مع يقيننا أن الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح لايران بامتلاك مثل هذه القدرة في المستقبل وللنظر نراقب أي الارادتين تنتصر. تركيا الدول الجاره الاخرى تطور قدراتها العسكرية وتتحدث التقارير عن قدرة تركيا في مجال الصواريخ متوسطة المدى حتى دولة مثل قبرص اليوناينة تملك مثل هذه القدرات حتى تدخل في العالم الغربي في أوروبا والولايات المتحدة الامريكية وروسيا العالم المدجج بالسلاح المتطور والقدرة الاقتصادية الهائلة صمام الأمان للتفوق الغربى الأوروبي على العالم في هذا العصر. وقريب من العالم العربي تقبع اسرائيل كواحدة من أكثر الدول تطوراً على المستوى العسكري حيث قدرتها النووية الضاربة وقدرتها التقليدية الهائلة وكذلك امكانياتها على مستوى الصواريخ قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدي القادرة على حمل الرؤوس النووية إلى أي نقطة تراها اسرائيل مناسبة. أن ما يلفت النظر أن الاستعداد العسكري هذا الذين يخوضه العالم للدخول للقرن القادم يتزامن ويتوافق مع استعداد أقتصادي وتطويري على المستوى الهيكلي للدخول في عالم القرن الواحد والعشرين واستعداد للدخول في المنظمات الاقتصادية العالمية يحمي هذا الدخول وهذه المشاركة قوة عسكرية قادرة على الدفاع عن مكتسباتها ومصالحها الحيوية. وفي المقابل فإن النظرة للعالم العربي تبعث على التشائم أكثر من التفائل فمثلاً أن دول الخليج يبدو أنها مستعدة إلى حد ما واكرر إلى حد ما للدخول للقرن القادم على المستوى الاقتصادي ولكن باستعداد عسكري أقل ما يقال أنه ضعيف جداً وباستعداد أجتماعي أقل ضعفاً، أما الدول العربية الأخرى مثل العراق،الجزائر ليبيا السودان فهذه الدول لا أحد يعرف على وجه الدقة أنها سمعت عن القرن القادم أو أن هناك شيء أسمه التطور والدخول في القرن القادم. بينما تأتي دولة مثل الأردن، لبنان، سوريا، اليمن، المغرب، تونس، فهذه الدول فإنها رضيت بالوضع الحالى وكأن الوضع الحالى هو المنقذ في المستقبل وقد يكون الرضاء بالوضع الحالي ناتج لأسباب أقتصادية أو سياسية لكن المحصلة واحده هو الغياب الحقيقي عن

العالم المقبل.

إن المتأمل في حالة العالم بشكل فوقي فإنه لا يحتاج إلى كبير عناء ليرى أن مصير العالم العربي أكثر غموض عن السابق، بل أن مستقبلة أكثر أيلاماً من الماضي حيث أننا لا نشاهد محاولات يمكن أن يكتب لها النجاح على المستوي الاقتصادي وأن وجدة هنا أو هناك فإنها تفتقد القوه العسكرية القادرة على حمايتها لذلك فإن أمكانية أجهاضها أمر غير صعب. ناهيك عن التخلف الاجتماعي والسياسي التى تعاني منه الدول العربية. أرجو أن لا أكون قد رسمت سوادوية إلي سوادويه لدى الكثير من المراقبين بشأن مستقبل العالم العربي خصوصاً وأن اسرائيل تحاصرنا من الجانب السياسي والعسكري والامني وتركيا على المستوى الأمن المائى والسياسي ودول الجوار على المستوى الاجتماعي والعسكري والدول الغربية على المستوى السياسي والتكنولوجي والاكتشافات النفطية والغاز في جميع انحاء العالم على المستوى الاقتصادي. ونحن لا نقول أبداً أنها مأمرة ضد العالم العربي فإنه من الواضح أن العالم مشغول بالبناء والاستعداد للقرن القادم وأن العالم العربي من الضعف والهامشيه بحيث لا يستحق حتى تحضير الموأمرة ضده وأنما نقول بكل مواجة مع الذات أن العالم العربي وضع نفسه بنسفه في هذا المأزق وأن العالم العربي من أعلى سلم هرمه حتى آخر مواطن فيه مسؤول عن هذا الوضع المتردي.

العرب واستثمار القوى المهاجرة

في مقال سبق هذا المقال كان الحديث عن قدرة الصين الدولة الصاعدة في عالم اليوم أنها ذات أقليات منتشرة حول العالم وفي مناطق حول الصين الى أن تصل إلى أمريكا الشمالية سواء داخل الولايات المتحدة الأمريكية أو كندا. وأن هذه الأقليات الغربية من الاراضي الصينية والبعيدة عنها يبلغ تعدادها حوالي ٦٠ مليون فرد. وكان مما خلص له في المقال السابق هو أن الصين أستطاعت توظيف هذه الأقليات الصينية حول العالم على المستوى الاقتصادي وهي أخذت باستثمارهم على المستوى العلمي إلا أنها فشلت الى حد كبير أن تستثمرهم على المستوى السياسي أي أنها لم تستطع الصين أدخال المهاجرين كأداة من أدوات سياستها الخارجية وذلك راجع الى عدم موافقة هذه الجاليات الصينية حول العالم للسياسة المتبعة في الصين بل ليس هناك أتفاق حول طبيعة النظام السياسي نفسه ولذلك فإن تغيير النمط الاقتصادي الذي قادة السيد دنيغ وهو القاضي بادخال نمط السوق ومفهوم الحرية الاقتصادية الى الاقتصاد الصيني هو الذي أجبر الأقليات الصينية المهاجرة على التفاعل مع هذه التغيرات واستثمارها وكانت الصين بدورها أستثمرت هذه القوى المهاجرة من أجل المساعدة على نشر منتجاتها الاقتصادية حول العالم في بداية الوقت.

إذا كان وضع الصين كما تم ايضاحه وهي من الدول المصدرة للقوى البشرية غير المدربة فإن العالم العربي يكاد يتشابه مع الصين في بعض الجوانب ويختلف عنها في البعض الآخر. العالم العربي من المناطق المصدرة أو الطاردة للقوى البشرية حيث تفيد الاحصائيات أن هذه الهجرة لا تنحصر على القوى العاملة بل أن المتعلمة والمثقفة وذات الشهادات العليا هي ايضاً من العناصر المغادرة سواء الى أوروبا أو الى أمريكا وكندا. ان كان العرب لم يحققو ما حققه الصينيون من حيث وجود احياء كبيرة يسكنها الصينيون إلا أن العرب يتجمعون في مناطق لم يمكن الحكم عليها بأنها احياء كاملة إلا في مناطق محدودة في ولاية مشغن الامريكية وبعض المناطق في أوروبا وخصوصاً في فرنسا والملاحظة العامه على جاليه الهجرة العربية يجمعها الهم الواحد والوضع المتردي الواحد وليس المصلحة بحيث تجد أن التجمعات العربية في خارج العالم العربي يجمعها مفهوم الفقر والظلم اكثر مما يجمعها في مناطق معينة مفهوم المصلحة الواحدة سواء الثقافية أو السياسية أو الاقتصادية، بل ان العناصر العربية التى تخرج عن مثلث الحصار السابق فإنها تخرج من

هذه التجمعات غير آسفة على ذلك ولا تحلم أو تتطلع للرجوع إليه بل أنها تقوم بأزدراء خلفيتها الزمانية والمكانية بشكل ملفت للنظر تزيد حالة الازدراء أو تنقص حسب التوجه العقائدي أي كلما كان العنصر مسيحي فانه يزدي البعد العربي والاسلامي بشكل كبير وكل ما كانت هذه العناصر اكثر ابتعاد عن المشاعر الدينية وان كانت تنحدر من أصول اسلامية فإنها كذلك تكون اكثر ابتعاد عن أصولها الاسلامية وتكاد تكون الرابطة الدينية هي الرابطة الحقيقة التى ابقت جزء من المهاجرين ضمن منظومة ثقافية اسلامية مهاجرة.

والسؤال يبقى قوي وحاد من حيث ان العالم العربي في مجملة لم يستطع استثمار هذه القوى المهاجرة بشكل يمكن أن يعكس مزيد من النفوذ والتأثير لدول العالم العربي في مناطق استقبال المهاجرين بل ان علاقة الدول الأم بهذه الأقليات المهاجرة هي دائماً في حالة من الانقطاع ان لم يكن من العداء.

إذا كانت القوى الغربيه تستغل هجراتها والصين اليوم تستغل هجراتها لماذا العرب لم ينجحوا في استغلال هذه القوى المهاجرة؟ ان جزء من الاجابة يمكن أن يتلخص في بعض النقاط التالية: ـــ

أولاً : ان جزء كبير من الطبقات العاملة والمتواضعة استطاعت ورغبت الخروج والهجرة من دولها الأصلية بحثاً عن الرزق وهذه القوى هي على مستوى عالياً من الأمية والتخلف المهني والتنظيمي ولذلك هاجرة كأيدي عاملة ومن المتوقع أن تستمر في حزام الفقر والعوز والتشتت.

ثانياً: ان عدد كبير من ذوي المواهب العلمية والتقنية الذين تركو بلادهم من أجل حياة أفضل هم من الذين امتزج البعد الاقتصادي أي الحالة الاقتصاديةالمتردية بجانب البعد الثقافي والعلمي أي فقر الدول العربية في هذه الابعاد بل ان الانظمة السياسية العربية مسؤولة الى حد كبير عن هذه الهجرات المتعاقبة من صفوة المجمع الى عوالم أخرى. وهذه القوى خرجت كارهتا لما هو موجود في بلادها وهذا الكره عنى ايضا الانغماس في بلاد المهجر من أجل الفرص المتعددة وكذلك يعني عدم استثمار هذه القوى البشرية المنظمة في إعادة ترتيب الأولويات وتنظم القوى الاخرى أي الطبقات الدنيا وذوى التعليم والتدريب المتدني في بلاد المهجر.

ثالثاً: ان اغلب الهجرات التى تركت العالم العربي الى حد كبير هي على خلاف قوي مع طبيعة الحياة السياسية في العالم العربي ولذلك فان مفهوم التعاون بين الطرفين مفقود وغير موجود إلا في أضيق نطاق.

رابعاً : ان الخلافات العربية العربية ونظرة الازدراء والاحتقاد والفوقية التى يعانيها العالم العربي شعوباً ودول انعكست على عرب المهجر بشكل واضح بحيث انتقلت النظرة

السائدة داخل العالم العربي الى مناطق الهجرة.

خامساً : ان الخلافات الحقيقية والواضحة سواء الفكرية أو العقائدية التى تحكم التوجهات داخل العالم العربي أصبحت أهم القواعد التى تؤسس القوى العربية في المهجر ولذلك بدل من أن تحقق الهجرة الانصهار بين هذه القوى المهاجرة بل أصبحت تؤسس الى تنظيم الخلاف وتكريسه.

سادساً: ان العالم العربي يفتقد الخطة الاستراتيجية للتنمية الاقتصادية المنتجة ولذلك فإنه حتي ميزة الارتباط الاقتصادي بهذه القوى المهاجرة غير موجودة كما هو الحال في حالة الصين حيث أن الدول العربية تفتقد مفهوم الانتاج والتصدير والذي كان نتيجة لعدم وجود خطط أقتصادية في هذا الاتجاه.

العرب وآسيا

على الرغم أن التاريخ العربي الإسلامي كان ذو باع طويل في مد جذور العلاقة العربية الاسيوية حيث الشواهد التى تدل على تواجد عربي كبير في القارة الآسيوية وخصوصاً أطراف هذه القارة سواء في شبه القارة الهندية وأندونيسيا، ماليزيا إلا أن العرب لهم الحضور الاسلامي في أغلب مناطق القارة الاسيوية باستثناء اليابان وأستراليا على الرغم من تنامي التواجد الاسلامي هناك. أقول على الرغم من التواجد العربي عبر التاريخ وعلى الرغم من الحضور التاريخي للثقافة العربية الاسلامية إلا أن العرب وحسب المنطق السياسي كان يتوجه نحو الغرب ليس فقط لان الغرب هو مصدر الثراء والتجديد العلمي والتكنولوجي بل لان الغرب شكل مركز الثقل السياسي الحقيقي في العالم على فترة تزيد عن ثلاث قرون من الزمن كانت بدايتها مع النهضة الأوروبية ثم مرحلة الاستعمار ثم مرحلة علاقة التبعية السياسية والاقتصادية من العالم العربي تجاه العالم الأوروبي والأمريكي.

وبعد تغير موازين النظام العالمي اليوم وأنهيار الاتحاد السوفيتي وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية على سلم القوى الدولية فإن ذلك لم يغير من ديناميكية التغيير البطيء الذي آخذ بالتشكل في العالم والقاضي هذا التغيير أن القارة الآسيوية شكلت العديد من النجاحات ولعل أبرزها النجاح الأقتصادي على الرغم من الأزمة التى تعيشها آسيا اليوم إلا أن ذلك لا ينفي وجود تغير أقتصادي هائل تعيشة آسيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في حالة اليابان ومنذ الستينات في حالة الدول الآسيوية الأخرى بما فيها الصين. وهذا التحول والتشكل البطيء هو حسب الفهم العميق لمفهوم نهوض الأمم يعتبر توجه طبيعي ومنطقي حيث أن آسيا وجدت بالهيمنة العسكرية القريبه القوية توجه شبه أجباري ومنطقي في ذات الوقت نحو الجانب الاقتصادي أو التنمية الاقتصادية وبالتالي توجيه موارد وأمكانيات الدول الآسيويه نحو البعد الاقتصادي وهو الأمر الذي حقق نجاحات لا يمكن اغفالها أو غض الطرف عنها وكانت هذه النجاحات أعطت العديد من المؤشرات منها على مستوى الانتاج العالمي حيث سجلت دول اسيا أرتفاع ملحوظ على مستوي الانتاج العالمي وعلى مستوى البرائة العلمية وعلى مستوى تحسين الوضع الاقتصادي والمعيشي وكذلك على مستوى غزو الاسواق العالمية كل هذه النجاحات كانت على حساب الهيمنة الاقتصادية الغربية على العالم وهذا لا يعني أبداً أن دول آسيا قد وصلت الى مرحلة متقدمة من التجارة العالمية ولكن المؤشرات تؤكد على تطور مستمر ومتسارع في هذا المجال وإذا كانت آسيا قد حققت التطور الاقتصادي هذا فإنه لن يستمر فقط على مستوى لعب الاطفال والاجهزة

الالكترونية البسيطة والسيارات ذات المواصفات البسيطة بل من المتوقع أن تدخل دول اسيا الصناعية مرحلة جديدة في مفهوم التصنيع وذلك من خلال إدارة المشاريع الصناعية الاكثر تعقيداً وتطوراً من حيث الكم والكيف سواء ببعدها في مسألة الحاسب الآلي أو في مسئلة التسلح خصوصاً وأن هذين المجالين يعدان من أكثر المؤشرات في مسألة المبيعات الخارجية وأكثرها ربحيه بالإضافة إلى أضفاء الهيبة السياسية والعسكرية على الدول المصنعة ناهيك عن امكانية القدرة في تحويل هذه القدرات التصنيعية من الجانب المدني للعسكري أو العسكري للمدني.

ولكون آسيا سوق تسعى إلى ربط هذا التطور بربطه بروابطه الخليفة والامامية ونقصد بها هنا مسألة المواد الخام وحاجة الدول الآسيوية إليها سواء مواد الطاقة أو غيرها من المواد الخام وكذلك سوف تحتاج الدول الآسيوية إلى أسواق في المستقبل بشكل أكبر وسوف يكون البحث في هذه الاسواق على حساب الدول الصناعية المهيمنة على السوق فهذا يعني أن الخلاف الاقتصادي بين الدول المصنعة التقليدية ودول آسيا سوف يكون قوي بل وأحتمال تطورة إلى مفاهيم سياسية وثقافية في المستقبل ومن هذا المنطلق والمدخل سوف يجد العالم العربي بدون أستثناء والمنطقة الخليجية على وجه الخصوص الفرصة المواتية والجيدة من أجل ترسية علاقته مع دول آسيا بشكل جيد وعلى أسس قوية ولعل من أهم الدول التى يجب الالتفات إليها بشكل جدي وقوي هي الصين، الهند، اليابان، كوريا. أندونيسيا، ماليزيا وأن حصول الدول العربية على علاقة اكثر قوة ومتانة في المجالات الاقتصادية اليوم وتعزيزها بل ويجب وضع أطراً أقوى من أجل نقل وتطوير مثل هذه العلاقة إلى آفاق أقوى وأرحب على المستوى السياسي والعسكري وهنا يجب التأكيد على أن تطوير هذه العلاقة لا تكون على حساب العالم الغربي وأنما هذا التعزيز من أجل أعطاء أمكانيات سياسية وأقتصادية تستطيع بها الدول العربية أن تدخل النظام الدولي وخصوصاً النظام الاقتصادي الدولي مستفيدة من الخلاف المحتمل بين آسيا والعالم الغربي مما يعزز المكانة الاقتصادية العربية وكذلك المكانة السياسية وخصوصاً في مجال القضايا العربية ومسألة السلاح وأحتكار التكنولوجيا العسكرية.

لقد حان الوقت من أجل وضع استراتيجية عربية أو حتى خليجية من أجل أستثمار التغيرات الهائلة والأخذة بالتبلور في اسيا وأن الدول العربية والخليجية اليوم معنية أكثر من أي وقت مضى أن تتحرك لفتح آفاق جديدة لها على مستوى القارة الآسيوية وتكون هذه الاتسراتيجية مبنية على دراسة علمية جيدة لدول آسيا ومراكز قواها وعملية اتخاذ القرار في أنظمتها السياسية وكذلك دراسة أستراتيجيات الدول الآسيوية مع إيجاد فكرة واضحة عن أهداف ورغبات الدول الآسيوية والدول العربية على حد سواء ومن هذا المنطلق يمكن

أستثمار التغيير والتطور الاسيوي لصالح العالم العربي وأنه بدون هذا التحرك الجاد والعلمي والقوي فإن إسرائيل سوف تكون أكثر قبولاً لدى هذه الدول من الدول العربية وسوف يكون العالم العربي اكثر ضعفاً في آسيا مقارنتاً مع اسرائيل كما هي الحال في ضعف العالم العربي تجاه أوروبا إذا ما قارناها باسرائيل وعند ذلك تكون الدول العربية هي التى يقع عليها المسؤولية وليس دول اسيا التى تبحث عن منافذ وفرص أقتصادية وسياسية لم تستثمرها الدول العربية بالشكل المناسب والطريقة الملائمة.

القدوة

من مخـازن الأمم وقوتها ليس فـقط القوة المادية المتمـثله بالقوة العسـكرية والمواد الخام أو القـوة المعنويه المتمـثله بالانجاز الفكري الفلـسفي الذي يتـحول إلي انجازاً حضارياً مـتكامل، أقول أن هذه القوى الآنفه الذكر هي جزء من كل وقليل من كـثير عندما نحصر ونعد قوة الامه، أي أمة مع أمة أخرى. ولعل هدف مثل هذا المقال هو الحديث عن أحد هذه القوي المسـكوت عنها والتى تبـدو للوهله الأولى أنها تلعب دوراً مـادياً إلا أن دورها المعنوي أهم وأعمق في حياة الأمم. قاد إلى مـثل هذا الحديث هو التجربة الاجتماعيـة التى كانت تحت المراقبة والمتابعـة خلال سنوات الدراسـة للمجتـمع الأمريكي ثم بعد ذلك المراقـبة والمعـايشة للمجـتمع العربي.

المجتمع الأمريكى عـرف أنه مجتمع هجرة من أوربا في البداية ثم تقـاطرت عليه الهجرات من جميع انـحاء العالم فقط هم السـود (الامريكيين من أصل أفريقي) الذين قودو جـبراً وعنوة إلى المهجر الغـربي من أفريقيا حيث ترقد ثقـافتهم وجذورهم السياسـية والاجتماعيـة والحضارية وبهذه العملية التهجيرية القسريه لم يفقد السود المحيط الثقافي الطبيعي الذي نمو وتعاملوا معه بكل تقلباته القبيليه والفكرية فقط، بل فقدوا نتـجية لهذه الهجرة الرحم الثقافي المتراكم منذ آلاف السنين وبذلك كانت الـهجرة هي انتقـال من محيط ثـقافي نفسي الى العـراء. أخذت هذه المرحلة تأزم المنطلق الثـقـافي لسود الـولايات المتحـدة الأمـريكيه بدأت بـالمرحلة العبـودية ثم مـرحلة الانسلاخ الحـضاري تبعهـا بعد ذلك مرحلة البـحث عن الذات في المحيط الحضـاري المغاير مما خلق نموذج ثقافي تلفيقي توفيقي يخدم المرحلة. أستمرت ذلك لعقود من الزمن أنتجت ما يعرف الآن بثقافة السود فى الولايات المتحدة الامريكيه . حدث لهذه الثقافة العديد من الهزات والزلازل كان أبرزها حـركة تحرير السـود التى قدمت في البدايه من الشـمال الشرقي للولايات المتـحدة الامريكيه الذي كـان يبحث عن عمال لمصانعـه والمتواجدين في مزارع الجنوب وحركـة التحرير هذه كـان لابد لهـا من غطاء ايديولوجي مع العـلم أن حـركـة تحـرير السـود هذا بمنـطلقـهـا الايديولوجي تغطى الأهداف الحـقيقـيه السيـاسية والاقـتصاديـة على وجه الخصـوص. الهزة الثانية التى هزت المجـتمع الأسود هو انتقال حـركة التمرد من الاستـخدام الأيديولوجي من قبل الرجل الأبيض إلى الصراع التـحرري من الرجل الاسود نفـسه حيث راح ضـحيتهـا العديد من الشـخصيات السوداء لم يبرز منها إلا بعض الاسماء القليلية ولم يُبرز الأعلام الامريكي إلا القليل من هذه الشـخصيات خصوصاً الشخصيات التى تعمل على رفع مستوى حقوق الانسان الأسود في أطار من المرجعية الثقـافية الامريكية سواء السياسية أوالفلسفـية أو الدينية مثل مارتن لوثر كنج الثاني الذي عاش في مرحلة التغيير الثقافي الامريكي بشكل قوي وهي مرحلة الستينات من

هذا القرن . وهذا الرجل الذي نقل المجتمع الأمريكي الأسود من العزلة الثقافية المغطات داخل المجتمع الأسود إلى اخراجها إلى الملاء وعلى وسائل الأعلام محاولاً جعل ثقافة السود ونموذج حياتهم هي جزء من الثقافة الأمريكيه أو حتي جزء من الفسيفساء الثقافية الأمريكيه. هذه الطريقه كانت الأفضل والاجدى لراسمي الاستراتيجية الأمريكيه على المحيط الداخلي وذلك بادخال المجتمع الأسود المعزول إلى دائرة التركيبه السياسية والاجتماعيه الأمريكيه ورغم المعارضة القوية التى تلقاها هذا التوجه من اليمين المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكيه وذلك لأسباب سياسيه وعرقيه عنصريه بحته نجد المطالبين داخل أمريكا بطرد السود من هذه الدولة القويه تحت شعار أن الرجل الابيض هو الذي قاد وقام ببناء هذه الدوله المهيمنه.

محاولة أدخال الرجل الأسود داخل النظام السياسي والاجتماعي الأمريكي لقيت النجاح فى بعض جوانبها والكثير من الفشل في جانبها الآخر مما دفع إلى الهزة التى بداءت تحرك المجتمع الأسود للبحث عن الذات كان منها أفرقة الثقافة لسود الولايات المتحدة الأمريكيه أي تعطيم الحياة الثقافية والاجتماعية لسود امريكا بالبعد الثقافي الافريقي وكان منها البعد الاسلامي حيث يكتشف بعض السود في الولايات المتحدة الامريكيه جذورهم الافريقيه الاسلامية مما يدفعهم إلى التعرف على الدين الاسلامي ثم اعتناقه والبعض يحاول الرجوع إلى جزء من النمط الثقافي الافريقي سواء بالسفر المتكرر لأفريقيا أو باستخدام اللباس الافريقي من وقت إلى آخر أوحتى باخراج ثقافة اجتماعيه شبه مغايره للثقافة المهيمنه للرجل الابيض.

كل هذه التحولات والتنقلات يتعرض لها الفرد الأمريكي الأسود دون أن تكون مربوطه بنماذج ورموز يمكن أن تكون المثل الأعلى للاحتذاء وخصوصاً نماذج قادمة من رحم وقلب الثقافة الافريقيه الكثير من نماذج الاحتذاء. والقادة الذين قادوا المجتمع الاسود في أمريكا كانو هم ذاتهم يبحثون عن نموذج يرجعون اليه من كل ذلك لخص بعض علماء الاجتماع فى امريكا مأزق الرجل الاسود وسبب تردي وضعه الاجتماعي بانعدام النموذج القوي الراسخ حيث أن هذا النموذج أنقطع بعد الهجرة القسريه ثم بعد ذلك باعادة تشكيل ثقافة وسلوك حياتى جديد للسود في الولايات المتحدة الأمريكيه.

هل المجتمع العربي وهو يعيش مرحلة التغيير الثقافي والاجتماعي والتكنولوجي منذ عصر النهضة حتي اليوم يعيش شيئاً مقارباً لما تعرض له الفرد الاسود في الولايات المتحدة الامريكية. الفرد العربي لم يُهجر قسراً إلى هناك ولم يستبعد من محطية الثقافي والاجتماعي بالشكل الذي تعرض له الفرد الامريكي الأسود. ولكن في ذات الوقت فإن الفرد العربي يعيش مرحلة تغير جذريه هائله منذ منتصف الخمسينيات وخصوصاً السبعينيات منها بهذه التغيرات أصيب الفرد العربي بانعدام البوصلة الثقافية والحضاريه. الفرد العربي عكس الفرد الامريكي الأسود لديه الرموز الفكرية والحضاريه الخالدة والتي يستطيع الفرد العربي أن يباهي بها أهم وأعظم عظماء

العالم ومع ذلك تكتشف أن الفرد العربي ليس متيقناً من ذلك . الفرد العربي على الرغم من معرفته الجيدة بالخصائص المتميزة للنماذج الأسلاميه التى تعد أهم وأفضل نموذج يمكن أن يحتذى ويتبع وعلى الرغم من أقتناعه بذلك نجد أنه لا يتصرف وفق لهذه القناعة أو النتيجة فنجد مثلاً أن أكبر الافراد الذين يحثون على الزهد وترك مباهج الدنيا والالتفات للآخره هم أكثر الناس حرصاً على الدنيا وأقتناء ملذاتها وأموالها وفي نفس الوقت أن الأفراد الذين يدعون إلى الصدق وعدم الغش نجدهم من السباقين فى ميادين هي نقيض هذه الدعوات والفرد العربي المناصر لحقوق المرأة مثلاً، نجد نموذجه الفكري اكثر الناس استغلالاً للمرأة ولا يتردد باخذ نصيب الأسد ما أمكن من هذه المرأة التى يريد أعطائها حقوقها بل أن الكثير من هذه النماذج تستخدم البعد الايدلوجي (تحرير المرأة) لأغراض شخصية نزواتيه اكثر منها قضية ترتبط بمفهوم التحرر أو دفاعهم عن المصلحة العليا. ثم نكتشف التفاصيل التى تذهلنا وهي أن الكثير من الأفراد التى تدعو للنزاهه في العمل اكثر من يخالف مبدأ مفهوم النزاهه ونكتشف أن الفرد الذي يدعو للنظام الاداري أو المروري هو الذي يخالف هذه الانظمة عندما يأتي دوره ليكون على المحك أمام التجربة. والمراقب للمجتمع العربي يعجب من هذه الأزدواجية وتعدد الشخصيه في الشخص الواحد بل أحياناً يتمثل لك شخص أو فرد بعينه يعيش عدد من الشخصيات التى تنتمي لأطار فكري ومرجعي مخالف. واذا كان الفرد الامريكي الاسود قد نزع من بيئته الطبيعه وأخذ يبحث في العراء عن مرجعيه ثقافية وحضاريه فإن الفرد العربي يعد اكثر تعقيداً وتشابكاً في هذه الحاله من حيث توفر المرجعيه الثقافية والنماذج والقدوة التاريخيه ومع ذلك تكتشف هذا الانقسام النفسي وتعدد المرجعيه الثقافية والخلط بين هذه المرجعيات في بعض الحالات التى تخدم اهداف وأغراض الفرد العربي الآنيه.

من كل ذلك فإن الفرد العربي يعيش مرحلة شبه انفصاميه من النماذج التاريخيه وبالتالي بدأ يعيش شبه أبتعاد وانفصام من الرحم الثقافي ولذلك فالفرد العربي ينطلق للجديد تاركاً ومبتعداً عن البعد الحضاري العربي خالطاً بذلك الجديد على المستوى الحضاري الفلسفي والجديد على المستوي التكنولوجي التقني. والسؤال هل يمكن للأنسان الفصل بين البعد الحضاري والثقافي والبعد التكنولوجي التقني وإذا كانت الاجابة بنعم فإنه يمكن للفرد العربي أسترداد بوصلته الثقافية مع تقدمه التكنولوجي. واذا كانت الاجابة ان الحضارة الغربية كل واحد لا يمكن فصل البعد الحضاري عن التكنولوجي التقني فإن الفرد العربي دخل نفق التغيير وسوف يخرج الينا فرداً عربياً ونموذج وبعداً حضارياً مغاير وفى هذا المعيار لا يختلف فرد أنتزع من بعده الحضاري كما حدث للفرد الامريكي الاسود والفرد الذي داهمته الحضارة المغايرة وهو مازال في مرحلة البيات الشتوي كما هو حال الفرد العربي.

القرن المقبل ... قرن القوة بالاندماج

إذا كان القرن الذي ينصرم الآن هو قرن القوة العسكرية والفتوحات الجديدة في عالم التسلح والقوة بميادينها التكنولوجية حيث أنتج لنا هذا القرن القوة النووية والهايدروجينية والانطلاق للفضاء والطائرات المخترقة لسرعة الصوت والصواريخ التى يتم ضبطها وتوجيهها بواسطة الاقمار الصناعية والمحطات الارضية ولأن هذا القرن كذلك هو قرن الجماعية العسكرية أو ما يمكن أن يطلق عليه الحلفيه العسكرية أي أن هناك تكتلات سياسية وعسكرية قادة العديد من الدول الى أن تجعل من هذه التكتلات السياسية والعسكرية أحد عواملها الهامة في العمل على وجود وخلق نفوذ دولي لها وكان من هذه التكتلات حلف الناتو وحلف وارسو السابق والاحلاف المتعددة التى أحاطت بالاتحاد السوفيتي السابق وبعد أن بدأت تتعرض الأحلاف الواحد تلو الآخر بفعل التحول المستمر والديناميكية التى تنقل النظام الدولي من وضع الى آخر كان ذلك نذير بتحولات جديدة جاءت كنتيجة وكسبب بذات الوقت للدخول والاستعداد للقرن المقبل قرن الاتحادات والاندماج القوى الاقتصادية وهذا لا يعني أبداً أن الأهمية العسكرية والسياسية والايدلوجية بدأت تفقد بريقها وأهميتها بل العكس تماماً حيث أنه إضافة للعوامل السابقة أخذ الأقتصاد يأخذ حيزاً في مساحة التفكير الاستراتيجي الدولي ومن هنا جاءت التغيرات التى بدأت تطرأ على النظرة السياسية والاقتصادية والعسكرية الدولية والتى دفعت الى إعادة النظر بتشكل جديد في مفهوم التحالف والتحالف المضاد.

وبالفعل فقد نقلت النبأ ووسائل الاعلام المتعددة قبل فترة قصيرة أتحاد كل من شركة فايكم الاعلامية الهائلة مع شركة CBS الشبكة الاعلامية الواسعة الانتشار والواسعة التأثير في الولايات المتحدة الامريكية وحول العالم مذكرة العالم أجمع أن هذه الصفقة كانت بمثابة شراء فايكم لشركة CBS بملبغ ٣٦ بليون دولار ليكون رأس مال الشركة الجديدة هو ٨٥ بليون دولار وهذه المبالغ الهائلة لا ينتهي بذاته أو عند هذا الحد بل أن الشركة الجديدة أصبحت واحدة من الأخطبوطات الاعلامية ليس في المجال الاخباري والبرامج الجادة على شاكلت البرنامج الذائع الصيت (٦٠ دقيقة) والذي يعد واحد من أنجح البرامج الجادة على مدى اكثر من عقد من الزمن مما دفع العديد من المحطات الاذاعية والتلفزيونية محاولة محاكات مثل هذا البرنامج.

إلا أن الجديد في مثل هذه الاتحاد أو الاندماج هو يكمن بالمفهوم التكاملي والانتشاري حيث تملك شركة فايكم العدد الكبير من محطات التليفزيون والراديو المتنوعة والمنتشرة فى مناطق عديدة من الولايات المتحدة الامريكية وهي تُنقل حي على الهواء الى جميع انحاء العالم وهي من

التنوع والتعدد بحيث أنها تجمع بين المحطات المخصصة للاطفال الى بعض المحطات المخصصة لشؤون الموضة ولا يقف الأمر عند ذلك فإن شركة فايكم تملك ايضاً العديد من استديوهات التصوير سواء على مستوى الافلام القصيرة والصغيرة والافلام الكبيرة والطويلة وخصوصاً العديد من المسلسلات الاذاعية والتلفزيونية.

ومن جانب آخر فإن شركة CBS واحدة من اكثر المحطات حضور على المستوى الاخباري والمعلوماتى بل وعلى مستوى البرامج التلفزيونية المتعددة وتعد واحدة من اكثر الشركات أنتشار على المستوى الاذاعي ولذلك كان هذا الاندماج فما يعنيه هو أستغلال في مفهوم الانتاج والتصوير والبث بشكل لم يسبق له مثيل وبشكل متعدد ومتنوع من برامج الاطفال الى اكثر البرامج وثائقية وجدية وهذا يعني كذلك هو أحتكار العديد من المواهب البشرية والمناطق الجغرافية وبالتالي الحصول على اكبر عدد من المشاهدين أي اكبر قدر من التأثير حول العالم.

وعندما نقول عن القرن القادم هو قرن الاندماج لم يكن ذلك من قبيل المبالغة أو التهويل فهذه محطة CNN الاخبارية تتحد مع شركة تايم ويرنر وهذه والعديد من الاندماجات في شركات النفط سواء على مستوى أوروبا أو أمريكا أو على مستوى العالم. ،وهذه الاندماجات تصل حتى شركات السيارات خصوصاً على ضفتي المحيط بين القارة الامريكية والأوروبية وهذه الاندماجات البنكية هي على أشدها اكثرها تطوراً وفاعلية كل هذه الاندماجات تحدث امام نظر وسمع العالم وهي بكل بساطة استعداد للقرن المقبل قرن منظمة التجارة العالمية قرن اللاحدود وقرن القوة والانتشار.

وإذا كان القرن الذي ينصرم اليوم هو قرن تحويل العالم الى قرية يمكن مراقبة أطرافها فإن القرن القادم قرن استثمار هذه القرية بشكل اكثر فاعلية واكثر حضور.

ان لا شيء يدل على توجهات العالم في القرن المقبل مثل هذه الاندماجات الهائلة من أجل التسلح المعلوماتي والتكنولوجي وخوض غمار النظام الدولي الجديد القائم على التجارة الحرة وسياحة الافكار والاطروحات وكذلك فان العالم الاسلامي والعربي مطالب اكثر بإن يكون اكثر استعداد لمواجهة والتعامل مع هذا العالم الجديد مستفيداً من هذه النوافذ المشرعة والمتعددة من أجل التأكيد على الثوابت مع إيجاد سبل جديد وإعادة تفكير جديد من أجل الاستفادة من هذا العالم الجديد لمافيه خير الاسلام وأهلة وخير بلادنا وأهلها. وذلك عن طريق فتح الافق والمجال للعقول الجديدة والثقة بها بدل من أهمالها وابعادها عن موقع الحدث الحقيقي بدعوى عدم المعرفة أو التجربة أو عدم الثقة.

القوة البشرية كبنية تحتية

دأب الاقتصاديون والمهتمين بالشئون التنموية الاقتصادية والسياسية على الحديث عن مفهوم البينة التحية، ومفهوم البينة التحية هذا ينصرف الى البعد الاقتصادي فيه أي بناء بنية تحتية مادية من طرق ومواصلات بأنواعها وأتصالات بأنواعها وتسهيلات إدارية ومالية وخارجية من أجل أنتعاش أقتصادي حيث أن البينة التحتية هذه تكاد تكون أحد أهم عوامل الحسم في الماضي ولازال دورها مهماً وحيوياً حتى اليوم من أجل نهضة أقتصادية وبالتالي من أجل تنمية حقيقة وهذا السؤال المحرج هو اكثر ما يجابه الدول العربية باستثناء بعض دول الخليج حيث تفتقد الدول العربية للبنية التحتية المادية من أجل نهضة أقتصادية ولعل أنتفاء وجود هذه البينة التحتية المادية هو الذي يدفع الى تمركز أغلب الاستثمارات العالمية فى الشرق الأوسط فى إسرائيل على الرغم من حجمها المحدود ووجودها فى حرب وصراع مع جيرانها. أقول أن توفر البنية التحية المادية عند إسرائيل بالإضافة الى عوامل سياسية واجتماعية أخري لسنا في مجال ذكراها الآن هي التي تدفع إلى أن رؤوس الأموال العالمية تختار إسرائيل كقاعدة ومقر لمنطلق أعمالها في الشرق الأوسط. والحديث يصدق كذلك على القارة الافريقية حيث تتركز الاستثمارات الاجنبية في هذه القارة على الدول ذات البينة التحتية المادية الفاعلة وتأتي دولة جنوب أفريقيا على رأس القائمة من بين الدول الأفريقية ولعل هذه المعضلة، أي معضلة عدم وجود البينة التحتية المادية كانت أحد أبرز مشاكل دول وسط وشرق أوروبا بعد انعتاقها من المنظومة السوفيتية عندما اكتشفت هذه الدول أن قدراتها الاقتصادية وقاعدتها الاقتصادية وخصوصاً البينة التحتية المادية كانت متآكلة مقارنة بجيرانها من الدول الغربية حيث أن مستوي المصانع يتقادم ويصبح الانتاج فيه غير مجدى من الناحية الاقتصادية بل أن هذة الدول اكتشفت تآكل البنية التحتية المادية من طرق وامكانيات أقتصادية ناهيك عن انتفاء وجود شبكة أتصالات من هواتف والوسائل والاتصالات التى لا يمكن لعمل أقتصادي أو رجل أعمال ان ستغني عنها ولم تتوقف مشكلة أنتفاء وجود البينة التحتية المادية عند هذا الحد بل اندفعت اقتصاديات أوروبا الوسطي والشرقية الى الانحدار بمجرد الانعتاق من الهيمنة الايديولوجية الماركسية وتصادم هذة الدول مع الدورة الرأسمالية الهائلة السرعة والديناميكية . وعندما كتب السيد لسترثرو كتابة الذائع الصيت (Head to Head) والذي قام الدكتور محمد فريد بترجمته مشكوراً إلى اللغة العربية ونشره مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية حيث قام المترجم بجهد يشكر علية في ترجمة

الكتاب باستثناء عنوان الكتاب الذي إطلق عليه المتناطحون.

أقول قام السيد لسترثرو بتسليط الضوء فى معرض حديثه عن بناء التكتلات الاقتصادية الحديثه وخصوصاً عن اليابان والولايات المتحدة الأمريكيه وأوربا بالتطرق للمعانات التي تعيشها دول أوروبا الشرقية بالانتقال من النظام الشمولي والاقتصاد الموجة الى دول ذات نظام أقتصادي رأسمالي ديناميكي وكيف أن هذه الدول اكتشفت مدي تخلف بنيتها التحتية المادية وإن كانت المانيا الشرقية أكثر هذه الدول تطوراً فإن المانيا الغربية عندما توحدت مع المانيا الشرقية فإنها اكتشفت أن ما يزيد عن ٧٠٪ من البنية التحتية المادية لألمانيا الشرقية غير قابل للاستخدام أما لقدم التكنولوجيا المستخدمة أو لعدم توفر شروط السلامه ، والسلامة البيئية في المانيا الشرقية مما دفعها الى دفع بلايين الماركات من أجل إعادة بناء المانيا الشرقية بحيث تصبح مكان قابل للعمل وصالح لتوجية جزء من أنتاج المانيا اليها بل ومن أجل توجية وأغراء رجال الأعمال بالعمل والاستثمار فيها ناهيك أن الفشل سوف يقود إلى هجرة من الشرق الالماني الى الغرب الأمر الذي يهدد بكارثة أقتصادية وسياسية وإجتماعية على المانيا كلها. ولذلك فإن خيارات المانيا الغربيه كانت محدودة وليس لديها قدرة سوى إعادة بناء المانيا الشرقية وإعادة هيكلة بنيتها التحتية البشرية.

وإذا كانت البنية التحتية المادية هي أحد أهم جذب وتطوير الأقتصادي في جميع أنحاء العالم فإن دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية كانت مكان أفتخار ومضرب المثل فى توفير هذه البنية التحتية وهو كان ومازال أحد أهم سر الاسرار في هذة الديناميكية الأقتصادية والتطور المنقطع النظير الذي عاشته وتعيشة الولايات المتحدة الأمريكية وهو كذلك العامل الأهم الذي سعت دول أوروبا الغربية واليابان لبنائه من جديد وعلى أصول حديثه بعد أن دمرتها الحرب العالمية الثانية. بل يذهب بعض مؤرخو البنية التحتية الى القول أن سر التفوق الالماني على البريطاني يرجع الى تدمير البنية التحتية الالمانية مما دفع الى إعادة بنائها من جديد بينما بريطانيا لم تدمر بنيتها التحتية المادية بشكل كبير كما حدث للالمان مما دفع إلى العمل وتحسين البنية التحتية القديمة التى كانت تعمل قبل الحرب العالمية الثانية. والبنية التحتية المادية هي كذلك مصدر فخر واعتزاز لدول في شرق آسيا مثل ماليزيا وسنغافوره وتايوان وكوريا الجنوبية كما أنها مصدر فخر لدوله مثل المملكة العربية السعودية ودولة الامارات ودولة مثل عمان تسعى الى تحقيق مثل هذه البنية التحتية. وهذه الدول وخاصة المملكة العربية السعودية التى صرفت الملايين من مداخيلها على بناء البنية التحتية المادية أصبحت محط أنظار في مجال الاستثمار الاجنبي إلا أن هذه البنية التحتية المادية لا يمكن أن تقلع بمفردها وأنما تحتاج الى الجناح الآخر من أجل الاقلاع والتحليق في مجال التنمية الاقتصادية وهو فصل الخطاب في هذا المقال إلا وهو البنية التحتية البشرية.

أخذ مفهوم البنية التحتية البشرية يأخذ أهمية وأهتمام الدراسين بحيث أصبح أنتفاء وجود بنية تحتية بشرية قد تلغي الاستفادة من البينة التحتية المادية ويذهب الكثير إلى القول بأنه بدون وجود البنية التحتية البشرية فإنه ليس من المتوقع لمشروع مارشال فى أعقاب الحرب العالمية الثانية أن ينجح في أوروبا بمعني بدون وجود الطاقة البشرية المدربة والخلاقة فإنه لا يمكن لمشروع مارشال الشهير أن يعيد بناء أوربا الغربية من جديد حتى ولو صرفت مبالغ اكبر بكثير مما صرف.

ومن أجل توضيح فكرة البنية التحتية البشرية فإنه يجب التفريق بين ثلاث أصناف منها : —

أولاً : الطبقات المتعلمه والمثقفة وهذه دورها تعليمي تنظيري تثقيفي تحفز على العمل وتساعد على أختيار النماذج بعد الدراسة والتمحيص كما أنها تساعد على تحفيز الأمة على التحضر والسلوك الحضاري سواء الانساني الاجتماعي أو الانساني الاقتصادي والمعرفي.

ثانيا : الطبقات المهنية وهذه الطبقة تبدو أنها تلعب دوراً جوهرياً في عملية البناء وهذه تتطلب المزيد من العناية والأهتمام من أجل أعطائها المهارات اللازمة والجيدة. وللأسف فأن جل الدول العربية تفتقد لهذا النمط من القوى البشرية بحيث يصبح إيجاد الفرد الفعال القادر علي العمل فى مصنع أو معمل عالي التقنية ضرب من الخيال في هذا الوقت بل أن وجود أفراد لصيانة هذه الادوات التى تتوفر فى المملكة على أحدث المواصفات والتطور التكنولوجي هو أقرب الى الاعجاز منه الى الحقيقه ويصطدم المستهلك مراراً وتكراراً أن أي عطل في أحد مقتنياته من الأجهزة فإن شراء جهاز جديد هو أسلم القرارات بدل من صيانته عند هذه القوى المهنية المتردية ولا أدل على ذلك من المعاناة الحقيقية التى يعيشها من يقتني سيارة على سبيل المثال لا الحصر.

ثالثاً : طبقة الاداريين ورجال الأعمال وهذه الطبقة في هذا الوقت تعد أحد أهم نفائس التطور الاقتصادي بحيث أصبح هؤلاء أنهم أحد أهم الطاقات التي تشغل محرك التنمية بل أصبحت هذه الطبقة ذات ثقافة خاصة، وهنا نعني بالثقافة بمفهومها الأوروبي أي لا نعني التعليم بل نعني أسلوب حياة وطريقة تفكير، وبدون فهم وبناء هذه الطبقة فإن الاستفادة من البنية التحتية المادية سوف يكون محدوداً إن لم يكن معدوماً ولذلك ذهب السيد لسترثرو في كتابة السابق إلى القول انه على الرغم من وجود الطبقة المثقفة تثقيفاً عالياً في أوروبا الشرقية وروسيا فإن هولاء لم يستطيعوا أن يعيدوا الحياة الديناميكية لاقتصاديات لهذه الدول بل ذهب للقول بالحرف الواحد على لسان أحد النكات السوفيتيه بالقول (نخن ندعي العمل وهم يدعون مكافأتنا) «المتناطحون، ص٨٩» حيث العمال أعتادو في حياتهم علي عدم العمل بجد وكما أعتادوا على عدم المبادرة (إذا أن الأسواق تحتاج الى أفراد مستعدين لتحمل المخاطر، وبعد أن يقضي المرء حياة طويلة يتلقي فيها الأوامر حول ما يفعلة أو لا يفعلة، ربما تصبح المبادرة صفة يصعب استعادتها) (مرجع سابق ص٨٩) لذلك فإن عملية خلق طبقة من رجال الأعمال التى تؤمن

بالعمل والحوافز والمكافئه على العمل هي في غاية الأهمية. وأهمية القضاء على فئات من رجال الأعمال التي تؤمن بالتدليس والمحسوبيه وغالبا ما تحصل علي عوائد تفوق إلى حد كبير ما تقدمة من أعمال وأنجار.

وأذا لم يتحقق بناء طبقة من رجال الأعمال المدربة على شؤن العمل وحركة السوق وكذلك تدريبها على العمل الجاد والحوافز الحقيقيه فإن الاستفادة من القوي البشرية الاخري والبنية التحتية المادية هي عملية محفوفة بالشكوك حتى تتقادم هذه البينة التحتية دون أن يكون هناك قوي فنية لصيانتها أو قوى أدارية للاستفادة منها وسوف يبقي حديث أصحاب الفكر

المد الليبرالي

كان من أهم أنتقادات النظرية الماركسية للرأسمالية هي حدوث موجات الأزمات الأقتصادية التى تحدث من فترة إلى أخرى بفعل العرض والطلب وحرية السوق المحرك الحقيقي للنظام والنظرية الرأسمالية. والرأسماليون يرون أن اليد الخفيه أو حركة السوق هي سر الأسرار في هذا التطور الهائل في وسائل الانتاج وبالتالي الانتاج الأفضل على اكثر الانماط أقتصادية وربحيه. والماركسيون لم يحللو فقط عملية العرض والطلب التى تؤدي في نهاية المطاف إلى تزاوج مصالح الطبقة الرأسمالية بعد أشباع الاسواق المحلية مع النخب السياسية في حكومة تتميز بالصغر وعدم التدخل فى الشؤون الاقتصادية، هذا التزواج بين الطبقة الرأسمالية والنخب السياسية سوف يقود وقاد إلى ما عُرف بالانبريالية والتى صاحبت مفهوم الاستعمار من أجل البحث الدائم والدؤوب عن المواد الخام والأسواق تبع ذلك ما عُرف بالمد الديني أو التبشيري وأحياناً التبشير الثقافي كما عملت وحاولت الآله الاستعمارية الغربية علي وجه الخصوص، والتبشيريه الثقافية هنا لا تعني الثقافة على اطلاقها بل تعني التشيريه الثقافية ذو الوجهة الغربية بشكل محدد. تطور هذا التزواج والتحالف بين الرأسماليين والنخب السياسية من تزواج مرحلي تكتيكي إلى تزواج وتحالف أستراتيجي بعيد المدى يصب فى المصلحة الاقتصادية، والمصلحة الاقتصادية هذه لا يمكن تحقيقها على الوجه الاكمل والأفضل دون أدخال عناصر جديدة قادرة علي تنفيذ المشروع بشكل أفضل أو على الأقل سوف تكون عناصر مهمة ومساعدة على أنجاح المشروع الاقتصادي ونجاح التحالف بين الرأسماليين والنخب السياسية. وهنا يبرز دور المفكر الاستراتيجي والمثقف بمفهومة العامة. لماذا الاستراتيجي ؟ ولماذا المثقف ؟ فإن أهمية الأول تكمن في وضع الخطط الاستراتيجية الأستراتيجية البعيدة المدى على المستوى السياسي والأقتصادي والاجتماعي والعسكري من أجل الامعان في تعزيز القوة مقابل أضعاف الطرف الآخر وهذا ما قُصد منه في مفهوم الانبريالية المعاصرة من هيمنة دولة على دولة أخرى أو هيمنة دولة (أ) على دولة (ب) بحيث تشعر دولة (ب) أنها لا تستطيع العمل والتخلص من هيمنة دولة (أ) وبالتالي تصبح تصرفات دولة (ب) نابعه وتصب في مصلحة دولة (أ). إذا كان هذا هو هم الاستراتيجي بشكل قوي والتى تدفعه الى رسم الخطط ووضع وتطوير الطرق الكفيلة بوجود وتجذير هذه العلاقة غير المتكافئه بين دولة (أ) ودولة (ب) فإن من أدوات أمعان وتجذير مثل هذة العلاقة هو المثقف حيث تم استغلال وأستثمار المثقف تحت مفهوم الثقافة من أجل تجذير العلاقة وتعميقها بين دولة (أ) ودولة (ب) الى علاقة ذات وشائج ثقافية بمعنى آخر أن البعد الثقافي سوف يكون أحد عوامل هيمنة دولة (أ) على دولة (ب).

ويخلص من كل ذلك أن الرأسمالية أستطاعت المزواجة في بداية الوقت بين الرأسمالية والنخب السياسية مما أنتج عنه ما عرف بالانبريالية القديمة والتى تمثلت بالمد الاسباني والبرتغالي والهولندي ثم تزاوج الرأسماليين والنخب السياسية الاستراتيجيين مما أعطي دفعه لما عرف بالاستعمار البريطاني والفرنسي حتى تم أدخال ادوات اكثر تعقيداً ودهاء على هذه العملية بادخال الجوانب الثقافية بشكل اكثر هيمنة وبالتالي كل هذه العوامل أصبحت متسلسلة تسلسلاً شبه هرمي بحيث الثقافة تخدم الاستراتيجي والاستراتيجي تخدم السياسي والسياسي يخدم الرأسمالي بيت القصيد وأهم هموم النظام الرأسمالي.

والعلاقة غير المتكافئة المعاصرة والتى تقودها الولايات المتحدة الأمريكيه تم بناء عليها أدخال وأستثمار العناصر المتعددة الذكر السابقه وخاصة منها السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي بحيث أصبح مفهوم الامركة أو الثقافة الأمريكية لا يخشاها العالم الثالث والعالم العربي جزء منه بل أصبحت دول كثيرة تخاف هذه الامركة حتى الأوروبيين في حياتهم العامة والخاصة أقرب الشعوب للثقافة الامريكية أصبحو يخشون هذه الهيمنة الثقافية الامريكية والغربيين، والفرنسيين على وجه الخصوص لا يخافون فقط الانبريالية الأمريكية بل وصل الحد بهم الخوف من الانبريالية الثقافية الاسلامية العالم الضعيف والذي ينزف من كل جانب من جوانبه.

ولكن ما دخل كل ذلك بالمد اللبرالي ؟ كان للمد الرأسمالي القائم على اللبراليه والحرية الاقتصادية ثم انتقل الى مفهوم اللبراليه والحريه على أطلاقها سواء الفكرية أو الشخصية أصبح مفهوم الرأسمالية الاقتصادية بفعل المثقف وادارته لدفة المفاهيم الثقافية بمقدورة تحويل مفهوم الحريه واللبراليه الاقتصادية الى لبراليه أجتماعية وفكرية .

وأصبح مفهوم الرأسمالية مرادف لمفهوم اللبرالية وأصبح مفهوم اللبراليه مرادف لمفهوم الحريه وبالتالي أصبح مفهوم الرأسمالية مرادف لمفهوم الحريه بحيث تكون المعادلة هي إذا كانت أ = ب ، ب = ج فإن أ = ج وعندما خرجت الماركسيه لنقد الرأسمالية الجانب الاقتصادي تحولت إلى ايدلوجية أقتصادية معارضة لمفهوم الرأسمالية ولكن بفعل المثقف تحولت المسألة اكثر بعداً من بعدها الاقتصادي بل أدخل عليها الابعاد السياسية والثقافية حتى الدينية بحيث أصبحت الحرية الاقتصادية بالمفهوم الرأسمالي تعني الحرية السياسية والفكرية والدينية الى جانب الحرية الاقتصادية وعلى النقيض أصبحت الماركسية لا تمثل التحكم في وسائل الانتاج وأمتلاك القطاع العام لوسائل الانتاج مما يعني التضحية بحرية السوق والحرية الاقتصادية بل يتبعها تحكم سياسي وثقافي واجتماعي بل وحتى كتم الحريات الدينية وبالتالي تحول الصراع بين الطرفين بين الحرية أو اللاحريه في خضم الحرب الباردة.

إذاً استطاعت الرأسمالية الاقتصادية ان توظف جميع قواها الاقتصادية والسياسية

والاستراتيجية والثقافية وتتوحد كجبهة واحدة ضد الايدلوجية الاقتصادية المناقضة إي الماركسية. والرأسمالية أستطاعت توحيد المتناقضات بين القيم الاجتماعية والرأسمالية وبين المثقف والرأسمالي وبين المثقف والسياسي وبين السياسي والاجتماعي وأستطاعت الرأسمالية جمع هذه المتناقضات كقوة واحدة من أجل دخول الحرب الايدلوجية مع النظرية الماركسية. وبفعل هذا التزواج أصبح الرأسمالي المتشدد يمثل قمة اللبرالية وجرى الخلط بين الرأسمالي المتشدد والمثقف اللبرالي وعلى هذا التوحد جرى ما يعرف بموجة المحافظة في الانظمة السياسية الغربية حيث جاء إلى قمة النظام السياسي الغربي على أختلاف دولة رجل من مثل تشرشل وروزفلت وايزنهاور ونيكسون ودستان وتاتشر ورونالد وريغن وهلموت كول لادارة دفت النظام السياسي الرأسمالي في مواجهة الطرف الآخر وهو ما عرف بموجة المحافظين داخل النظام السياسي الغربي. ورغم بعض الاستثناءات التي حدثت مع ثورة الهيبز والحرية الاجتماعيه في أوروبا وأمريكا خلال مرحلة الستينيات وأوائل السبعينيات من هذا القرن ورغم دخول السلحة السياسية مثل جون كندي وجيمي كارتر الى ان الموجه التحرريه التى أجتاحت المجتمعات الغربية كانت بمثابة عرس التزواج بين الرأسمالية الاقتصادية والانبريالية الثقافية وكانت أيضا حفل ترابط بين الاقتصادية والحرية الاجتماعيه من أجل توحيد الصفوف أمام المارد والماركسي

ماذا جري على هذا التزاوج بعد سقوط المنظومة السياسية الماركسية وأنهيار فعالية الجيش الأحمر الحارس الأمين والمدافع عن النظرية الماركسية ؟ الذي حدث أن الرأسمالية بدأت تتكشّف أمام ذاتها وأصبح هناك إعادة تفكير لهذا التزواج بين الرأسمالية الاقتصادية والحرية الثقافية وعن مدى صدقه وحقيقته وبالتالي فوائدة لجميع الاطراف سواء المثقف أو الرأسمالي أو السياسي وأصبح السؤال هو إذا كان لا يوجد أنفراط لعقد هذا التحالف في الوقت الحاضر فعلى الاقل إعادة كتابته من جديد من أجل تحسين أوضاع أطراف العقد الاكثر تضرراً من السنوات والعقود الماضيه. ومن هذا المدخل يمكن تفسير هذا المد اللبرالي الذي يأخذ البعد الاقتصادي ولكن ليس بصورته الرأسمالية التقليدية السابقة بل بادخال مفهوم أقتصاد الأمة وليس الأقتصاد الرأسمالي التقليدى ومن هنا جرت محاولة تحسين الوضع الاقتصادي الامريكي من أجل أدخال الاكثر تضرراً في حركة الاقتصاد الامريكي بل ودفعه للعالمية وما يجرى في الولايات المتحدة الامريكية هو ما يُرمى إلى تحقيقة في بريطانيا ومن هذا المنطلق يمكن القول أن المد اللبرالي الجديد وإعادة كتابة التحالف الاقتصادي السياسي والاجتماعي والثقافي هو الذي قاد وصول كلنتون الى البيت الابيض بعد المحافظ المخضرم رونالد ريغن وبعد المرحلة الانتقالية التي قادها الرئيس جورج بوش وهذا المد اللبرالي الجديد كذلك يمكن أن يكون هو الذي قاد السيد توني بلير للفوز الكبير على حزب المحافظين البريطاني بعد المحافظة المخضرمة السيدة تاتشر

والمرحلة الانتقالية التى قادها السيد جون ميجر. والسؤال يبقي إذاً ماذا عن الفرنسيين ؟ الفرنسيين عودونا التناقض في كثير من سلوكهم السياسي فعندما يتوجه العالم نحو المحافظة خلال أواخر السبعينيات والثمانينيات نتنتخب فرنسا الرئيس ميتران اليساري اللبرالي وعندما بدأ المد اللبرالي يجتاح أوروبا تذهب فرنسا إلى اختيار الرئيس جاك شيراك السياسي المحافظ. والسؤال الاكثر أهمية هو ما هو مصير المحافظ الالماني هلمت كول والذي قاد المانيا لواحده من أطول فترات المستشارية في المانيا. هل الوضع الالماني سوف تجرفه حمى اللبراليه المنبعثه خصوصاً وأن الاقتصاد الالماني عاش العديد من قصص النجاح والتألق كما أنه يعيش الآن تهميش جزء كبير من المجتمع الالماني تحت مفهوم البطاله المرتفعه في المانيا ومن هذا المنطلق هل سوف يري الالمان ان المستشار هلموت كول قدم مالديه لبناء المانيا الموحده وعليه فتح المجال لكتابة عقد جديد داخل المجتمع الالماني أم ان صداع الوحدة الالمانية لم يأخذ دورتة الطبيعية وبالتالي فإن المانيا لازالت تحتاج لمزيد من السنوات تحت إدارة السيد كول حتى تكتمل الدورة الاقتصادية الالمانيه لفتح ملف العقد بين الرأسمالي والسياسي تحت ضغط والحاح العناصر الثقافية هذا ما سوف نعرفه بشكل اكثر عند توجه الالمان لصناديق الاقتراع في الانتخابات الالمانية القادمة.

المسألة الحضارية والهم العام

تسوق لنا التقارير اليومية عن الحالة المتردية التى تعيشها روسيا فبجانب البعد السياسي الذي تتخبط به روسيا منذ أنهيار الاتحاد السوفيتي وتزعم الرئيس الروسي بوريس يلسن مقاليد السلطة في موسكو وهي تعيش حالة الديمقراطية الهشة أو الديمقراطية الوليدة التى تعيش داخل النظام الفكري التقليدي أو على الأقل مفهوم بدايات تطبيقات الديمقراطية خصوصاً عندما تتكون هذه المواجهات بين السلطة التشريعية والتنفيذية أو بين الرئيس والبرلمان. واذا كان الوضع السياسي الذي تعيشة روسيا والقلق والذي كان آخره هو أبعاد رئيس الوزراء الحصيف بريماكوف والذي أدخل النظام السياسي الروسي في ودوامة اللاوضوح من حيث محاولة البرلمان أقالة الرئيس الروسي وفي نفس الوقت الذي يحاول فيه الرئيس الروسي فرض مرشحه لرئاسة الوزراء، وزير الداخلية الذي يملك القوة في حالة أحالة البرلمان. ويستخدام القوة العسكرية لفرض احترام الرئيس الروسي على النظام السياسي بكاملة يعيد للاذهان الصدام الذي دخل فيه الجيش لفك اعتصام رجال البرلمان عند الازمة السابقة والتى أوضحت أن روسيا تعيش المرحلة الانتقالية وأن هذا الانتقال ليس مضمون النتائج.

أقول وإذا كانت هذه الازمات السياسية المتوالية التى تعيشها روسيا على المستوى السياسي غير كافية فإنه يضاف اليها اليوم مشاكل حقيقية لا تقل أهمية وخطورة عن المسألة السياسية ومنها العنف المدني أو أرتفاع مستوى الجريمة وزيادة عدد البطالة الى الدرجة الذى تزيد من مستوى الجريمة وتزيد من مستوى التوتر السياسي والاجتماعي كما يزيد من مستوى الفساد الاجتماعي والرذيلة. والغريب أن كل هذه المشاكل الحقيقية تتراكم على روسيا في ذات الوقت الذي شمر رجال الأعمال عن كل ما لديهم من قدرة ومن أمكانيات عقلية ومالية من أجل أستثمار الوضع الروسي هذا مادياً الى أقصى درجات الاستغلال معولين وبشكل واضح على الربح المادي السريع فقط حتى وأن كان على حساب روسيا كدولة أو على حساب الشعب الروسي كشعب حيث تتكشف الحقائق أن الجيش الروسي يبقى الى ما يعادل ستت شهور بدون مرتبات وآلياته بدون طاقة نفطية وكذلك أن موظفين القطاع العام بدأ من عمال المناجم الى درجات أعلى في السلم الوظيفي لديهم صعوبة حقيقية بالتعامل مع الاقتصاد المتدهور وزيادة الاسعار في ذات الوقت الذي يقوم فيه رجال الاعمال بعقد الصفقات تلو الأخرى مع القوى الاقتصادية الخارجية سواء الغربية أو الآسيوية من أجل الحصول على الربح السريع والخاطف حتى ولو على حساب

روسيا بل ان بعض القوى الاقتصادية المحلية أصبحت تتاجر بالرذيلة والمخدرات من أجل المكاسب السريعة.

ويتصنيف روسيا في سلم الحضاري الدولي نجد ان المفهوم الحضاري الانساني يكون أقل دلالة في الدول المتخلفه منه في الدول المتطورة. صحيح أن الدول المتطورة لا تخلو من معنى الاستغلال والجريمة والرذيلة إلا أنها قطاعات ذات بعد ترفيهي اكثر من كونها محطات تجذب اليها ذوي الحاجات المستعصية.

كما ان الوضع الروسي اليوم يؤكد الوضع في العديد من دول العالم الثالث أن رجل الاعمال لا يعدو أن يكون واحد من حلقة التخلف هذه بحيث يفكر بالربح والربح فقط والسريع حتى وأن كان على حسابه على المدى البعيد. ولذلك نجد أن مساهمات رجال الاعمال هي أقل ما تكون في مفهوم البحث العلمي أو حتى معاهد التدريب أو القضايا الانسانية المختلفه والمهمة وأنما نجد أن الربح وعقد الصفقات مع القوى الخارجية وتشغيل العمالة الاجنبية وتدريبها لكونها رخيصة هو الهاجس الحقيقي لرجال الاعمال في الكثير من الدول الاخذته بالنمو وأن مفهوم قصر النظر هذا سوف ينعكس على المصالح الاقتصادية والاجتماعية لرجال الاعمال أنفسهم ولذلك فان مفهوم أزدياد البطالة هو هم عام يجب أن يتحملة الرجل والمرأة في موقع المسؤولية كما يجب ان يتحملة رجل الاعمال ويجب ان يتحملة المواطن بالعمل بشكل جدي واخلاص. وأنه بدون قوى رسمية وقطاع رجال الاعمال لتحمل أعباء مثل هذه الظواهر الاجتماعية فان ذلك يعني ان الانعكاسات المستقبلية سوف تكون على الجميع ولن يخرج منها أحد وأن هذه الانعكاسات المستقبلية أول ما تطول الطبقات الاجتماعية الاكثر عرضة للخطر سواء الأقل قدرة على استخدام خبراتهم الفكرية والمهنية من الجنسين ثم بعد ذلك يحدث أن تزيد وتتوسع ويكون عملية علاجها اكثر صعوبة واطول فترة، إن كان هناك عمل حقيقي لعلاجها ولذلك فان مفهوم إيجاد الحلول الحقيقية وحمل الهم العام تبدو مسئله في غاية الاهمية والحساسية وأننا مقبلون اليوم اكثر من أي وقت مضى بطرح مثل هذه القضايا ليس على شكل نصائح عابرة وأنما على شكل برامج قابلة للتطبيق ولديها القدرة على الخروج من أزمات واقعة أو أزمات محتملة ويدخل ي هذه البرامج الرجل والمرأة المسؤول والمواطن من أجل إيجاد حلول ذات قبول أجتماعي قادرة على إيجاد قنوات تخدم الجميع وفي ذات الوقت أن تدخل هذه القنوات جميع قطاعات المجتمع في مثل هذه البرامج من أجل أن يكون الهم العام هو هم عام حقيقي وليس هم فئة أجتماعية معينة وباقي قطاعات المجتمع خارج هذه الدائرة وخارج البرامج.

إن مفهوم التطور الحضاري لا يشمل فقط مفهوم الاستخدام الحضاري للتكنولوجيا والادوات الحديثة بل هو مفهوم عقلي ذهني يشمل الاستخدام الانساني للحضارة بحيث

يكون المجتمع كل المجتمع قادر على التحول في خدمة الهم العام وتحويل مفهوم الصدام المحتمل بين رجل الاعمال والعاطل عن العمل على سبيل المثال الى مفهوم تعاون وتبني بحيث يمكن أدخال اكبر قدر من قطاعات المجتمع في مسألة التطور والتعاون وتكون النتائج هي شاملة وكاملة بدل من أن تكون طريق واحد من اعلى الى اسفل وبالتالي فان حمل هم المجتمع هو مسؤولية المجتمع ككل وليست قطاع دون غيرة.

المسألة السكانية والمستقبل

يدور جدل حاد وعميق خلال السنوات الأخيره الماضيه ومن المرجح أن يزداد هذا الجدل حده وأهميه في السنوات القادمه، يدور هذا الجدل عن المسألة السكانيه وبالاحرى عن زيادة أعداد السكان في العالم وفي العالم العربي بشكل خاص وداخل كل دولة عربيه على حده بشكل أكثر خصوصيه. ويعود مصدر هذا الجدل إلى عامل داخلي محلي يخص كل دولة على حدى يرتبط بالعمل والبطاله والاستقرار الاجتماعي وبجانب دولي مرتبط بالبعد السياسي وخصوصاً مسألة الاستقرار السياسي والهجرة إلى العالم المتطور. وإذا كان الأول مصدرها محلي داخلي فإن الثاني مصدرها خارجي حيث سعت الدول الغربيه إلى محاولة الحد من زيادة عدد السكان في العالم العربي ليس فقط لانه مطلب إسرائيلي أستراتيجي فهو كذلك مطلب غربي استراتيجي حيث يرى هذان الطرفان أنه بدون لجم الزيادة الهائلة في أعداد السكان فإن العالم العربي سوف يشهد حالة من عدم الاستقرار السياسي يجعل هذه المنطقة غير قابلة للضبط والتحكم من جانب ومن جانب آخر يجعل هذه المنطقة العربيه منطقة طرد وهجرة إلى العالم الغربي والبعد الخارجي نتج بالطبع كأمتداد للبعد الداخلي حيث أن الدولة العربيه الحديثه أصبحت بعد الحرب العالمية الثانيه ككيان جديد مكبل برموز الفقر والمرض والتخلف مما خلق حكومات جديدة أصبحت مصدر الثراء ومصدر أسباب الزيادة السكانيه بوظائفها التى كانت فى حالة توسع مستمر مما يعني ليس فقط أستيعاب الزيادات السكانيه العاليه بل حتى إلي إستيعاب الهجرة الريفيه إلي المدن مما زاد فى مساحات المدن وعدد سكانها حيث أن المدن العربيه الحديثه تضاهي كبرى مدن العالم من حيث أعداد السكان وبما أن زيادة أعداد السكان كان ذا معدل مرتفع نسبياً يضاف اليه معدل الهجرة الريفيه ذات معدل مرتفع أيضا مع ما شهدته هذه الدول من حركه عمرانية وتعليمية وصحية كان أما بجهودها الفرديه أو حتي بمساعدة منظمات الصحه العالمية التى قللت من أعداد الوفيات وزادة من معدل الولادات كل ذلك أخرج أجيال باعداد كبيرة إلى السلك التعليمي الذي لم يكن مهيأ التهيئة الكافية لأستيعاب الأعداد الغفيرة من النشىء الجديد، بل أن السلك التعليمي لم يكن بالمستوى المطلوب الذي يمكن من خلاله أنشاء جيل قادر على الفعل والتفاعل مع العالم الحديث، بمعنى آخر أن السلك التعليمي العربي فى مجملة كان يعد الطالب والدارس للعمل المكتبي الحكومي، والحكومي هنا يعني عدم أشتراط توافر الكفاءات الحقيقيه الفعاله وهذا يعني أن السلك التعليمي كان موجه لاشباع القطاع العام والعمل الوظيفي الحكومي مهملاً إلى حد بعيد العمل التقني والعمل لدى القطاع الخاص الذي يتطلب مثابره مستمره وصقل مواهب وقدرات لا

يحققها القطاع العام.

من هذا كله خرج المأزق الحقيقي الذي تعيشه أغلب دول العالم العربي والدول الأخري تبدو المؤشرات أنها في طريقها اليه ما لم يحدث نقله نوعيه وتفكير في المشكله على المستوي الاستراتتيجي بعيد المدي، والمأزق الحقيقي هنا زيادة عدد السكان يتحول إلى زيادة عدد الطلاب والطالبات يتحول إلى زيادة عدد طارقين فرص العمل ولكون التعليم العام لا يهيئ الفرد للمنافسه في السوق أو العمل المهني التكنولوجي فإن المجال الاكثر تقبلاً لهذه الأعداد من الخريجين والخريجات هو العمل الحكومي لدي القطاع العام ومن جانب آخر فإن القطاع الحكومي قد أصبح في حالة تشبع وفي حالة من البطالة المقنعه فإن ذلك دفع حملة الشهادات الجامعيه إلى مرحلة الأحباط واللاتوازن فهو أي الخريج يحمل شهادة جامعيه ولكنه فى نفس الوقت ليس له المكان في القطاع العام يحكم تضخمه وتشبعه ومن جانب آخر غير قادر على العمل بالقطاع الخاص لعدم كفاءته وقدرته على المنافسه والمثابره.

وزيادة أعداد السكان تشكل تحدي اكثر أهمية وخطوره من جانب آخر حيث أن الحكومات العربيه أصبحت ليس فقط عاجزه عن تقديم الوظائف للخريجين فهذا مفهوم ومفسر إلا أن الحكومات العربيه أصبحت في مأزق حقيقي في أستيعاب الأعداد البشريه الجديدة في عملية سكانيه أي في توفير السكن الملائم الصحي لهذه الاعداد الجديدة، نحن هنا لا نتحدث عن توفير السكن المجاني فهذا مفروغ منه لعدم قدرة أغلب الحكومات العربيه، وأنما نتحدث عن هذه البعثره العمرانيه الغير منظمه والغير منسقه والتي تفتقد أقل الخدمات الاساسية فيها. فإن الذي حدث هو زيادة أعداد السكان لم يواكبها تعليم قوي يبني الشخصية المستقبليه وفي ذات الوقت تزامن مع عدم قدره الدولة العربية على توفير الخدمات الحقيقيه مما دفع هذه الأجيال الجديدة إلى التوسع العشوائي الذي أربك تطور وحركة المدن العربيه وخلق من بعضها مناطق كاملة تفتقد أبسط معايير السلامه العمرانيه وقاد إلى مدن الصفيح على شكل حزام فقر حول المدن.

ومن زاوية ثالثة تضاف إلى العمليه التعليميه وتوفير الخدمات الرئيسيه التى تتمتع بها المدن الطبيعيه فإن الهاجس الصحي الشعبي أصبح أهم الهواجس الحقيقيه حيث تتضافر أضلاع مثلث الموت المطبقة على الجيل العربي القادم وهي المستوي التعليمي المتدني في كيفيته والمستوي المتدني من السكن والخدمات يضاف اليها المستوي المتدني من الرعاية الصحية نتيجة لتزايد أعداد السكان في السنوات السابقه والمستقبل القريب.

وإذا كان هذا الحديث يصدق على جزء من المدن العربيه والدول العربيه فإن الجزء الآخر منها في طريقها إلى المأزق ذاته حيث أن المؤشرات تدل على أن هذه الدول تسير نفس الطريق وذات الخطى. ومن أجل أن تخفف هذه الدول من حجم المشكله فى المستقبل فإنه لابد من التأمل بالعوامل التى دفعت لتفاقم هذه المشاكل ومن ثم محاولة تفكيكها واعادة ترتيبها من جديد حيث

أنه لابد من الالتفات الحقيقي إلى أساس المشكله وبؤرتها إلا وهو التعليم.

أن ما تعيشة الدول العربية وخصوصاً الدول الخليجية بشكل خاص يشبه إلى حد ما الوضع الأوروبي بعد الحرب العالمية الثانية عندما خرجت هذه الدول منْ الكساد العالمي الهائل عام ١٩٣٣م لتدخل في الحرب العالمية الثانيه التى انتهت عام ١٩٤٥م بتدمير كلي للقاره الأوروبيه العتيقه مع أختلاف هذه الدول مع دول الخليج العربيه في الخلفيه الصناعيه المتراكمه وتوفر الروابط الاقتصادية الأماميه والخلفيه كما تفتقد دول الخليج إلى ذلك الزخم الايدلوجي المدعوم من القارة الأمريكيه من أجل بناء أوروبا للوقوف فى وجه الخطر السوفيتي القادم وبالتالي المحافظه على أمنها، أقول أن وجه التشابه بين الدول العربيه القارة الأوروبية في مرحله ما بعد الحرب هو ذلك التشجيع للزيادة السكانيه حيث عاشت أوربا زياده هائله فى أعداد السكان بعد الحرب العالمية الثانية حدث بفعل التشيجع اللا محدود من قبل الدولة لهذة الزيادات إلا أن الاختلاف الجوهري بين الطرفين هو أن الحكومات الأوروبيه كانت تعد العدة لتحقيق أكبر قدر من العائد السكاني وكان ذلك خلال مفتاح المفاتيح وهو التعليم حيث جندت الحكومات الغربيه كل طاقتها لبناء الانسان القادر على الفعل والتفاعل، بناء الانسان القادر على التفكير التجديدي حيث هيئت لهذا الجيل الجديد أفضل مراكز التعليم وهيء لها المكان الصحي في المرافق العامه حيث توفر الحدائق والالعاب والمدارس والرعاية الصحيه والمراكز الكشفيه والرحلات التى تساهم بزيادة المعرفه عن طريق المعاينه كما تنمي قدرت الفرد على الاعتماد على الذات والابتكار والتعاون مع الآخرين كما أنها تنمي لديهم الشعور الوطني وحب بناء الوطن لمستقبل أفضل. بهذا الجيل دون غيره نري أوروبا اليوم تستعيد قواها بعد الحرب العالميه الثانيه وبهذا الجيل أستطاعت أوروبا أن تخوض غمار السياسة الدولية والتنافس التكنولوجي مع الولايات المتحدة الأمريكيه واليابان الذين عاشا نفس التجربة إلى حد بعيد.

وبالتعليم يستطيع العالم العربي أعادة هيكلة أولوياته للمستقبل وبدون التعليم الحقيقي الموجه لبناء الشخصية فإن أجيال من الكتبه سوف يطرقون أسواق العمل وهي موصده لعدم وجود المكان لهم مما يعني مزيداً من الضغط على العناصر الأخري وهي الخدمات العامه الأخري، الصحه والتلوث والعمران العشوائي وأحزمه الفقر.

المأزق الثاني والحقيقي الذي سوف تواجهه دول العالم العربي ليس مسألة التعليم والرعاية الصحية وعشوائية المدن ومرافقها فهذا مأزق إجرائي واضح المعالم تعيشة أغلب الدول العربية والبعض الآخر تقول المؤشرات أنها في طريقها اليه ولكن المأزق الحقيقي الذي يمكن أن تعيشة الدول العربية هو المأزق النفسي والاجتماعي حيث يعيش الفرد العربي هذا الصراع الحقيقي بين التقليد الموروث والقادم والذي يمزق المجتمع والفرد أي تمسك المجتمع بقيمة التقليدية مع أدخال قيم جديدة ذات نمط وبعد جديد مستوحي من النمط الغربي هي مناقضة تماماً مع النمط والقيم

التقليدية والتى صاحبت عمليه زيادة السكان المربوطه بالفقر وقتل الآمال حيث أن القيم التقليدية تدعو إلى العفة والطهارة والنقاء وفي ذات الوقت لا يمكن تحصين هذه العفة والطهارة والنقاء مع عدم القدرة على تحصينها بالأرتباط الشرعي حيث أن تأخر سن الزواج على سبيل المثال لا الحصر راجع إلى حالة البطالة والفقر وعدم القدرة على أمتلاك منزل ملائم يساير ذلك هذه المغريات القادمة من الآخر سواء منها الجسدي الايحائي أو حتى المادي الاستهلاكي لذلك فإن الفرد العربي وبالتالي المجتمع العربي يعيش حالة التمزق بين المفاهيم والقيم التقليلدية ويري نفسه مكبل عن تحقيقها بدافع المفاهيم الجديدة والمناقضة في بعض الاحوال للمفاهيم الموروثه.

خلاصة القول أن المسألة السكانيه تعدت مرحلتها الأولى الماديه إلى المأزق النفسي لدي بعض الدول العربية بينما نري أن الدول العربية الأخري التي لم تدخل المرحلة الأولي، وهي المأزق المادي تعيش نفس مؤشرات الدول التي دخلت المشكله وبدون حل لقضية التعليم حلاً حقيقياً يخلق جيل واثق قادر على صنع المستقبل والتأثير عليه فإن هذه الدول داخله المأزق الاجتماعي والنفسي الذي يعني بداية التفكك ذو الوجوه المتعددة.

المسؤولية العابرة

من أجل تسجيل نصراً سياسياً على المستوى الوطني ومن أجل أقتسام مفهوم المسؤولية قام السيد كلنتون بمقابلة ممثل القوى المتصارعة حول مفهوم أقتناء السلاح سواء المؤيدين للفقرة الثانية من الدستور الأمريكي والتى تعطى الحرية الكاملة بشراء وحيازة السلاح بدون حدود تحت مفهوم الدفاع عن النفس ولكون الولايات المتحدة الأمريكية اليوم تعيش مأزق كيفية التعامل مع هذه الاسلحة الهائلة العدد بين أيدي الناس وأرتفاع مستوى الجريمة على المستوى الفردي أو الجماعي فأن القوى المطالبة بوضع ضوابط جديدة للحد من سهولة أقتناء السلاح ومن هذا المنطلق كان حوار الرئيس الأمريكي حذراً أو أبوياً اكثر من كونه يعمل لموقف دون آخر ولكون الشركات المصنعة للسلاح ذات قوة مالية هائلة وأمكانيات سياسية داخل الكونغرس فإن المرشحين للرئاسة الامريكية سواء السيد بوش حاكم تكساس ونائب الرئيس الامريكي السيد ال غور أقول إن المرشحين للرئاسة الامريكية لم يرغبو الخوض في مثل هذه المسائل الشائكة وفضلوا تناول الموضوع بدون أتخاذ موقف معين أو حتى تجاهلو الموضوع برمته على الرغم من أهميته وضخامته اليوم.

لكن أكثر ما كان يثير الأنتباه في حديث الرئيس هي عبارته الحصيفه عندما ذهبت السيده ديان سوير المذيعة الشهيرة في محطه ABC والتي شكرت الرئيس على أستضافتهم في البيت الابيض عندما رد عليها بحضور فكرى جيد بعباراته التى ترسخ مفهوم المسؤولية المؤقته والعبور بعدها في تسليم هذه المسؤولية حيث ذهب السيد كلنتون فيما يمكن ترجمته (ان البيت الابيض هو منزلكم أما أنا فعابر سبيل) أي أن الحكومة هي حكومة الشعب والمسؤول هنا ليس إلا خادم للشعب ـــ ممثل لرغبات الشعب ـــ أما هو كشخص وفرد فإنه عابر سبيل وبالفعل فهو عابر سبيل.

من هذا المنطلق يمكن فهم المسؤولية المنوطة بالافراد في مواقع المسؤولية أنها عابر سبيل فقط وأن البقاء على المسؤولية شيء لا يمكن أن يتحقق ومن هذا المنطلق يمكن فهم وضع الخطط الاستراتيجية والسياسية حيث تكون منوطة بافراد لديهم القدرات والامكانيات بوضع ورسم مثل هذه الخطط حتى تكون حلقه من الحلقات المتراكمة في تحقيق الاهداف الوطنية القريبة والبعيدة المدى ومن هذا المنطلق ومن واقع المسؤولية المؤقته ومن تحت مفهوم المسؤولية العابرة السبيل يمكن وضع أستراتيجية يتم تحقيقيها بإفراد يتناوبون على المسؤولية يمكن به ومن خلالهم تحقيق الأهداف المرجوة مع التعامل المنطقي والعقلاني مع المستجدات الحديثه.

وفيما يخص هذا اليوم في دول العالم الثالث فإن الأفراد الذين يناط بهم تحقيق الاهداف ولاقتصادية والاجتماعية والتعليمية فإن مفهوم المسؤولية العابرة تضرب في صلب الموضوع والاهتمام فإن المراقب للأفراد ذوي المسؤولية الاقتصادية فإن عليهم عبء حقيقي في تقديم ما يستطيعون تقديمة من أجل وضع وأنجاح الخطط الاقتصادية سواء في تحقيق معدلات أقتصادية عاليه أو تخفيف البطالة وتخفيض المديونية والعمل على تحقيق أنتعاش أقتصادي وهذا يلزم المسؤولية على المجتمع التعامل مع هذه الأهداف من أجل تحقيقها من حيث المساعدة على تمكين أبناء الوطن من الحق في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي وحقهم في حياة أقتصادية مستقرة وواعدة كل ذلك يصيب في المسؤولية العابرة المناطه على عاتق المصلح الاجتماعي والمؤسسات الاجتماعية الاصلاحية المتعددة ودورهم الحيوي في محاولة ردم الهوة التى يمكن أن تحدث من جراء عدم اكتمال البعد الاقتصادي والامني في تحقيق السلم الاجتماعي للفرد حيث أن الفرد سوف يبقى مشدوداً إلى أبعادة المختلفة التى تشكل شخصيته المتكاملة في تحقيق ذاته الأنسانية.

ومن هذا البعد يجب وضع المسؤولين أما التحدي الحقيقي في تنفيذ الخطط الاجتماعية والاقتصادية والتى من شأنها تحقيق الاستراتيجية العليا وأن مفهوم المحاسبة لمثل هذه الاجتهادات يعد واحداً من عوامل الضبط الهام من أجل أن يتحقق تنفذ الاهداف المرجو تحقيقها وبالتالي فإن الافراد الذين في مواقع التنفيذ يشعرون بعظم المسؤولية على عواتقهم مما يدفعهم للعمل من أجل تحقيق نتائج أجتماعية مهمة وقوية تعود على المجتمع بشكل عام بالمصالح البعيدة والقريبة المدى وأنه بدون مفهوم المحاسبة والنقد فأن الفرد المتميز والنزيهه يصبح داخل غابة الافراد الكسالى والفساد المالي والاداري ومن هنا لا يمكن فرز الجيد من الاقل جودة وهو العنوان الذي يجب أن تكون اعطاء المسؤولية للفرد معياراً هاماً للاختبار وليس العوامل الغير مرتبطة بالامكانيات والقدرات والكفاءة والنزاهه.

الموضوعية والقانون

كانت الموضوعية بمفهومها الحيادي أي التفكير والعمل والفعل الحيادي الذي يخضع لمعمل ومعيار العقل دون النظر إلى العوامل النفسية والحسية الأخرى، أقول كان هذا المفهوم للموضوعية وهذا الادراك لماهيتها وحيثياتها أحد أهم المرتكزات النهضة الأوروبية الحديثه حيث أول ما ضربت هذه الموضوعية بالتفكير ضربت البعد الخرافي في التفكير الجماعي في تلك المجتمعات والتى تربتط بعضها بماهيه القوى الخارقه وخصوصاً أن الكثير من الأفراد كانوا يطرحون أنفسهم أما فاعلين أو معبرين عن هذه القوة الخارقة وهذه الأفعال الغير منطقية وبالفعل فإن الصدمة الجماعية الأوروبية لهذه النظرة الموضوعية كانت قوية وفاعلة. صحيح أنها كانت تدور في البداية في الدوائر الفكرية والعلمية ثم مالبثت أن أنتقلت بعد فترة من الزمن إلى المجتمع ذاته إلى محاولة نقل المعارف القائمة على التصنيف والدراسة الموضوعية من دائرة الفكر إلي دائرة المجتمع الأوسع وهذا لا يعني بالطبع أن المجتمع الغربي تحرر من الخرافة بل إن الخرافة مازالت تأخذ به من بعض الاطراف حتى تصل إلى قمة الهرم السياسي الذي نتوقع منه أن يكون أكثر حيادية وموضوعية في حكمة بل ونتوقع منه البعد عن هذه الذهنية التى تتناقض مع العمل والفعل الموضوعي. صحيح أن العقل السياسي المجرد والموضوعي مطلوب منه استثمار واستخدام الخرافة من أجل نهاية سياسية أفضل كما كان ميكافيللي يقول، على الزعيم السياسي أن يقدس العادات والتقاليد إذا كانت تخدم هدفه وغرضه السياسي وعليه أن لا يتردد بالتخلي عنها إذا كانت هذه العادات والتقاليد والقيم لا تخدم هدف السياسي النهائية، أينَّ كانت هذه النهايات التى ينشدها السياسي. أقول أنه على الرغم من أن المجتمع الغربي لم يتحرر من الخرافة بعد واللاموضوعية بعد فإن تلك المجتمعات تعد اكثر شعوب العالم أبتعاد عن الخرافه في مجمل المجتمع ككل وأقربها إلى النظرة الموضوعية المرتكزة على البعد المصلحي الموضوعي البحت.

إن مفهوم التفكير الموضوعي يرتقى إلى مفهوم قانونية التفكير أي جعل التفكير يتطرق بمنهج ومنحى قانوني أي محاولة النظرة القانونية للاحكام التى يتخذها الانسان ولذلك كانت الموضوعية البحثية أنتقلت ألى قانونية أو حكم قانوني في البت في القضايا الفكرية بشكل حيادية ونزاهة ومن هذا المنطلق فإن الموضوعية البحثية والعلمية كانت الأم الحقيقية للتفكير والرقي المعرفي ثم جاءت القانونية التفكيرية لتكون أحد أعمدة وروافد الفكر الموضوعي أي أن البحث القانوني استفاد من الموضوعية الفكرية ثم تشربت هذه الاخير بالقانونية الملزمة للتفكير الموضوعي وكان هذا المدخل هو أحد مداخل الاصلاح الاجتماعي

لاحقاً حيث أنتصب مفهوم النزاهة والموضوعية والقانونية على مفهوم النزاهة المادية في مسألة المال العام وأصبح الموضوع المالي واحد من أهم مرتكزات التفكير الموضوعي والذي أرتبط بالمفهوم القانوني أي أصبح مسألة النزاهه المالية أحد الفروع التى أنيطة فيها الموضوعية من حيث جمعه وصرفه والمحاسبة عليه خصوصاً في المال العام وأصبح القانون بعد ذلك سند لهذه الموضوعية بحيث أصبح يعاقب ويحاسب أي أختلال بهذه النزاهة وهذه الموضوعية.

لذلك نجد أن مفهوم المال العام كانت واحدة من المسائل الهامة في التفكير الفلسفي الغربي ودار حولها الجدل الطويل من خلال جهابذة الفلسفة الغربية لا يقل هذا الجدل عن مفهوم الحرية والمشاركة السياسية ومسألة بناء الدولة وتكونها.

والبعد الثاني التى أتكز على مفهوم الموضوعية والقانونية هي مسألة الكفائة الفردية بحيث وضعت معايير موضوعية علمية وخبرة لمسألة أختيار الأفراد الذين يشغلون المواقع الادارية والمهنية المختلفة وبدون هذه المعايير الموضوعية يكون هناك خلل حقيقي في مفهوم وضع الفرد أو الشخص المناسب بالمكان المناسب سواء كانت رجل أو أمراءة وإذا كانت المحسوبية الشخصية والمعرفة الشخصية هي المعيار لتولي مراكز التأثير وليس النظرة للموضوعية لاختيار الأفراد تكون مبنية على قواعد موضوعية وقانونية واضحة فإن ذلك سوف يؤدى إلى تعتيم الرؤيا وعدم وضوحها من حيث نوعية وماهية الأفراد وتميزهم بل سوف يدفع ذلك إلى مزيد من الضبابية والاحباط لدى الكثير من فهم وأدراك ما هو العمل الجيد والمطلوب من العمل والفعل الغير سوى والمرفوض وهذا بدوره يبعث على نوع من الخلل الحقيقي في التفكير الجماعي ينعكس على أداء وتفاعل المجتمع مع قواه المختلفة بكشل فعال وبناء وخلاق.

وإذا كان العامل النفسي مؤثر في هذه النظرة اللاموضوعية للأفراد وأختيار عملهم وأماكن تأثيرهم وعطائهم فإن الثمن الاقتصادي هو أعلى بكثير من البعد النفسي الفردي حيث سوف ينعكس عدم الموضوعية في اختيار الافراد المناسبين في اماكنهم المناسبه على الاداء والفاعلية الاقتصادية لاي منشئة سواء كانت خاصة أم عامة وأن المقامرة والمغامرة الاقتصادية سوف تكون سيدة الموقع في أغلب الحالات وإذا كان الثمن الاقتصادي غالي التكاليف فأن الثمن السياسي والاجتماعي سوف يكون اكثر فداحة واكثر تأثيراً وإن كانت يبدو في البداية أنه غير وارد إلا أن فاعليته المتأخرة سوف تكون قوية وفاعلة.

إن الدعوة الحقيقة والصادقة تبقى قائمة للنظرة الموضوعية البحته والمحايدة من أجل بناء أحد أهم أعمدة التطور والتقدم وهما عامود النزاهة المادية في القضايا العامة وعامود النزاهة الفردية من حيث أختيار الأفراد بشكل يقوم على الكفاءات والقدرة الحقيقية وليس على

عوامل غير موضوعية وبعيدة عن عوامل موضوعية مؤطرة بأسس ومنطلقات قانونية واضحة حتي تكون مسألة المال جمعه وصرفه، ومسألة الأفراد الذين يديرون ويعملون لصالح الأمة بكاملها تصب فى صالح المجتمع وتدفعه إلى التطور والتقدم بدل من أن تكون عوامل هدم وأمراض تفتك بالمجتمعات الأقل تطوراً من حيث الحساسية الموضوعية وأن تكون مسألة الكفاءات والنزاهة أحد أهم المعايير في الاختبار بدل من أن يكون هناك معيار النزاهة دون الكفاءة أو الكفاءة دون النزاهة أو حتى بدونهما معاً لذلك سوف تبقى المحسوبيات في العالم الثالث والعال العربي على وجه الخصوص تعاني من هذه المسألة بشكل كبير وسوف يبقى تأثيرها كبياً حتى يتم التصدى لها بشكل موضوعي وعملي وقانوني.

جرش التي تموت

إن القارئ للتاريخ العربي وخصوصاً للتاريخ السياسي العربي ومنذ بداية هذا القرن سوف يخيل اليه أن العروبة بابعادها السياسية والأجتماعية والثقافية نابعة ومستقرة في بلاد الشام ونعني بذلك الأردن وسوريا ولبنان. ومن يقرء ويدرس منابع مفهوم القومية العربية بمضامينها السياسية سوف يرى أن مسيحيي بلاد الشام الذين درسوا في الأديرة المسيحية في أيطاليا تحت أشراف الجاليات التبشيرية التي كانت تتخذ من بلاد الشام مقر ومنطلق ومدخل للعالم الاسلامي والعربي . أقول أن الدارس للتاريخ السياسي العربي الحديث يمكن أن يصل الى خلاصة مفادها أن منبع العربية والعروبة هي بلاد الشام ومما يزيد في أهمية وجهة النظر هذه هو تاريخ الدولة الأموية التي كانت بلاد الشام مصدر قوتها و مركز جندها وتوسعها خصوصاً ضد القوى العباسية في العراق المدعومة من الاتراك والفرس أو من القوى العربية الصافية في الجزيرة العربية وتم توضيف أبعاد تاريخية ورموز حضارية منسجمة لهذا البعد العربي وخصوصاً المناطق الأثرية الهائلة والرائعة التي تزخر بها بلاد الشام من الساحل اللبناني حتى الصحراء في الأردن وهذه الأماكن الأثرية في الحقيقة تمتد من الساحل اللبناني حتى شواطئ بحر العرب في اليمن والتي تدل دلالة واضحة على الأهمية التاريخية لهذه المناطق كما تدل على طبيعة الحياة السياسية والأجتماعية التي عاشتها هذه المناطق. والدارس المراقب الذي يستعين بالارقام والملاحظة المباشرة لشام اليوم وليس بلاد شام التاريخ فإنه سوف يكتشف أن الحقبة الاستعمارية التي أجتاحت هذه المنطقة من لبنان وفلسطين وسوريا ثم أنشاء دولة الأردن، أقول أن الحقبة الاستعمارية أستطاعت أن تغّير التركيبة الأجتماعية والثقافية العربية الصافية وعندما نترك سوريا ولبنان وفلسطين جانباً ونركز على الأردن موضوع مقالنا فإن مقولة العروبة الصافية التي طالما ترددت مقارنة مع عروبة الجزيرة العربية تحتاج الى مزيداً من التوضيح.

والمراقب هنا لايحتاج الا الى قليل من العناء ليكتشف أن المجتمع الأردني يكاد يكون مجتمع خليطاً من أقليات متعددة وديانات يطغى عليها البعد العربي والدين الأسلامي وعندما تقول البعد العربي نقصد به البعد العربي المختلط مع الاجناس الأخرى وعندما نقول البعد الاسلامي فإننا نضع الدين الأسلامي هناك جنب الى جنب مع الديانات الأخرى وخصوصاً المسيحية بتفريعاتها الكاثوليكية والاورثوذكسية والتي تحضى بقوة تفوق عددها وأمكانياتها. وعلى المستوى الاجتماعي فإن حضور العديد من الاقليات سواء الارمن

والشيشان والمهاجرين الى هذه المنطقة من أسيا الوسطى وتلاحظ تأثير المد الاستعماري على وجوه وقسمات الأفراد.

كل النقاط السابقة هي مدخل للحديث عن المستودع التاريخي الهائل التي تحضى به الأردن . وأنت لاتستطيع أن تذهب الى الأردن دون أن تستوقفك الاماكن الأثرية الهائلة القدم والعظمة، متنقلا من البتراء الى جرش الى القلاع والحصون التاريخية التي تروي لك الأهمية السياسية للمكان، والصراع التاريخي و السياسي و الاجتماعي لهذه المنطقة، كل ذلك مغلفاً بالتلاصق الجغرافي الذي يجمع الأردن مع أسرائيل، والزائر لمناطق الحدود سوف يذهل للهمينة الاستراتيجية والسياسية لأسرائيل في خطها للحدود مع الأردن، فعندما تأخذ الحدودالأسرائيلية مع الأردن مع الحدود السورية عند الرمثا وتسير بمحاذاة الشريط الحدودي متوجها نحو الشمال الغربي منعطفاً نحو الغرب على ضفاف نهر الأردن ماراً بكل القرى الأردنية فإن الملاحظة التي لايمكن أن تفوتك هي أن أسرائيل أستطاعت تاريخياً تحصين ذاتها بدروع جغرافية حيث تمتد سلسلة جبال تشرف على نهرالأردن، هذه السلسلة الجبلية هي التي أستطاعت أسرائيل الاحتفاظ بها وشق طريق ثم تلية أسلاك شائكة بعد ذلك يأتي منحدر نهر الأردن الذي يميل للجفاف أكثر من الجريان راجع ذلك أن أسرائيل أستطاعت أخذ مياه نهر الأردن من منابعة الأصلية وتركت مجرى النهر شاهد على قدرتها وأمكانياتتها وأستراتيجيتها العسكرية والسياسية بحيث أصبح جرف النهر والاسلاك الشائكة ثم الطرق التي تجوبها الدوريات الاسرائيلة ثم السلسلة الجبلية عبارة عن حصون طبيعية تحمى أسرائيل من المناطق الأردنية. الملاحظة الأخرى التي لابد أن تلفت نظر الزائر هو أن الجانب الاسرائيلي يعج بالتنمية سواء الزراعية أو البحيرات الصناعية لتنمية الثروة السمكية أو أن تكون مناطق تحصينات عسكرية بحيث نجد أن فيلق مدرعات ومدافع ضد الدروع قادرة على صد هجوم بكل بساطة في هذه المناطق الوعرة والتي يمكن أن تكون القوة العسكرية الاسرائيلية قادرة علي صد هجوم عسكري حتي بوحدات هي ليست من الكثرة نتيجة لاستتخدام وأستقلال البعد الجغرافي لهذه المناطق. وعلى الضفة الشرقية لنهر الأردن سوف نجد الحياة الرتيبة والطرق المتواضعة والزراعة التي لم تستثمر الأمكانيات الطبيعية لهذه المناطق الخصبة وتستمر هذه الحال حتى تنحدر الى غور الاردن حيث تنحرف سلسلة الجبال نحو الشمال تاركتاً سهلاً خصباً هو مكان لزراعة الفواكة وترى كيف أن الحدود الأسرائيلية تبداء بالانحراف مع هذه السلسلة الجبلية حتى تنتهي في الأرض الممتدة والخصبة التي تربط الضفة الغربية بالاردن وهذه المنطقة بالذات هي التي تشكل خللا حقيقي بالضروف الاستراتيجي التي تيحيط باسرائيل حيث تنكشف أسرائيل تماماً في هذه المناطق المستوية على المستوى العسكري والبشري حيث أن هذه المناطق لا

يمكن حمايتها ألا بقوة عسكرية كبيرة نتيجة لسهولة أختراقها على المستوى العسكري كما أن هذه المناطق من أكثر المناطق كثافة سكانية بحيث تصعب الحركة العسكرية فيها وبالتالي نجد أن أسرائيل كانت أكثر مرونة للتخلي عنها وخصوصاً على المستوى الاجتماعي والادارة المحلية بشرط أن تكون منزوعة السلاح الا على مستوى السلاح الذي تحملة الشرطة المحلية الفلسطينية. والمتابع لسلسلة الحدود الأردنية الأسرائيلية كذلك سوف يتعرف على ملامح الاستراتيجة الاسرائيلية بشكل أو بآخر بحيث يستطيع الزائر للمناطق التي تحررت من اسرائيل والتي أعيدت للاردن بمخوجب إتفاق السلام بين اسرائيل والاردن فسوف يلاحظ أن هذه المنطقة الجغرافية صغيرة جداً بحيث لايمكن الحديث عنها على أنها مناطق محررة وتستحق الذكر هذا من جانب ومن جانب آخر فإن هذه المناطق هي عبارة عن مزارع لليهود قاموا باستأجارها من الاردن لمدة عشرون سنه قابلة لتجديد، يدخلون الاسرائيليين الى مزارعهم بموجب تصاريح خاصة بذلك . إذا تكتشف أن ملامح الاستراتيجية الاسرائيلية هي التالي:

١) التخلص من هذه المناطق السهلية التي لايمكن الدفاع عنها عسكريا وأمنياً بشكل جيد عكس المناطق الجبلية.

٢) التخلص من مناطق الكثافة السكانية العربية .

٣) جعل مهمة أمن هذه المناطقة على عاتق الحكومة الاردنية بحيث أن الحكومةالاسرائيلية تستطيع محاسبة الحكومة الأردنية في حالة خلل أمني بدلا من البحث عن مجهول. أي أن تقوم الأردن بحماية أمن أسرائيل بشكل غير مباشر.

٤) أستمرارية الزراعة لصالح أسرائيل وأستمرار استغلال المياه بشكل كبيرخصوصاً وأن المناطق على الجهة العربية تحتاج الى هذه المياه ويبرز ذلك خلال مراقبتك للجانب الأردني من نهر الاردن الذي بداء يأخذ بالجفاف.

٥) من الواضح أن اسرائيل كانت المستفيدة الحقيقة من الاتفاق الاردني الاسرائيلي وهذا ما يشاهده الزائر المراقب لتلك المناطق ورؤيتها عن قرب.

أن الزائر أول مرة للأردن لايستطيع أن يتمالك نفسه ودن السير على الحدود الأردنية الاسرائيلية محاذيا نهر الاردن حتى العقبة من الغرب متخلل ذلك الحدود مع الضفة الغربية من النهر وكذلك الزائر أول مرة لا يستطيع أن لا يقوم بزيارة للآثارالهائلة التي تحويها الأراضي الأردنية ولعله غني عن القول إن المنطقة الحدودية وخصوصا منطقة الغور سوف يقابلك على مستوى الآثار الاسلامية قبر الصحابي الجليل جابر والذي توفي عن عمر يناهز ٣٨سنه حيث يبدو أن الصحابي والذي أُقيم له ضريح داخل مسجد متواضع وصغير إلا أن القبر ضم المسجد ووضع القبر في قبله المسجد ويترائى للمصلي وكأنه يصلي للقبر ،أقول

يبدوا أن الصحابي الجليل مات في وباء الطاعون الذي أجتاح القوات الاسلامية والتي أخذت الصحابي أبو عبيده عامر بن الجراح والذي قبره غير بعيد من قبر الصحابي جابر.

وإذا تركنا القبور جانباً وذهبنا الى منطقة عجلون والتي تضم قلعة عجلون والتي بناها صلاح الدين الأيوبي على قمة جبل شاهق تشرف وتطل على أغلب الممرات التي ترتبط الاتجاهات الأربع عبر مضائق جبلية وعرة ومما يميز هذه القلعة أنها تستطيع ربط شمال الأردن وفلسطين بجنوب وغرب الزردن الى حد بعيد حيث تذكر المعلومات عن هذه القلعة أنه في زمن الحرب أو التعبئة للحرب تتم أشعال النيران من على قمة القلعة ليراها من هو في فلسطين وبالتالي أصبحت النار أحد وسائل الاتصال في ذلك الوقت. القلعة تشبه الى حد بعيد قلعة صلاح الدين الأيوبي بمنطقة كسب السورية على مقربةمن الحدود التركية الى أن الفارق بين هاتين القلعتين أن قلعة كسب أكثر عظمة من جانب ويبدو أن المحافظة عليها أفضل بكثير من قلعة عجلون التي تعرضت لزلزال في بداية هذا القرن وبالتحديد حوالي ١٩٢٨م والذي هدم الجزء الجنوبي من قمة القلعة حتى يترائى للسائح والمراقب أن القلعة عبارة عن خرائب. ومما حز بالنفس أن الادارة المسئولة عن الآثارلست على مستوى الكفاءة بحيث لم يتم أي ترميم أو تنظيم لهذه القلعة بل أن الزوار يقومون بتدميرها يوم بعد يوم على الرغم من عضمتها العسكرية ودقة هندسة بنائها ومع ذلك فإن أهتمام إدارة الآثار هناك هو تحصيل المال على بوابة القلعة أكثر من الأهتمام من القلعة ذاتها ولعل الزائر سوف يصل الى نتيجة أن القلعة بهذه الطريقة وبهذا الاستخدام وبدون وجود ترميم جيد وناتج عن دراسات جيدة فإن عمر القلعة لن يكون بعيدا ويصبح أثر بعد عين من جراء سوء الاستخدام اللا مدروس. وبعد أن تتحرك من منطقة عجلون لتذهب الى زيدت الآثار الأردنية وأكثرها رنين في النفس والذاكرة قاصداً جرش فلا تستطيع أن تحبس أنفاسك وأنت تنحدر من السلسلة الجبلية تجاه جرش التي تبدو لك وكانها مسرح تاريخي هائل بتلك الأعمدة الرائعة التصاميم والفن المعماري وإذا وقفت مثلي على سفح الجبل وتمعنت المدينة من بعد فسوف ترى ذاتك وكأنك تشاهد مدينة تغص بالحياة ولكن قبل آلاف السنين وتتراي لك الحياة في هذه المدينة في زمن عزها ومجدها وتدهش من أخبار المكان وعظمة الزمان في هذه المدينة وتشعر بالفرح الهائل من أنك أستطعت أن ترى هذه المدينة وتشهد حقبة تاريخية من تاريخ هذه المنطقة لكي تكون أكثر دقة فإنه يتوجب عليك دخول جرش من البوابة الرئيسية التي هي في غاية الدقة والاتقان والفن المعماري والعظمة وتبداء رحلتك بعد هذا المدخل الى بوابة التاريخ وبوابة الحزن والشقاء في ذات الوقت.

أما بوابة التاريخ واضحة ولا تقبل الجدال من أن مدينة جرش شاهداً تاريخي على فن العمارة والقوة والجبروت لهذه المناطق وأهميتها الحضارية والسياسية تاريخيا حيث ترى

مدينةهائلة الدقةوالتنظيم حتى في المقاييس العصرية ويترای لك أنك تسير داخل مدينة مصطنعة خصصت لانتاج وتصوير فيلم من أفلام التاريخ الا أن الفارق أنك تحس وتلمس عبق التاريخ الهائل بهذه المدينة وتسير بين ممر الأعمدة الهائلة الجبروت والجمال وتتنقل بين المدرجات الرومانية التي تعد غاية في الجمال والدقة والتي يبدو أن الملاعب الرياضية الحديثة والمسارح أخذة أفكارها من هذه المدرجات في جرش. مدينة جرش تشعرك ببساطتة وعظمة الانسان في ذات الوقت بساطتة حيث رغم هذه االعظمة والقوة ذهب ولم يخّلدبكل تلك العظمه وذلك ا لقدرة على الانجاز والابداع.

أما الدخول في بوابة الحزن فهذا شئ يدمي القلب ويقطع المشاعر فإنك عندما تسير في أغلب المناطق الاثرية التي تضمها الأردن لاتشعر الا بالحزن والاسى والمرارة التي لا تفارق فمك لماذا هذا الحزن وهذه المرارة؟. مصدر الحزن والمرارة هو هذه المناطق الرائعة والهامة يبدو أنها تعيش حقبتها الاخيرة حيث يضهر للاعيان أن هذه الآثار الهائلة تعيش مراحل التخريب وعدم الأهتمام فإذا أخذنا مدينة جرش على سبيل المثال لا الحصر فإنه يبدو أن الاهتمام هو جعلها بقرة حلوب تدر المال دون الصرف عليها بشئ. أن الاهتمام منصب على أخذ المال من أجل رؤية المدينة ولكن عندما تراها ماذا ترى .. ترى مدينة أختزنت التاريخ وعاشته وليس لديها القدرة على حياة الحاضر حيث تجد وترى بأم عينك عدم الاهتمام بهذه المناطق الأثرية الغنية. سوف تصعق أن تجد غرف من مدينة جرش التاريخية لاتتعرض للصيانة بل حولت الي مطبخ .... نعم مطبخ لم أخطئ أو أبالغ في ذلك حيث يُعمل الشاي فيها لحساب أحد المقاهي وأكثر مرارة أن نجد ليس نار الشاي فيها بل نجد نار الفحم الذي يعد لزبائن الأرقيلة (الشيشة) داخل غرف جرش وساحاتها والأرقيلة يبدو أنها تحولت الى أحد الرموز الوطنية والتراثية هناك حتى أنها تحولت الى أول ما يعرض ويعرف عليها السائح الأجنبي بهذه الطريقة تحولت غرف جرش الهائلة الجمال والدقة الى مطابخ ومقاهي وأماكن لعرض المأكولات السريعة أي تحولت الى دكاكين سوف تقضي على البقية الباقية من المدينة . وإذا لملمت حزنك على هذه المناظر ماذا ترى؟ ترى أن ملاهي الأطفال قد نصبت داخل المدينة وهذا يعني أمعان في تدمير المكان وعبق الزمان. لاحظ معي أن ملاهي الأطفال بهزاتها ودخانها سوف تقضي على باقي المدينة وفي ذات الوقت فإن المكان حول المدينة الأثرية يفتقد لأي فندق أو حتى مطعم يمكن أن تجلس فيه لتعيد توازنك التاريخي.

ولكي نمعن بالحزن والأسى فما عليك الى أن تذهب للمدرجات الرومانية وخصوصا إذا قدمت للمدينة في وقت مهرجان جرش فإن المهرجان يصبح مصدر حزن أكثر منه مصدر فرح ومتعه .. لماذا ؟لانك ترى بام عينك كيف يتم أستغلال المكان ماديا وتدميره وكانه يتم شرائه لفترة وجيزة يتم تدميره بعدها حيث ترى الفرق الاجنبية الغير مشهورة بل هي

مجموعة من الشباب الفرنسيين الذين قابلت لايحلمون برؤية المكان ولايعرفون قيمتة التاريخية والانسانية ومع ذلك ترى هذه الفرق الصاخبة بادواتها للغناء داخل هذه المدرجات مما يعني أن المكان لا ولن يعيش طويلا. وإذا ذهبت لاكبر المدرجات في جرش فسوف ترى القمة والحضارة فيه أثناء النهار وعويل (ياليل ياعين) من أحد المغنيين وصراخ الجماهير التي سوف تجهز على باقي المكان قريباً وليس بعيد وعندما تلملم نفسك حزناً وتذهب مودعاً جرش يخيل الليك أنك تودعاها لآخر مرة حيث يتملكك شعور قوي أن المكان لن يكون المكان مع مرور الزمن القصير لما تتعرض له من أستخدام جائر مقابل صيانة بدائية لاتقوم على دراسة حقيقة والاكثر حزناً أنك تجد جزء من صخور ونقوش جرش متواجدة في أحد مطاعم عمان وضعت جزء من ديكور المكان وبهذه الطريقة يتم تدمير المكان وقتل الزمان.

أندونيسيا الدرس المستفاد

عندما نذكر اندونيسيا نذكر انها كانت تعد واحدة من الدول التى حققت المنجزات الاقتصادية، بل ان اندونيسيا استطاعت تحقيق العديد من النجاحات الاقتصادية على مدى العشرون سنة الماضية والتى قادتها الحكومة الاندونيسية وعلى الرغم من الضربة الاقتصادية التى أصابت الدول في شرق آسيا واندونيسيا موضوع مقالنا واحدة منها والتى يختلف المحللون حول أسبابها حيث يرجح البعض أسباب الازمة الاقتصادية إلى أسباب داخلية والتى منها المبالغه في اعطاء القروض ذات العائد المرتفع والمبالغة في الاستمرارية في القروض العقارية التى انطلقت بدون دراسة واقعية كانت هذه القروض مدعومة من البنوك وعندما لم تستطيع هذه المشاريع ابقاء القروض ناهيك عن فوائد هذه القروض اعلنت هذه المشاريع أفلاسها وبالتالي هددت المواقع البنكية التى قدمت هذه القروض بالافلاس هي الأخرى. مرتبطة ذلك بعدم الشفافية المحاسبية والأيهام المحاسبي الذي يوهم المراقب بتواجد الأموال على الورق دون أن يكون له وجود حقيقي. والبعض الآخري يرجع الأزمة الاقتصادية الآسيوية للاسباب الخارجية وخصوصاً الى المضاربين فى أسواق المال بينما يرجعها البعض الآخر إلى الطرفين أو إلى العاملين الداخلي والخارجي.

إلا أن المتفق عليه أن الازمة الاقتصادية الاندونيسية كانت بوقع الصاعقة على الاقتصاد الاندونيسي، بل ان بعض التقارير ترى ان ما تم انجازه خلال العشرون سنة الماضية قد حصدته الازمة الاقتصادية الاخيرة وأنها أي الأزمة أرجعت اندونيسيا عشرون سنة إلى الخلف وخلفت العديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى سوف تعيشها اندونيسيا في المستقبل خصوصاً وان هذا المستقبل مربوط بشروط ومراقبة البنك الدولي الذي سوف يحاول أن يعطي الوصفة المعتادة التى مفادها تخفيض المصروفات تسريح العديد من العمال والموظفين، تخصيص المنشأة الاقتصادية هذه الوصفة إذا كانت ناجحة على المستوى الاقتصادي فإن آثارها السياسية والاجتماعية قد تكون كبيرة.

إلا أن كل ذلك ليس هو موضوع مقالنا هذا والذي يرمى إلى طرح بعض الأفكار الذي يمكن ان تستفيد الشعوب والدول الأخرى من التجربة الاندونيسية. أندونيسيا عاشت مرحلة القوة والاستقرار مقرون بالتطور والنمو الاقتصادي الذي كن سائد منذ منتصف الستينات من هذا القرن، هذا التطور الاقتصادي استطاعت من خلاله تحقيق العديد من المكاسب الاقتصادية على المستوى الداخلي والسياسي على المستوى الخارجي إلا أن المشكلة كانت تكمن بشكل كبير ان النظام السياسي الاندونيسي لم يواكب التطور الاقتصادي والاجتماعي بتطور سياسي موازي.

وبالفعل فإن التطور الاقتصادي يقود الى التطور الاجتماعي وان التطور الاجتماعي يعيد خلخلت التركيبة الاجتماعية التى تتشكل من جديد من حيث تركيبة المصالح الاجتماعية وخلق قوى جديدة لديها متطلبات وتطلعات تختلف عن التركيبة القديمة قبل مرحلة التطور الاقتصادي، هذه القوة الاقتصادية الجديدة والتغيير الاجتماعي الجديد يخرج بمطالب سياسية وأجتماعية جديدة يجب على النظام السياسي، أي نظام سياسي، أن يتفهمها ويتعامل معها بشكل جدي وبعقلية جديدة. ولهذا كان بامكان النظام السياسي الاندونيسي في مرحلة الازدهار الاقتصادي ومرحلة النمو الاقتصادي المتواصل أن يحقق تطور متوازن على المستوى السياسي موازي للتطور على المستوي الاقتصادي والاجتماعي ولكن النظام السياسي الاندونيسي السابق لم يكن لدية هذه الفكرة لذلك توقع أن النظام السياسي الصارم القائم على قوة النظام الأمني هو صمام الأمام من القلاقل السياسية وهو المحرك الحقيقي للتطور الاقتصادي مع ضبط التطور الاجتماعي في البلاد. وان كان هذا المنطق لا يخلو من وجاهه إلا أن الذي يغيب هو أن الدولة وأفراد الأمن والقوة العسكرية هم جزء من هذا التغيير الاقتصادي والاجتماعي وبالتالي يتأثرون به مثل غيرهم وعلى هذا الاساس فإن أفراد الجيش والأمن والاداريين في النظام السياسي يعتبر جزء من حلقة التغيير وليسو الجزء والضابط لها كما يتوقع الكثير. ولهذا الأسباب فإن تقاعس النظام السياسي الاندونيسي عن استغلال فترة القوة والازدهار الاقتصادي من أجل خلق تغيير متوازن على المستوى الاجتماعي والسياسي دفع النظام السياسي إلى المأزق في مواجهة الأزمة الاقتصادية التى لم يكن لها منعطفات سياسية سوى أبعاد الرئيس الاندونيسي المعتق سوهارتو الذي حكم البلاد ولمدة تزيد عن ثلاثون عاماً أقيمت بالتطوير الاقتصادي والفساد السياسي والمحسوبية السياسية.

ان ما يفلت النظر أن الجيش وجهاز الدولة الاداري لم يكن متعاطف مع الزعيم الاندونيسي الذي كان يعول عليهما في حفظ وبقاء السلطة بيده حتى وفاته وربما تورثته ابنائه الذين كان يعدهم لهذا العمل، بل ان الصحافة العالمية كانت تتحدث عن احتمال تولي أحد ابناء أو بنات الرئيس الاندونيسي سوهارتو للسلطة خلفاً له بعد وفاته. إلا أن الجيش والجهاز الاداري الذي كان جزء من موضوع التغيير كان أول من طالب باقصاء سوهارتو عن السلطة وان كانت المصالح الدولية لعبت بانتقال السلطة الى السيد حبيبي فان الطموح الاجتماعي والاقتصادي هو تطوير النظام السياسي الاندونيسي بشسكل اكثر جدية وبشكل اكثر جذرية.

واذا كانت المسألة السياسية وتطويرها واحدة من الجوانب السلبية التى عمل عليها النظام السياسي الاندونيسي طوال الفترة السابقة فإن النظام السياسي كذلك ارتكب واحدة من أكبر أخطائه السياسية هو عدم تطوير ميكانيكية سياسية للتعامل مع تيمور الشرقية بشكل يجعل هذا القسم جزء من اندونيسيا بل ان قوة النظام الاندونيسي وعدم مرونته السياسية أغرته

بالتمسك بهذا الاسلوب في وقت القوة السياسية والاقتصادية إلا أن هذا الجانب لم يعطي الثمار المطلوبة في مرحلة الهزة الاقتصادية والضعف السياسي لتكتشف اندونيسيا ان مطالب سكان تيمور الشرقية أصبحت وسوف تصبح أكثر طموحاً وتشدداً مدعومة هذه الطموحات والمطالب من العالم الخارجي. وبدل من أن تكون مطالب تيمور الشرقية بالحكم الذاتي قد تتطور إلى الاستقلال التام مدعومة بالقوة الاجنبية وخاصة من الدول الغربية ومدعومة ايضا من الضعف والمأزق السياسي والاقتصادي الاندونيسي.

انه من الوضوح أن الدرس الذي يمكن ان تستقيه الدول الأخرى من التجربة الاندونيسية هو محاولة التوازن في التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لأن ذلك يعطي قدرة الدولة التى تتمتع بقوتها لتمسك بصمام الأمان والتغيير التدريجي المدروس في وقت القوة بدل من التخبط في التغييرات الاضطرارية في قوت الضعف والازمات لذلك فإن التشنج السياسي الذي يحدثه الكبت يكون اكثر قوة وعنف وفي مرحلة الضعف السياسي والاقتصادي ويكون قدرة الدول الاجنبية للتأثير على النظام السياسي أكبر. وعلى مستوى المشاكل السياسية أو حتى العلاقة مع الدول المجاورة فإن حل مثل هذه المشاكل العالقة وقت قوة النظام السياسي سواء السياسية أو الاقتصادية والدعم الاجتماعي الداخلي القوي أفضل من الانتظار حتى حدوث الازمات السياسية التى تجعل موقف النظام السياسي أكثر ضعف وأقل مرنه في التعامل مع الحدث الداخلي والخارجي.

إيه .. أيتها الرياض

أذكر رأحتك المشبعة بحرارة الصيف ووهج الشمس المفعمة برائحة الاسفلت عندما اقتحمت أنوفنا نحن القادمين اليك من رائحة الخضرة وطعم الريف، لازلت أذكر أول لقاء بك أيتها الرياض أيتها المدينة عندما كان الحلم صغيراً والنظر صغيراً والحب صغيراً والهوى مازال طفلاً، أتيت اليك ولم أرى منك وفيك سواء رائحة وهج الظهيرة وبريق الانوار عند المساء.

لم يدر بخلدي ابداً أنني سوف أكون مسكون بك وأنك تتربعين كأجمل العرائس وأجمل المدن على سفينة ذاكرتي ومشاعري وأحلامي أنت أيتها المدينة أنت أيتها المليحة.

معرفتي بك كانت لقاء اطفال، طُبع بالدهشة والانبهار، طُبع بالعفوية والفضولية، بالانسجام السهل القابل للفك بعد الربط، ثم تواصلت حكياتي اليلية معك ولقائك في مرحلة سنوات الجامعة عندما كنت أُوثق علاقتي بك أيتها المدينة مثلما يُوثق عاشق ريفي علاقتة بمحبوبتة ويبدء بربط المعنى بالمكان والزمان، ومثلما تكون رائحة الحناء ولون الشعر وبقايا العطر ذاكرة القاء بين عشيقين فإن تطوير المكان وتغّيره وتبّدله كان عنوان الحب والعلاقة التي تربطني بك أيتها المدينة، أيتها المحبوبة.

وكيف لانحبك وانت التي أعطيتينا وهج العالم وانت التي اخرجتينا من سراديب الريف الى العالم الخارجي وانت التي فتحت لنا نوافذك وأشرعتي لنا ابوابك حتى نكشف بها روائح العواصم وطعم الحضارات وتنوع اللسان والمكان، انت أيتها المدينة أنت أيتها المليحة أنت أيتها الرياض .

لم يكن يدور بخلدي أبداً انا القابع بين اوراقي واقلامي ان اراك بهذا الشوق وهذا الشجن وهذه الحميمية . عندما كانت سنوات الغربة أزهار روز ولون بلور ورائحة قرنفل ،كانت الغربة تدغدغ أحلامنا وتبسط آلامانا وننساق اليك تقودنا خطواتنا الى زاوية لكي تبرزين أنت أيتها الرياض كمعشوقة فردت شعرها، نثرت علية ريح الصحراء وجاءت تملاء المكان وتُعبق الزمان داخل خلجات القلب. وعندما يحدث ذلك في سنوات الغربة أبحث عن ركن أرمي فية هذا الجسد المجهد وهذا العقل المشغول وهذا القلب المشتاق حتى يمكنني انا البعيد عنك أحتسي شئ من القهوة وكثيراً من الصمت والشوق والحب، أتذكرك مثلما يتذكر العاشق اللمسة الاولى ويتذوق طعم القبلة الاولى ابقى أنا المنزوي من مدينة الغربة، في قارة الغربة أبحث عنك بين أكواب القهوة وأحداق المارة حتى إذا ما وصلت قاع بئر الذكريات يأتي العامل للتذكير بأن القهوة قد نفذت، فأعود من حناياك أيتها المدينة الى ظهر المكان والزمان الذي هو الغربة.

واليوم بعدما عدت اليك بعد سنوات من الحب والشوق.. الملم ذكرياتي وحبي لك بهذه

الكلمات.

أيه أيتها المدينة ،أيتها الرياض، أيتها الرائعة، عندما ياتي الصيف وتبدء اجنحة مُحبوك بالسفر عنك أراك إمرأةً صيفية عاصفة الجمال مكتملة الأنوثة والعطاء، شديدة الحب والإغراء وعندما تبدين للاخرين وحشاً كاسراً يُبرز أنياب حره وشديد عواصفة وظهيرة مليئة بالحرقة والهجير فانني انا العاشق لك لا أرى إلا مدينة مسكونة بوهج الشمس النجدية التي تعقم المكان وتغسل الذكرة التي كللها العطاء المتواصل، وعندما تخلو طرقاتك من المارة والزحام تكونيين أكثر إغراء وأشد بريق.

من يراك أيتها الرياض للوهلة الاولى لايمكن ان يقراء فيك سوى عناق الصحراء الجاف بالمباني الاسمنتية وازيز هذه الكتل الحديدية على أرض ساخنة اعلنتها حرارة الشمس وعتمت الأزفلت . ولكنني ان القابع في شباك حبك، إغرائك أرى فيك مدينة حلم صيفية ومن لم يتذوق طعم ليل الصيف بالرياض لايعرف طعم ليلة صيف نجدية . وانا العاشق لك أرى أنك مدينة مسكونة بالحب والعطاء، مدينة مسكونة بالعشق والفتنة، أرك امرأة واثقة العينين تختلجك من خلف نقاب تعلن جوعها وعشقها وسحرها الذي يبهرك فيها التضور والعطاء .

انا المسكون بحبك أيتها الرياض أيتها المليحة.. كيف لايكون وانا العاشق الذي يجلس امامك على طاولة الذكريات ويشاهد يديك المسكونتان بالعطاء وهي تزيح القناع عن وجة مشرق متسم بالوداعة والألفة، وتذهب أصابع يديك لتنثر شعرك المسكون بالليل الصيفي النجدي وتبدء كلماتك تنطلق منك موشحة بحديث السمر ورائحة الشعر ومجاهل من الشوق والوعود .

أنتي أيتها الحبيبة،أايتها المدينة، كان دخولك جوانح القلب دخولاً بطئ ولكنه كان وثقاً وقوياً تملّك زوايا النفس واصبح صيفك الحار الذي يهرب منه الاخرين مكان لقول كلمات الحب والشوق لك، فكيف يمكن ان يكون ربيعك أيتها المدينة الربيعية .

عندما أحببتك صيفاً حاراً شديد الوهج ، كان ربيعك موجة عطر ولقاء شوق، ومعنى اللقاء الاول بين المحبين، وإبحار في عيني محبوبة تخرجنا من ساعات البؤس الى عالم المجهول والفتنة. انتِ أيتها الرياض نحبك في صيفك الحار ونحبك بربيعك الساحر ونحبك في شتاءك البارد الجافَ ونعشق عشقنا لك أيتها المدينة أيتها المليحة.

تصنيع الخبير

جُبل المغلوب على تقليد الغالب كما قالها وفسرها أبن خلدون. والرجل وضعها في اطارها السياسي الاجتماعي أو ما يعرف بمفهوم علم الاجتماع السياسي حيث ذكر أن الأمم المغلوبه كثيراً ما تنتهج عملية التقليد للأمم الغالبه. وهنا تبرز بعض الأسئلة التى لابد من الاجابة عليها أو على الأقل اثارتها فى الوقت الحاضر وهي : هل الأمة المغلوبه تقلد الغالبه بفعل السيرورة والضرورة ؟ ثم اذا كن ذلك كذلك فهل هذا التقليد هو يدفع إلى أنصهار المغلوب فى الغالب ؟ أم أن تقليد المغلوب للغالب هي تدخل فى جدلية نهوض وانهيار الأمم ؟ كما تحدث عن ذلك أبن خلدون وإذا كان الأمر هي الأخير فإن التقليد هنا محمود اكثر منه مذموم. وعملية التقليد بالمفهوم السياسي الاستراتيجي الحضاري هي عملية الحصول على الخبرة والقدرة من أجل النهوض والنمو فى هذه الحاله. ولكننا نعيش أواخر القرن العشرين ولكوننا نعيش هذا الزمان بالذات فى مفهوم تقليد المغلوب للغالب وهذا يطرح تسائل أي تقليد هل هو بناء أم غير بناء ؟ ثم ما هو البناء والغير نباء ؟ ولكن هذه الاسئلة الاخيرة وامثالها، ما هو التقليد الحميد والغير حميد ليس داخل فى أطار هذا المقال فسوف نتركه جانبا لطرق أحد المواضيع التى يمكن للمغلوب أن يقلد فيها الغالب وهو تقليد يتضح فائدته وأهميته.

العالم الغربي متطور على جميع شعوب العالم من الناحيه الحضاريه الماديه، والمادية الحضاريه تعنى التكنولوجيا وحضارة المعرفة والبحث والنظريات والاستنتاجات وهذا ما قاد إلى حضارة غربية ترسم بالقوة والجبروت بل ويذهب الى القول بعولمتها أو جعلها عالمية كما يطلب ويرغب المؤمنين بالتحديث والمدنيه حيث يرى هؤلاء أن العالم بحضاراتة المتنوعة وأجزائه المترامية يسير نحو المدنية. والمدنيه هي الغربيه وبالتالي فإن العالم يسير نحو تقمص الحضارة الغربية وتبنيها وجعل الحضارة الغربية هي الحضارة العالميه. رغم أن وجهة النظر هذه تبدو فيها شيء من المنطقية للوهلة الأولي وخصوصاً إذا أخذ مستوى تحليل متوسط إلا أن هذه النظرة متهافتة ولا تستطيع مقاومة التحليل ذا البعد الواسع إذا ما وضعت الحضارة الغربيه تحت مفهوم وتحت تحليل أنها عامل من عوامل السيرورة الانسانية ولا تخرج عنها أو تتفوق عليها وهنا نبرز أهمية ووجاهة المنهج الاجتماعي الذي هو ليس موضوعنا هنا.

أقول إذا كان العالم الغربي يتزعم الحضارة الانسانية المادية فى هذا الوقت فإن العالم العربي على النقيض من ذلك حيث يشهد العالم العربي على مستوى الحضارة المادية تخلفاً متزايداً حيث أن عدد الفقراء يزيد في العالم العربي سنه بعد سنه وعدد العاطلين عن العمل يزيد سنه بعد سنه والأهم من ذلك كله أن عدد الأميه تزداد فى العالم العربي سنه بعد سنه حيث أن أعداد المواليد كل

سنه يفوق إلى حد كبير أعداد المقاعد الدراسية والمدارس المستحدثه فى العالم العربي ناهيك عن عدم تناسب عدد السكان مع عدد المعاهد والجامعات في العالم العربي وهذا يعني أن العالم العربي يسير إلى الخلف فى الوقت الذي فيه الشعوب الأخرى تسير بخطوات هائله إلى الأمام ولا يمكن مقارنة العالم العربي إلا مع افريقيا في المشاكل التى يعانيها.

وإذا كان وضع العالم العربي كما قيل والعالم الغربي كما ذكر فإن العالم العربي مطالب بالأستفادة من تجارب الأمم الأخرى ولعل من منها وهي كثير ايجاد ما يعرف بالخبير وهو ما اطلقت عليه مفهوم تصنيع الخبير، والخبير هنا هو إيجاد الكوادر ذات الخبرة الاختصاصية في بعض القضايا ذات البعد الاستراتيجي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي. وهنا أرجو أن لا يذهب ذهن القارىء إلى الجوانب التكنولوجيه وهذه مهمة ولكنها ليست ما أرمي إلى طرحه هنا. وأنما أبحث عن إيجاد أفراد ذوي بعد معرفي عاليٍ يعمل على صقلها على مستوى الخبرة والممارسة حتى تكون قدرات عقليه هائله ليست لممارسة القضايا والشؤون البروقراطية كما يحدث في كثير من الاحيان، بل إلى تحويل مثل هذه الكوادر إلى مخازن وطنيه معرفيه حول كثير من القضايا الملحة.

الدول الغربية أستطاعت أن تخلق وتصنع الخبير وذلك بانشاء حلقة وصل بين البعد الاكاديمي والبعد التطبيقي أو تحويل المفاهيم والعمق الفكري الى سياسات قابلة للتطبيق والاستفادة منها فعلى سبيل المثال فى الجانب السياسي، نرى دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية أستطاعت تجنيد العديد من الاكاديميين ذوي الاختصاص في العلوم السياسية وعلم الاجتماع مثلاً وتحويل أهتمام هؤلاء من البعد الاكاديمي البحت عن طريق التواصل وتسيير العلاقة مع المؤسسة السياسية سواء المباشر أو عبر مراكز الابحاث المستقبلية أو التابعة للمؤسسة السياسية. بهذه الطريقة قامت المؤسسة السياسية بخلق مناخ لتطعيم هذا الاكاديمي بالمناخ السياسي الاستراتيجي وبأهدافها الاستراتيجية وحولت أهتمام هؤلاء إلى منظرين استراتيجين ودارسين فاحصين للعديد من الدول في جميع أنحاء العالم. فالمؤسسة السياسية في الغرب بشكل عام والولايات المتحدة الامريكية بشكل خاص أستطاعت أجتذاب العديد من أرباب الفكر في الجامعات وفتح أبواب التواصل مع الآخرين من أجل إعادت صناعتهم وتأهيلهم بشكل يخدم الهدف الاستراتيجي الامريكي حيث أستطاعت هذه المؤسسات السياسية جذب العديد من المهتمين بشؤون الشرق الأوسط على سبيل المثال لا الحصر ومنطقة الخليج وقدمت لهم العديد من الفرص للسفر لهذه المنطقة وتكوين صداقات سواء مع المسئولين السياسيين أو مع رواد الفكر فيها مما يجعل هؤلاء اكثر فهماً والتصاقاً للنظم السياسية والمناطق الجغرافيه التى رغبوا أن يكون خبراء فيها. ونحن هنا فى المملكة العربية السعودية على سبيل المثال، ومع أن عملية الدخول للمملكة مازالت صعبة ومعقدة إلا أننا نفاجيء أن هؤلاء المحللين والخبراء

يتوافدون علينا مـره آثر أخرى من أجل صقل قدراتهم التحليلية عن المنطقـة وأطلاعهم على آخر المستجـدات على أرض الواقع. وهؤلاء الخبراء كثـير ما تدفع المؤسسات السـياسية أو البحـثية تكاليف هذه الرحلات والتنقلات فنجد هؤلاء من اساتذة جامـعات وباحثين في مراكز الدراسات المختلفه منتقلين من دولة خليجـية إلى أخرى من المملكة إلى إيران ومن عمان إلى الكويت من أجل الحصـول على آخر المسـتجـدات في المنطقة والتـحدث مع الآخرين حـول التوجـهة السـياسي والتصـورات المختلفـة، يدعم ذلك توفر المعلومـات الهائلة عن هذه المنطقـة على سبـيل المثال فى الدوائر البحثية والمخـابراتيه في الغرب مما يجعل هؤلاء على قدرة جيدة لمعرفـة وقرأة المستقبل السياسي والاستراتيجي للمنطقة والذي يصب بالتالي في خانه المصلحه القوميه العليا للولايات المتحدة الأمريكية.

إن مثل هؤلاء الخبراء هو ما تفتقدة الدول العـربية وأن كانت دولة مثل مصر أخذت المبادرات فى استثماراتها في هذا المجال، وإن كان لايزال في بداياته إلا أن البداية أفضل كثير من اللابداية. وإن دولة عربية مهـمة على المستوى العربي والاسلامي والدولي مثل المملكة العـربية السعودية على المستوى السـياسي والاقتصادي والروحي لهي فى أمس الحاجه الـى صناعه الخبراء وذلك من أجل إيجاد ثروة بشرية مـهمه تستطيع أستشـراف المستقبل للمملكة العربيـة السعودية في علاقاتها الخليجية والآسيوية والغربـية. فإننا هنا في المملكة العربية السعودية في أمس الحاجه للدراسات التى توضح لنا مستقـبل الصين والهند الصناعي والسياسي حتى يمكن وضـع تصور مسـتقـبلي للعلاقـات مع هذه الدول خصـوصاً وأن أغلب الدراسـات ترشح هذين الدولتين إلى دخول نادي الدول المصـنعه وبالتالي نادي الـدول العظمى وهذا يعني لنا هنا في المملكة العـربية السعودية مسـتقبل سياسي وأقتصادي مع هذه الدول. الكـلام يصح وينطبق علي أيجاد خبراء لمنطقة الخليج بدوله كلها ودول العالم العربي الأخري وآسيا الوسطي والعالم الغربي والولايات المتحدة من أجل اتضاح الرويا السياسيـة والاقتصادية لهذه الدول، ومن هذا المنطلق فإن صناعه الخبير هي تجسير الفجوة العلمية والسياسية من أجل خلق وصناعه أفراد يكونون مراجع مهمة في وقت الازمـات السيـاسـية ويشـاركـون في وضـع تصوراتهـم حول سلوك الدول الاخـري وعلاقاتهـا مع المملكة العربية السعودية بشكل يخـدم المصلحة العليا للمملكة في المدى القـصير والمتوسط والبعـيد ويخدم مستقـبلنا ومستقبل أبنائنا وهو كـذلك يستثمر هذه القـدرات العقلية التى شبه مهدرة ومعطلة فى أروقة الجامعات السعودية والذين تحولوا إلى مهمة تدريسية بحته لاتتناسب مع أستعداداتهم وقدراتهم التأهيليه.

الآثار الأموية

لا تستطيع الحديث عن الدولة الأموية والحقبة الأموية دون أن تخوض في بلاد الشام وتتحدث عن بدايات نشأة الدولة الأمويةو الصراعات الداخلية التي عاشتها هذه الدولة وضعفها وزوالها على يد رجال الدولة العباسية الأوائل. ولا نستطيع الحديث عن الدولة الأموية دون الحديث عن مركز حضارتهم وقوتهم بلاد الشام وخصوصا سوريا وبالاخص العاصمة دمشق مركز قوتهم واشعاعهم.

ولكن الحديث عن الآثار الأموية لن يتطرق الى النزاعات السياسية وضروف تلك العصر السياسية والأجتماعية ولن يكون الحديث منصب على دمشق مركز قوتهم ومنطلقهم بل سوف يكون منصب الحديث عن أثرين أمويين تركتهما الدولة الأموية ليس في دمشق أو حتى سوريا بل في صحراء الأردن وأهمية الحديث عن الموقعين تكمن باهمية الآثار وخصوصاً آثار الدولة الاسلامية في حقبها الأولى والأهمية الثانية تكمن في ما مدى الأهتمام بمثل هذه الأثار.

يقع الموقع الأول وهو قصر حرانه ويطلق عليه في بعض الخرائط (قصر خزانه) وهو عبارة عن قصر يقع في الجنوب الأزرق في الأردن في الصحراء وعلى مقربة ليست بعيدة من الحدود مع المملكة العربية السعودية وهو يقع على يمين الطريق الدولي الذي يربط عمان بالحدود السعودية والمسافر لا يستطيع أن لايرى القصر بشموخة ووقوفة منتصب على أرض متساوية تستطيع من خلال الوقوف على القصر أن تشرف على المناطق المحيطة بما يزيد عن مسيرة يومين أو أكثر في الطرق التقليدية. تقول المصادر التاريخية المدونة على القصر أنه عّمرسنة ٩٢هـ ومما يبدو من التاريخ أنه كان في الحقبة الثانية أو الأخيرة من عمر الدولة الأموية وكان هذا القصر عبارة عن مصيف للخليفة الأموي ومما يمكن فهمه من موقع هذا القصر أنه عبارة عن مكان يستطيع الخليفة من خلال الجلوس فيه أن يلتقي بالقبائل التي تقطن تلك المناطق في شمال الجزيرة العربية من جانب وكذلك يبدو أن هذه المناطق التي يبدو عليها التصحر أنها كانت مناطق غنية بالحيوانات البرية وخصوصاً الغزلان على أختلاف أنواعها والوعول وهذا مايروية كبار السن قبل ما يقارب ٦٠سنه ناهيك عن الفترة الأموية فإنه يبدوا أن هذه المناطق غنية وذات أهمية في جانب الصيد والتنزه في الهواء الصحراوي الطلق.

أول ما يلفت نضرك وأنت تدخل القصر هو الساقية الممتدة من خارج القصر والتي تدخل عبر البوابة الرئيسية الى الساحة الداخلية ومن الملاحظ أن هذه الساقية تقوم بجلب الماء من

الخارج الى الداخل وعند دخولك بوابة القصر تشعر بعمق التاريخ وعبق المكان وأهميته التاريخية والسياسية الكبيرة. أقول عندما تدخل القصر يصاحبك الحارس على القصر وهو دليلك السياحي حيث يبدو أن الرجل قد جمع حصيلة من المعلومات عن القصر بفعل العيش عنده وحراسته، عندما تدخل القصر فإنك ترى أماكن الخيل على يمين المدخل وشماله في غرف خاصة كبيرة وضعت خصيصا للخيول ثم بعد ذلك لتدخل الساحة الرئيسية للقصر حتى ترى أن القصر بنى على الطريقة العربية التقليدية وهي وجود الساحة في الوسط تحيط بها الغرف من جميع الجوانب وهو بهذه الطريقة يشبه الى حد بعيد نمط البناء التقليدي في دمشق أو فاس ومراكش. ويتكون قصر حرانه من طابقين يتكون الطابق السفلي من غرف متعدده خصصت للمنافع والخدم والمطبخ و بئر يعتبر أحد مصادر المياه للقصر أما الطابق العلوي فيتكون من غرف للنوم والجلوس وتتعدد فيه الغرف ولكن كان أبرزها تلك الصالات الرائعة التصميم والتي كانت مخصصة لمجلس الخليفة.

ورغم الفرح الذي ينتابك لدخولك علم وشاهد من شواهد العهد الأموي التي قضي عليها الدهر والحقب المتعاقبة كما قضت على آثار الأمويين والدول التي أعقبتهم من أجل مسح وأزله أي آثار للدولة الأموية أقول رغم شعورك بالفرح إلا أن هذا الفرح لايدوم حين ترى بام عينك كيف يتم تدمير هذه الأثار بشكل يفوق التصور والخيال حيث ترى مسلسل التدمير باقي حتى يومنا هذا و تشاهد أن النقوش على حيطان

القصر زالت ودرست ولم يبقى منها سوى شواهد بسيطة تدل على أهمية المكان والاكثر حزناً أن بعض الترميمات التي جرت للقصر كان بمثابة تخريب حقيقي للقصر حيث أن الأدارة المسئولة عن الترميم لا تعرف عن الآثار والترميم والأهمية التاريخية لهذه المناطق أي شئ ومن أجل حفظ مثل هذه الأثار يجب رفع يد مثل هؤلاء عن مثل هذه الكنوز التي لا تعوض قبل فوات الأوان. وعندما تذهب للجانب الشمالي من القصر سوف تشعر بالحزن العميق حيث أن الجانب الشمالي من الطابق الثاني من القصر قد تهدم بالكامل والسبب يرجع كما علمنا الى أن مناورة عسكرية أجريت على مقربة من القصروصوبت دباباتها نحو القصر للتخذ منه هدف. كل هذه تعاقبت على من هذه الأثر الكبير لتقضي على البقية منه من الهدم وعدم الأهتمام ولم أجد ما يفرح عند دخولي لهذه الأثر الكبير سوى حارس القصر الذي كان على قدر كبير من الخلق والتهذيب والذي أشعرنا بكرم المكان ونبل الأنسان البدوي المتربي على الفطرة والسليقة. والأثر الأخر هو قصر عمرة، هذا القصر لايبعد كثيراً عن قصر حرانه ويقع هذا القصر على مقربة أكثر من الحدود السعودية ويكون على الجانب الأيسر من الطريق الدولي تجاه المملكة العربية السعودية والمكان لا يلفت الأنتباه سوى بقبة الغريبة حيث أنك ترى القصر عن بعد فتراه صغيراً جداً ولكن عندما تقترب يبداء

يضـهر لك على شكله الطبـيعي وأول مـا يلفت نظرك في القـصر أنه يقع علـى مجـرى أحد الأودية الصغيرة التي يبدو أنها تسيل في مـوسم الامطار والملفت للنظر أن قصر عمرة مثل قـصر حـرانه توجد فـيه بئـر في الفناء الخـارجي ألا أن هذا القصـر كان غـاية في الأبداع الهندسي والفني حـيث تتصدره قـاعة مـتوسطة عند دخـولك للقصر ويكـون أمامك بعض الغـرف الصغـيرة وجـود المطبخ والحمـامات المتـواجدة في الجـانب الجنوبي من القـصر. والقصر هو عبـارة عن مبنى يتكون من قبب متعدده تشكل هذه القـبب سقوف الغرف داخل القصر والقصر بحق يعد تحفة معمارية من الخارج ويذكرك بكثير من نمط البناء في تونس وجزء من المغرب العربي ، الا ما تشاهده في الخارج سواء تصـميم القصر أو حتى من البيئه المحيطة بالقصر فـهي لا تعكس بأي حال من الاحوال مافي داخل القصر. قـصر عمرة بحق أية من آيات الجمال والفن الراقي حـيث القصر بكاملة عبارة عن تحفـة فنية رائعة تحكي لك تريخ المكان وبيـئته حـيث تتصدر الصـالة الرئيسيـة أو البهو الـرئيسي عبـارة عن لوحات وصور

رسمت على جدران وأسـقف القصر تعبر لك عن مـايدور في الخارج في ذلك الوقت منها قطيع من الغزلان يقـفز غدران الماء هارباً من الصيـاد وخيول عربية أصـيلة تعدو خلف هذه الغزلان وتحف فنية تعكس مجالس السمر والطرب التي يمكن أنها تعكس ما

يدور في دمشق واللاذقية في ذلك الوقت وعلى سقف هذه الباحـة الداخلية للقصر عبارة عن لوحات رائعة في الـدقة والجمال لتبين لك كـيف تمت عملية بناء القصـر أبتداء من نحات الصـخور الى النجار الى كيفيـة عمل وبناء الحجارة الى عملية الرسم والنقش على الجدران. وتصاب بدوار المـكان عندما تدخل غـرف الفسـيفسـاء في الغرف الداخليـة حيث الجـمال الاخاذ وتذهل أكثر عندمـا تدخل المطبخ أوحمامات القصر لتذهـل من الدقة الهندسية والفن المعماري الراقـي هذا القصر يذكرك وأنت تدخل كنيـسة الفتيكان بتلك الصـور الرائعة التي صممها الفنان مايكل أنجلو الذي افنى حياته يرسمها وينفذها. قصر عمرة فيه شئ من هذه الروح وهذا الفن المعـماري والهندسي والفـنى الرائع. لاشك أنك تشعـر بالفرح عندمـا ترى مثل هذه الآثار الرائعة التي تروي لك قصة المكان والزمان الا أن الحزن في ذات الوقت يكون ملازماً لك حيث الأهمـال الذي يمكن أن يكون متعمداً لهذه الأعـلام الأثرية الرائعة حيث نجد أن قصراً رائعا وجمـيلا مثل قصر عمرة وقصر حرانة منذ القـرن الثامن الهجري أي القرن الأول الأسلامي ولم تصل اليه أيدي العبث والتخـريب الى في الوقت الحاضر حيث نجد في تلك اللوحات الرائعة داخل قصر عمرة كـتابات وخربشات لذكريات فلان وذكريات فلان أنه تخـريب وتدمـير للمكان ومما يحز في النفـس أن من يفتح القـصـر ويغلقـة للزائر هم من الصبيـة الصغار الذين يعبثون في المكان أكـثر من حفظهم له ولذلك فإنها دعـوة صادقة الى

أي مؤسسة عربية أو أسلامية أن تسعى الى حط يدها على مثل هذه الأماكن الأثرية وأن يتم ترميمها بشكل مدروس وعلمي بدل من هذا العبث الذي يحدث اليوم وأن لم يكن ذلك سريعاً فإنني أدعوا المهتمين وعشاق التراث والتاريخ العربي الأسلامي وعشاق هذه الأرض العربية الاسلامية الطيبة الى زيارة المكان في القريب العاجل لأنه سوف تنمحي آثاره بفعل الأهمال والتخريب وقد لا تأتي فرصة أخرى لرؤية مثل هذه الكنوز التي لاتعوض وإذا لم تراها أيها المهتم في القريب فسوف تذهب هذه الكنوز مع رياح الزمن العربي الردئ.

السياسة الخارجية والسفارات

لم يعد خافياً بل أصبح من البديهيات القول والتصريح بأن السياسة الخارجية لدولة أي دولة هو محصله التبعئه للقدرات والامكانيات المختلفة ببعدها الدبلوماسي والعسكري والسياسي والفكري والاقتصادي والبشري والاعلامي والنفسي إلى غير ذلك من القدرات المتنوعة والمتعددة والمتجددة. نقول أن فن رسم وتنفيذ ونجاح السياسة الخارجية هو القدرة على تعبئة ثم توظيف هذه الامكانيات الآنفه الذكر وغيرها أي أن السياسة الخارجية الفعالة هي التي قامت على عناصر وكوادر محدثة تحديثاً حقيقاً بحيث تستطيع هذه الكوادر والعناصر دراسة وفهم وأستيعاب القدرات الوطنية لأي دولة من الدول ثم بعد ذلك تتم عملية استثمار هذه القدرات أستثماراً حقيياً يستطيع تحقيق الهدف في السياسة الخارجية فعلى سبيل المثال لا الحصر فأن تحديث المجتمع يعني تحديث الفرد وتحديث الفرد يعني صقل قدرة الفرد على البحث عن المعلومة ثم انتقاء المعلومه الصحيحة حيث يتم توظيف هذه المعلومه الصحيحه وتعبئتها وترجمتها إلى فعل سياسي أو فعل خارجي وبالتالي نقول إن الفرد المحدث القادر المصقول حينما يعمل في جهه ذات بعد خارجي فإنه يكون أفضل من عدد كبير من الموظفين الذين يصبحون عبأ على المؤسسة ذات البعد الخارجي بدل أن يكونون عوناً لها يكونون عبئاً على بلادهم التي هم كان من المفترض أن يكونون عوناً لها . ولعله اكثر أفادة أن نهبط من سماء التجريد الى نوع من التحديد ذلك من أجل تلمس الجرح ومعرفة نوعة وتصور الدواء له ولذلك كله فإننا سوف نترك أدوات تنفيذ السياسة الخارجية كلها باستثناء البعد الدبلوماسي مع أعترافنا باهميتها القصوى، وداخل البعد الدبلوماسي سوف نركز على بعد مؤسسة السفارة كاداة من أدوات التأثير على رسم السياسة الخارجية وكذلك أدات من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية .

إن الدراسات في العلاقات الدوليه تفيدنا أن مفهوم السفارة بمفهومها الحالي جاء كمحصلة للحروب الأوربية وخصوصاً الانكسار العسكري النابليوني في معركته الشهيرة واترلو والتي انتكست بها مفهوم الامبراطوريه وبدأ يترعرع مفهوم الدولة القومية القائمة على مبادىء تجانس العرق واللغة والوحدة الجغرافية الوطنية والتاريخ والآمال المشتركة حيث أصبح من المنطقي توحد فرنسا بذاتها وأيطاليا بذاتها والمانيا بذاتها وعلى ذلك يمكن القياس. نقول أن مفهوم السفير والسفارة أنطلق وبدء من هذه التغيرات الجوهرية حيث أصبح السفير من أهم وأبرز الشخصيات السياسية وأنيط به أهمية قصوى حيث أصبح لديه القدرة على أعلان الحرب والبت فى مسائل ذات أهمية كبيره حيث أصبح لدي السفير البريطاني في باريس على سبيل

المثال القدرة والحق في أعلان الحرب على فرنسا رغم أنه متواجد على الأراضي الفرنسية. وبعد تطور الثورة الصناعية وما خلفته من وسائل أتصال سواء للتنقل أو الحديث والتخاطب وتزامن ذلك مع الحرب الباردة الشرسة التى دارت بين القوتين العظميين دفع دور السفارة والسفير الى الضمور والهامشيه حيث أصبحت مفهوم السرية السياسية هو الشائع ومفهوم المؤامرة والمناورة السياسية هي الاكثر حضوراً وأصبحت الأمور من السرعة بحيث يجب تخطي السفير والاتصال بصاحب الشأن والقرار من أجل البت فى موضوع من المواضيع حيث شاهدنا أن دور السفير أخذ يفقد بريقه خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من هذا القرن ما عدا الدول القوية والفاعلة وأصبح دور السفير لا يتجاوز عن كونه ممثل ومؤشر للعلاقات السياسية بين دولتين كما اكتست السفارة والسفير في كونه يمثل رأس فريق تجسسي بشكل قانوني متعارف عليه دولياً. إلا أن الملاحظ في مرحلة ما بعد الحرب الباردة هو أنخفاض ولا أقول زوال البعد العسكري بل أقول هناك أهتمام بالبعد الاقتصادي والفكري أكثر من أي وقت مضي وأصبحت الدول تصرف الكثير من الوقت والجهد في هذين البعدين حيث أنه ثبت لهذه الدول والدوائر الفكريه بها أن البعد الاقتصادي والفكري عاملان وبعدان في غاية الأهمية ليس فقط للبعد الداخلي والمصالح الوطنية الآنية بل على المستوي الدولي والاستراتيجي حيث أن الارتباط الاقتصادي الدقيق يعني ارتباطاً سياسياً نسبياً يدفع الدول بالتقارب العفوي البعيد عن الجبر والاكراه وأن الاقتصاد يعد من أكثر الوشائج الدولية تماسكاً وربطاً وهو في نفس الوقت عملاً للمصلحة الوطنية بشكل قوى وفعال ومن جانب آخر أن التأثير الاقتصادي للتأثير على الآخرين هو أقوي وأمضي حيث أن التعاون الاقتصادي يترجم الى تعاون وترابط في جميع المجالات وهو كذلك يعني تطوير وتغيير للمجتمعات الراكده وربطها بالمجتمعات الأخرى بدون مراقبة الدول أو تأثيرها وبالتالي فإن التغيير الاقتصادي يعني تغييراً اجتماعياً والتغيير الاجتماعي يعني تغييراً سياسياً ومن ذلك كلة يكون التغيير السياسي المراد تحقيقة من دولة (أ) في دولة (ب) يكون عن طريق الاقتصاد بدل من القوة العسكرية. كل ذلك أي البعد الاقتصادي يتزامن مع البعد الفكري أو النسيق التفكيري حيث أن الدول أعطت أهمية قصوي للبعد الفكري حيث أصبح عاموداً مماثلاً وموازياً ومساندا للبعد الاقتصادي لا يقل عنة أهمية لأن التأثير الفكري سوف يكون البوصله الحقيقيه التى سوف تقود التغيير الاقتصادي الذي سوف ينتج عنه تغييراً اجتماعياً ثم سياسياً. بمعنى آخر أن اشارات الضوء الفكرية سوف تحرك الطاقة الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي السياسية ولتوضيح الفكره فإنه إذا مارغبت فرنسا مثلاً في الأستفادة واستثمار الوضع السياسي في جزر القمر على سبيل المثال لا الحصر فإن العلاقات الاقتصادية قادرة على أعادة تشكيل النمط المعيشي لجزر القمر على المنوال الفرنسي وتزامن ذلك مع ضخ أعلامي وفكري فرنسي على جزر القمر يعني تعلم الثقافة واللغة الفرنسيه أي أن اللغه والادب

والتاريخ الفرنسي سوف يصبح المثل الأعلى لجزر القمر إذاً التغيير الاقتصادي الاجتماعي في جزر القمر سوف يتلاقح مع التغيير الثقافي لتكون المحصلة تصب في مصلحة السياسة الخارجية الفرنسية في نهاية المطاف ويحقق قول أحد الفلاسفة انه يجب تغيير الاذهان من أجل التحكم بالابدان وليس كما كان التحكم بالابدان من اجل تغيير الاذهان. نعم لقد خفت حدة المؤامرات السياسية وتهميش السفير والسفارة بعد نهاية الحرب الباردة من جهة والثورة الفكرية والمعلوماتية أوجدت عباً حقيقياً على السفارة والسفير وأصبح السفراء مطالبين بأن يكونون على اكبر قدر من المعرفة والديناميكية وأصبح شرطاً مهماً أن يكون السفير وأعضاء السفارة من القدرات الحقيقيه الفعالة ولم يعد العدد هو المؤشر الحقيقي الوحيد كما لم تعد مهمة السفير ساعي البريد للقضايا الروتينية بل أصبح السفير عامل حركة دؤبة يعمل على الاتصال بالجهات الفكرية في الدوله المضيفة وحلقة وصل مع الجهات الفكرية في وطنة الأم حيث أصبح دوره هو ابراز الشخصيات الفكرية الوطنية من أجل ربطهم بالدوائر الفكرية في الدولة المضيفة حيى يكونون في مكان اكثر فاعلية للدفاع عن القضايا الوطنية في وقت الأزمات كما يكونون على أتصال بالدول الأخرى من أجل شرح متواصل للقضايا الوطنية. كما أن السفير والسفارة أصحبت من الأهمية الضرورية حيث أصبحت تعد بمثابة معهد فكرى وتعليمى عن الوطن الأم في الدوله المضيفة وأصبح اتصال السفير وأجتماعة خارج حلقات الحفلات الدبلوماسية أمر في غاية الأهمية في المستقبل كما أن دور السفير يجب أن يخرج الى الواقعية الاجتماعية والسياسية للدولة المضيفة حتي يمكن له أن يكون لدية تصوراً حقيقياً وواقعياً عن الدولة المضيفة بمعنى آخر أن دور السفير وساعي البريد والدور التشريفي للسفير والمهمة الروتينية للسفارة قد ولت وأنتهت وجاء دور السفير والسفارة النشطة التى تستطيع تكوين شبكة من العلاقات المختلفة العسكرية والسياسية والاقتصادية مع الدوله المضيفة، وأصبح من أهمية القصوي أن يكون السفير على قدرة عالية من الوعي السياسي والاجتماعي والخيال التصوري للعلاقات السياسية ومستجداتها ومستقبلها، وأنه أصبح من الأهمية أختيار عناصر السفاره المساندين بشكل جيد ولم يعد البعد الوظيفي هو العام والحافز الوحيد بل يجب أن يكون أختيار الأفراد على أساس الكفاءة والقدرة على الفائدة والاستفادة وأن لم يكن ذلك فسوف نجد فى أوقات الأزمات السياسية السفير وأعضاء السفاره لن يفيد في شيء سوى التشريفات والبرتوكولات الدبلوماسية أي سوف تتكشف القشور التى لا تعطي لب حقاً يفيد في وقت الجوع والحاجة.

صنع في السعودية

لم يعد هناك شك أو جدل في مدى الترابط بين البعد الاقتصادي والبعد السياسي، بل أصبح عوامل الربط بينهما هي اكثر من أن تحصى أو تعد ولم يعد أحد اليوم يجادل بأن البعد الاقتصادي عامل من عوامل الاستقرار السياسي أو أن الاقتصاد عامل من عوامل التطور والتقدم وأن ذلك ينعكس سلباً على البعد السياسي والاجتماعي. بل أن جزء كبير من مفهوم الاستقرار السياسي الذي يسود العقلية السياسية هي مفهوم التطور الملحوظ في المداخيل الاقتصادية سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الحكومة بل أن مفهوم الاحتفاظ بطبقة وسطى عريضة ذات إنتاجية وتعليم جيد أصبح من عوامل الاستقرار السياسي وأستمرار عملية التطوير الاجتماعي المتوازن. والعكس يمكن أن يصح من حيث أن التأزم الاقتصادي يدفع الى الازمات الاقتصادية المتوالية والمتراكمة والى سوء في توزيع الدخل وكذلك إلى تآكل الطبقة الوسطى مما يعني أن الخلل الاجتماعي يقوى ويرز الازمات السياسية أمر وارد الحدوث هذا من الناحية النظرية على الأقل ومن هذا المنطلق فإنه يمكن رصد التطور الاقتصادي والنوعي الذي تشهده الصناعة السعودية اليوم بشكل يلفت للنظر ويدعو الى الأحترام.

صحيح أن جزء من هذه الصناعات أرتبط في بعض السلع الاستهلاكية البسيطة وبعضها بالسلع الاستهلاكية الاكثر تعقيداً وتطوراً مثل السلع التي أنيط أنتاجها بالمستخرجات النفطية ومازالت الصناعة السعودية بعيدة عن خوض غمار الصناعات المعداتية ذات البعد التقني إلا أن ما يحدث اليوم في المملكة من صناعات مختلفة أبتداء من المواد الغذائية وأنتهاء بالمواد الكيماوية يعد بحق واحدة من الاسهامات الهائلة التى نقلت الصحراء من واحة للجدب والفقر والعوز والهلاك الى عالم من العطاء والانتاج.

وان مقارنة ما يحدث وما حدث في المملكة في مجال هذه الصناعات المختلفة مقارنة بالمحيط الجغرافي اليوم يدعونا للتباهي والاعجاب بهذه التجربة الصناعية السعودية بل يدعونا الى مزيد من شحذ الهمم ومزيد من التفكير الاكثر عمقاً في زيادة هذه النجاحات واعطائها دفعات جديدة.

ان الزائر الى العديد من دول العالم العربي اليوم وبعض الدول الاسلامية الأخري يكشف مدى الثقة الهائلة والكبيرة التى تتمتع بها الصناعة السعودية ويشعر بالفخر والاعتزاز وهو يسمع كلمات الأطراء بجودة ونوعية المنتجات والصناعات السعودية اليوم. بل أن العديد من المستهلكين للمنتجات السعودية اليوم لا يقارنونها بالمنتجات في بلادهم بل أنها تقارن المنتجات الأوروبية في مجال بعض الصناعات التحويلية بل ان المنتجات في جانب المواد الغذائية تكاد تتفوق على نظيرتها الأوروبية في بعض الجوانب وهذا ما يجعل بعض الصناعات السعودية

تتفوق على العديد من بعض المنتجات وخاصة إذا قارنا مستوى الاسعار الذي يميل لصالح المنتج السعودي اليوم.

إلا أن المراقب المحايد لحركة التصدير اليوم التى تعمل بها المملكة العربية السعودية وخصوصاً في جانب المصانع المتوسطة والصغيرة تكاد تكون ضعيفة بل بعضها غير موجود أطلاقاً حيث نكتشف أن هناك سوق خارجية واعدة في استهلاك المنتجات السعودية ولكن نجد تقصير من العاملين على العملية التصديرية بشكل واضح وعلى الرغم أننا نسمع العديد يتحدثون عن لجنة مهمتها تشجيع الصادرات السعودية إلا أنني أجد أنها بعيدة عن تحقيق طموح المنتجات السعودية في تحقيق حالة تصديرية تدفع المنتجات السعودية الى عالم وآفاق أرحب.

ويكون البعد الاقتصادي ذو أتباط بالبعد السياسي ليس فقط في البدايات والنهايات فإنه يجب إعادة التفكير في استخدام تفوق المملكة في المستقبل في أزالة الحواجز والعوائق التى يمكن أن تعترض تصدير المنتج السعودي وتحقيق تواجدة في الأسواق العربية المجاورة على الاقل وفي المدى القصير والعالم الاسلامي أجمع والدول المستهلكة بشكل اكبر.

يجب صناعة توعية تسويقية لدى المنتجين السعوديين من أجل خوض غمار التجربة التسويقية الخارجية بمبادرات ذاتية وخصوصاً من المصانع ذات القدرة والامكانيات المالية العالية من أجل مزيد من الحضور الأنتاجي في مختلف أقطار العالم وأنه بدون المبادرة الذاتية من قبل القائمين على المصانع السعودية يدعمها جهداً عاماً من قبل القائمين والمهتمين في القضايا الاقتصادية والتصدير، فإن الازمات الاقتصادية لهذه المنتجات تكاد تكون واضحة في المستقبل خصوصاً في حالة أنضمام المملكة الى منظمة التجارة العالمية وغزو المنتجات الاجنبية للأسواق المحيطة بنا من أسواق الدول العربية الأخرى أى أن المنتجات السعودية والخطط التسويقية التى يجب أن تنتهجها المملكة يجب أن تكون سريعة وطموحة من أجل إيجاد موطئ قدم للصناعات السعودية في الأقطار العربية والدولية الاخرى ومن جانب آخر يجب أن تخضع المنتجات الصناعية السعودية دائماً لمفهوم الجودة وذلك من أجل كسب مزيد الأسواق الخارجية والمحلية وان القبول بمنتجات أقل جودة يعني القبول بالانحسار الاقتصادي ليس فقط على مستوى الأسواق الخارجية بل حتى على مستوى الأسواق الداخلية.

عن المواطنه أتحدث

المواطنه نعني بها هو الارتباط بالموطن الارتباط العقلي والعاطفي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ومجموعة هذه الارتباطات تعبر عن ذاتها بخدمة الوطن ومستقبلة ولانقصد بالدفاع والارتباط عن الوطن بالنفاق الذي يسود العالم الثالث حيث يمتاز هذا العالم بالخلط الواضح بين المواطنه الحقيقيه والنفاق السياسي والاجتماعي المتمثل بشريحه أجتماعية تحصل على المكاسب بجهودها النفاقية. هذا يأخذ أشكالاً متعددة إلا أنه في نهاية المطاف يعتبر ذلك الارتباط الاقوى الجاذب من الفرد نحو وطنه باحثاً على مصالحة في خضم التموجات والأحداث الدولية. ومفهوم المواطنه يختلف بالشكل ويتفق بالجوهر بين الدول فى تعاملها مع مفهوم المواطنه. والملاحظ أن بعض الدول أكثر واقعية بالتعبئة عن طريق خلق المواطنه من دول أخر. والدول المتطوره خلفت نموذجاً واقعياً لعملية خلق المواطنه بمعنى التعامل مع النوازع والأبعاد الأنسانيه لتعيئه ثم أستثمار الموطنه للمصالح السياسية والاجتماعية والاقتصادية العليا للدولة أي دولة. وبالنظر حول مصادر المواطنه أو المواد الخام التى يمكن أستخراج وأستنتاج المواطنه منها فإن الأنسان يبرز كأحد أهم المواد الخام. والانسان هنا ينقسم الى شرائح متعددة وهذه الشرائح يمكن تقييمها أعتباطا على أساس فكري وأساس أقتصادي. فبالنظر الى الاساس الفكري ونعني به ذلك الالتزام الفكري لمفهوم المواطنه حيث ينبري البعد الأخلاقي لدي الفرد المفكر أو المثقف للدفاع عن الوطن وقضاياه المتعددة على الأصعدة المحلية والمحافل الدولية مبرراصاً السلوك الوطني مدافعاً عن الوطن واضعاً المصلحه العليا ومستقبل الوطن وأجياله فى مقدمة الأهتمامات دافعاً من ذاته الماديه والمعنوية والروحيه للدفاع عن الوطن ورد الخصوم ومجادلا ومحاولاً تفكيك التناقض الفكري لدي الطرف الآخر.

وبالنظر إلى هذه المواطنه الفكرية نجد أنها ذات التزام أخلاقي صرف وبالتالي فإن التاريخ والتجارب الدول الأخرى لا تسعفنا بنماذج كثيرة ولذلك فإنها أستثناء وليست قاعدة يمكن أن يبني عليها مع التسليم بوجودها كظاهرة تبرز من فترة الى أخرى في مكان من الامكنه.

نأتي ثانيا الى المواطنه على الأسس الاقتصادية ونصقد بالأسس الاقتصادية هو المواطنه ذات الدافع والمصلحة الاقتصادية أو بشكل أشمل المواطنه ذات المصلحه. وهذا البعد لمفهوم المواطنه على أساس المصلحة هو في نظري توجه حقيقي واقعي عملت فيه الكثير من الدول

ولكونه توجه عملي وواقعي فإنه أثبتت فعاليته وثماره مراراً وتكراراً ومن أجل توضيح فكرة أنشاء وبناء وأستثمار مفهوم المواطنه على أسس اقتصادية كان لابد من تشريح المجتمع في الدولة أي دولة ويكون على النحو التالي: ـــ (أ) الطبقة العليا (ب) الطبقة الدنيا (جـ) الطبقة الوسطي.

وبالنظر الى هذه الطبقات فإنه من الملاحظ أن (أ) الطبقة العليا أقتصادياً محدودة العدد على الرغم من القدرات الأقتصادية الهائلة التى تتمتع بها إلى أن محدودية عددها سوف تحد من فعاليتها الوطنيه وقدرتها على الفعل الحقيقي على المستوي الاجتماعي وبالنظر الى مستوى التضحية الوطنية فإن هذه الطبقة أصبحت أكثر الطبقات محاولة لتوزيع قدراتها الاقتصادية بحيث يسهل عليها التحول من موجة أجتماعية وسياسية إلى أخري وذلك تبعاً للتوزيع الاقتصادي. ولتوضيح هذه الفكرة فإن الطبقة الاقتصادية العليا تكون أقل فداء للوطن ومفهوم المواطنه حيث تحولت مفهوم المواطنه للوطن الواحد إلى مفهوم المواطنه العالمية أي تحول مفهوم المواطنه للوطن الواحد المربوطه باستثماراتها الاقتصادية داخل الوطن الواحد إلي مفهوم المواطنه الاوسع سواءً الاقليمية أو العالمية وذلك لتحول استثمارات هذه الطبقة من المحلية إلى استثمارات أقليمية وعالمية.

(ب) ان الطبقة الدنيا تأتي ثانياً على سلم المواطنه بعد الطبقة العليا وهنا ليس لان عددها قليل ولكن لان قدرتها قليلة، قدرتها السياسية أو الفكرية أو الاقتصادية ولذلك فإن الطبقة الدنيا تعد مشلولة القوه سواء أنها تمثل رأي الدهماء الغير فاعله أو محدوية تأثيرها اقتصادياً أو فكرياً. وبالتالي فإن مواطنتها غير فاعله بشكل قوى .

(جـ) وبالنظر الى الطبقة الوسطى فإننا سوف نجدها أهم الطبقات التى تشكل عصب المواطنه وذلك راجع لأسباب عديده منها : ـــ

١) أنها تشكل الثقل الاقتصادي الحقيقي فى أي مجتمع من المجتمعات خصوصاً إذا كانت هذه الطبقة واسعه حيث أن أتساع هذه الطبقة يتناسب طردياً مع الاستقرار السياسي.

٢) أن هذه الطبقة هي ذات مداخيل متوسطة وذات قيم أجتماعية وسياسية محافظة ومعتدلة تتسم بالاتزان.

٣) تعد الطبقة الوسطى هي المنجم الحقيقي للجيش والمعاهد الفكريه والاجتماعية وبالتالي فإنها تشكل حركه المجتمع وقدرته الحقيقيه.

وبالعودة إلى مفهوم المواطنه والطبقة الوسطى فإن تجارب الدول الأخري تلفت النظر إلى أهمية هذة الطبقة من جانب وألى تعبئة مفهوم المواطنه من جانب آخر حيث أن شعار تعبئة المواطنه في الولايات المتحدة الأمريكيه على سبيل المثال هو (تحقيق الحلم الأمريكي) ويعني تحقيق الحلم الامريكي هو أن المهاجرين والمقيمين في الولايات المتحدة الأمريكيه تتحقق

أحلامهم ببناء وأمتلاك منزل لهم مع عمل يحقق لـهم مداخيل تجعلهم يصنفون أنفسهم من الطبقة الوسطي. وإذا كان الحلم الأمريـكي يعني رفع المواطن إلى الطبقة الوسطي فإنه يعني من ناحيـة فلسفـه المواطنه الربط بين المصلحه الوطنيـه والمصلحه الفـردية أي أن الفرد هنا يتعرض لفكرة الامركـه على المستوي الفكري والاقتصادي حـيث أن هذه الامركه تحوله من مواطـن غريب الى مـواطن يتحـمس للقضـايا الوطنيـه وذلك بالربط بين المصلحه الفـردية الاقتصادية والمصلحة السياسية والاجتماعية الوطنية للدولة ككل.

والنمـوذج الآخـر لبنـاء المواطنه هي دولة إسـرائيل حـيث أن تجـربـة هذه الدولة حـرية بالدراسة والتحري حيـث أن أسرائيل أستطاعت أقتلاع دفعات بشرية من مـجتمعات ودول مختلفة ومتبـاينه وأعادة زراعتها داخل أسرائيل ومثل مفهوم الزراعـه فإن أقتلاع الشـجرة من مكان وزراعتـها في مكان آخر حـتى تثمر فإنه لابد مـن توفير الأرض الخصـبه والمكان الملائم لهـا. وأسرائيل بتـجـربتهـا فإنهـا أول عـمل تقوم به هو بـناء المستـوطنات من أجل المهاجـرين الجدد والمستـوطنات تعني السكن والمنزل. والسكن والمنزل يعني ربط مـصلحة المهاجـرين الجدد والقدمـاء بمصلحة الدولة وبقائهـا وأستثـمارتها. وبالتـالي فإن مفـهوم المواطنه في أسـرائيل يخلق بشكـل واقعي وذلك بالربـط بين مصلحـة الفـرد الاقـتصـادية ومـصلحة الـدولة حيث أن هذا الربـط يرفع المهاجـر المدقع من الطبـقـة الدنيا إلـى الطبقـة الوسطي.

وبالنظر إلى مفهوم المواطنه بشكلها العام الفلـسفي وإلى تجارب بعض الدول فإن مفهوم المواطنه لا يمكن ولا يتوقع خلقهـا وتنميتها بالمحاضرات والارشادات الاعـلامية فقط وأنما يجب أن يتعـامل معها بواقـعية مفـرطه. التعامل مع نوازع ورغبـات الانسان وأستثـمارها لصالح الوطن. فمـهما صببـنا معلوماتنا ومحاضـراتنا وأعلامنا من أجل انشاء جيل يتـميز بالوطنيـه فإن ذلك لن يتحـقق ولن ينافس كون هـذا الفرد يشعـر أن مصلحـته تتـمشى مع المصلحة العليا والمصلحة الوطنية، بمعنى آخر أن مفهوم المسكن ، والدخل المتوسط يمكن أن يكون أفضل وأنجح الوسائل لخلق المواطنه الحقيقيه القائمة على الربط بين المصلحة الفردية والمصلحة العليا وبدون ذلك فإن مواطنه النفاق هي التى سوف تكون السائدة.

ولعل بناء منزل يستقر فيه الفرد خـير من الصرف على آلاف المحاضرات والنصائح التى تموت قبـل أن تستقـر فى الاذهان ويمكن القول أن مـؤسسـة حكوميـة تعنى بدعم المواطن لامتلاك منزل وربط مصلحة الفرد بالمصلحة العليا سوف تصنف على أنها الجندي المجهول والحقيقى لبناء مواطنه حقـيقيه. القادرة على الوقوف مع الوطن في أحلك الظروف وذلك أن الوقوف مع الوطن تعني الوقوف مع الذات.

كسوفو والموقف الاسلامي المرتقب

أنفتح الملف حول المسألة في كسوفو بعد أن شهد العالم الملف الملتهب للبوسنة والهرسك التى شاهد العالم أجمع كيف تكون المذابح الجماعية والانتقام من الأبرياء بدون سبب حقيقي سوى الاختلاف في العرق والدين وكان ذلك بصمت عار حقيقية في وجة الحضارة الحديثة على مشارف القرن الواحد والعشرون. وكان وقف العالم الاسلامي منقسم إلى ثلاثة أقسام حقيقية هي أولاً الدعم العسكري وتهريب السلاح لهذة المناطق وإن كان هذا التصرف قادة بعض الدول ويبدو أن السلاح لم يكن يأتي من العالم الغربي وان كان على حساب هذة الدول الداعمة لذلك كان عوامل الجوانب السلبية أظهرت أن البوسنة والهرسك كانت تدعم من العالم الاسلامي بالسلاح وبالتالي أوجدت توجة على أن الحرب هي حرب دينية وهذا أعطى الصرب مزيد من الاستمرار في الأعمال الوحشية والثاني هو أن جزء كبير من الدول الاسلامية غير معنية أو مهتمة بالشأن البوسني اطلاقا وقادة هذا التوجه بعض الدول التى تدعي القومية العربية وبعض الدول الاسلامية الأخرى التى لا تنظر للبعد الاسلامي أهمية تذكر. الثالث وهي الدول التى قدمت المساعدات الأقتصادية التى كانت على شكل بعثات طبية واعادة أعمار البوسنة كما قدمت الضغط الدبلوماسي على الدول المؤثرة كما استخدمت عامل توظيف المصالح الدبلوماسية مع الدول المتنفذة فى الشأن البوسني وكان لهذه السياسة وهذا التوجه اكبر الأثر يذكره العالم والبوسنين على وجه الخصوص. هذه السياسة التى حولت المسألة البوسنية الى قضية انسانية من الناحية البوسنية ووحشية من جانب الصرب كما حولت المسألة الى مسألة نفوذ سياسي وتوازن قوى يمكن للبوسنين ان يدخلون في توازنات اللعبة السياسية وبالتالي ضمان مقعد لهم في المسرح الأوروبي.

واليوم والعالم الاسلامي يواجه مسألة أخرى وأحتمال طرد وتشريد وتصفية شعب بأكملة وأحتمال افراغ أقليم كسوفو التى يشكل فيه المسلمين الالبان ٩٣٪ مقابل ٧٪ من الصرب المسيحيين الذين تدعمهم صربيا في الاقليم خلال السنوات العشر الماضية. أقول ان العالم الاسلامي يواجه مثل هذه الأزمات لذلك كان لابد من الاستفادة من التجربة البوسنية وبهذا يمكن تسجيل بعض النقاط المهمة وهي :

أولاً : العالم الاسلامي في حالة من الضعف العسكري الواضح لا يستطيع رفع علم القوة في وجه العالم خصوصاً وان العالم الاسلامي بعيد عن التأثير على مجريات الوضع

العسكري باستثناء تركيا التى تندفع بدافع مصالحها الاستراتيجية وبدوافع توازنات المنطقة اكثر من البعد الايديولوجي.

ثانياً : إن رفع علم استخدام القوة سوف يجر المزيد من المذابح ضد المسلمين الألبان تحت مبرر الحرب داخل الاقليم بين الالبان في كسوفو والصرب.

ثالثاً : ان رفع علم القوة سوف يعكس الصراع على أنه صراعاً دينياً وهذا ما يجب على الدول الاسلامية تجنبه. راجع الى ان ذلك يفتح العداء الشعبي الغربي ضد المسألة الانسانية في كسوفو ومن جانب آخر فسوف يجعل الدول الغربية اكثر تردد لاستخدام امكانياتها في هذه المنطقة لتنفيذ مصالحها والتى نرجو ان تكون في صالح الالبان في كسوفو على المدى القصير على الأقل.

رابعاً : في حالة الاستقلال التام أو الحكم الذاتي للالبان في كسوفو فإن سياسة رفع علم استخدام القوة سوف يكون عامل سلبي ضد هذا الاقليم على المدى البعيد حيث ان هذه الدول يمكن ان تدعم الاقليم على المدى القريب لكنها لن تسمح بوجود كيانات وتجمعات بشرية مغايرة مع وجود سياسة وتوجه ديني في تلك المناطق وخصوصاً الدين الاسلامي.

لذلك فإن التجربة البوسنية كانت تجربة يمكن الاستفادة منها خصوصاً وأنها قسمت التوجة الاسلامي الى ثلاث توجهات ذكرناها قبل قليل وتثبت ان الدعم الاسلامي الانساني والسياسي والدبلوماسي أفضل التوجهات تحت شعار البعد الانساني والسياسي اكثر منه تحت شعار البعد الديني أو استخدام القوة العسكرية. لذلك فإن العالم الاسلامي مطالب بدعم المسلمين في كسوفو على البعد الانساني والسياسي وذلك بدعم القضية في كسوفو في المنظمات والحافل الدولية وعلى المستوى الانساني من تقديم المواد الطبية والغذائية واعادة بناء المؤسسات الدينية مثل المساجد والمدارس والمباني التى تدعم وتثبت المسلمين الالبان في كسوفو وتجعلهم اكثر مقاومة للاعتداءات الصربية وان تشترك الدول الاسلامية في ذلك. وعلى بعض الدول العربية القريبة من موسكو التدخل من اجل اقناع الروس بعدم الانجراف خلف احلام الزعيم الصربي وسياساتة الوحشية ضد الالبان في كسوفو وكذلك استثمار قدرات الدول الاخرى الاسلامية التى لديها التأثير السياسي على كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا من اجل النظر لهذه القضية من الوجهة السياسية من حيث حقوق الانسان وحق تقرير المصير ومسألة الحرية والديمقراطية. وبهذا المنطلق فإن هذة الدول سوف تمزج بين مصالحها السياسية والاستراتيجية وبين المبرر السياسي والانساني لتحقيق هذه المصالح.

وعلى العالم الاسلامي محاولة ايصال فكرة استخدام اللعبة السياسية للمسلمين الالبان في كسوفو بدل من التوجه نحو جهة واحدة أي بدل الاستخدام السياسي دون البعد

العسكري أو استخدام البعد العسكري دون البعد السياسي خصوصاً ونحن نعرف ان هناك جناحين في اقليم كسوفو يتنافسان على النفوذ وهما البعد السياسي الدبلوماسي بقيادة الاصلاحيين وعلى الطرف الثاني الجيش الشعبي لتحرير كسوفو الذي تعهد بحمل السلاح ويظهر انه بدأ بجمع حوله الشباب في تلك المناطق. ان المطلوب من الدول الاسلامية محاولة ايصال فكرة المزج بين الطرفين حتى يتم استغلال البعد السياسي تحت ضغط التهديد العسكري أو انتشار رقعة الصراع أي على العالم الاسلامي أيضال فكرة ان الالبان في كسوفو هم إلى جانب الضعف اقرب منه الى القوة لذلك يجب عدم المبالغة في التصريح في استخدام القوة.

ومن جانب آخر على الدول الاسلامية محاولة دعم الموقف الالباني من أجل مزيد من التأثير ودعم الالبان في كسوفو حيث ان انتشار رقعة الصراع إلى البانيا سوف يعني ان هناك جروح عميقة سوف تكون في العالم الاسلامي لن يكون باستطاعته دعمها أو تحقيق أهداف مهمة بحيث سوف يكون الصراع اكبر من قدرات العالم الاسلامي اليوم.

أخيراً على الدول الاسلامية تفهم مصالح الدول الغربية وخصوصاً الدول النافذة في هذه المناطق مثل الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا واليونان ومحاولة استخدام وتغيير هذه المصالح من أجل دعم موقف المسلمين الالبان في كسوفو وكذلك لدعم البانيا الدولة التي سوف تكون المعقل الحقيقي لدعم مسلمي أقليم كسوفو.

وأن العالم الاسلامي ليس من مصلحته وليس من مصلحة المسلمين الالبان في سكوفو ان يكون الصراع صراعاً دينياً. بل يجب توجيهه على انه صراعاً سياسياً حول مناطق نفوذ ومصالح سياسية حتى يمكن استثمار قدرات العالم الاسلامي واستخدام قوة ونفوذ قوة الدول الغربية التى تسعي إلى إعادة تشكيل منطقة البلقان بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق بشكل يحفظ وحدة وقوة اقليم كسوفو وبشكل يحفظ قوة وتماسك الوجود الاسلامي في القارة العجوز، القارة الأوروبية.

لكي لا ننسى

إن المذابح والفظائع التى ارتكبت بحق الانسان الاعزل الضعيف لا يمكن حصرها وعدها في التاريخ البشري مهما تنوع هذا التاريخ أو تغير مكانه ويمكن أن يكون ذلك جزء من حركة الأنسان الدؤبة نحو البقاء أو أنه تعبير صارخ وقوي على أنانية الأنسان وحبه لذاته بشكل يفوق المهفوم الحياتي الذي تعيشة الحيوانات التى تفترس من أجل أطعام الذات والحيوانات لا تمارس مفهوم التعذيب الوحشى لمجرد التعذيب ذاته . ومن حسن حظ الانسان في الماضي أنه لا يحتفظ بفظاعة الانسان وأنانيته سوى في ذاكرة الشعوب عن طريق الملامح الأدبية والرموز الشعبية التي يتوراثها جيل بعد جيل حتى تتحول إلى رمز إجتماعي يصور حالة من حالات البؤس أو الأعياد أو حتى رمزاً لا يدل على مفهومة الأصلي السابق وكان ذلك ديدن الذاكرة البشرية باستثناء الكتب المقدسة التى جاءت إلى الرسل الكرام والتى سجلت أحداث تاريخية للتدليل على طبائع النفس البشرية وكون القرآن سجل لنا بشكل قصصي وأسلوب رائع فإنه قد أخبر عن الكثير من هذه القصص والفظائع التى يرتكبها الأنسان ضد الأنسان عبر التاريخ. وإذا كانت القصة التاريخية في القرآن وغيره هي لهدف العبرة والتفكير فإن العصر الحديث استطاع أن يوثق السلوك الانساني ليس بالخبر بل بالمعلومة والصوت والصورة حيث نشاهد كيف استطاعت المنظات اليهودية الاستفادة الاولى من توثيق الوثائق عبر الصوت والصورة والسجل حيث كانت المنظمات اليهودية هي أول من وظف هذه البعد التقني للمصلحة الذاتية وتوثيق التاريخ حتى يبقي حياً في ذاكرة الشعب اليهودي والشعوب الاخرى من أجل توظيفة إلى أبعد مدا ممكن حتى يتم الاستفادة منه وتسخيره لأغراض سياسية وأقتصادية سواء لليهود أنفسهم أو ضد الآخرين.

بعدما أستطاعت إسرائيل ويهود العالم توظيف المجازر النازية ضد اليهود حتى أنه أستطاع ليس فقط أستدراء عواطف العالم الغربي الذي لم يكن على وفاق أو حتى حب مع العالم العربي أقول أستطاعت التعبئة اليهودية أن تستثمر ما حدث لليهود من أجل أغراض سياسية كان أولها وأبرزها مساعدة اليهود على إقامة وطن لهم على أرض فلسطين على أرض الشعوب الضعيفة في ذلك الوقت وأستطاعت الدعاية وأستخدام الوثائق أن يلعب دور الملهب للمشاعر والأحاسيس حتى أن من يقف مع المشروع الصهيوني في أنشاء الوطن لليهود يكون قد أنضم إلى صفوة المجتمع الانساني حسب التعابير الاجتماعية والسياسية السائدة خلال مرحلة بداية القرن، بل أن الانضمام للصهيونية في ذلك الوقت هو قمة العطاء

الأنساني وقمة الثقافة والتحضر وقمة الطموح والانسانية كان ذلك واقعاً عاشة الغرب في مرحلة العشرينات والثلاثينات والاربعينات من هذا القرن وسوف تستمر هذه النشوة النفسية المرتبطة بروح الانجاز حتى حرب ١٩٦٧ والتى أوضحت أن الضعيف لم يعد ضعيفاً، بل أن هذا المشروع الضعيف الذى هو إسرائيل استطاعت سحق اعدائها في فترة وجيزة وقياسية حتى على المعدل المحافظ في المجال العسكري.

لم يكن استفادة المنظمات الصهيونية من القدرة على التسجيل والتوثيق عبر الصوت والصورة والوثيقة متوقف على مسألة البعد السياسي فقط بل ان البعد الاقتصادي العام والخاص كان أحد نتائج هذا التوثيق حيث استطاعت إسرائيل استثمار هذه الوثائق من أجل الدعم السياسي والاقتصادي كان ودي وسياسي في بعض الاحيان وجبراً وقسراً في أحياناً أخرى في حالة تقديم التعويضات الاقتصادية من المانيا لإسرائيل حتى يومنا هذا ولم يتوقف اليهود عند هذه المسألة العامه بل إننا نشاهد اليوم ملاحقة المنظمات الصهيونية اليوم ونجاحها في ذلك للبنوك السويسرية التى أحتفظت بودائع الحكومة الالمانية النازية وكيف أستطاعت المنظمات الصهيونية أخذ هذه الودائع بالقوة اليوم تشاهد القضايا تلو الأخرى حتى على شركات التصنيع في المانيا وابتداء من شركة فولكس واجن للسيارات التى تخضع لمحاكمة بدعوى أنها استخدمة اليهود في العماله قبل وخلال الحرب العالمية الثانية وكان ذلك حتى مع الشركات التي تعاونت معا الدول العربية في مجال التصنيع وخصوصاً في مجال الأسمدة والمبيدات الحشرية.

إذا كانت إسرائيل والمنظمات اليهودية قد وظفت هذه السجلات والقدرة على تسجيل الحدث فإنني أدعو جميع وسائل الاعلام العربية أن تحتفظ بالسجلات الهائله والعنف والفظاعة من قبل اليهود ضد العرب والمسلمين وتكون البداية مطلع القرن والتى أستطاعت المنظمات اليهودية أخراج العرب والمسلمين من أراضيهم واعطائها لليهود حتى مذابح دير ياسين مروراً بحرب ١٩٤٨م وحرب ١٩٥٦ ضد مصر ثم حرب ١٩٦٧ والتى تخللها تهجير المواطنون من أمكانهم وقراهم وتشريدهم في الصحراء والموت جوعاً وعطشاً ومرضاً ثم تأتي حرب ١٩٨٢ ضد بيروت والفلسطينين عندما تجلت البربرية اليهودية بالقصف العشوائي لهذه المدينة بشكل وحشي وكيف كانت علامات الخوف والبؤس والموت على وجوه النساء والأطفال وعلى الشعوب العربية أن تسجل مذابح صبرى وشاتيلا والمذابح في الجنوب اللبناني ومجزرة قانا وحرب الأطفال والصبية في الضفة الغربية والقطاع وكيف معاملة الجنود الاسرائيليون للنساء والاطفال التى يندى لها جبين الشرفاء وكيف يتم تكسير عظام الأطفال بالحجارة من قبل جنود اليهود في إسرائيل.

يجب تسجيل وتوثيق كل ما يقوم به اليهود ضد العرب والمسلمين ومحاولاتهم الغير

منطقية من أجل اذلال العرب والمسلمين وضرب كل مصادر قوتهم واستقلالهم يجب تسجيل كل ذلك بالصوت والصورة والوثيقة حتى إن لم يكن جيلنا الذي يعيد الكرة فليكن الجيل الجديد مسلح بهذه الوثائق المهمة والقويه.

ولنكن نحن العرب مستعدون لتسجيل المزيد من هذه الفظائع والجرائم خصوصاً وأن اسرائيل لن تترك العرب دون حروب أهلية أو حروب مع إسرائيل أو زرع الفتن مع دول الجوار من أجل الامعان في ضعف العالم العربي والاسلامي ويجب على الموثقون العرب والمسلمين الاستعداد لتصوير هدم المسجد الأقصي وإقامة المعبد اليهودي تحت سمع وبصر وخوف وذل العرب والمسلمين ولكن العزاء الوحيد أن يكون ذلك موثق ومصور ومكتوباً حتى لا ننسى أن ذلك حدث في زحمة المعلومات الهائلة والمتعددة وإن كان ذلك متعذر على جيلنا نحن فليكن ذلك للجيل القادم حتى لاينسى.

مأسسة القيم

القيم الإجتماعية هى محتوى المضمون والسلوك الأنساني لأي مجتمع من المجتمعات وهذه القيم تمتد جذورها ومنابعها من جذورها الأجتماعية مثل العادات والتقاليد أو من القيم الدينية وأحياناً تكون قيم مكتسبة يتم اكتسابها أو تسربها من مجتمع آخر بفعل الأقتناع بها أو بفعل فرضها عليه، كما كان يسود في الفترة الأستعمارية أو بفعل الأجبار الأقتناعي وهذا ما تعمل به مفهوم الأمبريالية المعاصرة أو المنافذ المعرفية ما عدا بعض المنافذ التى تقود الى سلوك معين مثل ما نشاهده فى بث المفاهيم والقيم الغربية في جميع أنحاء العالم. وإذا جاز لنا أن نصنف هذا العالم فإننا يمكن القول أن ا لعالم الشرقي وخصوصاً فى دولة الناجحة أقتصادياً أكثر الدول أنفتاحاً على القيم الغربية ويمكن أن يكون ذلك راجع إلى أن التطور الأقتصادي يقود بشكل حتمى الى التغريب وهذا ما يطرحه بعض الدراسين وبالتالي فأن النتيجة تكون: أن التطور الاقتصادي لابد أن يقود إلى مفهوم النموذج الغربي، وتقمص النموذج الغربي يشكل كل بذاته وبالتالي فإن النموذج الغربي يحتوى على نمط القيم الغربية، وهذا ما تأخذه بعض الدول العربية على بعضها البعض من أن التطور الاقتصادي ملازم للأرتماء فى أحضان الغرب.

وقد يرجع سبب تقمص القيم الغربية ليس إلى التطور الاقتصادي كما يطرحه بعض المفكرين وخصوصاً إذا أخذ النموذج الآسيوي كمثل ومعيار وأنما يرجع تقمص القيم الغربية إلى مسألة تاريخية وأحتكاك تاريخي مرتبط وملازم إلى عدم قناعة محلية بالقيم المتداولة فى المجتمع الراغب في الانتقال للقيم الغربية وهذا ما يمكن أن يمثلة النموذج الآسيوي، هو القناعة الكبيرة بالقيم الغربية وخصوصاً في المستعمرات الغربية السابقة وهذا ما نشاهدة حتى في عالمنا العربي عندما نجد أن الدول التى ليس لها حظ من التطور الأقتصادي ولا تعد ذات أهمية للعالم الغربي في الوقت الحاضر إلا أنها بفعل الأحتكاك التاريخي نجدهما أكثر تقرباً من غيرها إلى العالم الغربي فى مسألة القيم وهذا النموذج يجسدة النموذج العربي فى بلاد الشام والمغرب العربي باستثناء دولة مثل ليبيا.

ولكن ما شأن ذلك كله ومأسسة القيم؟ أن مأسسة القيم هو أحد المعايير التى تفصل وتبين وجه الاختلاف بين العالم العربي والعالم الغربي ممثل في الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال. حيث دئب الأول على العمل على تدمير والوقوف في وجهة القيم التى تكون غير نابعة من الداخل باستثناء أن كانت قادمة من الجانب الغالب وهو الجانب الغربي لذلك نجد أن الأزدواجية القيمية صارخه وفاضحه وواضحة فى العالم العربي حيث الولاء المزدوج للقيم العربية (الاسلامية للمسلمين) والولاء في ذات الوقت للقيم الغربية، قيم الأمة الغالبة ولأمة النموذج.

لذلك كله نجد الفرد العربي يعيش هذه الأزدواجية أم بفعله الخاص نتيجة لعلمه الذي اكتسبه من العالم الغربي أو حياته التى عاشها داخل العالم الغربي أو بفعل الضرورة حيث يجد الفرد العربي أنه أكثر تطوراً وحداثتاً إن هو تقمص القيم الغربية حيث نجد ذلك صارخاً في المجتمعات العربية وخصوصاً فى المجتمعات التى تعد بعيده أقتصادياً عن النموذج الغربي ولكن حياتها الاجتماعية تعد أحد النماذج الصارخه لمثل هذا التقمص. ولهذا كلة فإن الفرد العربي يعيش هذه الأزدواجية في بلاده وخارجها حتى أن مفهوم السياحة والسفر يجد الفرد العربي أنه يبحث عن القيم الغربية التى هي غير متوفرة له في بلاده بشكلها الصحيح أو أنها موجوده ولكن بشكلها المشّوه ولذلك نجد الفرد العربي يفتخر بهذا الأنتماء لهذه القيم الغربية بشكل أو بأخر.

ومع كل هذا الاندفاع من الفرد العربي للقيم الغربية والتى هي قيم دخيلة على معاييره الثقافية والاجتماعية إلا أن مثل هذه القيم لم تجد طريقها الى المأسسة داخل النظام الاجتماعي العربي بحيث يتم استيعابها وتقمصها بشكلها الغربي وتجنبها أوتحويلها لكي تتمشي مع النموذج الاجتماعي العربي. ولذلك كله فإن الفرد العربي يعيش هذا القلق الحقيقي بين بريق القيم الغربية أي بين بريق الأمة الغالبة الواثبة وبين رفض مؤسسي اجتماعي في مضمونة السياسي لهذة القيم لذلك فإنه يعيش أزدواجية شخصية تتمثل في أزدواجية سلوكية فهو الشخص ذو القيم العربية الأصيلة في وقت من الأوقات وهو الشخص الذي أنتقل وتقمص عالم القيم الغربية في وقت آخر ولذلك فإنه يحاول إيجاد حل يخصه بشكلة الشخصي دون النظر الى البعد الاجتماعي داخل المجتمع وهذا تقودة أما قناعاته الشخصية أو تقوده ضرورة التعامل مع الواقع المشاهد.

وعلى النقيض من هذة الأزدواجية فإن العالم الغربي وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية تعيش بدورها تغير القيم الأجتماعية ولكن ما يميزها أنها تغيرات داخل المرجعية الغربية إلى حد ما أو على الأقل في الوقت الحاضر. بمعني أن الولايات المتحدة الأمريكية تعيش حالات من تغيير القيم حيث أن القيم الانجلوسكسونية سواء الاجتماعية أو الأقتصادية أصبحت المعيار الحقيقي الذي يمكن أن يقاس علية نسبة الفشل أو النجاح على المستوى الاقتصادي أو نسبة الحداثة والتخلف على المستوى الاجتماعي حيث أصبحت سلوكيات الطقبات الاستقراطية الانجلوسكسونية هى المعيار الحقيقي للرقي الاجتماعي في مراحل متعددة من حياة الجمهورية الأمريكية إلا أن هذه المؤسسة تعرضت للكثير من التخريب والنقد بشكل قوي وحاد سواء على المستوى الاقتصادي مما أخرج وأوجد النموذج الاقتصادي الأمريكي الخاص، أو على مستوى البعد الاجتماعي حتي ظهر لنا النموذج الأمريكي المنفتح المرن في الحياة الاجتماعية. وهذا الضرب من القيم الانجلوسكسونية الأمريكية كانت تستند في قواعدها الى الثورة الامريكية الى قادها الشخصيات الأوائل عند تكون النظام الفدرالي الأمريكي عندما كانت بعضها تدعو

وخصوصاً مفكر وقائد سياسي مثل الاكسندر هاملتن الذي دعى الى مفهوم أظهار ما هو مخفي أو بالاحرى جعل الكل يفكر بطريقة جهورية وبصوت مرتفع ولم يقف عند هذا الحد بل دعي إلى دفع التفكير بصوت مرتفع وإدخال هذا النموذج من التفكير بالصوت المرتفع إلى مؤسسات النظام السياسي والاجتماعي وهذا يعني أن أي مجموعه تفكر وتتصرف بطريقة مغايرة فإنه يجب أتاحة الفرصة لها بأن تمارس التفكير بصوت مسموع بل وأتاحة الفرصه لها لدخول المؤسسة الاجتماعية والسياسية حتى تكون جزء منها وبالتالي يمكن أستيعابها داخل المؤسسة بدل من تركها خارج المؤسسة السياسية والاجتماعية. هذة القاعدة هي بشكل أو بآخر قادة الى قبول مفهوم التغيير الاجتماعي داخل المجتمعات الأمريكية بل والعمل على أدخال مثل هذه التغييرات داخل النظام والنسق السياسي والاجتماعي الأمريكي وبالتالي فإن القيم التي دخلت أو أُسترجعت أو أنبعثت من داخل المجتمع الامريكي من أصول أفريقية لم تجد مقاومة من المؤسسة الانجلوسكسونية سواء ببعدها السياسي أو الاجتماعي، بل على العكس وجدت الترحيب بشكل كبير داخل المؤسسة الاعلامية والسياسية وذلك من أجل أحداث أتفاق اجتماعي يتميز بها الامريكي من أصل أفريقي تُميزة عن الافريقي الاصلي وبالتالي فإن هذه العملية تعمل علي خلق قيم خاصة بالأمريكي من أصول أفريقية ويتم قبولها داخل المؤسسة الاجتماعية والسياسية في النظام الأمريكي من أجل خلق هذا التنوع الذي يقود الى التوحد حسب النظرية الأمريكية الشهيرة القائلة (التوحد بالاختلاف) ووحدة الولايات المتحدة الأمريكية قائمة على قبول الاختلاف في القيم داخل المجتمع الأمريكي.

وأن كانت هذه النظرة أو الفلسفة تحمل رؤية أستراتيجية عميقة إلا أنها فى ذات الوقت تحمل بذور فنائها في ذاتها بحيث أنه ليس هناك من ضامن من أن الاجيال القادمة من أصحاب القيم المبتكرة أو من القوي التى سمحت لمثل هذه القيم بالظهور والتطور، أقول ليس هناك من ضامن أن الأجيال القادمة سوف تعامل هذه القيم الجديدة على أنها جزء من اختلاف الوحدة الامريكية وبالتالي فإن مثل هذة القيم يمكن أن تجد مكنها للاستقلال. ثم ماذا سوف تعمل الولايات المتحدة الأمريكية من القيم الجديدة القائمة على مؤسسات دينية وليس أجتماعية. وعلى الرغم أنها تعمل الآن في أدخال وأدراج القيم الجديدة على المجتمع الأمريكي والقائمة على مؤسسات دينية، أقول رغم محاولاتها أدخال مثل هذه القيم إلا أن الحكم على نجاحها أو فشلها مازال بعيداً في هذا الوقت بالذات. ثم السؤال يبقي هو هل مأسسة القيم هي العمل الأمثل للوحدة والتعايش داخل المجتمع أو بين المجتمعات أو أنه يُحظر المجتمعات إلى تناحر حقيقي في المستقبل وهذا ما لا أستطيع الحكم علية في الوقت الحاضر.

مستقبل النفط

أرتبط هذا العصر وهذه الحقبة من الزمن التي تربعت فيه أوروبا على هرم العالم وأصبحت مركز العالم قوة ومصدر ولم يكن الباحثين والدارسين ليبالغو حيث وصفوا أوروبا هي المركز وباقي العالم عبارة عن مناطق تدور في فلك هذا المركز وهذه النتيجة لم يقودها فقط الاستعمار الغربي الذي تميز بالدهاء والتخطيط القائم والمستند على المعلومة يخدم الاهداف الاستراتيجية . ولم تكن أوروبا فقط مصدر الفكر الجديد على أمتداد هذا القرن بل أصبحت مصدر المعلومة ومركز الدراسات بكل فروعها. ولم تكن أوروبا مصدر الصناعه ومراكز التقدم العلمي والتكنولوجي لكل ما سبق أرتبطت أوربا بمفهوم النفط. بمفهوم النفط الاقتصادي، ومفهوم النفط كطاقة وبمفهوم النفط كأداة سياسية وبمفهوم النفط كسلعة وأداة سياسية وبمفهوم النفط كسلعة وأداة استراتيجية ثم بمفهموم النفط كعامل من عوامل البيئة.

ولكون النفط أرتبط بالتطور الأوروبي فإن الاكتشافات الأولية للنفط كان في أمريكا القادمة من الحضارة الأوروبية وأمتدادها الطبيعي وتوالت الاكتشافات النفطية والتي كان لمنطقتنا الخليجية نصيب الأسد من هذه المخازن والاحتياطيات العالمية حيث تحول النفط إلى أداة تطور وطاقة تبث الروح والنشاط فى الاقتصاديات الأوروبية وصناعاتها التكنولوجية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حينما أصبح النفط أحد القوى التى حركتت وبعثت أعادة البناء الأوروبي بعد تدمير الحرب العالمية الثانية بل أصبح مفهوم الطاقة من أكبر وأهم سلع الثراء لدى الشركات الغربية التى تسابقت على التنقيب عنه في مختلف المناطق وبهذا التسابق وبهذه الأهمية تحول وتطور النفط من مادة لتوليد الطاقة الميكانيكية الى مادة تولد الطاقة الميكانيكية والسياسية حيث أصبحت الدول التى لديها أحتياطي وأنتاج وتصدير من هذه المادة على قائمة الدول ذات الأهمية الأستراتيجية والمستقبلية بهذا العامل تحول المنتج والمستهلك على عوامل شد وجذب بينهما بحيث أصبح الصراع الدولى يحدده من جانب الدول المستهلكة التى رأت أن مستقبلها السياسي والاستراتيجي مرتبط في النفط وتوفير النفط وأصبح النفط من هدف للاستهلاك الى هدف للاستحواذ والنفوذ. وأصبحت الدول المنتجة للنفط من دول هامشية الى هدف مركز أهتمام دولي تتسابق الدول الهامة المصنعة أما للصداقه معها أو لليهمنة عليها وأقرب الأمثلة علي ذلك ما شهدته الحرب الباردة على تسابق حول منابع الطاقة كأحد محددات ومؤثرات الصراع الدولي.

وتأتي مرحلة التحول الثالثة عند حرب وصدمة ١٩٧٣م التى تزامنت مح حظر نفطي

خليجي على العالم المصنع والمستهلك لهذه المادة الهامة وتحول مفهوم النفط من مفهومه الأستهلاكي ومكاسبة الاقتصادية ونظرته الاستراتيجية البعيدة المدى الى مفهوم السياسي اليومي حيث دخل النفط باللعبة السياسية اليومية. وبالتالي تحول النفط الى أداة مباشرة من أدوات تنفيذ السياسية الخارجية للدول المصدرة ولكون هذه المادة من الأهمية للعجلة الاقتصادية والميكانيكية للغرب فإن أستخدام النفط كأداة سياسية يومية لا يمكن قبولة من وجهة النظر العربية بأي حال من الأحوال. لذلك أصبحت حرب ١٩٧٣م والحظر النفطي على العالم الغربي بمثابة جرس أيقاظ مبكر أهدته الدول المنتجة للعالم الغربي لتستيقظ من هذه التبعية الواضحة ولذلك عملت على العمل على تهميش أهمية النفط بشكل تدريجي بشكل لا يكّلف الاقتصاد الغربي بشكل كبير. وعلى الرغم من التسليم اليوم بالأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للنفط إلى أن أهميته تتناقص بشكل سريع بحيث نرى أن صدمة ١٩٧٣م لم تكن لتذهب وتعبر على السياسة الغربية بشكل سريع ودون إعادة قرأة الماضي لذلك عمدت السياسة الغربية على أنتهاج سياسة تقليم أظافر القوة النفطية باستخذام أربع سياسات أو أربع أستراتيجيات هي : ـــ

أولاً : العمل على إيجاد الأرضية السياسية والاستراتيجية للعمل على توفير النفط بأسعار معقولة ومقبولة وبكميات كافية حتى وأن دفع لاستخدام القوة العسكرية لتحقيق ذلك.

ثانياً : دفع باستثمارات جديدة من أجل دفع دول أخرى للتنقيب عن النفط في مناطق مختلفة من العالم من أجل زيادة العرض من النفط وتعدد مصادرة وتحدثت بعض الدراسات أن أجهزة المخابرات الأجنبية وبعض المؤسسات الاقتصادية الغربية كانت تدفع مبالغ كقروض وهبات من أجل التنقيب عن النفط في مناطق عديدة من العالم كان من نتائجها أن النفط التى تصدره الدول خارج منظمة الأوبك أكبر من كميات النفط التي تنتجة الدول تحت منظمة الأوبك .

ثالثاً : تطوير مصادر جديدة من ا لطاقة وكان استخدام الطاقة النووية على رأس سلم الأولويات في هذا المجال بحيث نجد اليوم أن العديد من الدول تستخدم الطاقة النووية كمصدر هام وأولى للطاقة خصوصاً في مجال توليد الطاقة الكهربائية بل نجد أن دول نفطية أخذت تحاول أستخدام الطاقة النووية لتوليد الطاقة في المستقبل. بل ذهبت دول مثل أوروبا الى التحول للطاقة النووية بشكل ملحوظ وواضح.

رابعاً : من أجل توزيع مصادر الطاقة وتنويعها أندفعت الدول المتطورة إلى الاندفاع في استخدام الغاز كمصدر للطاقة يكون أقل تكاليف من الناحية الاقتصادية ومن الناحية البيئية ومن الناحية السياسية فإن الغاز سوف يعيد ترتيب وتركيب القوى المنتجة للطاقة بشكل

جديد تشهد على ذلك إعادة الاهتمامات الدولية لبعض الدول التى تملك مخزون من الغاز حيث أصبحت على سلم أولويات وأهتمام الدول المستهلكة للطاقة وكذلك تكتشف أهتمام غربي وأمريكي مفاجيء في بعض الدول على الرغم من هامشيتها السياسية والاستراتيجية من الناحية التقليدية. ومن ميزات هذه الاستراتيجية هو تعويم الأهمية الاستراتيجية للدول النفطية التقليدية أو التقليل من هذه الأهمية في أحسن الأحوال بحيث يتحول النفط من مصدر وحيد للطاقة الى واحد من ثلاث مصادر للطاقة هي الغاز والطاقة النووية والنفط تتحكم في تقلبات السياسة الدولية حتى منتصف القرن القادم على الأقل. ومن فوائد هذا التحول وهذه الاستراتيجية كذلك هو جعل المستهلك للطاقة العامل الأهم والمتحكم من المنتج للطاقة خصوصاً وأن المنتجين للطاقة سوف يتسابقون للحصول على أسواق لاستهلاك وتسويق منتجاتهم.

ومن نتائج هذه الاستراتيجية أن دول مثل أوروبا الغربية تتحول من ٧٥٪ من أستهلاكها من الطاقة قائمة على النفط عام ١٩٧٣م الى ما يقارب ٣٦٪ أعتماد على النفط في نهاية عام ١٩٩٧م أي أصبح هناك أنفخاض حاد في استخدام النفط كمصدر للطاقة. وعلى الجانب الثاني ترتفع أستخدامات الطاقة النووية ٣٪ عام ١٩٧٣م الى ١٦٪ عام ١٩٩٧م خصوصاً بعد التحسينات الهائلة التى قامت من أجل الاهتمام بالجوانب الأمنية والسلامة في استخدام الطاقة النووية خصوصاً بعد حادث تشرنوبل في عهد الاتحاد السوفيتي. والباقي من استخدام الطاقة فإن الغاز مرشح لتغطيتها ومن المرشح أن تتناقص الاستخدامات النفطية في المستقبل بشكل تدريجي لصالح الطاقة النووية والغاز على ما تعنية ذلك على البعد السياسي والاقتصادي والاستراتيجي للدول المصدرة للنفط.

من أجل المستقبل

عند المقارنة بين الدول المتطورة والنامية فان العدد الكبير من الناس سوف يطرح التطور المادي والهائل الذي تتميز به الدول المتطورة بشكل واضح على دول العالم الثالث وأكثر الآراء هي للمقارنة المادية وفي مجال الصناعات والتحديث الصناعي. إلا أنه بالنظرة لما تحت هذا البعد فان مفهوم التطور والتخلف سوف يطول ويصل ويغطي مسألة الذهنية وطريقة تفكيرها وأستخراج المنطق من الحدث والمعنى صحيح. أن العديد من الشعوب تعمل بشكل ذكي حول التعامل مع ظروفها المحلية ومعطياتها الذاتية إلا أن مثل هذه الطريقة من التفكير هي وسيلة تبريرية اكثر من كونها حقيقيه من أجل الابقاء على ما هو عليه الحال.

وفي هذه المقالة يمكن طرح مفهوم عملية اختيار القيادات الادارية والرموز الاستشارية بحيث يبدو الفرق بين منهجية الاختيار فى الدول المتطورة والدول الاقل تطور تعكس حالة ذهنية فلسفية بحيث يبدو أن البعد الشخصي والموضوعي عاملين مهمين في البعد المتطور والعالم المتطور والبعد الشخصي هو المبرر الاقوى والأهم في الدول الأقل نصيب من مرحلة التطور ومن هنا يبرز المفهوم الفلسفي والمنهجي في أختلاف الذهنتيتين في عملية الاختيار حيث يطغي على الطرف الأول محاولة إيجاد الفرد المناسب للمكان المناسب وان كان هناك عامل الثقة والصداقة فسوف يكون الاختيار اكثر جودة من اجل تحقيق الهدف المنشود. أما على البعد الآخر فان مفهوم الكفاءة آخر شيء يمكن أن يطرح للبحث وان حديث عابر أو اعجاب بنكتة أو استطابة لبيت شعري خصوصاً في مجال الغزل والدعابة يمكن أن يوصلك لاهم الاماكن المؤثر التى تعمل في صلب البعد التخطيطي والاستراتيجي والمستقبل حتى وان كان بيت الشعر الدعابي أو الغزلي لا يمت إلى الجد والاستراتيجية بأي علاقة . ومن جانب آخر فإن المعرفة الفردية يمكن ان تكون أفضل البطاقات للنجاح والرقى المادي أما مسئلة حسن الادارة والرقى الاداري أو الترشيد والانتاجية فهي تأتي مع الخبرة والزمن أو قد لا تاتي أبداً.

أن ما تحتاجه دول العالم الآخذة بالنمو هو وضع أسس ومعايير موضوعية وعلمية تكون من الوضوح بمكان والدقة والصراحة حتى تستطيع نقل الطموحين الى المعرفة الحقيقية لأساسيات وابجديات الطموح والاهداف ومحاولة الوصول اليها. وان عدم الوضوح هذا يجعل من الكثير من المواهب تحاول عمل شيء لا يمت اليها بصلة بل تشبه العديد من المخلوقات التى اعتادة التقليد دون ان يكون لها نصيب واضح من المعرفة الحقيقية عن ماذا تعمل أو ماذا تريد.

ان وضوح منهجية الأجادة والأخفاق والنحاج والفشل ثم بعد ذلك عملية الثواب والعقاب المادي والمعنوي هو ما تحتاجة الدول الآخذة بالنمو اكثر من المنهجية القديمة القائمة على المجاملة وتبادل الخدمات وخصوصاً وان العالم مقبل على انفتاح بشكل قوي ومفهوم للعوله لا ترحم المخطيء ولاتنتظر المتعثر بل سوف يكون الخطأ ذو أبعاد اجتماعية واقتصادية كبيرة يدفع المجتمع في الدول النامية خطائها وتبعتها.

نقول ذلك ونحن ندعو بكل ما يحمله الاخلاص من معنى من أجل ردم الهوة ومن باب تشجيع أصحاب العقول والمواهب الحقيقية التى هي أبعد ما تكون عن الزخرفة الكلامية أو الملابس الأحتفالية مع فهم متجدد للأبعاد والواقعية لكل وجميع ما يمكن ان يراعيها وينظر اليها في مرحلة من مراحل تطورة ونمائه إلا أن الوقت قد حان لتكون الواقعية والموضوعية هما المعياران الحقيقيان من أجل أبراز ما تنتجة البلدان من العقول والمواهب الحقيقية وجعلها في مكان ذو أحترام وتقدير.

وان المجتمعات التى أعلنت على نفسها التخلف فلن تحيد عن منهج المجتمعات المتخلفة في سلوكها والمتمثل في احتقار علمائها وأزدراء حملة شهاداتها والمخلصين من أبنائها ونزييف المعنى الحقيقي للمواهب والعقول حتى ان الواسطة والمحسوبية سوف تدخل في عملية اختيار العقول والمواهب المنتجة وهذا في الحقيقة أحد الرصاصات التى تغتال المستقبل ويكون هذا التصرف يصدر من شخص قليل التحصيل العلمي غير مقبول ويكون عملاً غير مسؤلاً ويبعث على الاحتقار عندما يكون يصدر عن شخص يمتهن المعرفة ويحترف الثقافة ويجعلها عنوان لحياته . في هذه الحالة عندما يتصرف العقل الذي يدعي انه يسير في مسيرة العلماء وادائرة الثقافة وأساس من أساسات الموضوعية والعلمية أقول عندما يتصرف مثل هؤلاء الاشخاص بهذه الطريقة فان المفاهيم الطبيعية تنقلب رأس على عقب ويكون ظلامية المستقبل بدل من اشراقة وسوء الظن اكثر من حسنه خصوصاً ان مثل هؤلاء القراء يعرفون هذا الخطأ ويذهبون طائعيين راغبين في هذا الطريق وفي ذات الوقت يظهر بمظهر صاحب الوجه المشرق والحضاري وان كانت هذه حالة في أنفصام الشخصية الذاتية فان ذلك يعكس أزمة حضارية يعكسها جزء كبير من المثقفين واذا كانت هذه حالة الثقافة والعلم فكيف سوف تكون حالة العامة والدهماء

نفحات الربيع

عندما تخرج من صخب المكان وحركة الزمان السريعة في مدينة الرياض الى صمت المكان وتوقف الزمان من حيث الصحراء اللامتناهية التى تلف هذه المدينة الشابة التى تمتلىء حلماً وسعادة وعندما تحملك مراكب القدر وفرص الزمان الى سفوح نجد ومنحدراتها الشرقية الشمالية حيث تدخل في صحراء الدهناء والبقاء الحقيقي للأشياء حيث أصابع الرياح وسمفونيتها رسمت المناظر الطبيعية الفريدة والتي لا يشكلها الخيال الانساني القابع في أقبية المدينة. عندما ترى الدهناء وتلك الصحاري تشعر أن للصحراء طبيعتها الخلابة وعنفوانها القوي حيث أنها شكلت الطقس النفسي لأنسان هذه الأرض حيث الصلابة والجسارة المغلفه بعاطفة شفافه ينخر جوانح قلبه في وقت من الأوقات بدون مقدمات هي تماماً مثل هذه الصحراء التى تنقلب من عنفوانها وجبروتها وخطورتها الطبيعية الى وداعتها وجمالها وحبها الربيعي. أن ما يحدث لهذه الصحراء هو نوع من التقلب العاطفي والمزاجي الذي رسم طبيعة سكانها. الصحراء تطبع ساكنها من أنسان أو حيوان بطبيعتها حدة المزاج وتوتره في الحياة والموت والجفاف ورقه أو أريحية النفس في حالة الربيع والرخاء.

وإذا كانت صحراء الدهنا هي بهذا النمط من التقلب والجمال فإن الانسان يؤخذ اكثر عندما نتحدر به أطراف نجد إلى الشمال حيث الصمان. فإن مناطق الصمان تعد أحد متاحف النفس العربية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى حيث أن الصمان كما تقول الرعاة والبادية شديدة التناقض إلى حد الغرابة بين ربيعها وصيفها حيث تعد أحد المهالك الموحشة في فصل الصيف ومن يراها يشعر أن هذه المناطق تحمل سيوف موت في فصل الصيف من الجفاف إلى قسوة المكان. والصمان تنقلب ويتغير جلدها ونفسها في فترة الربيع حيث تفتح لك خبايا فياضها التى تتناثر على مساحة شاسعة متشابة بشكل يلفت النظر ويدفع للضياع بشكل قوي والصمان تشبه خبايا النفس العربية الأصيلة التى سكنت وعاشت هذه الصحراء حيث أن الصمان تعد أرض صخرية صلبه لا تلبث أن نجد حفر ومنخفضات هائله كأن نيازك فضائية قد دكتها في سالف الزمان شكلت منها هذه المستودعات من المياة التى تخزن كل ما يسقط عليها في فترة الربيع من الامطار وتتحول هذه الحفر والمنخفضات الكبيرة والواسعة والتى تشرف عليها المرتفعات الجبلية الغير عاليه. تشكل هذه المخازن من الماء فيضاً حتى يصعب وصفها بشكل يعطيها جمالها وعطائها الربيعي الخلاب. وعندما نقول أن مناطق الصمان تشبه خبايا النفس العربية فهي كذلك حيث أن من يخدل هذه

المناطق يشعر بالوحشة والخوف من قسوة المكان ثم يفاجيء بهذه القسوة تتحول الى حنان وحب وأحتضان في ثنايا هذه الفياض الربيعية.

وأن كان يحلو لمن يتحدث عن هذه المناطق القابعة في أرض الجزيرة العربية عن الربيع والصحراء فإن محدثكم لم يكن يأخذ مجامع قلبه وسلاسل تفكيرة سوى تلك الصمت الصاخب المطبق على المكان حيث تشعر أن الزمان توقف عن الحركة وأن دورة الكرة الأرضية لم تعد مكانها وأن الهواء الناقل للصوت والحركة ترك وظيفته الرئيسية وتفرغ لغسل النفس الداخلية من بقايا المدن وصخبها. وإذا كانت الذاكرة قد تشبعت بمناظر المدن المكتظة فإن الصمان تظهر هذا التناقض بشكل قوى. لا أدري لماذا عندما يلفك الصمت الجميل في هذه المناطق الصحراويه النائيه ترى مدينة بكين ولوس انجليس وتشعر أنك تراقب حركة الناس في منهاتن في مدينة نيويورك وتراقب تدفق المعلومات على مدينة طوكيو وحركة التجار في لندن ومقاهي الشنزليزية في باريس وأنفاق مونتريال في كندا. ويدخل العقل في مقارنة فريدة حيث تحتل هذه المدن شق من الذاكرة بينما يسكن صمت الصمان وحفيق رياحها الجميلة ونجومها اللامحدودة والرائعة الشق الآخر من الرأس وعند ذلك تظهر هذه المناطق وكأنها جزء من الذات ومحور من محاور الجمال الطبيعي الذي لم تدخل فيه يد أبناء المدن ومعاول الحياة العصريه. في الصمان تتحول سنوات الصبى وأعوام الدراسة وأرفف المكتبات وحلقات الفكر وحمى النقاش في مدرجات الجامعات والسياحة في افكار المفكرين عبر قرأة الكتب والنقد والنقد المضاد، وتوازن القوى، والصراع الدولي، والتسلح والهجرة والتغير الديمغرافي كل هذه الأشياء تصبح وتتحول حالقة عشق فى أرض الصمان حيث تذهب كل هذه الذاكرة ويبقي هيمنة المكان وجبروته ثم لا تلبث أن تعقد مقارنة بين التغير والتحول في تاريخ الحياة وبين ثبات وبقاء هذه المناطق الصحراوية القاسيه الجميلة. وتشعر أنك لا تنتمي الى هذا القرن وأهلة بل تشعر أنك تشاطر القرون الخوالي نفس المكان ونفس الزمان بل تكاد أن تتحسس وقع خيولهم ومواقع حلهم وترحالهم وأحاديث السمر المكررة وأيام العرب والهم اليومي الأتي.

عندما يقودك الزمان الى زيارة مثل هذه المناطق النائية تشعر أن الزمان توقف عن الهدير ويخيل الليك أنك سوف تلتقي أمرؤ القيس يخب على حصانه في أحد هذه الفياض وأنك سوف تراقب كثّير عزة يسامر النجم باحثنا عن كلمة شاردة يسطرها لحبة التي تغنت بها الأجيال وتشعر أنك على مشارف لقاء طرفة أبن العبد ليخبرك باسرار المكان وتقلب الزمان. وفي مثل هذا المكان نفهم كيف تأتي الحكمة لشاعر مثل زهير أبن أبي سلمي وعنفوان كعب أبن زهير. في مثل هذا المكان يذهب الشعراء المحدثين حتى آخرهم ولاتبقى لهم مكان وهنا نفهم أن طبيعة المكان تضفي على النفس البشرية وتسوفها الى طبيعة تأملها وشفافية

كلماتهم وبالتالي فإن جبروت الصمان وقسوتها وتحولها إلى تلك الوداعة والجمال المرتبطة بذات القوة والقسوة تجعل منك شاهداً ومفسراً لتلك الجزالة في اللفظ مع جمال في المعني. ونفهم كذلك أختصار الكلمات مع تشعبها في البعد الفلسفي والحياتي لان مثل هذه المناطق تختصر لك الاشياء وتعيد لك التوازن الطبيعي حيث ترى لك ان كل ما يدور من حولك في المدن والحياة الحضرية إلى إضافات جمالية وحياتية على المعنى الحقيقي للبقاء والوجود وهو حالة الحياة وحالة الموت.

للصحراء ومدارسها الخاصة ومعانيها العميقة فإذا كانت المدن تعلم الكثير فإن للصحراء منهجها وطريقتها في ايصال المعلومة ومعنى الحياة بشكل عادي وقوي وشديد الوضوح.

أساطير السياسة العربية

أصبح من المسلمات في هذا العصر الكتابة الرزينة المستندة إلى معلومات موثقة ولم تعد مهمة الكتابة على البياض هي الرائجة كما كان سابقاً. وأخذت مسألة الكتابة المستندة إلى الوثائق سواء السرية منها والعلنية هي الكتابة الرزينة ولذلك فإن أغلب الرسائل العلمية لمرحلة الدكتوراه تعتمد اعتماد كلي على الجانب الوثائقي للمعلومات ولذلك فإن أفضل ما كتبه العرب عن السياسة العربية كان ما كتبوه في الجامعات الغربية والأمريكية على وجه الخصوص والمستند إلى معلومات ووثائق منشورة من قبل الجانب الغربي والأمريكي على وجه الخصوص. ولم تعد المسألة محصورة بالأرقام والإحصائيات بل إن الأمر تعدى ذلك إلى الاعتماد على الوثائق السرية الهامة التي تزخر بها الأحداث الدولية وإدراج مكاتب المؤسسات الرسمية حول العالم.

إن الباحث والكاتب العربي يكاد يكون الوحيد حول العالم الذي يستند في كتاباته إلى أساطير معرفية لا تستند إلى معلومات موثقة واضحة بل إن العديد من الكتابات العربية سواء منها القومي أو اليساري أو اليميني هي كتابات تسيرها الأهواء والرغبات والكره والحب أكثر مما تسيرها الحقيقة والمعلومة إن الكاتب العربي أصبح مصنع للمعلومة ومنتج لها ومخرج ومشاهد لها ووحيد في نفس الوقت. إن نقص المعلومة الوثائقية للكاتب العربي جعلته يتخيل المعلومة المتخيلة أنها حقيقة وأصبحت قراءته للأحداث والمعلومات المتاحة حولها هي قراءة رغبوية وأيدلوجية أكثر منها قراءة حقيقية واقعية للحدث إن كان هذا الحدث نفسه أو تفسيره.

إن كتاب ومفكرين العالم استندوا إلى تاريخ عريق من تحقيق المعلومات الوثائقية التي تنشر تباعاً عبر المؤسسات الرسمية والحكومية بعد مرحلة التقادم أي نشر الوثائق بفعل التقادم وكان هذا التراث خرج كمفهوم لعصر النهضة الأوروبي الذي يتعامل مع الحقيقة وتفسيرها تفسيراً واقعياً ولذلك أصبحت العديد من الدراسات الغربية على المستوى السياسي والتاريخ السياسي تستند إلى معلومات حقيقية وأحداث حقيقية تم العمل بها من أجل الوصول إلى نقطة محددة.

وإذا كانت الدول الغربية والباحث الغربي اليوم يستند إلى تعدد مصادر المعلومة وتوفرها وكذلك يستند إلى الوثائق والحقائق السياسية فإن الباحث والكاتب العربي يعيش البؤس المعرفي في هذا الإطار حيث يركن الكاتب والباحث العربي إلى فقر مدقع في كمية ونوعية المعلومات المتوفرة وإذا كان لابد من الحصول على مثل هذه المعلومات فإنها إما أن تكون من مصادر غربية وأمريكية أو أن تكون معلومات مشوهة وغير حقيقية مصدرها الدول العربية وهذا في الحقيقة يعد عيب ومثلب حقيقي في الكتابات الصادرة عن المفكرين والكتاب العرب إذا

كان ذلك على مستوى المعلومة فما هو الوضع على مستوى الوثائق السياسية التي يستند إليها الكاتب أو المفكر العربي اليوم.

بكل بساطة المفكر والكاتب العربي ليس لديه وثائق صادرة من الحكومات العربية يستند إليها الباحث والكاتب العربي اليوم بل إن الدول العربية كافتها ليس لديها نظام وقانون نشر الوثائق بالتقادم ولذلك فإن الباحث والكاتب العربي اليوم سوف يبحث في الوثائق البريطانية عن التاريخ العربي الحديث أكثر مما يبحث عن ما حدث في الوطن العربي نفسه أي أن الوثائق البريطانية تعد المرجع الوحيد لأحداث الوطن العربي لمرحلة تزيد عن ٦٠ عاماً من القرن المنصرم وهذه المرحلة لا توجد وثائق عربية منشورة رسمياً من قبل الدول العربية لكتابة تاريخ وأحداث تلك المرحلة ولذلك فإن وثائق الدول الغربية وكتابات الرحالة الغربيين تعد المصدر الوحيد للكاتب والمفكر العربي اليوم ولكون العديد من الكتاب العرب والمفكرين يشككون في الخلفية السياسية والفلسفية لمثل هذه الوثائق خصوصاً وأنها مرتكزة على الفهم والبعد السياسي لهذه الدول فإن العديد من المفكرين والباحثين والكتاب العرب يستند إلى الأساطير والتصورات المبتكرة خيالياً واجتهاد فيه حشد وربط الأحداث بعضها ببعض وبالتالي فإن أغلب الكتابات العربية لا تستند إلى معلومات موثقة وحقيقية أو حتى إلى أحداث موثقة وحقيقية.

واليوم على سبيل المثال تكشف إسرائيل هذا النقص الحاد والواضح لدى الدول العربية وتنشر وثائقها عن حرب ١٩٤٨م، وهي الحرب التي خرجت منها إسرائيل بتكوين دولتها وبداءات الكتابات من عرب وأجانب في تقييم هذه الوثائق المنشورة من الدولة العبرية عن تلك المرحلة ومن يتصفح هذه الوثائق وهذه المعلومات يكتشف بشكل واضح مدى اعتماد العديد من الكتابات العربية وخصوصاً القومية منها على الوهم والأسطورة أكثر من اعتمادها على الحقيقة وأن الكتاب القوميون كانوا كتاب تخدير معرفي أكثر من كتاب حقيقة أو كتاب يبحثون عن المعرفة. كانت الأوهام والأساطير السياسية هي التي تقود هؤلاء الكتاب أكثر من الحقيقة السياسية الواضحة.

إن ما أوردته الوثائق الإسرائيلية هو مدى تفكك الجبهة العربية ليس على المستوى السياسي والذي تمثل في الصراع العربي العربي واهتمام النظم العربية بالتآمر على النظم العربية الأخرى أكثر من اهتمامها بإسرائيل وأن هاجس الدول العربية لضرب الدول العربية الأخرى أكثر من هاجس ضرب الدولة العبرية الجديدة وأن تنافس الزعامات العرب ضد بعضها البعض أو الجنحة العربية ضد بعضها البعض هو أكثر من محاولة إيقاف إسرائيل بل إن إسرائيل استخدمت قدراتها المعلوماتية من أجل تحقيق أهداف عربية ضد أخرى. وإذا كانت مثل هذه المعلومات والأحداث معروفة اليوم فإن الوثائق الإسرائيلية اليوم تكشف مدى وهمية التماسك القومي العربي حيث أن إسرائيل كان اعتمادها وتركيزها على العديد من أعمدة الفكر القومي العربي

والتحالف معهم لتحقيق أهدافها. إن أغلب الكتب القومية صدرت عن قوى عرقية وسياسية عربية كان من المفترض أن تكون واجهة القومية العربية سواء سابقاً أو اليوم فإن الوثائق الإسرائيلية توضح بالمعلومات وبالأحداث وبالحقائق أن أكثر الطوائف العربية حماساً للقومية العربية كانت أكثرها تعاون مع إسرائيل بل إن أكثر ثلاث طوائف حماساً للقومية العربية والفكر القومي كانت وما زالت هي أكثر حلفاء إسرائيل وخدمة لهم حسب تعبير الوثائق الإسرائيلية وهذه الطوائف هي اليوم من أكثر القوى السياسية تأثير على السياسات المحيطة في إسرائيل على مستوى الطوائف العربية والسياسية إلا أن الوثائق الإسرائيلية كانت غنية إلى حد الذهول في دهاليز السياسة العربية لدول الطوق العربي.

يجب أن يعرف الكاتب العربي نفسه والقارئ العربي أن الكتابات العربية تستند إلى الأساطير المعرفية ولا ترتكز على معلومات وثائقية طالما أن الوثائق العربية هي حبيسة الأدراج السرية وأن هذه الأدراج السرية العربية لا تفتح إلى لبعض الأشخاص الموالين جداً من أجل الرد وفضح نظام سياسي آخر في حالة التوترات السياسية بين نظامين وليس من أجل إبراز الحقيقة وحتى بعد طول زمن وطول عهد بها. إلى أن تصدر العديد من الوثائق العربية فإن الكاتب العربي سوف يستند إلى الوثائق والمعلومات الأجنبية أو يستند إلى الأساطير والتوهمات الأيدلوجية.

الإسلام هذا العملاق

لا يمكن تسطير كلمات هي اكثر نقاء وأشد صدقاً وأقوى وقعاً مما يمكن فهمه في موسم الحج العظيم هذا الموسم الذي أختار الناس طائعين غير مجبرين على ترك كل شئ ليكون ذكر الخالق العظيم هم الهموم وغاية الغايات هذا الموسم الذي يجتمع فيه المسلمون باختلافهم الشكلي والثقافي والمعرفي في مكان واحد يرمز للإسلام والمسلمين بعبق روحاني وزماني حيث تتجلى الروحانية الخضوع على المسلمين في هذا المكان الطاهر .

ومكة هنا لا تمثل مركز للإسلام والمسلمين فحسب بل هي مستودع تاريخهم المكتوب والمخزون حيث سطر على هذه المدينة ومن هذه المدينة المواكب الروحانية والجهادية والإيمانية منذ بعث الرسول الأعظم علية أفضل الصلاة والسلام حيث كانت مكة مركز الدعم الروحي والمعنوي لتلك الجيوش التي خاضت غمار التاريخ وكانت مكة هي المركز الذهني الذي كان يحدد البوصلة الحقيقية للتوسع الإسلامي .

يمكن أن تسطر الكتابات والأحاديث عن البعد الإيماني والروحي لمفهوم الحج وشعائره ألا أن كاتب هذه السطور يرى إن مفهوم الحرية والاختيار الذي يشكل عقل وذهن المسلم هي أساس حقيقي يتبع هذا الدين العظيم حيث يختار المسلم طائعاً راغباً مختاراً أن يتجشم جميع العقبات قادماً لهذا القلب الإسلامي النابض وان إختيار الإنسان وحريته في القدوم إلى هذه البقاع الطاهرة دافعاً كل ما يمكن دفعة من الغالي والنفيس من الراحة والدعة من اجل فعل وعمل اختياري شخصي ورغبة عارمة بالقدوم إلى مستودع الإسلام الحضاري و مركزه التاريخي لهو حجة حقيقية على تنفذ هذا الدين وتمكنه من النفوس وحضوره الباهر والمبهر في خلجات النفس البشرية المسلمة وهذا الاختيار يجب لا يضع شكاً أو ريبة بأن هذا الوهج الهائل من الأيمان يختمر في قلوب وعقول وعواطف المسلم في كل مكان على اختلاف مفاهيمه ولغاتهم وخلفياتهم الثقافية ألا أن الشيء الواضح هو عنصر الاختيار والرغبة الحقيقية للقدوم وتلبية الدعوة الربانية وهذا لدليل صارخ على القوة الهائلة الذي يمتلك بها هذا الدين مجاميع القلب والفؤاد ويجب على مراقب داخل هذا الدين وخارجة أن لا يخطي بهذه القراءة وان يأخذ هذه العوامل على محمل الجد والحقيقة .

وأن اختيار الناس طائعين راغبين بكل حرية للقدوم لهذه الأماكن الطاهرة لهو يؤكد جزء أساسي في تاريخ هذا الدين وهو الحرية حيث يختار الإنسان طائعاً راغباً بعبادته لله بل وغالباً ما تكون بينة وبين خالقة وهذا يعظم مفهوم الاختيار والحرية .

أن الدين الإسلامي يكاد يكون الاستثناء من بين الديانات السماوية والوضعية من حيث انه يكون اكثر انتشار وأشد وقعاً في جو ومناخ من الحرية حيث شاهدنا انتشار هذا الدين العظيم وتوسعة في اكثر المناطق حرية وأشدها انفتاح بل ونجد أقل انتشار في مناطق الكبت السياسي والاجتماعي . نشاهد كيف أن هذا الدين يسوق حججه النقلية والعقلية حول العالم ولكن المناخ المتسم بالحرية كان هو المكان الحقيقي والطبيعي من اجل أثارة مناقب الإسلام ومزاياه بل إن الحرية تكشف الستار أمام المتلقي ليتعرف عن كثب وبدون وسطاء على هذا الدين بكل حرية وجهورية وليس من خلف الغرف المغلقة التي يمكن أن تولد فهماً مشوهاً وغير دقيق لهذا الدين وهذا المنهج العظيم .

إن اكثر الفرق و المفاهيم البعيدة عن منهج الإسلام القويم هي تلك الفرق والمفاهيم التي ولدت وترعرعت في أحضان من الكبت وانعدام الحرية وأن اكثر الدول والشعوب حماساً لهذا الدين هي الدول والشعوب التي اختارت تبني هذا الدين ورفعة في جميع أصقاع الأرض .

كان المسلمون في منتصف هذا القرن يخشون الحرية الغربية وأثرها على الدين والشعوب الإسلامية ولكن المسلمون اكتشفوا أن الحرية الغربية كانت المكان المناسب لزرع هذا الدين بين أحضان ثقافة وحضارة مسيحية غربية بل أن مناخ الحرية الذي يتمتع به المسلمون في القارة الأوروبية وخصوصاً الأمريكية بما فيها كندا ليعد مثال حي وواضح على أن الحرية هي المناخ الحقيقي التي تجسد الاقتناع بهذا الدين وهذا المنهج الإسلامي .

لم يعرف التاريخ الإسلامي الضعف والهوان منذ الدويلات المتتابعة ألا في هذا العصر ومع ذلك فإن مناخ الحرية أعطى هذا الدين الإسلامي وهذه النفوس المسلمة المكان والمناخ الجيد لنشر هذه العقيدة وهذا المنهج وفي المقابل فإن المناطق والدول الأقل حرية كانت عصية على نشر هذا الدين العظيم نتيجة المناخ الدكتاتورية والظلم ولم يعد من سبيل إلى طرح الفهم الإسلامي والدين الإسلامي على تلك الشعوب والمجتمعات التي تعاني من فقدان الحرية .

إن التجارب الحديثة أثبتت أن هذا الدين العظيم ينتشر ويتمكن من القلوب في جو من الطمأنينة والحرية حيث يستطيع أن يحاكي هذا الدين الجوانب الغيبية والواقعية داخل النفس البشرية وبالفعل لم يكن اختيار الناس طائعين مختارين للقدوم لهذه المدن الطاهرة والمقدسة إلا تعبير صارخ وحقيقة يجب استيعابه على عنصر الرغبة والحرية والاختيار الذي تشكل هذا المنهج العظيم وأن هذه الطاعة والرغبة والحرية والاختيار عوامل يتسلح بها المسلم من أجل المزيد من مرضاة الله والفوز بعفوه وغفرانه .

الإعلام العربي ونشر الثقافة الهجينة

عاش العالم العربي حيناً من الدهر كانت السلطة السياسية فيه هي الحَكَم والمرجع الأول والأخير لما يمكن أن يتلقاه المواطنين سواء عبر المذياع أو التلفاز أو أي شيء مقروء وكانت هذه الرقابة صارمة وواضحة المعالم يحكمها البعد السياسي وما هو محرم أو مسموح سياسياً كما تحكمها الأبعاد الدينية والثقافية والاجتماعية خصوصاً وأن النخب السياسية كانت في بدايات مراحل خططها للتغير الاجتماعي عبر الإعلام من أجل التمهيد لبسط شرعيتها السياسية عبر سلسلة من التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يعيشها الأفراد في بعض دول العالم العربي.

ومنذ قيام الثورات والانقلابات في الوطن العربي وكانت حركة تغيير المجتمع وهز مسلماته الثقافية والاجتماعية واحدة من أهم عوامل بقاء واستمرار هذه النظم الثورية الانقلابية حيث جاءت هذه الثورات والانقلابات بالعسكر قليلي الخبرة والتجربة وقليلي الاحترام للقيم الدينية والاجتماعية مما دفعها للاصطدام في بداية الوقت مع القيم الاجتماعية والدينية السائدة في مجتمعاتها ولذلك فإن المتاجرة بالقضية الفلسطينية وحرب إسرائيل كانت واحدة من أولوياتها السياسية خصوصاً وأن هناك اندفاع شعبي لحرب إسرائيل في تلك الأوقات مما دفع هذه الأنظمة الثورية والانقلابية إلى جعل الحرب مع إسرائيل والاستعداد لها عامل شراء وقت وعامل قمع للشعوب العربية وبالفعل فإن هذه الأنظمة الثورية والانقلابية كانت لا تتحدث إلا عن الحرب والاستعداد للحرب وهي التي منيت بالهزائم تلو الأخرى على الصعيد العسكري ولكن كل ذلك يجب أن لا يلفت الاهتمام إلى مراحل التغيير الاجتماعي التي قادته هذه الأنظمة الثورية والانقلابية والتي جاء أعضائها من قاع المجتمع الثقافي أي أن أعضاء هذه الانقلابات السياسية كانوا ممن لم يتسلحوا بالمعارف والقيم الاجتماعية بل كانت تطغى عليهم البساطة في النظرة والتغيير الاجتماعي الغير منضبط.

وكان العالم العربي يعيش هذه الجدلية التي تربط بين مجتمعات محافظة وأنظمة سياسية تبحث عن مصادر شرعيتها عبر التغيير الاجتماعي وخلق جيل اجتماعي جديد مرتبط بهذه الأنظمة الثورية والانقلابية أي عبر سلسلة من المصالح الاقتصادية أو الوظيفية أو عبر إخراج جيل جديد يرى في هذه الأنظمة المخلص من المأزق العربي المتردي. بل إن بعض هذه الأنظمة الثورية وخصوصاً الانقلابات التي قامت على أفراد وأعضاء ذوي أصول عرقية أو دينية منبوذة وذات خصائص اجتماعية خاصة بها كما حدث للعديد من الانقلابات البعثية على سبيل المثال

فإن هذه الانقلابات جاءت بمجموعة ثقافية واجتماعية كانت تعد في أسفل السلم الاجتماعي والثقافي بل كان لها خصائص الطبقة الاجتماعية المنبوذة والتي كانت تعد قبل قيام هذه الانقلابات والثورات تعد في أسفل السلم الاجتماعي ألقيمي والأخلاقي والاقتصادي وعند وصول هذه القوى الاجتماعية إلى السلطة فإن هذه القوى الاجتماعية والسياسية القادمة عبر الانقلاب والثورة راغبة في جعل ثقافتها الاجتماعية والسياسية هي الثقافة السائدة والمهيمنة على المجتمع.

ومنذ بداية هذه الانقلابات السياسية التي شهدتها بعض الدول العربية فإن الثقافة الإعلامية لهذه الدول كانت ثقافة نشر القيم الاجتماعية والثقافية لهذه القوى السياسية الجديدة فإن مرجعها الثقافي هو مرجع لم يكن مرتبط بالقيم الاجتماعية العربية والإسلامية السائدة والعامة ولذلك فإن هذه القوى الانقلابية والثورية الجديدة في العالم العربي والتي شهدتها المرحلة من الخمسينات والستينات، فإن هذه القوى كانت وما زالت تتكئ وتعتمد على قوى ومفهوم وثقافة الأقلية المنبوذة اجتماعياً.

وبعد الانفتاح الإعلامي العالمي الهائل وحركة الاتصالات الدولية المتشابكة وبعد وصول الوسيلة الإعلامية الأجنبية إلى كل مكان خصوصاً وأن هذه الموجة الإعلامية الغربية تحمل في طياتها فتح سياسي وثقافي تحرري على المستوى السياسي والفكري وبالتالي أصبحت تشكل خطراً على هذه الدول الانقلابية والثورية في الوطن العربي ومن جانب آخر التزمت بعض الدول العربية الأخرى التي لم يصيبها داء الثورة والانقلاب من المحافظة الاجتماعية والسياسية أكثر ولذلك فإن الأنظمة الثورية والانقلابية العربية أصبحت تحت مطرقة الانفتاح الإعلامي الغربي القائم على النقد السياسي والمصارحة السياسية وهذا غير مقبول من قبل أنظمة دكتاتورية ثورية وانقلابية في الوطن العربي ومن جانب آخر فإن لغة الإعلام المحافظ على القيم الاجتماعية السياسية التي تقودها بعض الدول العربية كذلك غير مقبولة من قبل الأنظمة الثورية والانقلابية العربية خصوصاً وأن هذه المحافظة الثقافية لبعض الدول العربية تعد نقداً قوياً للدول الثورية والانقلابية العربية.

إذا كان هناك مأزق وقعت فيه الدول الثورية والانقلابية العربية وكان هذا المأزق يتمثل في إما الانفتاح السياسي بتأثير الإعلام الدولي وهذا غير ممكن لهذه الدول خصوصاً وأن أنظمتها السياسية قائمة على أقلية عرقية أو أقلية مذهبية أو فكرية صغيرة لا تمثل المجتمع الذي تعيش فيه أو أنها تلتزم المحافظة الفكرية السائدة في المجتمع العربية وهذا كذلك غير ممكن خصوصاً وأن ثقافة القوى الانقلابية والثورية العربية هي ثقافة الأقلية ولذلك فإن تقمص شخصية الثقافة العربية العامة السائدة يعني زوال مفهومها كأقلية عرقية أو مذهبية ولذلك فإن المخرج الذي خرجت به هذه الأنظمة الثورية والانقلابية هو نشر ثقافتها الخاصة أي نشر وتعميم ثقافة أبناء

ورجال الثورة والانقلاب.

وعند تفحص ثقافة رجال الثورة والانقلاب وتتبعها اجتماعياً وثقافياً نجد أنها أقرب إلى الثقافة النورية أي ثقافة المتجولين والمنبوذين اجتماعياً أي مثل ثقافة بعض المتجولين الذي تزخر بهم بعض مناطق الوطن العربي وبعض دول البلقان وأن هذه التجمعات البشرية أصبحت هي الملهم لبعض أفكار رجال السياسة في الأنظمة العربية الثورية والانقلابية أي أن هذه الأنظمة الثورية والانقلابية العربية وجدت في نشر ثقافة هذه الفئة الاجتماعية عبر الفضائيات العربية هو المخرج الوحيد والحقيقي من أجل تثبيت أقدامها في السلطة ولذلك فإن المراقب المحايد للعديد من الفضائيات العربية سوف يجد أن هذه الثقافة هي السائدة على عقلية ومنهج هذه الفضائيات بدائياً قراءات النجوم والأبراج والبخت إلى هز الوسط والخصر وتخلوا هذه المحطات الفضائية من أي حوار سياسي أو اجتماعي حقيقي وأن استعراض المذيعات والنساء على هذه الفضائيات هو الهدف والهم الحقيقي لهذه الفضائيات.

وبالفعل فإن ثقافة الأقلية الثورية والانقلابية العربية هي السائدة على معظم الفضائيات العربية وأن هذا التوجه يراد منه تغيير المجتمعات العربية وتحويلها من ثقافتها الدينية والاجتماعية العربية إلى ثقافة هجينة قادمة من أسفل السلم الاجتماعي العربي. ومن بركات الأنظمة الثورية والانقلابية العربية هو أن تصبح الثقافة هذه هي الثقافة العربية البديلة بعد انسداد الأفق الثقافي العربي الإسلامي الرزين المنبثق من القيم الدينية الاجتماعية العربية الأصلية وبعد انسداد الأفق السياسي الداعي إلى المحاسبة والصرامة السياسية التي تدعو له الثقافة السياسية الغربية والانعدام تحقيق الأول والثاني قامت الأنظمة الثورية والانقلابية العربية إلى نشر وتعميم ثقافة هجينة والداعية إلى النظر للعالم والمجتمع والتاريخ والمستقبل من خلال هزات خصور النساء. هذه هي الرسالة الإعلامية التي تقودها العديد من الفضائيات العربية المنبعثة من الدول الثورية والانقلابية العربية اليوم.

التحولات الاجتماعية في مرحلة القوة

الجدل يطول أو يقصر ألا أن التاريخ شاهد محايد على عمق وطبيعة التحولات الاجتماعية التي يعيشها بني البشر في كل مكان وفي كل زمان وإذا كان التحولات السياسية هي اكثر صدى وأقوى هزة في التاريخ العالمي اليوم من حيث تحولات مراكز القوة ومفهوم الهيمنة والتحولات في مناطق التأثير في المسائل العامة ألا أن هناك التحولات الصامتة والقوية والأكثر تأثيراً واكثر بعداً وهي التحولات الاجتماعية . ولكون هذه التحولات الاجتماعية هي من الهدوء والضخامة والاتساع فان مراقبتها وملاحقتها تكون اكثر صعوبة واقل أدراك . ألا انه لا يمكن القول بعدم وجود مثل هذه التحولات الاجتماعية بل أن العديد من الدارسين يرون ان التحولات الاجتماعية سواء تجاه اليمين أو اليسار ، الأمام أو الخلف هي تحولات بطيئة لدرجة أنها لا تشكل هاجس حقيقي للسياسي أو المراقب الاجتماعي بل أن العديد يرى ان التحولات الاجتماعية هي انعكاس طبيعي للعوامل المحيطة بالتجمعات البشرية وبالتالي فان هذه التحولات الاجتماعية هي نتيجة طبيعية لمثل هذه الظروف واستجابة حقيقية لمثل هذه الظروف المحيطة بها.

ثمة شيء جديد طراء على مفاهيم التغيرات الاجتماعية حيث اصبح وقع التحولات الاجتماعية أسرع بكثير مما هو في السابق بفعل التحولات الحديثة وخصوصاً في وسائل التأثير الاجتماعي سواء منها أدوات التغير الاجتماعي والتي تأتى في مقدمتها البعد الاقتصادي والبيئة المعيشية التي أصبحت تتحول بشكل أسرع مما هو في السابق بل ان عوامل الفكر التي تلعب دوراً رئيسياً في التأكيد على العوامل الاقتصادية والبيئية مثل القيم الاجتماعية والفكرية أصبحت هي الأخرى في مراحل سريعة من الحركة . أي أن فرد يعيش في قلب الصحراء في الماضي فان قيمة الاجتماعية والفكرية تتناسق مع القيم الاقتصادية والبيئية مما يشكل حاجز حقيقي للتغير الاجتماعي لا يمكن الحديث معها في تغيرات حقيقية دون تبدل البيئة الاقتصادية والجغرافية أي ينقل الفرد من هذا المحيط أو بإدخال تعديلات جوهرية على هذا المحيط ومن هذا المنطلق فان التغيرات الحقيقية كانت بطيئة بل تكاد تكون شبة جامدة لسكان الصحراء أو الغابات نتيجة لتوفير وتزامن العوامل الاقتصادية والبيئية مع البعد الاجتماعي والفكري وبالتالي أصبح الجنوح تجاه الثبات وعدم التغيير .

كل ذلك يمكن ان يكون صحيح في العالم العربي إذا أخذنا العوامل التاريخية والبيئية القديمة ألا أن تحريك العوامل الاقتصادية والتحول من الاقتصاد الصحراوي أو اقتصاد الواحات الزراعية إلى اقتصاد جديد يعتمد على مصادر الطاقة سواء مصادرها المالية أو الحركية نقض

المفهوم الاقتصادي التقليدي السابق بشكل لم يسبق له مثيل بل ان البيئة الاقتصادية المعاصرة لا تتمشى مع البيئة الاقتصادية السابقة القائمة على الاقتصاد الصحراوي والواحات الزراعية . ورغم هذا التحول الهائل والقوي الذي جعل المرتكز الاقتصادي السابق والبيئة الاقتصادية في تضارب وتصادم مع البيئة الاقتصادية المعاصرة بآلياتها و أدواتها الجديدة كل ذلك يحدث أمام قيم اجتماعية وفكرية كانت تتناسب مع البعد الاقتصادي والبيئي السابق إلا أنها تجد أنها على غير أتساق والتئام حقيقي مع الاقتصاد والبيئة الاقتصادية الحديثة وهذا ما نسميه اليوم بالشعور بالتغير الاجتماعي أو التحول الاجتماعي أو حتى بالاغتراب الاجتماعي حيث لا يعني اغتراب أو تحول مجموعة بشرية داخل الإطار الاجتماعي الكامل وانما تعني تغير الحركة الاجتماعية بكاملها وهذا ما يجعل عملية التحول عملية هائل ومحفوفة بالمخاطر الحقيقية ألا أن الحقيقة تبقى ان التحول حقيقي وجوهري نتيجة لان القاعدة التي كان يستند عليها المجتمع التقليدي وهي التركيبة الاقتصادية والبيئة الجغرافية الاقتصادية أخذة بالتحول وبالتالي هز القيم الاجتماعية من جذورها أي خلق تضاد وتصادم بين المرتكز الاقتصادي والبيئة الاقتصادية من جهة وبين القيم الاجتماعية والفكرية التي تعزز البعد الاقتصادي .

وبالفعل فان المجتمعات التي لحق بها تغيرات هائله على المستوى الاقتصادي أصبحت تعيد طرح قيمها الاجتماعية والفكرية بشكل قوي أي أنها تمر بتغيرات صامتة وقوية بعضها علني يمكن التعبير عنة بصوت وفعل مسموع ومشاهد وبعضها يتم إخفائه مع ممارسته وذلك لعدم قدرتها في تحدي القيم الاجتماعية والفكرية التقليدية السابقة وهذا لا يعني قوة القيم الاجتماعية والفكرية التقليدية وانما يعني الى حد بعيد تشويه ممارسة الفكرة سواء التقليدية أو الحديثة .

ان أشد ما يمكن أن يخيف في مثل هذه الحالات و الاطروحات هو استمرار التحولات الاجتماعية والفكرية التي تحدث للمجتمع دون ان تخضع للدراسات والنقاش والنقد او التأييد وتأخذ سلوكياتها طابع السرية وبالتالي الاستمرار والازدواجية الاجتماعية أي المجتمع العلني المعروف والمجتمع السري الكامن .

وإذا كان يمكن علاج والسيطرة على مثل هذه التغيرات وعقلنتها في مرحلة القوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فإن هذه العوامل تكون مدمرة إذا انفتحت في مرحلة الضعف الاقتصادي والاجتماعي والقيم . أي أن المطلوب هو طرح العديد من القضايا أمام اختلاف الرأي حتى يمكن إخراج العديد من التحولات الاجتماعية التي أصبحت كامنة داخل المجتمع وفرزها ونقدها وبحثها بشكل موضوعي بدل من الانتظار واستخدام القوة الاجتماعية لتسكينها وإقصائها حتى يمكن ان تكون كأمنه حتى تأتي بشكل أقوى وأعنف في حالة الضعف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي .

العالم العربي وانسداد الأفق

في مطلع القرن المنصرم كان الانطباع السائد لدى ذوي الاتجاهات الفكرية والفلسفية في العالم العربي سواء كانوا محافظين أو لبراليين سواء كانوا من الذين يدعون إلى الانفتاح وتقمص الشخصية والفلسفة الفكرية الغربية أو الذين ينادون بالرجوع إلى الأصول من حيث الفكر والفلسفة وحتى الذين تمخض عنهم الجدل في منتصف القرن المنصرم والداعين إلى أخذ ما لدى الغرب من جوانب ونبذ جوانب أخرى. كل الذين طالبوا بالانفتاح أو الانغلاق وكل الذين طالبوا بالعودة المعرفية من أجل الفهم المعرفي للتاريخ السياسي والاجتماعي العربي الإسلامي من أجل تجاوزها كل هؤلاء اليوم يعيشون مرحلة الانسداد المعرفي ومرحلة انسداد الأفق.

لم يكن ذلك على مستوى الانسداد المعرفي والفلسفي بل إن التجارب العربية والسياسية والاقتصادية كذلك عانت من الفشل الذريع على مستوى الوطن العربي وأصبح مفهوم التطور السياسي والاقتصادي سلم يصعب تحقيقه في كل العواصم العربية والإسلامية ولم يكن هذا الانسداد الواضح في الآمال السياسية والاقتصادية كافية لإحباط المواطن العربي بل كذلك أصبحت الهزائم العسكرية والذل للدول عنوان صارخ من عناوين هذا المواطن العربي المعاصر اليوم.

إن أكثر ما يبعث على الاندهاش هو الإحساس الغامض الذي يقود إلى احتمال أن الجدل الذي دخل فيه العالم العربي منذ مطلع القرن المنصرم هو جدل ليس لهو معنى وليس له بال من حيث خيارات الأمة ومستقبلها وهذا بالضبط ما يدعو إلى الهزة الحقيقية للمسلمات الفكرية التي تربى عليها ما يقارب الجيلين من المجتمع العربي اليوم وهذا بالضبط ما يمكن أن يُحدث هزة حقيقية لدى قناعات الفرد المعرفية وهذا ينتج بشكل واضح من انسداد الأفق الحضاري والسياسي والاقتصادي الذي يعاني منه الوطن العربي اليوم وهذا لن يقود إلى الانفجار كما يحب أن يقول العديد من الكتاب بل يمكن أن يقود إلى الذوبان والاضمحلال التدريجي لهذه الأمة وهذه الثقافة.

لا أكون مبالغ إذا قلت أن أكثر المواضيع جداً على الساحة العربية ولمدة تزيد عن القرن كانت غير ذي بال وغير ذي معنى لما حدث ويحدث حولنا من تطورات على المستوى الدولي بل إن أكثر المواضيع لدينا تأثير في النظام الدولي هو النفط والطاقة لم يكن هذا جزء من جدلنا الفلسفي سواء الاقتصادي أو الفكري التنموي بل نظر إليه على أنه أداة وآلية من أجل الوصول للفكرة الأساسية وهذا ما يجعل مثل هذا الجدل الفكري العربي والإسلامي الذي دخلت فيه النخب وغير

النخب هو جدل داخلي ليس له ارتباط بما يدور حولنا من الظواهر والتطورات. وبالفعل فإنه في الوقت الذي يشتد فيه الجدل داخل نطاق العالم العربي فإن بقيت العوالم أو العالم لم يكن يهتم أو معني بما نقوله ونتحدث عنه وذلك لأن كل ما قيل هو ليس له ارتباط بما يحدث في العالم بل إن العالم الخارجي لم يكن مهتم بهذا الجدل وتطوراته إلا في حدود ارتباطه بالقضية الهامة بالنسبة إليه وهو الطاقة والنفط. أما ما دار ويدور من جدل في العالم العربي يبدو أن العوالم الأخرى أو العالم الخارجي لا يهمه أو يهتم بما يدور وذلك راجع لعدم ارتباط كل هذا الجدل منذ أكثر من قرن من الزمان ليس له اتصال أو اهتمام بما يدور حول العالم.

وأن العالم العربي كما يبدو أنه ليس معني بما يحدث حول العالم من تغيرات وكل ما يراه في العالم هو ما يراه انعكاس للجدل الداخلي العربي فقط ولا يرى من العالم إلا ما يراه مرتبط بهذا الجدل فقط ومنذ ذلك الوقت وأصبح هناك اهتمامات محددة استطاعت شل حركة الوطن العربي إلى حد بعيد والإسلامي إلى حد ما ولذلك فإن ما يراه العالم العربي مرتبط فقط ببعض النقاط الرئيسية وهي:

أولاً: الاستعمار:

هذه الحركة الفكرية والسياسية والاقتصادية التي استطاعت بها ومن خلالها استغلال العالم العربي ورغم أن هذا البعد لديه آفاق اقتصادية وسياسية إلا أننا لم نستطع أن ننظر إلى هذه العلاقة سوى أنها علاقة هيمنة من جانب واحد وبدلاً من الدخول في علاقة تبادلية منفعية من البعد الاجتماعي والسياسي أصبحت علاقة منبعثة من طرف واحد وقضية واحدة على أكثر الجوانب إيجابية ولذلك فإن هناك العديد من القوى الاجتماعية والفكرية وجدت نفسها معزولة وبالتالي وجدت نفسها أنها بعيدة عن التأثير وبدل من الاستفادة من الحالة أخذت تدفع إلى تأجيج الخلاف والعداء بينها وبين الطرف المقابل وبالتالي أصبح الاندماج في المصالح الذي لا يرتبط بالبعد الأيدلوجي هو اندماج مشبوه وغير نزيه حسب الاطروحات الفكرية العربية سواء بجانبها الليبرالي أو المحافظ. بل إن أكثر الاطروحات الغربية الأكثر أيدلوجية اطروحات نجد لها صدى واضح في الوطن العربي وآخر هذه الاطروحات هي اطروحة صدام الحضارات التي لم يهتم بها العالم بكامله ولم تجد لها صدى إلا في العالم العربي والغريب أن هذا الصدى كان على مستوى الليبرالي والمحافظ على حد سواء مما يعني أن اطروحات الطرفين تنطلق بنفس القالب الفكري والفلسفي حتى وأن اختلفت نهايات النتيجة المراد تحقيقها.

إن مفهوم الصراع الفكري العربي بكل أنواعه وتشعباته دار حول دائرة واحدة هي منطلق المفهوم الاستعماري وبدلاً من تجاوز هذه القضية والاستفادة منها نجدها على العكس أصبحت إلى السجن الذي يحبس الفكر العربي المعاصر.

ثانياً: النهضة الفكرية المتضاربة أو المتضادة:

إن العالم العربي ليس الوحيد الذي يحوي بين خيباته أقليات عرقية ودينية إلا أنه يكاد يكون الوحيد الذي ترى فيه الأقلية أنها أجدر بهذه الريادة الفكرية للعالم العربي. إنك عندما تبحث عن الفلسفة الفكرية ومركزاتها فإنك تصاب بالهلع حيث أن الأقليات الفكرية والعرقية هي المهيمنة على الخطاب الفكري العربي المعاصر. وبالفعل فإن إرادة الأقلية الدينية في الوطن العربي أصبحت ذات هيمنة فكرية واسعة وكبيرة على الفكر العربي المعاصر وهذا يمكن ربطه بظاهرة الاستعمار كما ذكر سابقاً أو بالإمبريالية الثقافية كما يحلو للعديد من المفكرين القول. ولذلك فإن فعل الأقلية الفكرية والعرقية والدينية العربية وخصوصاً المسيحية في منطقة الهلال الخصيب كانت ذات نظرة احتقارية للثقافة العامة العربية ذات الجذور الإسلامية ولم يكن ذلك ليكفي بل رأت هذه الأقليات الدينية أحقيتها في قيادة المجاميع الإسلامية ولذلك فإن رد الفعل المحافظ هو رد فعل ضد هذه التوجهات الثقافية التي تقودها الأقلية أكثر من كونها ضد الآخر الأجنبي بحد ذاته ولكن من أجل كسب المشروعية فإن محاربة الاستعمار والتقريب بين الأقليات مع المجاميع الكبيرة أصبح عنوان وحدود دفع هيمنة الأقلية العربية المسيحية الفكرية على المجاميع العربية الإسلامية.

ثالثاً: لم يكن ذلك كافياً أن تكون شماعة الاستعمار والتناقض النهضوي الفكري العربي هو المشكلة بل وجدت العديد من الأنظمة السياسية العربية الفرصة من أجل العيش على هذا التناقض وهذا التضارب وبالتالي فإن دور الأنظمة السياسية العربية كان هو تأجيج هذه الخلافات والصراعات بدل من جمعها في إطار اجتماعي حضاري واضح وقوي بل على العكس فإن الأنظمة السياسية رأت بأن تعيش وتقتات من تأجيج مثل هذه الصراعات من أجل تقسيم التوجهات العربية وبالتالي فرزنت وتجميد أي تطور سياسي محتمل وهذا ما حدث في أكثر الدول العربية تغنياً بالعروبة وأكثرها تغني باللبرالية الاجتماعية والثقافية.

رابعاً: الإعلام وهذه الوسيلة التي بها تم تحويل اهتمام الشارع العربي إلى عين مفرطة بالضيق لا تتعدى حدود جسد المرأة الراقصة والإشادة بشخصية الزعيم المهيب.

خامساً: لم يبقى للعالم العربي سوى من تصدير الطاقة المتوفرة لديه بكميات هائلة هذه المادة هي التي فرزت الوطن العربي بين مقتدر وفقير بل وقلبت موازين القوة العربية لصالح دول المواد الخام على حساب دول الجعجعة الأيدلوجية البائدة والعروبة التي طالما تغنت بها تلك الدول على الرغم أن العربي هو أكثر شيء مهان في تلك الدول ذات التوجه القومي العربي المزعوم.

العرب وحرية القرار السياسي

يكثر الجدل العربي العربي حول القوة العربية مقابل قدرة إسرائيل الغير مسبوقة في التفوق على العالم العربي وتبلور هذا التفوق الإسرائيلي على جميع الميادين والعوامل. ويصاب العربي بالاندهاش من قدرة إسرائيل على هيمنتها على العالم العربي على الرغم أن عدد سكانها محدود جداً مقارنة بالعالم العربي ومواردها الطبيعية تكاد تكون محدودة وهامشية ومع ذلك يجد المراقب العربي حيرة حقيقية في هذا التفوق الإسرائيلي الواضح والكاسح ولعل هذا التفوق الإسرائيلي الواضح والقوي يرجع إلى العوامل التالية:

أولاً: التوحد الأيدلوجي: إن دولة إسرائيل قامت على بعد الوحدة الأيدلوجية النابعة من أن إسرائيل هي أرض الشعب اليهودي حيث يتم تجميعهم من جميع أقطار العالم تحت مضلة الحركة الصهيونية العالمية والتي ترمي أن تكون الإطار الأوسع والأشمل لجميع اليهود على اختلاف أجناسهم وجنسياتهم واختلافاتهم الفكرية والفلسفية. فالحركية الصهيونية هي وعاء المزج الأيدلوجي لهذا الشتات اليهودي يتم تجميعه وتوجيهه نحو بناء الدولة الواحدة سواء اليساري المتطرف أو الأوروبي المؤمن بالقوة أو اليهودي المتدين والمتطرف وعلى الجانب الآخر فإن العرب لا تجمعهم أيدلوجية واحدة أو حتى واضحة فإن الصراع بين البعد الإسلامي العربي اليساري والقومي والقومي الوطني والتاريخي والحاضر فإنها تخترق العالم العربي بل إن الأقطار العربية الأكثر تخلف والأقل قدرة هي التي تدعي على أنها تمسك في أوراق اللعبة السياسية وخصوصاً دول المواجهة مع إسرائيل.

ثانياً: يصاب العرب بالإحباط وهم يرون أن لديهم من الامتداد الجغرافي والحضاري والموارد الطبيعية وهي عاجزة عن مواجهة إسرائيل حيث يتشدد باستخدام قوة الموارد الطبيعية من لا يملكها ويسعى إلى توظيفها حتى وإن كانت لا تؤثر عليه إلا سلباً ولذلك نجد أن دول بلاد الشام ودول المواجهة مع إسرائيل تتمادى باستخدام الموارد الطبيعية بشكل سلبي أي المقاطعة وذلك لكونها لا تتأثر بشكل مباشر إن لم تكن تأثرها سلبي ولكنها تريد دول أخرى أن تحارب وتقف المواقف بدلاً عنها.

ومن الجانب الآخر نجد إسرائيل لا تملك الموارد الطبيعية بما فيها النفط والغاز إلا أن إسرائيل لديها من القدرات البشرية داخل إسرائيل وخارجها ولديها من المؤسسات والتنظيمات العالمية سواء الفكرية أو الاستثمارية ما يتفوق على موارد العالم العربي قاطبة سواء من حيث الاستثمار أو العائد أو التأثير الدولي وخصوصاً الحضور الهائل في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا

والحضور المتزايد لإسرائيل في شرق آسيا.

ثالثاً: إن إسرائيل تتمتع بشعور وحدة الهدف والبقاء ولذلك تستطيع إذابة خلافاتها الداخلية تحت مطرقة الفناء والتشرد والتشتت وأن هذا العامل دفع إلى توحيد الهدف والسعي من أجله وتناسي الخلافات وخلق تنافس إيجابي أي تنافس لبناء إسرائيل وليس تنافس سلبي من تحقيق الزعامة والبعد عن الهدف الأكبر.

وعلى الجانب الآخر نجد أن العالم العربي ليس لديه هدف واضح بفعل التنافس الإقليمي الطاغي بين الدول العربية على زعامة العالم العربي حتى أن بعض الدول العربية على رغم هامشيتها السياسية والاقتصادية والعسكرية ترى أن القرار العربي يجب أن يرتبط بها ولا ترى أي سبيل آخر أو بديل وإن كان وحدث أن صودر قرارها السياسي نتيجة لضعفها وهامشيتها فإنها تسعى إلى تعطيل العمل العربي المشترك حتى وإن كان ذلك يصب في غير المصلحة العربية العليا.

رابعاً: إن إسرائيل على الرغم من اختلافاتها العرقية والثقافية بفعل الهجرة اليهودية إلى إسرائيل إلا أن هناك بوتقة وأيدلوجية وهدف يتم إذابة هذه الاختلافات فيها بينما العالم العربي فإنه يعاني من الاختلافات العرقية والثقافية والدينية وسواء داخل الدين الواحد أو من أديان أخرى وكل هذه الشرائح الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية لديها مشروع فكري واستقلال هدفي خاص بها بل وكثيراً ما تعمل كل واحدة ضد مصلحة وعمل الآخر بمعنى أن كثير من القوى السياسية والأثنية والدينية العربية تسعى إلى تهميش الطرف الآخر ولذلك فإن جهود هذه القوى هو موجه تجاه العالم العربي بدل من إسرائيل.

خامساً: إن أهم عامل من عوامل استقلال القرار السياسي الإسرائيلي هو امتلاكها القوة العسكرية حيث استطاعت أن تجعل هناك ثلاث مستويات من قواتها العسكرية وهي:

١, القوة البرية المرنة والمنضمة.

٢, القوة الجوية الضاربة والسريعة الحركة المدعومة بقوة صاروخية قادرة على اختراق العمق.

٣, قوة نووية وجرثومية وهيدروجينية ضاربة ورادعة وأمان واضح لإسرائيل.

وإذا كان القوة البرية والجوية هما سلاح إسرائيل الضارب وقوتها الحقيقية التي تحقق لها النتائج الهائلة فإن هذه القوة أوجدت تبعية إسرائيل للولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من أن إسرائيل حاولت التخفيف من هذه التبعية بدخولها نادي المصدرين للسلاح إلا أن إسرائيل استطاعت عبر قوتها النووية أن ترغم الغرب بشكل عام وأمريكا بشكل خاص على تبني المحافظة على أمن وسلامة إسرائيل بفعل قوتها النووية الضاربة والرادعة حيث ثبت لإسرائيل أن أمريكا تسارع لإنقاذ إسرائيل خوف من انهيارها أو هزيمتها مما يدفعها إلى استخدام القوة النووية كما

حدث في حرب ١٩٧٣م. الأمر الذي دفع أمريكا إلى إنقاذ إسرائيل وإمدادها بالسلاح قبل أن تتصرف إسرائيل بفعل الخوف من الانهيار.

وعلى الجانب الآخر نجد عالم عربي متهالك لا يصنع ولا يجيد استخدام السلاح والعالم العربي يعد بحق عالة حقيقية إلى مصنعي السلاح الغربي وسوق حقيقية لهذه المصانع بمعنى آخر أن الدول العربية لا تملك قرار تسلحها وقوتها بيدها وبالتالي فإن الدول العربية لا تملك قرار الحرب أو السلم في يدها وذلك أنها تملك قوة عسكرية دفاعية متهالكة ولا تملك قدرة نووية مما يفقدها الاحترام والمصداقية في أي نزاع محتمل ولذلك فإن قرار الحرب والسلام من القرارات الهامة الذي أصبح خارج يد ونطاق السياسي العربي عكس من السياسي الإسرائيلي.

سادساً: إن الحضور السياسي والدبلوماسي والمعرفي والإعلامي الإسرائيلي هائل وواضح حول العالم بينما نجد عالماً عربياً يعيداً لا يجيد خوض التجربة المعرفية والإعلامية العالمية ولذلك نجد ونرى عالم عربي غير واضح المعالم وغير محدد الهوية وبدون وجه ولسان واحد لذلك فإن القرار السياسي الإسرائيلي سوف يكون أكثر قوة وأكثر حدة وأكثر تحديد للهدف، ثم نجد على الجانب الآخر أن القرار السياسي العربي أكثر هامشية وأقل حرية في القرارات والمواقف المحيرة وإلا أن تتحول هذه العوامل بفعل الرجال والعمل الدءوب والرؤيا الواضحة والعمل الاستراتيجي المتراكم سوف تبقى إسرائيل العامل الأكثر فاعلية والعالم العربي الأكثر هامشية.

الغرب أسير النظرة التاريخية

يركن العالم الغربي على الرغم من اختلافه وتعدد فروعة إلى عوامل القوة والحضارة والتأثير على العالم أجمع ليس فقط بفضل قوته العسكرية وحدها أو قوته السياسية والاقتصادية وبعده الحضاري الغني بل ساعده المسارعة في خوض غمار الحداثة والتكنولوجيا والديناميكية أن يكون زعيم وقائد المجموعات البشرية حول العالم وإذا كان ذلك يحدث بفعل القوة والعنف في مرحلة الاستعمار المباشر الذي عاشته مناطق عديدة من العالم بما فيها عالمنا العربي ألا أن اليوم نجد أن العديد من المناطق الجغرافية والتجمعات البشرية تنقاد طائعه بمحض أردتها ورغبتها نحو المشروع الحضاري الغربي واختط لديها البعد التقني بالبعد الاجتماعي والتطور العسكري بالتطور الفلسفي الإنساني و أصبحت العديد من المجتمعات حول العالم تنشد تقمص الشخصية الغربية بكل أبعادها حتى أصبحت في العديد من المجتمعات تعد تقاسيم وتقاطيع المظهر الأوروبي هو تقاسيم ومظهر من مظاهر الوسامة والجمال حتى أندفعت صيحات تقمص شخصية الغربي من الموسيقى الصاخبة إلى صبغة الشعر وتصفيفة .

تعد اليوم المجتمعات خير شاهد على اجتياح النموذج الغربي هذا على المستوى السطحي الظاهري فما بالك على المستوى البعد السياسي و قضايا الكشف والتحري الجنائي والسياسي والفلسفي والعسكري .

والسؤال الدائم على المثقف العربي ورجل الشارع العربي هو لماذا نصيب العالم العربي هو دائماً أخذ وتقمص قشور الحضارة الغربية ؟ بل السؤال الأكثر حدة للمثقف العربي ورجل الشارع صاحب الإطلاع المحدود هو لماذا هذا السلوك المزدوج من قبل العالم الغربي تجاه المشرق العربي هو هذه النظرة الفوقية وحرمان هذه المنطقة من ثمار التطور والنماء حرمان هذه المنطقة من التطور والتراكم التنموي ؟ إن مثل هذه النظرة تذهب اكثر بعداً في طرح المسئلة على أن العالم العربي منذ نهاية الدولة العثمانية وقيل نهايتها بقرن وهي داخله نفق الحروب والقلق السياسي ولم تخرج منه حتى اليوم بل أن العالم العربي هو المنطقة الوحيدة الذي لم يعرف الاستقرار السياسي أو التنمية الحقيقية بل أن الفرد العربي هو اكثر الشعوب في العالم الذي لحق به الإذلال والمهانة في هذا العصر الذي أتسم بالكرامة والمهابة وفي المقابل فإن المنطقة العربية تعج بعوامل القوة ومظاهرها إبتداء من القدرات البشرية الهائلة والتي يمكن ان تشكل قوة هائلة ترفع من مستوى هذه المنطقة مروراً بالقدرات المالية والموارد الهائلة التي تزخر بها المنطقة العربية وأخيراً وليس آخر البعد الحضاري على المستوى التاريخي الحضاري أو مستوى الزخم

الحضاري الهائل والعميق الذي يتمتع به أبناء العالم العربي تحت مضله الإسلام الهائلة .

ولكي تكتمل الصورة فإن العالم العربي يحمل بوادر تفتته بنفسة وبوادر ضعفه بنفسه قبل أن يسهم الغرب في إذكاء روح التفتت والفرقة ومن أهم هذه العوامل هي :-

أولاً : انقسام العالم العربي على ذاته حيث نشاهد كل يوم احتقار اطراف العالم العربي لأطرافه الأخرى ونجد بغير عناء روح الفرقة والاحتقار والتشفي الذي يراها المواطن العربي في مكان تجاه مواطن في مكان آخر بل أن روح الإهانة وروح الكرة واضحة مما يدفع العديد من العالم العربي إلى تفضيل العالم الخارجي سواء ببعده الغربي أو الشرق آسيوي على أي شيء اسمه عربي .

ثانياً : أن روح الأنانية التي يشكله الخيال السياسي العربي كان ضارب إطنابه على خيال السلوك السياسي العربي منذ بداية القرن ولم تختلف الصورة مع نهاية القرن .

ثالثاً : على الرغم من أن التجانس هو العامل الظاهر على المجتمع العربي ألا أن الاختلافات الدينية في التي تشهدها بعض الدول العربية من العمق والأهمية بحيث لعبت دوراً في شل حركة هذه الدول وأذكت روح الفرقة وعدم التجانس للعالم العربي كاملة خصوصاً وان العديد من هذه القوى الدينية كانت وما زالت تدعم من أطراف متعددة خارج العالم العربي .

لكن السؤال يبقى هو لماذا يجد العالم العربي نفسه تحت مطرقة النظرة الاستعمارية من قبل العالم الغربي اليوم ؟ بل أن البرنامج الاستعماري الغربي تطور في العديد من مناطق العالم وبقي على ركائزه الأساسية في العالم العربي ويمكن تبرير وفهم ذلك في ضل العوامل التالية:-

أولاً : ارتبط مشروع إسرائيل وبقائها مرهون ورهينة الضعف العربي والسيطرة عليه من قبل الدول الغربية ولذلك لا يمكن أن تكون إسرائيل قوية لديها القدرة على البقاء والاستمرار ألا في ضل ضعف وشلل عربي واضح وهذه المعادلة كانت صحيحة في المستقبل وذلك فإن السلام مع إسرائيل الذي هو مطلب للعرب من المتوقع أن لن ينتج عنه تنمية حقيقية للعالم العربي بل سوف تستمر عملية أضعاف العالم العربية من اجل ضمان تفوق إسرائيل.

ثانياً : وجود قوى اجتماعية – ثقافية وتجمعات دينية في مناطق من العالم العربي ليست على انسجام مع هيمنة الثقافة العربي ذات البعد الحضاري الإسلامي ولذلك فإن هذه التجمعات وجدت بالدعم الغربي خير وسيلة للبقاء بل ولزيادة النفوذ والتأثير في مناطق عديدة من العالم العربي ووجدت بها الدول الغربية أفضل السبيل للنفوذ إلى عمق التركيبة الاجتماعية العربية بل والتأثر بها وبتشكلها .

ثالثاً : لم يتغير مجمل النظرة الغربية تجاه الإسلام على المستوى التاريخي ولكونه أسير مثل هذه النظرة وكونه لم يجد جيش يحاربه أمعن في ضرب المؤسسات الاجتماعية والحضارية

التي يتكي عليها الإسلام في هذه المرحلة مع غياب الفهم السياسي لهذه الجدلية ولذلك فإن محاربة البعد الأيدلوجي من قبل الغرب أصبح ينفذ في منهجية إفقار العالم العربي ومزيد من تشتيت جهوده و إفقاده البوصلة السياسية التي تقوده للتخطيط الاستراتيجي لبناء قوة مؤثرة .

رابعاً : أرتبط العالم العربي بوجود أكبر احتياطي النفط العالمي وهو العامل الحاسم في مصادر الطاقة العالمية بل العامل الحاسم إمكانية تنمية بعض الدول العربية مما دفع إلى مفهوم تدوير الدولار وهو الذي أرتبط بالعديد من البرامج المتعددة من أجل أعاده هذه الأموال إلى مصادرها الأصلية .

ويبقى السؤال قائماً ماثلاً هو هل من الممكن أن يتخلص العالم الغربي من نظرته التاريخية نحو العالم العربي وهذه المرحلة من التطور الدولي وإذا كانت الدلائل تشير عن عوامل بقاء العالم العربي أسير هذه النظرة من قبل الغرب فعلينا نحن قاطني هذا العالم الثالثي ان نتوقع استمرار هذه النظرة خصوصاً وان بوادر بقاء هذه النظرة ومسبباتها ما زالت قائمة وماثلة بل أن النظرة الأيدلوجية الدينية تجاه العالم العربي كان من المتوقع أن تخف حدتها مع انتشار الإسلام في العديد من أقطار الدول الأوروبية ألا أن هذه النظرة أصبحت اكثر حدة خصوصاً وان الإسلام في الدول الغربية ارتبط بالتجمعات المهاجرة و ألاقليات الضعيفة ولم تستطيع القوى الإسلامية الداعية إلى تجذير الإسلام وربطه بمواطني تلك الدول ألا من بعض المناطق المحدودة هنا أو هناك.

ومن هذا المنطلقات فإن عوامل هذه النظرة على الرغم من التطور الهائل ووسائل الاتصالات والتبادل التجاري والمعرفي والسياحي فان نظرة الغرب المشوبة بالحذر والأسر التاريخي سوف تكون هي المهيمنة على هذه التوجهات السياسية وإذا كان الصدام ليس حلاً من اجل تغيير هذه النظرة كما يطرحه العقلاء وليس كما يطرحه العديد من صاحبي النظرة الأحادية والقاصرة أقول إذا كان الصدام ليس هو الحل فإن الحديث بصوت مرتفع وطرح الأفكار والاستفادة من خبرات وتجارب العديد من الأفراد وفتح حوار طويل ممتد غير منتهى هو الكفيل في صنع وتبلور نظرة يمكن بها اختراق العقل الأوروبي المسجون رهينة النظرة التاريخية .

الليبرالية كعامل جذب

أن ما طرحة السيد فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) كان عمل مهمته رصد الحركة التاريخية ورغم إخفاق الرجل بشكل قوي في إيضاح فكرته مما أضطره إلى توضيح الفكرة التي يطرحها من خلال المحاضرات التي يلقيها أو المقالات الصحفية التي يكتبها ويرجع هذا الغموض إلى صعوبة إثبات فكرة هيمنة الليبرالية أو على الأقل مفهوم الليبرالية وأنها نهاية المطاف في الحركة البشرية ويرجع السبب الآخر هو الاختلاف حول مفهوم وهيمنة الليبرالية ذاتها حيث يخضع هذا المفهوم إلى اختلاف التفسير واختلاف الفهم والتأويل .

وعلى الرغم من تبشير فوكوياما بالانتصار الساحق للغرب على العالم وهو انتصار أبدي ونهائي حسب الخلاصة التي ينتهي إليها في كتابة السابق وعلى الرغم من صعوبة التسليم أو أخذ مثل هذه الاطروحه على محمل التصديق المطلق رغم النجاحات التي يعيشها العالم الغربي حول العالم ألا انه استطاع الفصل بين مفهوم مضمون الحضارة الغربية المرتبطة بمفهوم الليبرالية أي الحرية الشخصية والفهم الغربي لممارسة السياسية وتداولها وفصلها عن القيم الحضارية ذات البعد الاجتماعي التي ارتبطت بسلوك العالم الغربي الاجتماعي .

وإذا كان لا بد من أخذاً أطروحة فوكوياما فأنها سوف تكون اكثر حلماً واقل واقعية من اطروحات متعددة تأتي على رأسها مفهوم (صراع الحضارات) التي يطرحها السيد هنتنتغن عندما صرّح أن الصراع بين الحضارات هو السمة الحقيقة للعالم القادم وان كان يرى أن هذا الصراع هو في الحقيقة بين العالم الغربي والإسلامي .

ومهما يكن من وجاهة أو مثلب لمثل هذا الطرح ألا أن السيد هنتنتغن طرح أحد العوامل الحقيقة التي تحرك المشاعر الاجتماعية العالمية بل انه استطاع بتجييش القوى الغربية التي تشعر بهذا الصراع وتؤمن به بل وتتطلع إلى انتصار غربي ساحق على الحضارات الأخرى الأمر الذي جعله فوكوياما نتيجة طبيعية سوف تحدث حسب نظرته .

أقول أن تعبئه القوى الاجتماعية التي كانت تطرح مفهوم صراع الحضارات أصبحت مصدر للتكتل السياسي داخل دائرة الغرب ليس فقط بين الدول الغربية من حيث اختلافها وتفاوتها حول مفهوم هذا الصراع مع الأخر حين تجد بعض الدول الأوربية أن مفهوم الصراع الحضاري مع الأخر هو ديناميكية التاريخ وعوامل الصراع فيه فيما نجد أن دول أخرى أقل نظرة وحدة في هذا الاتجاه و توظيف مثل هذا المفهوم . بل أن هذا الانقسام إلى داخل الدول ذاتها التى ضمها إلى مفهوم الليبرالية والمحافظة ولكن هذه المرة على أسس حضارية أو على أسس من

الصراع الحضاري ليحل محل ليبرالية ومحافظة على أسس اقتصادية أو سياسية محلية .

وهذا التكتل السياسي ليس فقط تشكل في العالم الغربي بل انصب على العوالم الأخرى وخصوصاً العالم الإسلامي حيث لعبت اطروحات مثل أطروحة صراع الحضارات إلى إعطاء أدلة وبراهين في يد القوى المحافظة على أن الغرب عدائه حضاري تاريخي ومتمرد وليس كما تدعي بعض القوى انه عداء سياسي اقتصادي مرتبط في مرحلة زمنية معينة ووضع دولي معين يمكن أن يزول بزوال هذه الظروف الاقتصادية والسياسية المؤقتة وبالتالي فان عامل التكتل السياسي والحضاري الغربي خلف مثل هذه الاطروحات الداعية للصراع هي عامل تكتل سياسي واجتماعي داخل المجتمعات الإسلامية أيضا ألا أن الفارق أنها في الغرب هناك انسجام بين البعد السياسي والتكتل الحضاري فيما تشهد الساحة في العالم الإسلامي تناقض بل تصادم بين التكتل السياسي والتكتل الحضاري .

ألا أن ما يمكن فهمة أن نظرية صراع الحضارات على الرغم من وجاهة أطروحتها في بعض جوانبها استطاعت أن تخلق تكتل غربي ذو هدف محدد وكذلك استطاعت أن تخلق تكتل مقابل ليس فقط هو على صراع مع الطرف الغربي بل وفي صراع مع قوى أخرى لا تنسجم مع هذه الأطروحة .

وبما أن التكتل الصراعي يخلق فعل فأنه يخلق رد فعل حيث نجد أنه كلما كانت ذهنيته متشددة نجد أنه يقابلها تشدد آخر بنفس المستوى الفلسفي حيث نجد أنه كلما كانت إسرائيل اكثر تشدد واكثر تفسير تلمودي لأفكارها فإن العامل المقابل سوف يكون اكثر تمسك بالقيم الحضارية الإسلامية واكثر تفسير إسلامي للأحداث وبالفعل فإن الإسرائيليين يطرحون التناقضات حيث يطرحون علمانية سلوك إسرائيل للاستهلاك العالمي و الإعلامي وأنهم يقومون بتفسيرات توراتيه للسلوك السياسي الداخلي والخارجي تكون موجهه للمشاهد المتعاطف مع إسرائيل وفي ذات الوقت يطرحون خطورة تغير الجانب الأخر وهم العرب والمسلمون في هذه الحالة إلى الجنوح والركون إلى التفسيرات الدينية بل يطالبون بان يكون تغيير العرب للأحداث تحت مطرقة البعد الاقتصادي والسياسي وتوازن القوى تجاههم بينما تقوم اسرائيل بطرح مفهوم الصراع الحضاري الديني .

الممارسة السياسية وروح التعامل

تنتهي هذه الأيام الحملة الانتخابية الأمريكية ولكون النظام السياسي الأمريكي هو من اكثر النظم الديمقراطية ضجيج ليس لان الدولة مهمة والهدف هائل الأهمية وانما لكون طبيعة النظام الانتخابي الأمريكي يرتكز على أعلى نسبة من الضجيج ولذلك هناك بعض التعبيرات ذات المدلول للانتخابات الأمريكية والتي ترتكز على أن (العربة التي تجلب الأنظار هي العربة الحرية بالاهتمام) أو العربة التي تحدث الضجيج هي العربة التي تلفت الأنظار .

ومهما يكن من طبيعة النظام السياسي ونظامه الانتخابي ومهما يكن من جدية وهزلية هذه الحملة ومهما يكن من جوانبها المبهرة والمضحكة فانه لا يمكن بحال من الأحوال إغفال روح العمل السياسي الجاد وروح الفهم السياسي وروح الممارسة السياسية وروح التسامح السياسي الذي تعيشه الدول الديمقراطية اليوم ومفهوم التسامح السياسي لا يعني بأي حال من الأحوال التسليم للآخرين ولاستسلام لهم ولا يعني أبداً ترك المبادئ التي يقوم عليها الإنسان وانما كذلك لا يعني إبقاء على وجهة النظر أحادية ولا تقبل النقاش والجدل وان هذا الفريق على حق كامل والأخر على خطاء كامل ان مفهوم التسامح السياسي وممارسة السياسية هو القبول بتعدد الأوجه للحقيقة الواحدة وان الحقيقة ذاتها هي نسبية بشكلها الكامل . بل ونسبية بمفهومها الزمني وهي نسبية لمفهومها المكاني والاجتماعي كل ذلك يدفع إلى تعدد أوجه وممارسة الحقيقة وبالتالي لا يستطيع فريق ان يدعي الحقيقة دون الآخرين .

وإذا كان ذلك هو المنطق فان مفهوم اللعبة السياسية والتسامح السياسي وبالتالي الممارسة السياسية الأمريكية ممكنة وقابلة للاستثمار والاستفادة منها .

أن المراقب للقيم الاجتماعية والسياسية التي تحكم العالم العربي تكاد تكون تتناقض مع هذه المبادئ الأساسية لمفهوم التسامح السياسي وكذلك الممارسة السياسية النسبية ولذلك فان الاعتماد على الحقيقة السياسية الثابتة والأحادية الجانب هو مشروع للوقوف على الماضي فقط مشروع للوقوف عن الحركة والديناميكية مشروع لنظر إلى الأطلال والابتعاد عن المستقبل مشروع لصرف النظر عن تأمل الحاضر بكل تناقضاته ومنتجاته التي تدفع إلى العمل الجاد لتك الاختناقات المتراكمة اليوم .

وإذا كان مفهوم الحقيقة السياسية المطلقة التي تسيطر على العالم العربي اليوم هي في

الحقيقة من المبادئ التي جعلت العالم العربي يعتبر اكثر بقاع العالم قاطبة تشنج فكري بل اكثر المناطق تخلف على المستوى السياسي لا يمكن مقارنتها حتى بالدول الأكثر تخلف في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وهذه الأحادية الفكرية السياسية التي تخيم على العالم العربي تكاد تكون واحدة من عوامل لجم الحركة الفعلية والإبداعية للوطن العربي ومن ثم العالم الإسلامي .

ان اكثر ما يثير الانتباه في الوطن العربي ليس فقط التشنج في حالة الممارسة السياسية وروح التسامح السياسي بل ان التشنج الفكري وروح السطوة الفكرية تجتاح ابسط المبادئ الفكرية التي يعيشها العالم العربي حيث تهيمن بعض المبادئ الفكرية التي يمكن ان تكون غريبة عن البيئة العربية والإسلامية ومع ذلك تعيش مرحلة الفرض والإجبار على المجتمع العربي وهذا خلق نوع من التشنج الفكري العربي وخلق ذهنية أحادية تنظر إلى العالم والى الذات من زاوية ضيقة جداً .

أن المشروع السياسي والاجتماعي العربي الجديد هو فتح نوافذ الإبداع وتعدد الاطروحات من اجل تلقيح الفكر العربي والإسلامي بشكل تكاملي وتراكمي . انه من المسلم به ان تكون هناك خطوط عريضة تحكم المجتمعات المختلفة ومنها المجتمع الإسلامي والعربي الذي تحكمه الخطوط الواضحة للدين الإسلامي وتحدد أبعاده ثم أن هناك المساحة الهائلة التي يتحرك بها المجتمع داخل هذه الأطر الحضارية من اجل فتح آفاق جديدة للمجتمع العربي المسلم وان مشروع الخروج عن الأطر العريضة للقيم الحضارية هو مشروع لضرب المشروع والخروج عليه وكسره وبالتالي مشروع للتحلل الاجتماعي . وانه على الجانب الأخر تضيق النطاق داخل مفهوم ضيق داخل هذه المشرع هو دعوه للثبات وعدم الحركة ودعوة لتأمل الماضي دون النظر إلى الحاضر وتعقيد انه والمستقبل واستشرافه .

أن القضية هنا ليست اختيار جيد واختيار سيء بل خيارات متعددة كلها فيها جوانب القصور وجوانب النجاح وان الخيار الذي يحمل بوادر النجاح اكثر من بوادر الفشل هو الخيار الجيد وان مسألة تحديد هذا الخيار ومدى نجاحه لن يأتي إلى بفتح صندوق الحوار المفتوح والتسامح الفكري وقبول الطرف الأخر الذي يعمل ضمن الدائرة العريضة وضمن الخطوط العريضة ويختلف معنا من حيث التفاصيل . وان التسامح الفكري هذا لن يتحقق ألا في حالة العمل على خلق عملية آلية للتسامح للممارسة الفكرية للأفراد والجماعات حتى يمكنها التعبير عن ذاتها عبرقنوات قانونية مشروعة ومقرة.

أن الأمم تأخذ من تجاربها وكذلك تستفيد من تجارب الأمم الأخرى بل انه لا يمكن الجزم أن هناك حضارة قائمة بذاتها دون أن تتأثر بشكل أو بأخر بالقيم الأخرى وإذا كنا نفخر

المسلمين باقتباس الأمم الأخرى للمعارف الإسلامية وكذلك نفخر بالقيم الرائعة التي يقدمها الإسلام في الجوانب الاجتماعية والعقائدية وهي بالفعل مكان للفخر والاعتزاز فان الأمة الإسلامية معنية بالفعل بالتأمل لمظاهر الممارسة السياسية الغربية والتسامح الفكري داخل الإطار الواحد وان يكن ذلك بأيدينا وبإرادتنا اليوم فإن ما نختاره يمكن أن يكون مفروض علينا في المستقبل .

اللغة كأداة حضارية

يعلو الحديث السياسي والاقتصادي على الجوانب الأخرى خصوصاً عند الحديث عن مفهوم الصراع الدولي والنظام الدولي ومفهوم العولمة السياسية والاقتصادية . بل أن بعض المفكرين تحدثوا عن مفهوم الصراع الحضاري ووضعه في بعد أيدلوجي ديني اقتصادي قيمي دون الالتفات للأبعاد الأخرى سواء النفسية والاجتماعية بل أن مفهوم اللغة والذي تعد بحق المستودع الحضاري والمخزون المعرفي للأمم لم يكن حاضراً في العديد من اللقاءات التي تناقش مفهوم العولمة والنظام الدولي .

قد يبدو من الوجاهة والاستغراب في طرح قضية لغوية ذات بعد اجتماعي ونفسي وحضاري في خضم الصراع السياسي والتنافس الاقتصادي بل أن إدخال مفهوم التكنولوجيا وتطور الاتصالات الدولية وسرعة التبادلات الدولية يجعل مفهوم الطرح اللغوي شئ خارج عن المكان والزمان بل خارج عن دائرة الحوار . هذه القناعة تزداد مع التجارب العالمية سواء منها ذات البعد الاقتصادي أو المعرفي أن تنفذ اللغة الإنجليزية وانتشارها أصبح يطرح نفسه كلغة عالمية مشتركة بل وأصبحت اللغة الإنجليزية قاسم مشترك للفهم و التفاهم العالمي خصوصاً وأنها لغة الأقوياء ولغة الحضارة الأقوى ولذلك فإن الإنسان عندما يتسلح بهذه اللغة الحية سوف يستطيع والى حد بعيد أن يقتحم خضم العالم بكل الثقة متسلحاً في أدوات لغوية قادرة على معرفة العديد من العلوم والمعارف المنشورة خصوصاً وان اللغة الإنجليزية تسيطر على النسبة العظمى في ما ينشر ويتداول حول العالم ناهيك عن الشبكات الحديثة مثل الإنترنت ومركز البحث والنشر والوسائل الإعلامية المختلفة سواء في شقها السياسي والاقتصادي أو المعرفي.

أن المراقب للبعد اللغوي يشعر بالحزن أن العديد من اللغات أخذت تأخذ المصاف الثاني وبعضها الهامشي في استخداماتها سواء اليومية أو حتى استخدامها المعرفي وسواء هذا الاستخدام اليوم الذي بداء يركز على الحديث اليومي أو ما يعرف باللهجات المحلية وهذا العامل لم ينخر فقط في جسم العالم العربي اليوم حيث نشاهد سيطرة اللهجات المحلية أخذت تنتقل من اللهجة المحلية المحكية في الشارع وبدأت الحضور على وسائل الأعلام المختلفة حيث نشاهد حضور اللهجات المحلية اكثر انتشار عن ذي قبل . وبالفعل فإن اللغة الأم أخذت تأخذ الطرف الأقل واقتصرت على بعض المواقف التي يرتبط بالبعد التاريخي العربي فقط حتى أن التراث العربي أصبح يصور على أنه تراث شعبي ويصور بصورة شعبية . وإذا كان من نجاح خارجي تجاه العالم العربي سوف تكون اللغة أحد أدواته القوية والضاربة حيث أن الوعاء والمحتوى الحضاري العربي أخذ بالذوبان وبشكل متسارع ومخيف .

هل فعلاً أن اللغات يحدث لها الذوبان والفقدان والانقراض ؟ هذا ما يثبته التاريخ من أن العديد من اللغات وجدت طريقها للانقراض ولم تعد ذات قيمة أو أهمية اليوم . وما نشاهده اليوم هو أن العديد من اللغات أخذت تضعف بشكل متسارع وتختفي من العمل بها بشكل قوى وأصبحت لغة ذات استخدام محدود أن جاز مثل هذا التعبير وأن اللغة العربية منها مثل لغات أخرى أخذت هذا المنحنى الهام والكبير والذي يعني كذلك أن الوعاء الحضاري للعام العربي والإسلامي أصبح يهدد بشكل حقيقي بفعل الضعف السياسي والحضاري أمام قوة وجبروت القوى الأخرى .

أن الحالة الوحيده التي تم بها بعث لغة من شبه الانقراض هي اللغة العبرية المستخدمة في إسرائيل اليوم أنها الأولى في التاريخ البشري على حد معرفتي التي يتم فيها بعث لغة كادت أن تصل لمرحلة الانقراض أن تنبعث من جديد كان ذلك راجع إلى أن الزعماء اليهود عندما خططو لدولة إسرائيل كان مفهوم الوعي اللغوي على أنه الوعاء الحضاري لهذه الدولة لا يحده وعي وان المستودع الحضاري لا يمكن استعارة بناء لغوي له دون البناء اللغوي الطبيعي الذي شكل الحضارة أو الدين في حالة إسرائيل ولذلك فإن مفهوم أحياء اللغة العبرية لدولة إسرائيل عامل من عوامل تماسك ودمج وصهر القوى المهاجرة إليها وكان ذلك بالفعل عزز من ذلك الوعي هو أيمان هؤلاء الزعماء بأن اللغة لا تكفي أن تكون لغة مفردات واستخدام لغوي وانه بدون أن تكون لغة علم ولغة فائدة فلن يقبل الناس عليها مهما تكن مبرراتهم الأيدلوجية والدينية ولذلك عمد زعماء اليهود الى خلق مراكز علمية ومعرفية تقوم بنشر معارفها باللغة العبرية دون أن يكون هذا التوجه عبارة عن حرب ضد اللغات الأخرى بل العكس فإن تشجيع اللغة الأجنبية وخصوصاً اللغة الإنجليزية كان قائم على قدم وساق ولكن لم يكن أبد وارد إهمال تعزيز مكانه اللغة العبرية في مراكز المعرفة والمراكز العلمية والمدارس والمعاهد المهنية والتكنلوجية في الوقت الذي نجد إسرائيل تسعي مفهوم البعد اللغوي كعامل توحيدي للمجتمع الإسرائيلي وعامل من عوامل قوة إسرائيل وانصهار القوى البشرية المهاجرة في معمل حضاري لغوي واحد رغم صعوبة ذلك نجد العالم العربي يطرح ويمارس مفهوم استخدام اللغات الأجنبية او حتى اللهجات المحلية والغريب بالأمر والملفت للنظر جداً أن المناطق الجغرافية في العالم العربي والقوى البشرية في العالم العربي التي كانت تنادي في بداية القرن الماضي باستخدام اللهجات المحلية هي نفسها التي تطرح استخدام اللغة الدارجة وللهجات المحلية على الوسائل الإعلامية المختلفة وكأنها تريد أن تمارس أضعاف وهدم العالم العربي من الداخل كما حاولت ذلك قبل قرن من الزمان .

في الوقت الذي تحقق إسرائيل وحدتها وقوتها اللغوية هل تستطيع بعض القوى البشرية في العالم العربي وخصوصاً ذات الانتماءات المختلفة إلى محاولة هدم اللغة العربية ؟

المنطقة العربية .. وجيل الشعوب الجديدة

بوصول جيل جديد من الزعماء العرب إلى السلطة في بعض الدول العربية أخذ الحديث يدور عن دور هذه القيادات العربية الجديدة في مستقبل المنطقة العربية وهل فعلاً تحمل في طياتها ملامح فكر جديد وبالتالي سياسة جديدة يمكن أن تظفى على الخيارات السياسية في المستقبل ثم إلى أي حد سوف تلعب الثقافة السياسية لدى هؤلاء الزعماء في خياراتهم السياسية على المستوى الداخلي والخارجي وكيف سوف ينعكس مثل هذه الخيارات على الخيارات الاستراتيجية على المستوى الداخلي والخارجي .

إلا أن مثل هذا التحليل ومثل هذه النظرة هي نظرة فوقية ترى أن الزعماء هم الأساس وهم المقياس وبالتالي يجب وضعهم كنموذج يمكن تطبيقه على الشعوب العربية وهذه النظرة وإن كانت تتسم بشيء من المنطقية وخاصة في منطقة يصنع فيها الرأي العام ويقاد وليس في منطقة يكون الرأي العام ذو وزن حقيقي يذكر إلا أن الواضح أن المنطقة العربية كانت تحت مطارق تغيير فكرية سياسية واجتماعية على مر نصف قرن كان من إفرازاتها المجتمع والقيادة العربية على حد سواء وبالتالي فإن دراسة المجتمع العربي وتغيره وتأثره بمثل هذه التغيرات الكبيرة يعد واحد من المداخل الحقيقية التي يمكن بها وعن طريقها تحسس التوجه الذي يسير فيه العالم العربي هذا مع علمنا وعدم إغفالنا للعامل الخارجي والذي لعب جنب إلى جنب مع عوامل أخرى في تشكيل الخريطة السياسية بالعقل العربي المعاصر جنب إلى جنب مع الموروث الثقافي والحضاري والسياسي التي مرت به المنطقة العربية .

ولكي يكون الحديث يسير على أرض من الواقع وبعيداً كان الافتراضات يمكن وبدون عناء القول بالآتي:-

أن العالم العربي بشكل عام يعتبر عالم من الشباب من الجنسين مما يعنى أن طغيان المرحلة الشبابية هي السمة الطاغية على المجتمع العربي ترقى في بعض الدول العربية لتصل ٦٥٪ من السكان هم تحت سن ٢٥ سنه وهذا يعني فيما يعنيه أن هناك قوى ومؤثرات سوف تلعب دوراً مهماً في صناعة التفكير السياسي لدى المجتمعات العربية منها :-

١ - هناك ذهنية جديدة ومجتمع جديد سوف يطرق سوق العمل بشكل مكثف وكبير وعلى أسس اقتصادية محلية ودولية جديدة سواء على مستوى التدريب الاقتصادي العالي أو على مستوى نمط النشاطات الاقتصادية الجديدة والتي تعني أن كثير من الأنماط الاقتصادية

العربية لم يعد لـها الثقل الاقتصادي السابق .

هذا لا يعني أبداً أن الجيل الجديد مستعد لهذه الأنماط الاقتصادية الجديدة سواء على المستوى الداخلي لهذه الدول أو الدولي مثل منظمة التجارة العالمية وهذا ما يجعل هذا الجيل سوف يكون في محك حقيقي على مستوى قيمة الاقتصادية أو على مستوى تأثيره السياسي في المستقبل وبالتالي فإن نمط البطالة المتفشية سوف تأتي بنمط جديد من العاطلين الذي كان تدريبهم وتهيئتهم الاقتصادية على الأنماط الاقتصادية التقليدية وبالتالي سوف يكون بعضها قوى سوف تحارب الانطلاق بشكل أو بآخر .

٢ – أن الجيل الجديد لم يعش الهزائم العسكرية الكبيرة التي تعرض لها العالم العربي إذاً هو جيل الحلم الغير واقعي أي جيل التوقعات العالية وهذا ما يجعل التعامل مع هذا الجيل أكثر صعوبة واكثر خطورة خصوصاً وأن العالم العربي في ومجمله يتعرض لضغوط اقتصادية عالية فرضتها القوى الاقتصادية الدولية وسوف تعزز هذه الضغوط المنظمة الاقتصادية الدولية التي سوف تخلق مزيد من الضغوط على الشعوب العربية مقابل تكبيل قوة الحكومات من محاولة دعم الشعوب العربية .

٣ – أن هذا الجيل لا يعرف معنى التعبئة الأيدلوجية بمفهومها السياسي البحت ولذلك فإن القيم الاقتصادية والرفاهية الاقتصادية سوف تكون الهاجس الأهم لهذا الجيل خصوصاً وأن هناك رابط كبير في ذهنية هذا الجيل بين الرفاهية الاقتصادية والقوة والثقة المعنوية وبالتالي فإنه من المتوقع أن تكون للقيم الاقتصادية وقع كبير على خيارات الجيل الجديد بدل من الطموحات الأيدلوجية التي حركة الجيل الماضي وحددت خياراته السياسية ، بل إن هذا الجيل شهد انهيار القيم الأيدلوجية واحدة تلو الأخرى على معاول الأغراء الاقتصادي الحديث .

٤ – إن الجيل الجديد لا يعرف الوجه الاستعماري أو الانبريالي للعالم الغربي بل لا يعرف إلا الوجه الحضاري المتقدم والجانب ذو البعد الانبهاري للغرب والحضارة الغربية وبالتالي فإن خيارات الجيل الجديد ومواقفه من الغرب من المحتمل أن تكون مرتبطة بهذا البعد الانبهاري وليس بقيم أيدلوجية وهذا سوف يعطي الجيل الجديد ليس فقط تبني البعد الاقتصادي الغربي بل والتسامح الأيدلوجي مع القيم الغربية في المستقبل من أجل المكاسب الاقتصادية .

من هذه المنطلقات والافتراضات يمكن القول بشكل يمكن أثاره الجدل والحوار حولة أن العالم العربي الحديث يعيش واحدة من المراحل التي تتطلب دراسة الثقافة السياسية والاجتماعية الجديدة التي سوف تكون العوامل المهمة في الخيارات السياسية والاجتماعية ليس فقط على زعماء الجيل الجديد بل الأهم على شعوب الجيل الجديد هذه الشعوب التي سوف تحسم خيارات الزعماء الجدد بشكل كبير .

ومن هذه المنطلقات يمكن فهم العمق الاستراتيجي الغربي من خلال الوسائل السياسية ثم

الأهم الوسائل الإعلامية والاقتصادية التي سوف تحدد إلى حد كبير مستقبل العالم العربي ليس من القوى العليا أو الطبقات العليا بل سوف تبدأ من قاع المجتمع العربي وليس من خلال مدنه فقط بل من خلال ريف العالم العربي الذي كان في السابق مستودع الحضارة العربية والإسلامية والتي خرج هذا المستودع ليحارب الاستعمار والتغريب أو ما عرف (بترييف المدن) أو (ترييف السلطة) إن ما يحدث اليوم هو تغريب الريف وأخراج هذا الريف إلى التعرف على القيم الحضارية الغربية

والتسامح معها عن طريق البعد الإعلامي والاقتصادي الذين سوف ينقلان الجيل العربي الحديث ويخرجانه من عزلته التاريخية ثم سوف تؤثر على الخيارات السياسية والاجتماعية للمستودع الحضاري العربي .

الهجرة الدائمة

يبرز للذهن عند الحديث عن الهجرة ومفهوم الهجرة في العصر الحديث وخصوصاً في الدوائر المعرفية والأكاديمية مفهوم هجرة الأدمغة العقول ولكون هذا الموضوع ليس ذو أبعاد إنسانية فقط بمعنى أن هجرة الأدمغة ذات أبعاد فكرية وفلسفية واجتماعية واقتصادية بل وسياسية حيث سطرة البحوث والمقالات حول الخسائر الهائلة التي تتكبدها الكثير من دول العالم الثالث من جراء الهجرات العقلية التي تنزفها هذه الدول تجاه العالم المتقدم والتي أخذت تنزف أهم الطاقات البشرية ولكون الهجرة البشرية بشكلها ومضمونها العالم حالة بشرية واجتماعية طبيعية فإن الدول المتطورة والمتقدمة والمقصد لهذه الهجرات تضع نوع من التصفية على هذه الأصناف البشرية حتى تضمن دخول أفضل الطاقات البشرية إليها حيث أصبحت الخبرات والطاقات البشرية المدربة والمتعلمة تقصد بلدان المهجر تاركتاً بلدانها نهشاً للقوى الاجتماعية الأخرى .

وبالفعل فإن شروط الهجرة التي تضعها العديد من الدول خصصت لذي الكفاءات المتنوعة حرصاً من هذه الدول على قصر الدخول والهجرة على الأنواع البشرية الأكثر جودة وإذا كانت بعض الدول نجحت إلى حد بعيد في وضع ضوابط جيدة للهجرات البشرية ألا أن بعض الدول الأخرى أصبحت أقل نجاح في وضع مثل هذه الضوابط مما جعلها عرضه لمواجهات بشرية عارمة أقل تدريب وأقل إمكانيات .

ومن الملفت للنظر أن مفهوم الهجرة ونزف العقول اليوم لم يعد قاصر على الهجرة من دول العالم الثالث إلى أوربا وأمريكا والدول المتقدمة بل أصبح وبشكل مذهل والإحصائيات ملفتة للنظر والمراقبة هذه الإحصائيات تذكر أن الهجرة أصبحت تمس القوى البشرية من الدول المتطورة إلى الدول الأكثر تطور حيث أصبحت هجرات العقول والطاقات البشرية من فرنسا على سبيل المثال إلى أمريكا وكندا شيء واضح المعالم حيث بدأت الدول الأوربية وفرنسا على رأسها تفقد أفضل عناصرها البشرية إلى الدول المتطورة وخصوصاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ولكوننا نعيش عصر المعلومات والانتقال السريع وعصر منظمة التجارة العالمية أو ما يمكن أن يطلق عليها عصر العولمة الاقتصادية والنشاط الاقتصادي حيث نشهد تزاوج الأسواق العالمية بشكل متسارع ومتسابق بين الدول فإن هجرة الأعمال والفرص الاقتصادية والأموال تجاه هذه الفرص من المواضيع التي أصبحت مراقبة اليوم بشكل ملحوظ حيث نجد العديد من الفرص الاستثمارية سواء بشقها المالي والمعرفي تذهب من دول العالم الثالث إلى الدول الأكثر تطور في أوربا ومن أوربا الأكثر تعقيد وبيروقراطية إلى دول اكثر حرية ومرونة في الولايات المتحدة الأمريكية ومن الولايات المتحدة الأمريكية الصارمة في مواضع القوانين والأمن الصناعي

والقوانين الصناعية والقوانين استثمارية إلى دول جنوب شرق آسيا مثل تايوان وهونغ كونغ الدول الأكثر مرونة من ناحية القانونية والمرونة الاستثمارية بمعني آخر أن هجرة المال والفرص الاقتصادية والاستثمارية أصبحت تعامل معاملة مفهوم هجرة العقول البشرية التي أصبحت تشكل طاقات هائلة و تموجات بشرية تنتقل من مناطق جغرافية وثقافية معينة الى مناطق أخرى.

وإن الناضر والدارس لدول العالم الثالث والعالم العربي جزء منه فإنه لا يجد كثير عناء من مشاهدة الضعف المتلاحق الذي تعيشه هذه الدول بشكل عام من جراء تزامن العديد من عوامل الضعف والإضعاف حيث نجد أن العالم العربي يعاني بشكل حقيقي من :-

أولاً : هناك هجرة أدمغة يعانيها العالم العربي بشكل واضح وعلى مرحلة زمنية طويلة أملتها الأبعاد الاقتصادية والسياسية في العديد من الجوانب وقد أشبع هذا الموضوع بحثاً وتقصي وكانت جزء من أسباب هذه الهجرات واضحة ومنها هيكلية اقتصادية حيث ان الهيكل الاقتصادي لدول العالم الثالث يضع سقف أو حد أعلى لا يمكن أن يصله الفرد الطموح في دول العالم الثالث بينما سوف يجد ان الحدود للطموح الاقتصادي هي غير منتهية بسبب تطور وسائل الانتشار والتسويق والتسهيلات والتوسع . وبعض جوانب هذه الهجرات ارتبطة بأبعاد سياسية يمكن فهما وتفسيرها.

ثانياً : هجرة الأموال والفرص الاستثمارية حيث أن العالم العربي يعد بحق من اكثر مناطق العالم طرد للأموال والفرص الاستثمارية وهنا تضافرت العديد من العوامل سواء لعدد العمالة الوافدة التي يشكل تحويلاتها المالية جزء مهم أو للحركة الاستثمارات المرتبطة بالسلع الترفيهية وليس بالسلع الإنتاجية او بعملية السياسة التي مرتبطة بالأبعاد الاجتماعية والبنية والبيئة الاجتماعية ولكن الأهم يبقي هو هجرة الاستثمار والأموال والذي يعد بحق واحد من العوامل التي تحتاج الى إعادة تفكير ومرونة في وضع أسس يمكن بها أغراء وتشجيع رجوع مثل هذه الأموال المهاجرة واستثمارها في البيئة الاقتصادية المحلية.

ثالثاً : إن دول العالم الثالث تعاني من الهجرة الداخلية أو الاغتراب الداخلي حيث نجد العديد من الطاقات البشرية سواء العقلية أو الاستثمارية نجد أنها تتقوقع وترضى باليسير وتتنازل عن طموحاتها مقابل التعامل مع الوضع القائم بكل تناقضاته وحيثياته راضية بهذا التقوقع لاسباب وطنية بحتة او أنها لا تستطيع ان تتخيل أنها تعيش خارج دائرة الوطن والرحم الاجتماعي التي عاشته في مراحل حياتها المختلفة ومن هذا المنطلق فان استنهاض الطاقات البشرية المعطلة يعد بحق واحد من التحديات التي تواجه دول العالم الثالث ودول العالم العربي في المستقبل .

السياسة وافتقاد الخيال

ارتبط مفهوم الخيال عند العقل العربي باللاواقعية واللاممكن، ولكن الخيال في المفهوم الغربي أرتبط بالقدرة على الإبداع والتجديد والقدرة على النظرة المستقبلية، ولذلك فإنك عندما تمعن في تصور المستقبل فإن ذلك يعني عند العرب أنك تمارس الحلم، بينما يعني عند العالم المتطور تمارس التفكير والتعمق، ولم يفشل العقل العربي أكثر من فشله في استخدام الخيال السياسي، وكان ذلك واضحاً وجلياً عبر التاريخ العربي الحديث، حيث نجد أن قام وسار في طرق في غير مصالحه وفي غير مراده، والذي يرجع إلى أن النظرة المبسطة والسطحية كانت دائماً تلف المحتوى العام للتفكير السياسي العربي. وهذا يمكن أن يطلق عليه انعدام الخيال السياسي أو الافتقار إلى الاستراتيجية، وهي في الواقع عبارة عن إعادة رسم خريطة الخيال السياسي.

واليوم والعالم العربي يواجه حرب محتملة إن لم تكن قد قامت بالفعل مع نشر هذا المقال هذه الحرب التي تعني حضوراً أمريكياً وغربياً من نوع جديد لم تعد فيه القوى المحلية والتحالفات الإقليمية كافية بل لا بد من الحضور المباشر من أجل إعادة ترتيب المنطقة من جديد، لم يعد مهم اليوم التعاون الثقافي بين بعض الدول الغربية وبعض الدول العربية فإن مثل هذا التعاون هو تعاون مرحلي وقائم على الحظ والتماسك غير الدائم ومثل هذا الموقف لا يروق للعقل السياسي الغربي، حيث تقضي سياسته الخارجية بوجود واقع لا يقوم على الحظ أو يعتمد على المصادفة، إن السياسة الغربية والأمريكية اليوم تريد من سياستها الخارجية في منطقة الشرق الأوسط أن تقوم على الواقع الغير قابل للتغيير السريع وواقع يكون من الوضوح بحيث أن تغييره يتطلب وقت كبير وجهود كبيرة مما يعني الحصول على الوقت الكافي والجهد القليل من أجل إيقاف التغيير للواقع الجديد المراد إيجاده.

إن الخيال الغربي لا يريد أن يعتمد على قوى ودول عربية يكون لها من القوة والمكانة الجغرافية ما يمكن أن يؤثر بتركيبة المصالح الغربية والأمريكية، أي أن السياسة الأمريكية لا يمكن أن تقوم على علاقات بين دول يمكن أن تقول لا في المستقبل وإنما تريد واقع جديد لا يستطيع أن يقول لا حتى وإن رغب في ذلك، أي أن الواقع الجديد لا يكون قابل للتغيير تبعاً لأمزجة ورغبات مرحلية فإن الواقع المراد تحقيقه يستطيع إيقافها وإجهاضها.

إن العقل السياسي الأمريكي كان دائماً أكثر تطوراً مقارنة في العديد من المناطق من العالم ليس فقط لأن كم ونوع المعلومات المتوفرة لصانع القرار السياسي الأمريكي هي من الوفرة والدقة والتنوع ما يجعله أكثر قدرة على الإبصار والتحديق بشكل أكثر دقة وصفاء، ولكن أيضاً

أن لأدوات المتوفرة لصانع القرار السياسي الأمريكي من أجل تنفيذ هذه السياسات هي من التنوع والقوة والتعدد، حيث أن البعد لإعلامي والسياسي والعسكري والاقتصادي والنفسي والبشري والتقني بالإضافة إلى حزمة من الأدوات المتنوعة التي هي متوفرة في يد متخذ القرار الأمريكي من أجل تحقيق الأهداف والإبقاء عليها.

إن أكثر العناصر اليوم التي نشاهدها في تطور العقل السياسي الأمريكي هو الخيال السياسي والتصور المستقبلي للحدث والنتائج حيث أن الخيال السياسي وما يدعمه من أدوات التنفيذ تجعل راسم ومنفذ السياسة الأمريكية يعمل وكأن المقاومة لهذه السياسة غير موجودة بفعل الخيال التجديدي في هذه السياسة أي أن العمل السياسي الأمريكي يعمل في بيئة جديدة على مستوى العقل والتصور مما يجعل الخصم غير موجود، وذلك يرجع إلى أن الخصم المحتمل يعمل في بيئة خيالية قديمة وذهنية سياسية متآكلة، بينما يعمل السياسي الأمريكي على مستوى فكري وتصور سياسي جديد، مما يعطيه القدرة على والخيال والحرية والحركة من العمل بدون مقاومة حقيقية تذكر.

خذ على سبيل المثال المفهوم الاستراتيجي فإن الاستراتيجية الأمريكية اليوم في الشرق الأوسط يطغي عليها التضليل والتغطية بمفاهيم ومفاتيح سياسية قديمة بينما يبقى جوهرها ذو بعد خيالي تجديدي حيث أن دخول القوة الأمريكية إلى العراق تعني واقع جديد تسمح للولايات المتحدة فيه ومن خلاله إيجاد واقع جديد تعمل فيه في بيئة سياسية جديدة. بينما يبقى العقل العربي العمل على إرجاع الوضع إلى سابق عهده ومحاولة إيقاف عقارب الساعة ، وهذا السلوك من العرب طبيعي لأن النظرة الجديدة والخيال السياسي الجديد والتصور الجديد الذي تعمل به السياسة الأمريكية هو غير معروف وغير مفهوم، ولذلك فإن العقل العربي يعمل على الركون إلى المعروف وهو الواقع القديم.

ومن هذا المنطلق يأتي مفهوم الاستراتيجية وحضورها وتوفرها لدى الطرف المخطط والفاعل، بينما تأتي اللاإستراتيجية واللاتخطيط لدى المتلقي والمفعول به ولذلك فإن النداء القوي لوجود استراتيجية كان دائماً نداءاً مخلصاً وصادقاً.

إن ابتعاد العرب على المستوى الرسمي والعلمي والإعلامي عن الساحة الأمريكية دفعهم إلى الزوايا المظلمة في فهم الخيال السياسي الأمريكي بشكل يجعل العالم العربي يعيش في عالم بعيد عن الواقع المعاش أو الواقع المستقبلي والذي هو نتاج للخيال السياسي.

هذا الابتعاد الرسمي والإعلامي والعلمي والمعرفي عن الساحة الأمريكية والذي تقول كل المعطيات أنه سوف يزداد وسوف يجعل العالم العربي في موقع بعيد عن فهم ما يجري أو ما سوف يجري في العراق ثم المنطقة العربية برمتها. إن الخيال السياسي الأمريكي اليوم الباحث عن النفوذ والقوة في المنطقة العربية والنفط وأمن إسرائيل لن يهدى أو يرتاح إلا عندما تكون

لديه سياسة خارجية واستراتيجية تقوم على الواقع وليس على الحظ، أي سياسة خارجية تفرض قوانينها وارتباطاتها واستقرارها في المنطقة العربية وأن لا تكون هذه السياسة وهذه الاستراتيجية قائمة على تحالفات ثنائية أو جماعية وإنما يجب أن تكون قائمة على المفهوم الضعف الجماعي أي أن الوطن العربي يقوم على قوة ضعيفة وغير قادرة على الفعل والتفاعل وأن القرية العالمية التي أُوحت إلى توحد العالم لم تعد تناسب الدول العربية، والتي يجب إيجاد القرية الإقليمية القائمة على دولة إقليمية صغيرة داخل المحيط العالمي أي أن التكتل السياسي والاقتصادي العربي لا يمكن تطبيقه وإنما يجب أن يكون العالم العربي قائم على دول صغيرة تعوم في المحيط العالمي وليس محيط إقليمي يعمل داخل المحيط العالمي.

إن الدعوة إلى فهم الخيال السياسي الغربي والأمريكي اليوم لم تعد دعوات غير ملحة أو دعوات غير صادقة أو غير هامة وبدون هذا الفهم للعالم الغربي فسوف يبقى العالم العربي يلاحق نتائج الخيال السياسي الغربي لقرون قادمة على شاكلة الثورة العربية الكبرى بينما معاهدة سايكس بيكو تجري خلف الأبواب ونكبة ١٩٤٨م بينما يجري تقسيم الدول العربية وحرب ١٩٦٧ بينما يعتقد العالم العربي أنه يحقق الاستقلال، وعام ١٩٧٣م بينما يعتقد العالم العربي أنه يحقق الانتصار وعام ١٩٩٠م بينما كان العالم العربي يعتقد أنه يعيش حالة الصحوة والتحالف الأزلي وعام ٢٠٠٣م بينما يعتقد العالم العربي أنه يعيد مفهوم التضامن العربي.

دبلوماسية بدون قوة عسكرية دبلوماسية فاقدة القدرة

شكلت حالة الأزمة الأمريكية العراقية واحدة من أكثر الحالات وضوح في مفهوم الطرح الدولي وعوامله المؤثرة فيه، حيث تحجب إن استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أبعاد أهدافها الحقيقية عن الأنظار، وأهدافها الحقيقية عن التداول وحصرت الطرح حول مفهوم أسلحة الدمار الشامل العراقية، وإن كان ذلك صحيح أو حتى غير واقع فإن الولايات المتحدة الأمريكية استطاعت وبنجاح أن تجعل سبب غير مهم سبباً جوهرياً بخوض الحرب ضد العراق.

ولكن الدرس المستفاد من هذه الأزمة هو أن الدبلوماسية وكل ما يمكن أن تقوم به الدبلوماسية لا يفيد إذا افتقدت هذه الدبلوماسية القوة العسكرية الكافية لأخذ هذه الدبلوماسية على محمل الجد أو أن تحقق الدبلوماسية أي نتائج مهمة، وبالفعل حيث استطاعت الدبلوماسية الأمريكية ذات المنطق الضعيف وعدم التماسك والمتناقضة حتى داخل الإدارة الأمريكية، أقول استطاعت هذه الدبلوماسية أن تقف على قدميها وأن تنتصر على الدول الأخرى صاحبة المنطق الدبلوماسي المتماسك والقوي مثل ألمانيا وفرنسا وروسيا، ولكن لم تكن مسنودة بقوة عسكرية ضاربة قادرة على دفع الدبلوماسية للنصر، ومن خلال الأزمة الحالية تكتشف أن الجيش الأمريكي القوي والفاعل كان أمضى أسلحة الدبلوماسية الأمريكية على أروقة الأمم المتحدة والعواصم العالمية، بل أن القوة العسكرية الضاربة جعلت من الدبلوماسي الأمريكي هو أكثر قوة وجراءة على وضع الحقائق المقلوبة والمواقف الضعيفة إلى حقائق قوية ومواقف أكثر قوة.

وعلى الجانب الآخر تكشف ألمانيا بشكل لا يدع مجال للجدل الكبير أن الدبلوماسية الألمانية التي حملت على عاتقها الدفاع عن المصالح الاستراتيجية الألمانية غير قادرة على فعل العمل الكافي لتحقيق النتائج حيث نجد أن الدبلوماسية الألمانية اليوم مسنودة بقوة صناعية مدنية حديثة وهذه لم ولن تكون كافية لإيصال وجهة النظر الألمانية إلى أي حقل دولي أو أي عاصمةعالمية في المستقبل القريب.

إذا كان هذا يصدق على ألمانيا فكيف هي الحال على فرنسا وروسيا وهما الدولتان النوويتان وصاحبتا قرار الفيتو أو حق الاعتراض في مجلس الأمن إن قدرت هاتين الدولتين العسكرية المتواضعة مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية هي قادرة على إيقاف استخدام الأمم المتحدة الأمريكية من قبل الحكومة الأمريكية، ولكنهما غير قادرتين على إيقاف انهيار الأمم المتحدة أو

بنائها من جديد أو أي تنظيم دولي آخر أو حتى قادرتان على إيقاف الحرب. إن القوة العسكرية الفرنسية والألمانية هي من القوة والأهمية للدفاع عن أراضيهما ورقعتيهما الجغرافية، إلا أن هاتين القوتين سوف تكونان أقل فاعلية عند مقارنتهما بالقوة الأمريكية على المستوى الدولي، بمعنى آخر آن هاتين القوتين النوويتين فرنسا وروسيا اليوم تستطيعان استخدام قوتهما العسكرية من أجل الدفاع عن دولتيهما فقط، ولكن ليس لبناء أو الاشتراك بنظام دولي جديد في المستقبل تنفرد اليوم الولايات المتحدة الأمريكية بزعامته ونفوذها الغير مسبوق من قبل أي دولة عبر التاريخ.

إذاً الدرس الذي يمكن الخروج به هو أن الدبلوماسية ليس لها فاعلية في غياب قوة عسكرية قادرة على تحويل هذه الدبلوماسية إلى قوة ضاغطة وفاعلة، وبالفعل فإن الموقف الألماني والفرنسي والروسي سوف يبقى مواقف دبلوماسية غير قادرة على الفعل والتفاعل بدون قوة عسكرية أو مع هذه القوة العسكرية الأمريكية الضاربة.

ومن جانب آخر فإن موقف الدول العربية يوضح هذه الفرضية بكل وضوح وجلاء حيث يتمثل الموقف العربي بالتناقض والضعف الهائل بل أن الدول العربية في مجملها غير قادرة على فعل أي شيء حيال هذه الأزمة والتي تعصف في المنطقة العربية والدول العربية غير قادرة على فعل أي شيء حيال القضية الفلسطينية من قبلها ومن بعدها، وذلك راجع إلى أن كل هذا العمل الدبلوماسي الهائل تقوم به اليوم وفي السابق لم ولن يكون له فائدة طالما أن الدول العربية ضعيفة على المستوى العسكري ، وطالما أن الدول العربية تكدس الكم الهائل من الأسلحة الدفاعية عديمة الجدوى والفائدة في أي صراع دولي، وفي المقابل نجد أن إسرائيل تركز على أسلحتها الهجومية الضاربة والقادرة على ضرب الخصم في عقر داره، ولذلك فإن ترسانتها العسكرية التقليدية منها وغير التقليدية دفعت إلى قوة دبلوماسية ضاربة ليس فقط على الدول العربية بل وفي أكبر وأهم العواصم العالمية، إذاً القوة العسكرية الهائلة هي القوة القادرة على دفع الدبلوماسية لتحقيق النتائج.

والملفت للنظر والمراقبة هو أن الدول العربية الصغيرة والضعيفة هي أكثر الدول فاعلية على المستوى الدبلوماسي اليوم وخصوصاً في الأزمة العراقية الأمريكية، خصوصاً وأن دبلوماسيتها تتمتع بقوة عسكرية أمريكية رابضة على أراضيها، ولذلك فإن الدول العربية الكبيرة لم تكن ذات فاعلية على المستوى الدبلوماسي والسياسي، وذلك لفقدانها القوة العسكرية بينما نجد أن القوة العسكرية الأمريكية دفعت القوة الدبلوماسية للدول العربية الصغيرة إلى مقدمة العمل والنجاح، بينما نجد أن الدول القائدة تراجعت إلى الصفوف الخلفية بفعل وبفضل القوة الأمريكية الرابضة والمساندة لدبلوماسية الدول العربية الصغيرة.

يبقى أن نتساءل في نهاية هذا المقال ... إلى أين تقود مثل هذه الاستنتاجات في المستقبل، من

حسم وأن تسلح هذه الدول منفردة لكن يكون ذا جدوى أو فائدة وإنما يجب أن يكون في إطار تعاون إقليمي حتى وإن كان على حساب القوة الوطنية أي أن ألمانيا سوف تندفع إلى التسلح، وفرنسا وروسيا، سوف تصلان إلى نتيجة مفادها أن التسلح والقوة الوطنية غير كافية ولابد من تسلح في إطار إقليمي أوربي كامل.

أما على صعيد الدول العربية فإن مسألة التسلح هذه لم تطرح بعد ولن تطرح في المستقبل لأن مثل هذه المسألة بحاجة إلى إطار إقليمي يحمي هذه السياسة التي تدفع إلى تسلح هجومي وبدون هذا الإطار التعاوني الإقليمي فلن يكون هناك سياسة أو استراتيجية قادمة، ولذلك فإن العرب بفعل وضعه الإقليمي ووجود إسرائيل والسياسة الأمريكية سوف يعيش يكون ضعف وأكثر تمزق لفترة قد تزيد بكثير عن أكثر المتشائمين تطويراً وتقديراً.

الابتعاد عن الانهزام الحضاري

لقد مني العرب بسلسلة من الهزائم العسكرية لفترة زمنية تزيد عن الثمان قرون. منذ هذه الفترة الزمنية أو تزيد والمنطقة العربية والتي هي مهد الديانة الإسلامية تعيش حالة من الهزائم العسكرية المتوالية كانت على يد القوة العثمانية، والتي كانت ذات بعد إسلامي، أو على الأقل غازي إسلامي مما جعلها أقل حدة على العالم العربي، هذا الغزو الذي أمتد لفترة تزيد عن الخمس قرون ومنذ سقوط هذا الغازي الإسلامي للمناطق العربية، أصبح الغازي الجديد هو العالم الغربي بحضارته القوية والمغايرة، ومع حركة الاستعمار الغربي كان العالم العربي والإسلامي يمني نفسه بنفض غبار التخلف الذي أحدثه البيات الشتوي التركي الطويل على المنطقة العربية، ولذلك فإن حركات التحرير والنهضة العربية والإسلامية أخذت بعض التوجهات والتبلور ولكن كلها أصيبت بالفشل الذريع والقوي، وذلك لاعتمادها الجدل الذهني غير المربوط بالبعد العملي والإجرائي. وحدها حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي أرتكت بقوة نظام سياسي قوي ومتماسك مع قدرة اقتصادية نفطية كبيرة استطاعت حمل الفكرة الإسلامية إلى أصقاع الأرض، ولم يشهد الإسلام انتشار وحضور في جميع أصقاع الدنيا مثل ما شهدته هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي، إلا أن البعد الجدلي والعقائدي للحركات الإسلامية منذ مرحلة نهاية الدولة العثمانية وما قبلها كانت ذات بعد حركي عقائدي وفكري وليس ذات بعد نهضوي حضاري مادي. أي أن التجربة التاريخية الإسلامية في التوسع والفتوحات الإسلامية أعيد تشكيلها بشكل حضاري، ولكن بنفس الإطار الفكري والفلسفي، إلا أن هذه الحركات التصحيحية لم تستطيع استيعاب تغير الزمان والمكان والقوى بحيث أن مفهوم الجاهلية القديمة والجديدة ومفهوم دار الحرب والسلام لم يعاد تشكيل مفاهيمها الرمزية والعسكرية إلى الدرجة أن العديد من تابعي هذه الحركات الفكرية والتصحيحية لم يشعروا أن هناك فارق زمني أو معرفي أو فلسفي أو حتى دولي بين تجارب الإسلام الأول والتجارب الحاضرة، ولذلك فإن الخيال الفكري السياسي والعسكري للتعامل مع الواقع الحديث ومعطياته الجديدة كان بعيد عن الاستيعاب الفكري لهذه القوى الجديدة.

وبالفعل فإن الفكر العربي والإسلامي ولضمان الارتباط بالروح التاريخية أصبح يستنسخ ليس فقط البعد الفكري، وهذا مقبول، ولكن بدأ يستنسخ نفس أدوات العصر القديم واستراتيجيته للعمل ضمن معطيات تاريخية جديدة ومرحلة عسكرية وسياسية حديثة جداً.

واليوم وبعد معارك متواصلة ومتعددة الأماكن والأزمان عبر أكثر من قرنين من الزمن والعالم العربي يعيش حالة التيه العملي، ونحن اليوم على أبواب فصل جديد من فصول الفشل العربي المتواصل تكشف أن هناك حالة من القنوط والانهزام الهائل على المنطقة العربية وعلى ومستقبله.

إن المحدق بالتاريخ العربي والإسلامي الحديث يستطيع رغم العديد من العوائق والتشابكات التاريخية الهائلة التعقيد، أن يرى أن هناك بعد فكري فلسفي، وبعد إجرائي عملي وأن هاذين العاملين هما مهماز الحركة والتطور.

أولاً . . . البعد الفكري : للعالم الإسلامي والعالم العربي جزء منه بعداً فكرياً وحضارياً يجب أن لا يصله اليأس والقنوط، ويجب أن لا يصاب بحالة من الانهزام والإحباط لأن ذلك لو حدث فإن هذا يعني نهاية الأمة ونهاية الدور الحضاري. وأن الغرب اليوم يقوم بعمل كبير وجبار من أجل العمل على الهزيمة الحضارية للأمة الإسلامية والعربية وإن حدث ذلك فإن الغرب سوف يعاملنا نحن العرب والمسلمين مثلما يتعامل مع الأمم التي هي بدون حضارة وبدون بعد تاريخي. وأن هناك العديد من الدوائر الفكرية والدينية والغربية لا تنظر إلى العالم الإسلامي سوى من المنظور الاحتقاري والاستخفافي والتكذيبي للعالم العربي والإسلامي كمهد لواحدة من أكثر الحضارات إشراقاً في مرحلة من المراحل التاريخية، ولذلك فإن العمل على عدم الانهزام الحضاري يعد واحدة من أكثر المهام الملقاة على عاتق العالم الإسلامي بمفكريه وسياسية ورجال أعمال وعامته. وان الصمود الحضاري يعد الخط الأخير لهذه الأمة من الذوبان الحقيقي والنهائي في المحرقة التاريخية، وهذا لا يعطيها أبداً الجمود الفكري بل العكس يعني الديناميكية الفكرية المطلوبة لصنع الانتصار الحضاري.

ثانياً . . . البعد الإجرائي : وهذا البعد يعني التعامل بواقعية وموضوعية مع المرحلة التاريخية من أجل القدرة على التفاعل مع المرحلة التاريخية بكل أبعادها الفكرية والسياسية والجغرافية وان هذا التعامل الإجرائي سوف يجعل العالم العربي والإسلامي في موقع أقل صدامية مع القوى الدولية القوية والطاغية، وأن عدم التفهم للعمل الإجرائي الآني والزمني سوف يخلق مزيد من الهزائم والإحباط للعالم العربي والإسلامي.

لقد عاش العالم العربي والإسلامي حين من الدهر تلقى فيها العديد من الهزائم المتوالية بفعل هاذين العاملين، إعادة استنساخ التاريخ من حيث العمل والتكنيك، وجمود العمل الإجرائي للأبصار والتحديق بعمق عن إختلاف المرحلة التاريخية وأدواتها الحضارية والفلسفية، ولذلك فإن هذه الهزائم المتوالية سوف تدفع إلى التساؤل والتعمق عن سبب هذه الهزائم المتوالية.

إن الركائز الفكرية والعقائدية هي مدلولات بقاء الأمة من فنائها ولذلك فإن هذه لركائز لا بد منها وبقائها والتمسك بها، وبدون ذلك فإن الأمة لا تصبح أمة بعد أن تتخلى وتترك ركائزها ومنطلقاتها. ولكن المطلوب هو إعادة التفكير في آلية عمل ومنهجية إبقاء هذه الركائز وإيصالها إلى الأطراف الأخرى، ومن أجل الإبقاء على هذه الركائز وإيصالها للأطراف الأخرى لابد من آلية البقاء، وآلية البقاء تعني إعادة منهجية استخدام أدواتنا وآلية التعامل مع هذه الأدوات، ثم آلية التعامل الإجرائي بين أجزاء الأمة الواحدة من جانب، ومع الأطراف الخارجية من جانب آخر، في إطار فكري فلسفي يستوعب المرحلة الزمنية وتشابكها الفكري والفلسفي والبشري واقتصاديات المرحلة وتوازن قواها السياسية والعسكرية.

إعادة صياغة الصراع

إن الحملة الأمريكية والبريطانية على العراق شكلت التأكيد الهائل على أن النظام الدولي عاش مرحلة التحول الكبير من ثنائي القطبية إلى أحادي القطبية، وأن مرحلة جديدة من الصراع آخذة تتشكل اليوم في العالم أحد حلباتها ومناطق صراعها العالم العربي، المنطقة الغنية بالنفط الهام والحيوي للعالم أجمع والصناعي منه على وجه الخصوص. إذن المنطق الطبيعي هو القول أن الصراع آخذ يتشكل بشكله الجديد، وأن العراق هو البداية والمدخل لهذا الصراع.

إن المعالم الواضحة في هذا الصراع هو التفوق العسكري الهائل الذي يجعل دول المنطقة تعيد حساباتها وتعيد ترتيب أولوياتها الاستراتيجية السياسية والفكرية مع هذا التفوق الغير مسبوق في الآلة العسكرية الأمريكية، والمحملة في هذه المرة بتوجهات فكرية ومسلمات سياسية تسعى من خلالها إلى تأكيد حضورها السياسي والاقتصادي لواحدة من أكثر مناطق العالم إحتياطاً بالنفط.

وإذا كان هناك تسليم بالتفوق العسكري والسياسي الأمريكي على منطقة الشرق الأوسط والتفوق الإعلامي الهائل على هذه المنطقة فإن هذه العوامل كان نجاحها وتفوق الآخرين بها كنتيجة طبيعية لعوامل داخلية في الوطن العربي، ومن هذه العوامل التي يمكن رصدها وفهمها هي :

أولاً . . . أن اعتماد النظام الديكتاتوري والتسلطي على الشعوب لم يعد عاملاً بنائياً، ومن خلاله يتم شحذ الهمم والقوة. بل أن حالة العراق أثبتت أن الدكتاتورية العنيفة كانت وما زالت أكثر عوامل الانهيار والهزيمة. وأن مفهوم القائد الملهم والزعيم الموهوب والمخلص والمنقذ والباني الفذ أصبحت من مخلفات التاريخ السياسي القديم، وان العالم العربي بشعوبه كانت آخر المناطق التي بدأت تكتشف هذه الحقيقة الواضحة للعالم أجمع، وان الدكتاتوريات العسكرية وغيرها لا تعمل إلى على جر الشعوب من حرب إلى أخرى، ومن مأزق اجتماعي إلى آخر، ومن تهميش اجتماعي إلى آخر.

وأن طبيعة الأنظمة الديكتاتورية تخلق وتنتج جيش من المنافقين بفعل الخوف أو الطمع وان النفوس الكريمة والعناصر الوطنية المخلصة التي يمكن الاعتماد عليها لا تخضع ولا تستطيع أن تعيش مفهوم الإذلال وهدر الكرامة تحت مفاهيم وطنية أو قومية أو غيرها وأن تصنُّع الوطنية تحت الخوف والرعب من النظام الدكتاتوري هو مخادعة وغير حقيقية لأي نظام سياسي يمكن أن يعيش في المستقبل.

ثانياً . . . أن الواضح أن كرامة الإنسان وإهانته كانت ذات أنماط وثيق بمفهوم الديكتاتورية ومرتبطة بالزعيم الملهم والقائد الفذ إلى الدرجة التي ارتبط بها التاريخ العربي والتركيبة النفسية لدى العربي والمسلم بالقائد المخلص والزعيم المنقذ وأن هذه العقلية وهذه الذهنية لم يتوصل الذهن العربي لبطلانها وقدمها وأنها لم تعد ذات أهمية حقيقية وأن الأمور مرتبطة بالنهضة الاجتماعية الجامعة أي نهضة المجتمع ككل وليس قائم على بقاء الزعيم والقائد الملهم، ولذلك فإن من يفكر بأن الزعيم سوف يقوم بإنقاذه وتخليصه من براثن التخلف فإنه إنسان يفتقد ليس المعرفة فقط بل وحتى الثقة بالذات وأن النظام السياسي أي نظام سياسي يقوم على إهدار كرامة الفرد وضرب قدراته على العمل هو نظام لن يستطيع بناء مجتمع سوي يستطيع أن يقوم في وجه الأعداء والعواصف السياسية العسكرية.

أن تحقيق كرامة الفرد وحفظ هذه الكرامة سوف تكون أحد عوامل النهضة وعنصر من عناصر التنمية والاستقرار والدفاع عن الوطن والدين وان إهدار كرامة الإنسان ومكانته سوف يعمل على هدم وإخفاق النهضة وإفشالها.

إن كرامة المجتمع رجل وامرأة وطفل هو المحك الحقيقي وحجر الزاوية في أي نهضة اقتصادية أو سياسية أو نفسية ممكنة وبدونها فإن الفشل هو الناتج الطبيعي.

ثالثاً . . . أن أكثر ما يضعف المجتمعات بكل أنحاء العالم هو الابتعاد عن استخدام العقل والتبصر بكل مناحي الحياة، وأن أمة لا تمعن العقل وتستخدمه وتبتعد عن العاطفة والمفاهيم الموغلة بالهرطقة والمفاهيم الماورائية فإن مثل هذه الأمة لن تعمل إلا على تأكيد العجز وعدم العمل، إن التحدي اليوم هو أن الإنسان مطالب باستخدام عقله في فهم ما يجري حوله بدلاً من التوجه إلى الماورائيات.

وأن هذه المنهجية الماورائية والعاطفية المتخلفة في التفكير والأسلوب في الفهم تفتح المجال لأنصاف المتعلمين بل وأحياناً الجهال أن يصبحوا هم نجوم المجتمع ومحدثيه وقادة الرأي العام والمؤثرين فيه، ولذلك فإن أكثر الناس غوغائية وأكثرهم ابتعاد عن العقل وأقلهم تجربة وأكثرهم تخلف يصبحون هم من يقودون الرأي العام ويحركونه ويشكلونه ولذلك فإن هذا الوضع المقلوب كان سبب الهزائم وسوف يكون سبب هزائم مقبله.

رابعاً . . . أن التركيز على العلم والمعرفة سوف يكون أحد مفاتيح النهضة الاجتماعية والسياسية الاقتصادية والصحية وان العلم الحقيقي هو القادر على غربلة المجتمع العربي والمسلم وفرزه من أجل إعطاء الكرامة والحرية للإنسان بعلمه وعقله وأن العلم كذلك هو القادر على تحديد الفكر وتعامل العقل مع الواقع بكل أبعاده والابتعاد عن الفكر الخامل وعزله عن المجتمع، وأن العلم والعلم وحده قادر على عزل القوى التي تعمل على انتشال المجتمعات العربية وتنميتها تحت أي مسمى وتحت أي مبرر.

العالم وحده وكرامة الإنسان قادران على خلق إنسان قادر على التعامل مع محيطه الفكري والاجتماعي بشيء من الحرية والكرامة والندية وأن فكر المخلص والمنقذ قد ولى ولم يعد له مكان في الفكر الجماعي، وأن العالم العربي والإسلامي يعلم أن إبعاد العقل والتخلي عنه هو أحد أهم عوامل جر المجتمع العربي والإسلامي إلى حروب خاسرة ومواجهات فاشلة وتحركات انتحارية تقود الأمن والأوطان إلى الذل والنهاية.

لم يعد هناك مجال للمجاملة والمزيد من المجاملات في القول بان العقل والعلم هما عوامل النهضة والكرامة وأن كرامة الإنسان وحقوقه تؤخذ بالعلم النافع والعقل الراجح وان الزج بالمجتمعات العربية والإسلامية في مغامرات لأهداف شخصية أو أهداف متخيلة وغير عقلانية وغير واقعية أصبح حالة من الانتحار الجماعي، نرجو أن يكون عقلاء القوم وراشديهم أن يوقفوا هذا الانحدار العميق والمتكرر وانه آن الآوان لقول الحقيقة ولم تعد المجاملة وسيلة من وسائل الحياة ولم تعد المجاملة وسيلة من وسائل صناعة المستقبل.

الإعلام الغربي.. النجم الذي هوى

لكل حرب نتائج مباشرة وغير مباشرة، ولعل من أهم نتائج هذه الحرب، حتى وإن انتصرت الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا هو المتوقع، إلا أن نهاية الاحتكار الإعلامي الغربي كان واحد من أكثر هذه النتائج وضوحاً ومباشرة، حيث أثبتت هذه الحرب سقوط احتكار الإعلام الغربي بشكل هائل ومذهل ومن يقارن حرب الخليج الثالثة بحرب الخليج الثانية، يجد الفارق الهائل من حيث مفهوم التغطية الإعلامية، ونوعية المشاهد، ونوعية المصدر، كان المشاهد العربي والمسلم لا يصدق إلا ما تقوله المحطات الغربية، وخصوصاً الأمريكية والبريطانية، حيث أن المشاهد العربي فاقد الثقة بكل ما تقوله أي محطة أو مؤسسة إعلامية عربية، ومنذ تلك الحرب إلى هذه الحرب نجد أن المشاهد العربي والمسلم فقد الثقة بكل ما هو غربي للأسباب التالية :

أولاً : أن الاستراتيجية العسكرية الأمريكية والبريطانية قامت على العامل النفسي أي محاولة إرهاب العرب، وبث الرعب والخوف في نفوسهم حيث كانت استراتيجية الصدمة والرعب لم تكن استراتيجية عسكرية فقط بل كانت في جزء كبير منها أنها كانت ذات بعد نفسي من أجل إعلان الاستسلام حتى قبل أن تقوم المعركة، وكان لهذه الاستراتيجية ذراعها العسكري الطويل وخصوصاً في إطلاق الصواريخ الطويلة والمتوسطة المدى من كروز وتوماهوك، واستخدام بعض القاذفات من طراز B52و B2من أجل بث الرعب الداخلي الفعلي، ومن جانب آخر كان هناك أطنان من المنشورات التي تم إلقائها على العراقيين في كل أنحاء العراق، وخصوصاً في الجنوب العراقي، وكانت هذه المنشورات تمني العراقيين بالسعادة والحياة الرغيدة.

إلا أن كل هذه العوامل لا يمكن أن تكتمل دون أن تكون مدعومة بوسائل إعلامية فعالة وقوية على الطريقة النازية هذه المرة، حيث أصبحت وسائل الإعلام الغربية جزء من الدعاية العسكرية لوزارة الدفاع الأمريكية ، حيث ذهبت كبرى الشركات الإعلامية والتي كانت تتمتع بقدر كبير من الاحترام والمصداقية إلى أن تكون جزء من الصدمة والرعب، وليس جزء من العمل الصحفي الباحث عن الحقيقة والعمل الصحفي والإعلامي النزيه.

إنها من المرات القليلة التي يهوى فيها الصرح الإعلامي الغربي بهذه السرعة المذهلة، حيث نجد أن استخدام الوسائل الإعلامية ذات السمعة العالمية كجزء من الاستراتيجية العسكرية الأمريكية في حربه ضد العراق كان واحد من أكثر الوسائل الغربية تأثيراً على المجتمعات العربية، إن عدم تقدير الصحافة الغربية لفشل التكتيك للاستراتيجية العسكرية الأمريكية لم

يعد فشل في تكتيك الاستراتيجية العسكرية فقط والتناقض داخل وزارة الدفاع الأمريكية بل أنه انهيار وفشل في الوسائل الإعلامية الغربية التي طالما كانت أحد أهم أذرع السياسة الأمريكية لعقود مضت.

لم يعد يمكن اليوم القول أن هناك حرية إعلامية غربية بل أصبحت الوسائل الإعلامية الغربية مثلها مثل أي وسيلة إعلامية في يد دكتاتور من العالم الثالث، ولم تعد هناك مفاهيم إعلامية غربية بعيدة عن الشك والريبة بل أصبحت وسائل الإعلام الغربية جزء من حكومة متطرفة متعطشة لمزيد من دماء الأبرياء وجزء من الحركة الاستعمارية الجديدة.

ثانياً : مهما يكن من اختلافنا واتفاقنا فإن الموضوعية والحكم القائم على النظرة المتبصرة فإن هناك محطتين إعلاميتين أثبتت وجودهما على الساحة الإعلامية ومنهما محطة أبو ظبي في تغطيتهما الإخبارية المتميزة، حيث أن التغطية الإخبارية لهاتين المحطتين على الرغم من تباين المشاهدين لهاتين المحطتين إلا أن الواقع والموضوعية نقول أنهما كسر حاجز الاحتكار الغربي الذي كان ينظر إليه أنه لا يمكن الوصول إليه، ناهيك عن كسره وتجاوزه، لقد أثبتت هاتين المحطتين أن العقل العربي كان أكثر انفتاح وأكثر لبرالية إعلامية، وبينما نجد الإعلام العربي يمارس الانفتاح ويمارس الموضوعية، كانت وسائل الإعلام الأمريكية والبريطانية تمارس الانغلاق وتمارس الديكتاتورية، وأن هذه الأزمة تعد بحق كسر حاجزا لاحتكار الإعلام الغربي للمعلومة وللمشاهد.

ثالثاً : هذه الحرب الهائلة التي تدور الآن سوف تعيد فرز الدول العربية وقوتها على أساس المكانة الإعلامية، وأن هناك كسر واضح للاحتكار الغربي من قبل محطتين عربيتين على الأقل إلا أنه هناك أيضاً تغير نوعي وكمي في بعض المحطات العربية الأخرى، وهذا التغير يسير نحو الأفضل، وهناك محطات عربية غير قادرة على التغير والتحول، ولذلك كان مصيرها عدم الاهتمام ومصيرها الآن وغداً الموت البطيء أو الغيبوبة الكاملة.

إن المهم هنا هي بعض وسائل الإعلام العربية التي طالها بعض التغير وبعض التحسن، فإن ذلك يجب أن لا يكون مؤقت وغير دائم، يجب أن تعي هذه المحطات ودولها من خلفها أن تحسين الوضع الإعلامي ليدها هو أحد عوامل النجاح الحقيقي على المستوى الداخلي والخارجي، حيث تكمل أهمية المصداقية والفاعلية الإعلامية على المستوى الداخلي في ربط المجتمع بعضه ببعض وتقوية الجبهة الداخلية في حالة من المصداقية الإعلامية، حيث تعبر هذه المصداقية الإعلامية عن الشعور والإحساس العام مع نوعيته وتنبيهه للمخاطر والمحاذير المتوقعة.

ومن النتائج على مستوى المحطات العربية إلتي أخذت بالتغير أن العنصر الوطني والخبير الوطني كان دائماً وأبداً وسوف يبقى العنصر الأهم وأن الاعتماد على الأجنبي كان دائماً عملاً خاطئاً غير موفق رافق هذه المحطات العربية وخصوصاً الخليجية المحافظة منها على وجه

الخصوص لقد أصبح واضح للأعيان أن الاعتماد على الكوادر الوطنية أصبح عملاً وطنياً في الدرجة الأولى ولم يعد الاعتماد على الأجنبي عاملاً مفيداً، لقد أتسمت العديد من المحطات التلفازية التي يكون رأسمالها خليجي وتعتمد على عناصر غير خليجية وغير مؤمنة بهدف هذه المحطات وأن الإغراء المادي كان وراء العمل في هذه المحطات أقول أثبتت فشل هذه المحطات وعدم مصداقيتها وأثبتت انفصالها الهائل عن المجتمع التي من المفترض أن تمثل مصالحه من جانب، وعدم تواصلها مع المجتمعات الأخرى الخارجية لاختلاف الرسالة الإعلامية المراد إيصالها ولذلك فإن الوسائل الإعلامية التي لا تقوم على كوادر وطنية في غالبيتها لن يكتب لها النجاح في المستقبل.

الديكتاتور الفرد.. مصدر الهزيمة

ليس خافي على الباحث في الشؤون السياسية أن العالم العربي هو المنطقة الوحيدة في العالم التي تشكل فيه الدكتاتورية والقيادة الفردية العامل الطاغي على أغلب الدول العربية وأن بعض هذا الدول العربية أصبح محكوم أو حكم بأكثر أنواع الفردية والدكتاتورية طغيان وأكثرها إهمال لكرامة الإنسان وتفكيره. وكان الفساد الإداري والمالي والأخلاقي عوامل تابعت وصاحبت كل طاغية سياسي حيث انتشرت المحسوبية السياسية التي قادت أسوأ الأفراد وأقلهم خبرة وإمكانية إلى مصاف القيادات الإدارية والسياسية وكذلك ساهمت الدكتاتورية إلى ضرب مفهوم العدالة الاقتصادية ومفهوم توزيع الدخل ومفهوم الكفاءات في صميمها الحقيقي حيث أصبحت الثروات والأموال تجري بين من هم أقرب نسباً أو ولاءً أو أكثر نفاقاً من غيرهم وأصبح مفهوم المشاركة الوطنية في هذه الدول الدكتاتورية بعيد عن الحقيقية والواقع ولعل الدول التي قامت على الدكتاتوريات العسكرية الفردية كانت مثالاً صارخ ونموذج حي وقوي في ضرب أفضل الأمثلة كيف أن النظام الدكتاتوري كان دائماً وعبر التاريخ مصدر تخلف وعبء على العالم العربي والإسلامي عبر وقت غير قصير من الزمن، بل أن طبيعة الدكتاتورية في التاريخ العربي والإسلامي كانت أحد عوامل الاستعمار حيث أنها ساهمت بشكل مباشر في تدجين وإهانة الفرد العربي لجعله من الذل والمهانة ما يجعله يقبل بهيمنة وتسلط الآخرين عليه ويكون ذلك مقبول منه بفعل الإهانة المتوالية عليه من قبل نظامه السياسي الذي عمل على إفقاده كرامته ومكانته الطبيعية.

ومن جانب آخر فإن التاريخ العربي وقبل حتى سقوط الدولة العثمانية أي منذ بداية تفككها وتقاسم الدول الاستعمارية لميراث الدولة العثمانية فإن مفهوم الدكتاتورية في العالم العربي عامل قوي في جلب الاستعمار الأجنبي حيث أن ممارسة الدولة العثمانية وممارستها الدكتاتورية جلبت التدخل الأجنبي في العالم الإسلامي، وذلك أن العديد من الدول الغربية الاستعمارية رأت أن الظلم التركي والعثماني مدخل قوي ومنطقي للدول والشعوب الإسلامية تحت مبرر إنقاذها من الطغيان والدكتاتورية التركية والعثمانية، وبالفعل فإن الدعاية الإعلامية الغربية ومناشيرها الدعائية كانت تسقط على الجزائر عندما كانت الأساطيل الفرنسية ترسو على سواحل سيدي بالعباس القريبة من الجزائر العاصمة عندما كانت فرنسا ترسل مناشيرها إلى الشعب الجزائري مفادها أن المهمة الفرنسية هو تخليص الجزائر من الحاكم الدكتاتور الداي حسين حيث أن المهمة الفرنسية هو تخليص الجزائر من الدكتاتورية السياسية في الجزائر

وتحت هذا المبرر وتحت تخليص الجزائر من الداي حسين حيث دخلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م ولم تخرج منها إلى بعد مائة واثنتان وثلاثون عاماً أي عام ١٩٦٢م وليس من الأهمية هنا أن نتحدث أن الفرنسيين كانوا يبحثون عن مخرج سياسي ومبرر للغزو ولكن الحقيقة هو أن النظام الجزائري في ذلك الوقت نظام فردياً بشكل كبير. والحقيقة أن هذه المشاهد تكررت في دول المغرب العربي كان أخفها هو تلاحم الشعب المغربي خلف قيادة الملك الرمزية محمد الخامس واتحاد التشكيلات السياسية من أجل الاستقلال.

وفي عام ١٩١٧م دخلت القوات البريطانية العراق معلنة أنها دخلت العراق من أجل تحرير العراق وتخليصه من قبضة الدولة العثمانية، ومهما يكن من أمر أهداف السياسة البريطانية في ذلك الوقت، والتي أصبحت اليوم مكشوفة ومعروفة فإن النظام العثماني في العراق عامل مساعد في إنجاح المهمة البريطانية في العراق حيث أثبتت القراءة البريطانية للأحداث أنها قراءة صحيحة، ومنذ ذلك التاريخ لم تخرج بريطانيا من العراق حتى أصابها الضعف والتآكل بفعل الحرب العالمية الثانية والتي سعت بريطانيا من جانبها التخلص من مستعمراتها حول العالم من أجل إعادة ترتيب قواتها وقدراتها من جديد.

والحقيقة المرة هو أن دول الطوق على إسرائيل لا تتمتع بأي نوع من المشاركة السياسية أو إن كان بعضها يعمل ذلك من أجل التمويه السياسي إلى أن الحقيقة المرة هي أن هذه الدول محكومة بقوة فردية، وقد نبالغ إذا ما أصبحت إسرائيل هي الدولة التي تعمل على خلخلة القوة السياسية لهذه الدول عبر تخليصها من أنظمتها الدكتاتورية أو مساومة هذه الأنظمة على بقائها بالتعاون مع إسرائيل مقابل المحافظة على هذه الأنظمة السياسية في محيط شعبي رافض لها وهذه في الحقيقة واحدة من أهم مصادر قوة إسرائيل وجبروتها.

إن عملية تحرير العراق التي تقوم بها القوات الأمريكية والبريطانية اليوم ليست جديدة وليست الأولى ومن المتوقع أن لن تكون الأخيرة حيث أثبت النظام الدكتاتوري العراقي أنه بارع في خلق الأعداء سواء في الداخل والخارج وأنه استنفذ أي شرعية سياسية له سواء شرعية داخلية أو خارجية وأن نظام صدام حسين الدكتاتوري الدموي هو من جلب المصائب على العالم العربي والإسلامي والعراق وأن زوال هذا النظام وأمثاله أصبح ضرورة قومية ومرحلة ملحة للعالم العربي حيث جر هذا النظام الحروب تلو الأخرى مقابل أمجاد شخصية وفساد سياسي واجتماعي واقتصادي عاشه العراق لفترة تزيد عن ثلاث عقود من الخوف والرعب.

لقد أثبتت عملية تحرير العراق التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا اليوم أن مبرر التحرير هو عملية دعائية وأن هناك أهداف سياسية واقتصادية واستراتيجية ومصلحة إسرائيلية إلا أن العامل المساعد والدافع لمثل هذا العمل الأمريكي والبريطاني يكمن في طبيعة النظام السياسي العراقي الدكتاتوري حيث أن النظام الدكتاتوري العراقي أعطى المبرر والقوة

السياسية والعسكرية لتنفيذ الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق.

إذ أن المشكلة ليست في التخطيط الأمريكي والبريطاني وليست في النظرة أو الممارسة الإمبريالية الغربية وهذا شيء معروف إن المشكلة تكمن في العرب والعالم العربي وأن المشكلة تكمن في الدكتاتورية العسكرية العربية والنظم العسكرية العربية اليوم التي ذهب زمانها وهي بحاجة للتحرير من براثن الدكتاتورية العسكرية هذا التحرير أما أن يأتي على يد أبناءها أو أن يأتي على دبابات القوات الأجنبية التي نشاهدها اليوم ترفع العلم الأمريكي البريطاني وقد ترفع أعلام أخرى في المستقبل وحتى يكون هناك قيمة ومكانة للفرد العربي فإن الدكتاتوريات العسكرية سوف تكون مصدر مصائبنا ومصدر تدخل الغير ومصدر إهدار كرامة كل عربي ومصدر نهب ثرواته ومقدراته.

الإرهاب.. الثمن الاقتصادي

كل الدراسات التي تطرق لها الباحثون تدور حول أن الإرهاب لم ولن يكون سبب في حل أي مشاكل فردية أو جماعية، وإنما هدف الإرهاب هو التشويش ولفت النظر إلى حالة أو قضية معينة، والإرهابي في الغالب أحادي النظر وضيق الأفق لا ينظر إلا إلى هذه الزاوية الضيقة التي يراها أنها أهم من كل القضايا حتى أهم من الحياة نفسها، ولذلك فإن الإرهاب والعمل الإرهابي جاء من أجل تسليط الضوء على حالة أو فكرة معينة بغض النظر من وجهة نظر الإرهابي ما هي تداعيات ذلك على المجتمع ككل وعلى المستقبل للأمة.

ولعل أهم الجوانب التي يغفلها الإرهاب والإرهابي وهي العوامل التالية :

أولاً : أن العمل الإرهابي حينما يكون سمة لفئة من الفئات فإن ذلك ينعكس سلباً على الفكرة التي يحملها هذا الإرهابي، حيث أن الفكرة تتلبس ثوب العنف وثوب الإجبار وثوب القسر، ولذلك فإن النفور العام يكون هو السمة العامة من فكر الإرهابي وتصرفاته، ولذلك فإنه بالعمل الإرهابي أخذ يفقد فكرته أهم محتويات جذبها، وبالتالي فإنه أخذ يدمر ذات الفكرة التي يريد أن يوصلها أو يحققها.

ثانياً : أن من أهم أثر الإرهاب على الدول والشعوب هو الأثر الاقتصادي للإرهاب، حيث يعمل العمل الإرهابي والإرهابيون على تقويض نفسه والمواطن والأجنبي باقتصاد الدولة التي يقع فيها الإرهاب حيث إذا ما استمر العمل الإرهابي فإن عوامل اقتصادية تأخذ بالضمور والضعف، حيث أن العديد من الدلو التي كانت قائمة على السياحة ووقع فيها أعمال إرهابية، فإن ذلك يقوض أعمال السياحة، وليس ذلك مضر للدولة بذاتها بل أنه يمس جميع شرائح المجتمع حيث أن الدول السياحية تكون مرتكزاتها على العمل السياحي في أغلب شرائح المجتمع.

عندما تكون الدولة قائمة على ثقة الناس والمستثمر الوطني والأجنبي بالأمن الاقتصادي والعوائد الاقتصادية المجزية كما هو الحال في المملكة العربية السعودية فإن العمل الإرهابي سوف يحاول أن يفسد الأمن الاقتصادي الذي كان مصدر فخر واعتزاز للمملكة العربية السعودية خلال العقود الطويلة الماضية وأن هذا الأمن الاقتصادي وهذه العوائد الاقتصادية المجزية للمواطن والمستثمر كانت مصدر جذب عملت على رفع المستوى الاقتصادي لجميع شرائح المجتمع المتعلم والأمي الكبير والصغير صاحب المهارات وعديمها كل ذلك كان يلعب دوراً هاماً في تحسين الوضع الاقتصادي للفرد في المملكة العربية السعودية، مما يرفع

مستوى الفرد الصحي والغذائي كنتيجة طبيعية لارتفاع المستوى المادي للفرد.

إذا كان العمل الإرهابي والقائمين عليه هدفهم ضرب الأجانب والمصالح الأجنبية في بلادنا فإنهم قد أخطأوا الهدف والطريقة، بشكل أنهم يعاقبون كل أفراد المجتمع بدون استثناء ولذلك فإن العمل الإرهابي عمل على ضرب جميع أفراد المجتمع بكل طبقاتها وتوجهاته، حيث أن مثل هذا العمل الإجرامي موجه ضد كبار السن من النساء والرجال في جميع قرى وهجر ومدن المملكة، وموجه ضد جميع الشباب من الجنسين في جميع مناطق المملكة، وضد جميع رجال الأعمال الكبير منهم والصغير في جميع مناطق المملكة، لأن العمل الإرهابي هو عمل يهدف إلى إفراغ المجتمع من قدراته المالية وإفراغه من العناصر المنتجة والفعالة التي تبحث عن الأمن والأمان بل أن العمل الإرهابي الإجرامي هو من أجل توجيه جميع قدرات الدولة نحو التوجس الأمني، والصرف على الجوانب الأمنية بدلاً من توجيهها على الجوانب الصحية والمستشفيات وبدل صرفها على المواقع الخدمية مثل الطرق والمتنزهات وبدل صرف هذه الأموال على رفع كفاءات أبناء الوطن عبر التعليم العام والتعليم العالي والتعليم الفني، وبدل من صرف هذه الأموال على تحسين مستوى معيشة المواطن ورفع قدراته الصحية والإنتاجية، فإن العمل الإرهابي المشين يدفع إلى توجيه الأموال تجاه الهاجس الأمني للمواطنين وليس من أحد عاقل سوف يعترض على ذلك، ولذلك فإن الإرهاب ليس عدواً لفرد بعينه أو مجموعة بعينها أو دولة بعينها، بل إنه عدو جميع الدول وجميع المجتمعات وهو عدو بالأخص لجميع أفراد مجتمعه بدون استثناء يهدف إلى إفقارهم وسلب حقوقهم وضرب مصالحهم.

وإذا ما نظر إلى ذلك تحت مفهوم العمل الإرهابي الذي وقع في الرياض فإن هذا العمل الإرهابي يهدف إلى ضرب مصالح كل مسلم في المملكة العربية السعودية ويهدف إلى ضرب حق كل شيخ وعجوز بالحياة الهانئة ويهدف إلى ضرب حق كل شاب وشابة بتعليم وعمل كريم يحقق فيه أحلامه ويهدف إلى ضرب كل عمل لرجل أعمال مسلم يرى أنه يجب أن يحقق أهدافه ورفع شان أمته فإن هذا العمل الإرهابي يهدف ضرب المسلمين في عقر دارهم وفي مصالحهم اليومية.

ثالثاً : لم يعد مسموح للفرد اليوم أن يضع العبء على الآخرين حيث دأب المسلمين العرب على وضع اللوم على الآخرين سواء الاستعمار أو الكافر، وإلى غير ذلك من هذه الشماعات التاريخية القديمة، لقد آن الأوان للاعتراف أن الإرهاب هو من نفس ممن ضلوا وأضلوا ممن أخذوا يحكمون على الدنيا وعلى الآخرين وفق نظرهم وهواهم وتطلعاتهم وهم بذلك يدمرون الإسلام والمسلمين ويخربون بلاد الإسلام والمسلمين ولذلك فإن الوقوف في وجههم وإرجاعهم إلى جادة الصواب يبقى أهم الأولويات وأن المجتمع بكافة فئاته

وشـرائحه يجب أن يقف جنبـاً إلى جنب مع الدولة وفي خندق واحـد من أجل الوقوف ضـد التطرف والإرهاب حـتى لا تغـرق السـفـينة بالجـمـيع وتذهب مـصالح الأمـة الإسـلامية ومستقبلها مـن أحد أهواء ورغبات مجموعة صغيرة من قـاصري العقول وممتهني الإرهاب والترويع.

العرب والتسلح .. الدائرة المغلقة

علق أحد كبار القادة الروس في موسكو على الحرب العراقية الأمريكية وسقوط النظام العراقي والانتصار الساحق والهائل للولايات المتحدة الأمريكية ومشيراً إلى الطموحات الأمريكية في العالم العربي إلى أن العالم العربي سوف يزيد طلبه على الأسلحة الدفاعية من روسيا، وما يلفت له المسؤول الروسي هو أن هذا المسؤول يعيش في ذهنية ومرحلية تاريخية قديمة، ولكنه لا يفترض أنه الوحيد بل يعتقد جازماً أن العالم العربي يعيش في هذه المرحلة التاريخية القديمة كذلك، ولذلك يمكن فهم حديث المسؤول الروسي على أن حديثه يدور حول عدة افتراضات هي:

١ - أن روسيا هي دولة عالمية ولم يعي المسؤول الروسي للحقيقة الهائلة هو أن روسيا تعد على المستوى العسكري من دول الدرجة الثانية في أحسن الأحوال وهناك العديد من الشكوك حول هذه المرتبة خصوصاً أن العديد من التقارير والدراسات تذهب أن روسيا لا يمكن مقارنتها ببريطانيا أو فرنسا في مسألة الدقة والقدرة التكنولوجية العسكرية وهذا يرمي بمزيد من الظلال على الآلة العسكرية الروسية وهل هي ذات فاعلية حقيقية.

إلا أن الشيء المؤكد هو أن روسيا على مستوى الاقتصاد والفاعلية الاقتصادية والقدرة الإدارية لا تختلف كثيراً عن العديد من دول العالم الثالث حيث الفساد الإداري والمالي وعدم الفاعلية الإدارية والاقتصادية والمديونية الهائلة التي تجعل من روسيا دولة غير قادرة على خلق فرص اقتصادية واعدة للمستقبل.

٢ - يفترض المسؤول الروسي اليوم أن العالم العربي لديه نفس إيمانه بأن روسيا دولة عالمية وجميع الدول العربية شاهدت مراراً وتكراراً العجز الروسي عن فعل أو عمل أي شيء سوى بيع العديد من الأسلحة التي لا يمكن تصنيفها إلا أنها غير قابلة للاستخدام وغير قادرة على أي فاعلية في ساحة المعارك وهذا ما أثبته السلاح الروسي منذ عام ١٩٥٥م في أول صفقة أسلحة روسية لمصر عبر جمهورية تشيكوسلوفاكيا آنذاك تلك الصفقة الشهيرة التي أدخلت السلاح والتأثير الروسي إلى الشرق الأوسط وكانت إحدى الصفقات التي أدخلت العالم العربي في دائرة الصراع الدولي ومعمعة الحرب الباردة.

٣ - إن الأكثر دهشة في تصريح هذا المسؤول الروسي ليس فقط في استنتاجاته الخاطئة حول الشرق الأوسط بل في خطئه في استنتاج أحد أهم نتائج الحرب الأمريكية على العراق وغيرها وهو أن السلاح الدفاعي لم يعد ذا فائدة أو فاعلية أي أن التسلح الدفاعي اليوم هو إهدار

اقتصادي وفساد سياسي وكارثة عسكرية. إن الدرس المستفاد من الحروب الأمريكية خلال العشرون سنة الماضية وتحديداً منذ حرب الخليج الثانية أي حرب تحرير الكويت أثبتت أن الأسلحة الدفاعية مهما كان مصدرها لم تعد ذات فاعلية أو ذات قدرة أو فائدة بل أصبحت عبء على أصحابها ومصدر من مصادر الإفلاس السياسي والعسكري وأن الدرس المستفاد من الحروب السابقة هو أنه إذا كنت لا تستطيع إيذاء الخصم في عقر داره وضرب مدنه فعليك البحث عن أفضل الشروط لتجنب الحرب في أفضل الحالات أو إعلان الاستسلام في أسوء الحالات.

أن الأسلحة الدفاعية اليوم لم تعد ذات فائدة لا على المستوى العسكري أو السياسي أو الاقتصادي وأصبح شراء واقتناء الأسلحة الدفاعية خدمة كبرى تخدع بها الأنظمة السياسية شعوبها وتخدع نفسها بدون تحقيق أي فائدة تذكر.

٤ – لم يدرك المسؤول الروسي مرة أخرى أو أنه راهن عل الخطأ السياسي العربي وتكرار هذا الخطأ هو أن الدول العربية اليوم تستطيع من الناحية الاقتصادية والسياسية شراء أسلحة دفاعية من روسيا أي أن هذا المسؤول الروسي يرغب ببيع روسيا أسلحتها للعالم العربي عبر هذه الدعاية السياسية.

بمعنى آخر أن المسؤول الروسي يبحث عن آلية يستطيع من خلالها بيع ما تبقى من خردة الأسلحة الروسية للعالم العربي مع كسب سياسي مؤقت ومن أجل كسب مزيد من العملة الصعبة التي من خلالها يمكن تسديد المديونية الروسية الهائلة لصالح الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا.

ولم يعي هذا المسؤول الروسي أن العالم العربي ليس لديه القدرة الاقتصادية والسياسية على العمل وعلى بناء قدرة عسكرية من جديد ولكنه راهن على هذه الدائرة السياسية العربية المغلقة حول تكرار هذه الأخطاء على مدى خمسون عاماً دون أي نقاش وحوار عملي وعلمي وصريح عن جدوى هذه الترسانة العسكرية الدفاعية التي تكدسها الدول العربية خصوصاً وأنه ثبت أن الدول العربية كانت تكدس هذه الأسلحة خوفاً من الجبهة الداخلية أما اليوم فإن الجبهة الخارجية أصبحت أكثر خطورة وأكثر مطالبة بالتغيير أن المسؤول الروسي ما زال يفكر بعقلية وذهنية مرحلة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي عندما كانت روسيا مصدر للخردة للدول العربية من أجل أن تثبت بها الأنظمة العربية نفسها أمام شعوب مهزومة نفسياً وحضارياً.

إن العالم العربي اليوم يعيش مفهوم الدائرة المغلقة في مفهوم التسلح حيث أنه بين خيارين ليس بينهما انتصار حيث أن توجيه العالم العربي لشراء الأسلحة الدفاعية من أي دولة سواء من الخردة الروسية أو حتى من أسلحة دفاعية غربية ذات فاعلية محدودة لم ولن تفيد الدول

العربية في أي قضية دفاعية في المستقبل حيث أثبتت الدول العربية مراراً وتكراراً فشلها الذريع في استخدام القوة العسكرية الدفاعية في تحقيق أي نتائج عسكرية أو سياسية على امتداد الخمسون عاماً الماضية وأثبتت إسرائيل أنها الدولة الوحيدة التي استخدمت قدراتها العسكرية بشكل قوي وفعال لأنها لا تمتلك أو تستخدم أي أسلحة دفاعية وإنما تركز على الجانب الهجومي فقط وهذا سر وسبب نجاحاتها المتكررة.

والدائرة المغلقة الأخرى التي يعيشها العالم العربي هو حرمانه من امتلاك أي أسلحة هجومية وسوف يؤكد هذا الحرمان من قبل الولايات المتحدة الأمريكية حيث سوف لن تسمح بأي تسلح عربي ليس ذا طابع دفاعي بحت ولذلك فإن العالم العربي هو بين أسلحة دفاعية ليس لها أهمية عسكرية وبين قوة أمريكية ضاربة تمنع عن الدول العربية حتى مجرد التفكير في التسلح الهجومي، ولذلك فإن العالم العربي أمام خيارين خاسرين إما التسلح الدفاعي الغير مجدي والمنهك على المستوى الاقتصادي والسياسي والفشل العسكري أو مجرد التفكير من أجل امتلاك السلاح الهجومي وهذا يعني مغامرة كبرى في التصادم مع دول هائلة القوة وعلى رأسها القوة الأمريكية الضاربة.

التعامل مع الآخر من منطلق الثوابت

أصبح اليوم في حكم المعروف مدى التأثير المتبادل الهائل الذي يحدث بين الأمم والشعوب والدول، حيث أصبح هذا التأثير المتبادل واقع حال، إلا أن ما هية هذا التأثير وشكله وحجمه وتوجهه ووجهته يبقى تابع لعوامل متعددة منها العوامل الفكرية الأيديولوجية ومنها العوامل السياسية شكل وطبيعة النظام السياسي، ومنها ما هو اقتصادي حيث يعد هذا العامل من أكثر العوامل تأثير في هذه الأيام، ثم يأتي الأثر الإعلامي الهائل ودوره في تشكيل عقل وتفكير الآخرين وانطباعهم.

ومن هذه الزوايا والعوامل يمكن القول أن هناك تأثير دولي للقوة والهيمنة الغربية على أجزاء كبيرة من العالم، إلا أن ذلك لا يعني أن التأثير هو من جانب واحد إلا أنه يمكن أن يكون هناك تأثير من طرف بشكل أكبر وأقوى من الطرف الثاني، وعلى سبيل المثال فإنه يمكن حصر هذا التأثير في الجوانب التالية :

أولاً : التأثير الفكري وهنا يندرج فيه التأثير الأيديولوجي، وهي سلطة فكرية معينة لأمة من الأمم وهذا التأثير ليس بالضرورة أن يكون مرتبط أو تابع لمنطق هذه الحضارة وإن كان ذلك مهم إلا أن هذا المنطق يستند إلى قوة تستطيع ترجمة هذه القوة الفكرية إلى قوة قابلة للوقوف والنهوض والحركة والاستمرارية.

ومفهوم القوة هنا لا يعني القوة بمفهومها الضيق، وإنما يعني مفهومها الشامل أي الأبعاد المتعددة للقوة وعناصرها.

ورغم أن العالم الغربي يمتلك تلك الخزائن الفكرية الهائلة للقوة مع تجربة حضارية زاخرة إلا أن العديد من الأمم وبالذات العرب والمسلمين يمتلكون هذا المخزون الحضاري الهائل، وبالتالي فإن البعد الحضاري الإسلامي والعربي يمتلك تلك المقومات الهائلة للنهضة والقوة، إلا أن هذه القوة دائماً كانت كامنة وغير قادرة على الانطلاق والفاعلية، وذلك راجع إلى عاملين رئيسيين هما :

أ – الإلتفات والاهتمام بالقضايا الصغيرة التي تفرق الأمة ولا تجمعها، بينما يتم إهمال القضايا الشاملة والكبيرة التي تجتمع الأمة عليها، وهذا العامل جعل هناك الالتفاف لعوامل وأدوات الفرقة أكثر من الالتفاف لأدوات وعوامل التجمع، وإن التوجه نحو التجمع حول عوامل جامعة وليس عوامل الفرقة كان عاملاً من عوامل التقارب والسلام التام داخل أجزاء الأمة.

ب – وكنتيجة لعوامل التفرقة الأنفة الذكر أصبح هناك إهمال لعوامل التجميع والنجاح وهي

الاتفاق على إطار معرفي موحد، والاتفاق على إطار إعلامي موحد والاتفاق على إطار اقتصادي موحد بمعنى آخر الالتفات إلى عوامل النجاح القابلة للتطبيق والاستمرارية والقابلية للفاعلية، وأن النجاح في مثل هذه العوامل سوف يهمل ويخفف حدة الاحتقان في العوامل التي هي محل خلاف وعدم اتفاق.

ثانياً : هناك شبه اتفاق حول أهمية البعد الاقتصادي كعامل توحيدي أكثر منه عامل مالي اقتصادي، وأن العامل الاقتصادي اليوم أصبح من عوامل التوحد نتيجة للآثار الهائلة التي يضفيها على المجتمع وعلى الأمة سواء من ناحية التقريب أو التثبيت وأن الأمة معنية اليوم للعمل على وضع البعد الاقتصادي على سلم أولوياتها وهذا لا يعني التعامل الاقتصادي المتبادل دون الالتفات للعالم الآخر بل أن المطلوب أن يكون هناك تشابك مصالح اقتصادية بين أطراف الأمة من جهة ومع العالم الخارجي من جهة ثانية أصبح البعد الاقتصادي عامل من عوامل التوجيه والتقارب إذا كان هناك أداة يمكن أن تعقل هذا العامل وتدفعه إلى الأمام بحيث يتحول العامل الاقتصادي إلى أداة الترابط بين الدول بشكل إيجابي.

ثالثاً : أصبح العامل الإعلامي من العوامل أكثر أهمية، حيث أنه أداة للتثقيف والتعريف والتوجيه، حيث أصبح البعد الإعلامي واحداً من أكثر الأبعاد أهمية سواء على المستوى السياسي الوطني أو الدولي وأصبح الإعلام واحد من أكثر عوامل إيصال الفكرة وترجمتها إلى بعد عملي ملموس أي أن الإعلام اليوم أصبح مركبة توصيل الفكرة ومن خلالها شحذ الهمم من أجل التحمس للبعد الوطني ومصالح الأمة، وأصبح الإعلام الفعال واحداً من أكثر العوامل إيصال للرسالة والفكرة بل أصبح العمل الإعلامي أشبه ما يكون بالتدريس عن بعد حول قضايا معينة محددة.

وأصبح الاتصال الإعلامي الدولي وسيلة من وسائل إيصال التصور حول القضايا الدولية ووسيلة من وسائل إبعاد الجهل والتصورات الخاطئة حول دولة من الدول حيث أثبتت الدراسات والملاحظات أن أكثر من كتب بشكل سلبي عن المملكة العربية السعودية في الصحف والمجلات اليومية والدورية على سبيل المثال هم من الذين لا يعرفون المملكة ولم يزورونها أبداً بل أثبتت أن هؤلاء يكتبون من وحي خيالهم ومخزونهم التاريخي أكثر من الكتابة من على أرض الواقع. وكما أثبتت الملاحظات والدراسات أن هناك نسبة جيدة من الذين زاروا المملكة العربية السعودية كانوا أكثر تفهم لموقف المملكة من الذين لم يزوروها وهناك نسبة بسيطة من الذين كتبوا بشكل سلبي رغم زيارتهم للمملكة ومع أن هذا الشيء ومتوقع وممكن إلا أنه يتطلب منا الصبر والمثابرة وعدم اليأس بل والتعامل بشكل أكثر فاعلية وأكثر موضوعية.

لقد ثبت للعالم أجمع أن البعد الإعلامي واحد من أكثر العوامل حساسية وأهمية من حيث خلق تصور عن دولة أو أمة معينة وأنه من باب الواقع والحكمة هو إيصال الرسالة الإنسانية الطبيعية

والقائلة أنه لا يوجد على سطح هذه الكرة الأرضية مجتمع أفراده من الملائكة الأنقياء ولا مجتمع أفراده من الأشرار وإنما يوجد خليط من هذا وذاك وأن العمل على إبراز أن البعد الخيِّر والبعد الإيجابي على أنه هو الطاغي والقوي والغالب على هذه الأمة هو العمل الصائب من أجل أن تكون توقعاتنا وتوقعات الآخرين أكثر واقعية وأكثر معقولية وإن من الواجب إبراز الجوانب المبرزة والجوانب الخلاقة والجوانب الرائعة بشكل أكثر عقلانية وأكثر معقلوية.

إن المنطلق من الثوابت يبقى هو الأصل في كل شيء وأن أي مسيرة لا تنطلق من هذه الثوابت فإنها بدون وجهة وبدون هدف وبدون محدد لسرعتها وتوجهها، ولذلك فإن العمل من الثوابت هو سبيل النجاح وأن هذا الوطن منه وبه الخير الكثير ومن الرجال والنساء ما يجعله مفخرة لهذه الأمة جمعاء.

العنف.. والحصاد للأمة

لم يسبق لهذا الدين الحنيف أن وصل إلى مشارق الأرض ومغاربها بهذا الانتشار مثله اليوم حيث انتشر الإسلام في جميع بقاع المعمورة، بل أنه في هذا الزمن طرق أرض لم تكن تعرف لديه أو لأهله حيث نجد اليوم أن المراكز الإسلامية متواجدة في جميع بقاع العالم من آخر نقطة في القارة الأمريكية الجنوبية إلى الجزر اليابانية وهذا بفضل رجال الأمة المخلصين الأوفياء الذين سعوا إلى نشر هذا الدين إلى جميع أصقاع الأرض بالطريقة الهادئة المحببة للنفوس، بالطريقة التي تبعث على الطمأنينة وعلى الجذب، قائمة على حسن النية، وقائمة على جعل مصالح الأمة العليا هي الهدف وهي الغاية وأن مثل هذا العمل هو الذي جعل من هذا الدين الأكثر انتشاراً في الأرض.

وعندما دخل أطراف آخرين في هذه الدعوة الإسلامية، وكانوا أقل نظرة للمدى البعيد وأقل في مفهوم المصالح العليا للأمة أخذت الأهواء والرغبات تتحكم بالطريقة التي يقدم بها الإسلام، وأخذت الطريقة القائمة على الشدة وفلسفة القوة هي التي تطغى على منهج وطريقة عمل بعض أهل الإسلام ليس فقط على غير المسلمين بل وعلى المسلمين أنفسهم بل أن البعض أخذ يخلط بين القوة بالدين والعنف والبعض خلط القوة بالدين بالإرهاب، ولم يراعوا مصالح الأمة العليا أو مصالح المسلمين على المدى البعيد، حيث أختلط لدى المسلم وغير المسلم مبدأ العنف والعمل الشريف من أجل استعادة الحقوق ولذلك فإن هذا الخلط وهذا الانحراف عن المنهج السوي جلب على الأمة النكسات والهزائم، ويمكن توضيح ذلك من خلال التسلسل التاريخي التالي :

أولاً : منذ الأحداث الأولى التي وقعت في الرياض والخبر، حيث قامت عدة أعمال تفجير أضرت بالوطن والأمة وأخذت على أنها أحداث معزولة ولا تمثل الأمة في سوادها الأعظم وكانت بداية ناقوس الخطر على الأمة والوطن.

ثانياً : وعند أحداث نيروبي ودار السلام والتي تم فيها تفجير السفارة الأمريكية في تلك الدولتين والتي أخذ العالم يتحسس ويربط الأعمال الإرهابية بالمسلمين وكانت أحد نواقيس الخطر التي دقت من أجل إيقاظ الأمة من المنزلق الذي أخذت تأخذ به ويصرفها عن أهدافها الرئيسية.

ثالثاً : إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي وقعت في نيويورك وواشنطن بمثابة الضربة التي حركت العالم الغربي والقوة الأمريكية الضاربة لمحاربة مثل هذه الأعمال

الإرهابية ولكون الغرب والأمريكيين لا يعرفون تفاصيل الاختلافات الفكرية الفلسفية داخل العالم الإسلامي فإن التحرك الأمريكي أخذ يعمل بشمولية وفاعلية كبيرة ضد الجميع وكان العالم كله يعذر السلوك والتصرف الأمريكي.

لا يمكن المبالغة إذا قلنا أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت أكبر ضربة وإضعاف للعالم الإسلامي، وكانت بمثابة إيقاظ العالم بكامله ضد العمل الإسلامي وليس فقط ضد الإرهابيين أنفسهم.

لقد خسر الإسلام الكثير في أحداث نيويورك وواشنطن حيث تمت محاصرة العمل الإسلامي المسالم النقي في جميع أنحاء العالم وخصوصاً في مناطق كانت أكثر انتشاراً وخصوصاً في أوربا وأمريكا الشمالية ولذلك فإن العديد من المسلمين المخلصين تضرر من هذه الأحداث الإرهابية في أمريكا حيث ضربت هذه الأحداث العمل الإسلامي المسالم النزيه في الصميم، ولذلك فإن أحداث نيويورك وواشنطن قد أيقظت أعداء الأمة وكلّبت غيرهم على المسلمين والعمل الإسلامي المسالم والنزيه.

رابعاً : إن أحداث العنف والإرهاب قد خلطت بين العمل الكفاحي الذي يقوده العديد من الشعوب ضد القهر والاحتلال مع العمل الإرهابي حيث أصبحت بعض الشعوب المسلمة التي تحارب من أجل الاستقلال ومن أجل الكرامة ومن أجل حفظ الذات والهوية الإسلامية أصبحت هذه الشعوب توصم بالإرهاب بعد أن ربطت هذه الشعوب بالأعمال الإرهابية التي تقوم بها بعض الجماعات المتطرفة هنا أو هناك، ولذلك فإن هذه الشعوب المضطهدة هي أكثر من دفع ضريبة العنف والإرهاب الذي يسود بعض أفكار بعض الجماعات المتطرفة.

خامساً : وما أن جاءت أحداث الرياض والتفجيرات التي هزت العاصمة السعودية هذه الدولة والعاصمة التي أعطت الإسلام كل تاريخها وكل عطائها وكل جهدها وكل شعبها فقد جاءت هذه التفجيرات حتى بدأ لكل قاطن وساكن للعاصمة وكل ساكن في هذه الدولة الإسلامية على أن الإرهاب لا يعرف بيت صديق وعدو وأن الإرهاب لا يعرف إلا التدمير ولا يعرف البناء وأن الإرهاب أخذ يطرق أبواب من نذروا أنفسهم لخدمة الدين وخدمة الأمة وأن الإرهاب أصبح يهدد القلب ولم يعد يكتفي بالأطراف كما كان في السابق، وأن الإرهاب أخذ يأكل بجسد الأمة ويضرب قدراتها وفطن الناس إلى أن الإرهاب أخذ يهدد مصالحهم الدنيوية فأخذ يهدد اقتصادهم ومعيشتهم ويهدد أمن أطفالهم ومنشآتهم في كل مكان وأصبح الإرهاب هاجساً أمنياً واقتصادياً لكل أطراف المجتمع.

لقد شاهد الفرد السعودي اليوم أنه محاط بتدابير أمنية لم يكن معتاد عليها وأخذ الفرد السعودي الذي كانت الأبواب كلها تفتح له أخذت هذه البواب توصد وتغلق في وجهة في كثير من دول العالم، واخذ الفرد السعودي يشعر أنه أُخذ بجريرة وتهمة الإرهابيين وهو

يرى من هذه الأقلية التي أخذت تمتهن العنف والقتل وسيلة وطريقة لتحقيق الإرهاب الجماعي.

أن الأمة اليوم أمام مفترق طرق، إما أن يقوم عقلاء الأمة بإرجاع أفرادها إلى الطريق المستقيم من أجل مستقبل وأهداف الأمة على المدى البعيد، ومن أجل نشر دين الرحمة والتسامح والهداية في جميع أصقاع الأرض، وإما أن الأمة تتقاعس عن هذا العمل وتتوقف عن إصلاح الخلل في أفكار بعض من أفرادها وتكون النازلة والنتائج السلبية على الجميع.

هل من متعظ ؟ هل من متعظ ؟

المواطن العربي.. يدافع عن ماذا ؟

شكلت باقات الزهور التي قدمها بعض الأفراد العراقيين للقوات الأمريكية والبريطانية الغازية للأرض العراقية أرضية هائلة من التساؤل، وشكل العديد من العراقيين الذين استقبلوا القوات الأجنبية على أرضهم وبين بيوتهم بالابتسامة أو الترحيب أو حتى عدم الاكتراث نموذجاً محيراً من التصرف البشري الذي لا يمكن قبوله أو تصوره.

وكثيراً من الأفراد آخذ يستنهض الهمة الدينية والوطنية وبعضهم أخذ يركز على القيم الأخلاقية لدى الفرد العراقي خصوصاً بعد حالات السلب والنهب التي خرجت بها الجموع في المدن الرئيسية العراقية. إن هذه المشاهد أصبحت تطرح أسئلة ملحة وأكثر جدية حول لماذا هذا المواطن العراقي أصبح الأجنبي القادم على معداته العسكرية الغازية بكل ما يحمله من مصالح متراكمة ومتعددة أصبح محرر ومنقذ بدل أن يكون غازياً ومحتلاً ومستغلاً.

ولم يعد الوضع قاصراً على العراق بل أن العديد من مواطني بعض الدول العربية ذات الحكومات الحزبية أو الحكومات العسكرية أخذوا يحسدون العراقيين على هذه النعمة التي حلت عليهم وعلى الخلاص الذي جاء لإنقاذهم من سلطة الفرد وجبروته ودكتاتوريته.

وبعيداً عن العواطف وعلى أرض العقل والتعقل يمكن طرح التساؤل حول هذه الحالة العراقية التي قد لا تكون فريدة بذاتها.

إن مفهوم الشرعية السياسية التي تزخر به أدبيات العلوم السياسية وهو مستوى القبول القانوني والاجتماعي والشعبي والقيمي الذي تتمتع به الحكومة أي حكومة لدى شعبها وأفرادها، وهذه الشرعية تستند إلى مفهوم الرضا الاجتماعي والقبول الاجتماعي بل والإيمان والتصديق بها والمدافعة عنها أي أن مفهوم الشرعية السياسية التي يتمتع بها النظام السياسي أي نظام سياسي هو درجة قبول المجتمع بهذه الحكومة ودرجة الحماس له ودرجة المدافعة عنه، وهذا القبول أو الحماس أو المدافعة عنه مرتبطة بمفاهيم أبرزها :

أولاً : البعد التاريخي أي أن النظام السياسي يشكل امتداد تاريخي للمجتمع ويعبر عن هذا المخزون التاريخي، وهذا لا يعني التاريخ الرسمي بل التاريخ الحقيقي أي المستودع الفكري والاجتماعي للمجتمع، وبذلك يكون النظام السياسي عبارة عن امتداد اجتماعي فكري طبيعي أي أن لا يكون النظام السياسي منقطع من بعده التاريخي كأن يستورد أيديولوجية من خارج السياق التاريخي الاجتماعي كما هي حال أحزاب البعث والأحزاب اليسارية والقومية العربية

التي استوردت نموذج وتجربة تاريخية من مجتمع مغاير وتجربة مغايرة كتب لهذه التجارب الفشل والعزلة.

ثانياً : النموذج الفردي أو الزعامة السياسية، حيث كانت فكرة الزعيم والنموذج التاريخي يعد عاملاً مهماً في تثبيت مفهوم الشرعية وتعزيزها حيث كان الفرد النموذج ذو بعد نفسي وقيمي هائل يعمل على تثبيت النظام، وكثيراً ما حدث أن حدث تخلخل لعديد من الأنظمة بعد ذهاب زعيمها ذو الصفات القيادية الاستثنائية وفي هذا الوقت تراجع مفهوم الزعيم الملهم خصوصاً بعد تشابك المفاهيم السياسية وتعقدها وارتباطها بالأبعاد الاقتصادية والأيديولوجية جنباً إلى جنب مع المفاهيم القيمية الاجتماعية والنفسية فيه، ولذلك فإن مفهوم القائد الزعيم والقائد الملهم لم يعد لها مكان في عالم اليوم المعقد بل أن مفهوم العلامة الفذ والعلامة الفريد لم يعد له مكان في عالم اليوم بعد تشابك القوى والمفاهيم المختلفة وأصبح مفهوم المؤسسة التي يديرها ويساهم في إدارتها عدد غير محدود وعدد متجدد من الأفراد هو الوضع الطبيعي والقابل للتطوير والتحول والنهضة.

ثالثاً : كان من عوامل تثبيت الشرعية السياسية هو مفهوم البناء المؤسسي أي بناء المؤسسات السياسية مثل الدستور والمؤسسات التشريعية والمؤسسات والتنفيذية والمؤسسات القضائية وتضم مفهوم التجمعات السياسية على شاكلة الأحزاب السياسية وقوى الضغط والتأثير مع قوة إعلامية حرة جنباً إلى جنب مع بناء مؤسسات أهلية وشبه أهلية من أجل التنظيم الاجتماعي القادر على ربط المجتمع بحلقات متصلة بعضها ببعض مكونة سلسلة من التراكمات والتجمعات الاجتماعية القادرة على ربط القاعدة بالقمة والقمة بالقاعدة أي ضبط سلوك القمة السياسية بالتوجهات والرضا الاجتماعي وربط القمة السياسية برأي حزمة هائلة من الأفراد والمؤسسات من أجل ضبط السلوك السياسي وترشيد القرار السياسي، وكذلك ضبط السلوك الاقتصادي سواء بطرح المشاريع الاقتصادية أو مراقبة استلام وصرف المال العام.

لقد أخذت المفاهيم المؤسسية تطغى وتحل معضلة مفهوم الشرعية بشكل أكبر من مفهوم الزعيم الملهم والقائد الفذ والعلامة البحر، وكل هذه المسميات التي أخترعها العقل العربي المريض، وأصبحت المؤسسات تعني المشاركة الاجتماعية والمشاركة السياسية على مفهوم اتخاذ القرار وترشيده وتنفيذه

وبالنظر إلى هذه المفاهيم السابقة وتطبيقها على العراق كحالة يمكن تعميمها نجد أن البعد الأيديولوجي يعني انقطاع السياق التاريخي العراقي العربي الإسلامي حتى وإن كان ينطلق من مفهوم العروبة الذي اخترعها العبث العربي من أجل إضفاء البعد الجغرافي على المفاهيم الأيديولوجية أكثر من بعدها الحضاري الاجتماعي، ولذلك جاءت الأيديولوجية البعثية غريبة عن المجتمع الذي تريد أن تنبثق منه، والمجتمع الذي تريد أن تمثله.

وعلى مستوى الزعيم السياسي فإن شخصية الطاغية صدام حسين كان أبعد ما يكون عن مثل القائد الملهم والزعيم الفذ بل كان رجل عصابة وصاحب أفق بوليسي لصوصي ضيق أبعد ما يكون عن مفهوم رجل الدولة ورجل الفكر والدهاء.

وتبقى المعضلة العراقية هو انتفاء البعد المؤسسي للنظام السياسي حيث اعتمد النظام السياسي العراقي على مؤسسات أمنية واستخباراتية من أجل القمع الاجتماعي وليس من أجل التواصل الاجتماعي والتمثيل الاجتماعي.

إن انعدام المؤسسات السياسية هو بذاته الذي سمح لفكر الطغاة والأمزجة السياسية والفكر الفردي الأحادي أن يكون سيد الموقف وأن لا يخضع لأي محاسبة أو مسئولية أو ترشيد وكان ذلك واحدة من أهم معضلات النظام السائد في العراق وهو المعضلة الحقيقة التي تعاني منها معظم الدول العربية.

إن السؤال ينبغي بعد كل ما ذكر هو ماذا بقي للفرد العراقي يدافع عنه، والجواب يأتي سريع وبدون عمق تفكير لا شيء يمكن أو يدفع المواطن العراقي للدفاع عنه بل أن العكس هو الصحيح حيث أن المواطن العراقي أصبح يسعى من أجل التخلص من التسلط والديكتاتورية، ولذلك أصبح معزولاً ومهمشاً في وطنه ولذلك فإنه يقدم الورد ويتقبل الغزاة بالفرح والتصفيق لعله، أي المواطن العراقي، يكون شريك في وطنه في المستقبل.

وإذا كانت هذه الحالة العراقية اليوم فإن هذه الحالة لا تبدو غريبة في العديد من الدول العربية التي فيها المواطن ليس لديه ما يدافع عنه وليس ليده ما يخسره وهو ينظر مثل المواطن العراقي بصبر المخلص الأجنبي لكي ينقذه من أبناء جلدته الذين ساموه سوء العذاب وجرعوه الإهانة باسم الأيديولوجية والأمجاد الكاذبة والفساد الاقتصادي والسياسي والأنانية المفرطة.

بوش .. سياسة خارجية لحملة انتخابية

إن المكانة العالمية والدور الريادي والمؤثر الذي تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وتعزز بشكل أكبر بعد الحرب العالمية الثانية، ثم أصبح الأقوى والأهم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وتفرد الولايات المتحدة على المسرح العالمي كأحد أهم وأقوى دولة في العالم إن لم يكن بالتاريخ، وخلال هذه المرحلة الطويلة التي قد تصل إلى القرن من الزمان الذي تعاظم فيها دور الولايات المتحدة الأمريكية على المسرح العالمي فإن هذا الوضع أذاب الاختلاف والمسافة بين البعد الخارجي والداخلي على السياسة الخارجية الأمريكية، بمعنى أن الأبعاد السياسية الداخلية تعلب دوراً هاماً في تشكيل الذهنية العامة للسياسة الخارجية بل أن كثيراً ما تلعب الأبعاد الداخلية دوراً هاماً في تحديد أهداف السياسة الخارجية وأدوات تنفيذها وعلى الجانب المقابل فإن هذا الوضع الدولي المؤثر للولايات المتحدة الأمريكية كذلك أعطى دوراً هاماً للعوامل الخارجية أن تلعب دوراً في التأثير على السياسات الأمريكية الداخلية وتشكيل أطرها وتشكيل الرأي العام فيها.

ولكون هناك علاقة متبادلة وأحياناً متكاملة أو متنافسة بين البعد الداخلي والخارجي في تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية فإن الانتخابات الرئاسية الأمريكية، والتي تعقد كل أربع سنوات تعد حدثاً عالمياً على الرغم من أنه شان أمريكي داخلي، إلا أن التأثير الدولي الهائل للولايات المتحدة الأمريكية جعلها تحظى بأنظار العالم وتحليله في أكثر القضايا خصوصية للشعب الأمريكي وهي الانتخابات الرئاسية.

ولكن لا يحدث فقط أن العالم يهتم بالولايات المتحدة الأمريكية بل الذي يحدث كذلك أن أمريكا والسياسة الانتخابية تهتم بالعالم وبعض قضاياه الهامة ولذلك فإن هناك العديد من العوامل التي تجعل بعض القضايا الدولية واهتمام السياسة الخارجية الأمريكية يزداد هو العامل الانتخابي الداخلي أكثر من كونه اهتمام حقيقي استراتيجي في بعض الأحيان وفي أوقات مختلفة يكون هناك ترابط واتفاق بين البعد والاهتمام الانتخابي والاهتمام الاستراتيجي السياسي الصرف لقضايا السياسة الخارجية.

إن العوامل والأسباب الانتخابية تقضي في بعض الأحوال والشؤون إلى إهمال أو إبعاد بعض القضايا عن الشأن الانتخابي أو إبعادها عن الأضواء قدر المستطاع من أجل إبعاد أي اهتمام أو تسليط الضوء عليها ولذلك فسوف نتحدث عن تلك العوامل التي تلعب دوراً سلبياً وإيجابياً في الحملة الانتخابية الرئاسية ومنها :

أولاً : منذ تولي الرئيس جورج دبليو بوش الرئاسة والاقتصاد لأمريكي يعان يمن الركود

المتتابع وارتفاع مستوى البطالة وارتفاع المديونية وضعف عام في الأسواق المالية تعززت هذه العوامل مع الفضائح المالية التي قام بها بعض رؤساء الشركات الكبرى التي أفقدت المواطنين الثقة بهذه الشركات من خلال تعامل رئيس مجلس الإدارة في ممتلكات الشركات وأسهمها والرواتب الضخمة والهائلة لهؤلاء الرؤساء.

ومما أضاف المزيد من العبء هو أحداث الحادي عشر من سبتمبر ثم الهاجس الأمني الهائل الذي شل مفاصل الاقتصاد الأمريكي وخصوصاً على مستوى الاتصالات والمواصلات والتجارة الخارجية، حيث تحول الهاجس الأمني إلى سياسة تتبناها حكومة الرئيس الأمريكي من أجل تبرير التراجع الاقتصادي خصوصاً في حملتها الانتخابية النصفية لأعضاء الكونغرس وقد نجح الرئيس في ذلك حيث استطاع أن يحقق نتائج باهرة في دعم المرشحين الجمهوريين وجعل الهاجس الأمني ومحاربة الإرهاب مما دفع إلى وصول وتحقيق الغالبية من أعضاء الكونغرس هم من جمهوريون وهذا التكتيك نجح من قبل الرئيس الأمريكي وفريقه السياسي.

ثانياً : من المصاعب التي واجهت الرئيس الأمريكي ويحاول إبعاد تسليط الضوء عنها في هذه المرحلة هو الفشل الكبير والشلل الهائل للسياسة الأمريكية تجاه كوريا الشمالية، وفشل الإدارة الأمريكية في إقناع كوريا الشمالية بالتخلي عن أسلحتها النووية ومفاعلاتها في هذا الجانب، حيث أرادت كوريا الشمالية أن تلعب اللعبة السياسية على الطريقة الغربية، حيث بنت قوتها الضاربة بصناعة القنبلة النووية وأطلقت صواريخ اختبارية من أجل إطلاع الآخر على قدرتها لتوصيل هذه القدرة النووية واستطاعت أن تحيط برنامجها بالكثير من السرية والتكتم، حيث وضعت الجانب الأمريكي يقوم بدور القياس والتوجس والتوقع دون اليقين بالقدرات الحقيقية لكوريا الشمالية، وبالإضافة إلى ذلك وضعت كوريا الشمالية اليابان وكوريا الجنوبية وبجانبها القوات الأمريكية المرابطة هناك تحت مرمى قواتها الهجومية مع عدم تسميم العلاقة مع الصين، ولذلك فإن السياسة الأمريكية في وضع لا يمكن أن تحقق نجاح على الإطلاق إلى في حالة معجزات لا تأتي في كثير من الأحوال.

إن العوامل السابقة كانت دافعة لرئيس الأمريكي أن يبعد الفريق الأمريكي اليميني المتشدد عن التأثير مؤقتاً ويبحث عن العوامل والأشخاص الذين بهم ومن خلالهم يمكن إعادة انتخابه، ولذلك فسوف يكون دور وزير الخارجية ومستشارته للأمن القومي أقوى من دور وزارة الدفاع في هذه المرحلة، ولذلك فسوف يكون التركيز على عوامل إعادة الانتخابات أكثر من عوامل الانتصارات الدرامية ومن هذه العوامل هي :

أولاً : استثمار الانتصار الساحق والهائل في الحرب ضد العراق ووصفه على أنه انتصار سياسي ومعنوي للقوات الأمريكية وهيبتها حول العالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكذلك يشكل الانتصار الأمريكي في العراق انتصار سياسي واستراتيجي بعيد المدى للولايات

المتحدة الأمريكية وسوف يسمح لها بلعب دور مؤثر وكبير ليس فقط على مستوى العالم العربي والإسلامي بل على المستوى الدولي، والمكانة الأمريكية على المدى البعيد.

كما أن انتصار العراق هو التقارب مع اليهود في أمريكا من خلال إبعاد التهديد العراقي وخصوصاً في مجال التسلح غير التقليدي أو النووي ولذلك يعد ذلك خدمة ليهود أمريكا وإسرائيل، وأن المرحلة الانتخابية هذه سوف يتم استخدام البعد العراقي ما لم يكن مستنقع سياسي وعسكري فيه يبعد هذه الميزة ويفرغها من محتواها السياسي والعسكري.

ثانياً : إن الاندفاع الأمريكي ممثل في الرئيس بوش لحل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي ليس فقط من أجل إنجاح المهمة في العراق أو زيادة التأثير في الشرق الأوسط بل من أجل حملة انتخابية ومن أجل كسب هذه الورقة كعامل من عوامل النجاح الرأسي وعامل من عوامل النجاح في السياسة الخارجية يمكن أن تغطي على فشل السياسة الاقتصادية.

ويبقى السؤال هو هل هذا ممكن وهل الوقت تغير أم أن الرئيس بوش يمكن أن يلقى مصير والده في النجاحات الخارجية والفشل في القضايا المحلية والاقتصادية، وبالتالي الخروج من البيت الأبيض في الانتخابات القادمة ؟ هذا هو السؤال.

الهند القوة القادمة

لم يشهد النظام الدولي مثل هذه الحركة والديناميكية في حالة السلم منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حيث تشكلت القوى بعد تلك للحرب والتي تستعد الحرب العالمية الثانية ثم بات واضح من الحرب العالمية الثانية أن القواتين العظميين هما الأهم بعد تلك الحرب العالمية الثانية وكان العمل الخفي الطويل في الصين والهند ومحاولة أتحاد القوى الأوربية على العمل تحت البساط السياسي الذي كان يغطيه هلامية من مشاعر الحرب الباردة والصراع الأيدلوجي .

اليوم وقد تكشف الصراع الأيدلوجي باختفاء المعسكر الشرقي والأيدلوجية الماركسية اصبح واضح أن القوة الأمريكية اليوم تحولت من قطب سياسي وأيدلوجي إلى قطب اقتصادي وتكنولوجي ومعرفي أي ان عدم وجود تناقض او تنافس أيدلوجي جعل الاهتمام بالبعد الأيدلوجي أقل التفات إليه ولا يعني بأي حال من الأحوال اختفائه بل ان البعد الأيدلوجي اليوم يشبه البعد الاقتصادي سابقاً قوى كأمنه في النظام الدولي يمكنه أن تظهر في حالة استرجاعها للأغراض السياسية او النزاع المسلح .

أقول منذ نهاية الحرب الباردة والنظام الدولي يزج بالقوى الجديدة إلى قائمة سلم القوى الدولية حيث نشاهد الصين كيف أخذة تأخذ أهمية منذ مطلع التسعينات والحقيقة ان الهند ليست ببعيد عن الصين حيث نشاهد أن الهند تمتلك مقومات الدوله القائمة في المستقبل وان كانت بشكل أقل من الصين ومن أهم هذه المقومات هي :

أولاً : الهند تعد واحدة من اكبر الأسواق الواعدة على مستوى السلع الاستهلاكية والطاقة على وجه الخصوص ولهذا فهي تشكل أهمية كبيرة للدول المنتجة للنفط وللمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص فهي إضافة إلى أهميتها السياسية والتكنلوجية سواء الإقليمية أو الدولية فان الهند تعد سوق هائلاً للطاقة في المستقبل .

ثانياً : تعد المعاهد التقنية والتكنلوجية في الهند واحدة من اكثر المعاهد العالمية تطور و انضباط ورغم محدودية تأثرها اليوم ألا انه من المتوقع ان تكون هذه المعاهد ذات تعميم وتأثير على القوة الهندية في المستقبل

ثالثاً : الهند تعد اليوم واحدة من اكثر القوى الاسيوية الصاعده على المستوى البشري والعسكري حيث عملة الهند على أثبات وجودها على المستوى القوة التقليدية حيث عملة على محاولة اكتفائها الذاتي على مستوى الاسلحة التقليدية من العتاد والذخائر حيث نشاهد قبل ايام أختبارها لاخر منتجاتها من الطائرات الحربية ذات المهام المتعدده والتي بها تحاول الهند وقف

أعتماد الهند على الخارج في مجال سلاح الجو والقوة الجوية واصفة بذلك تعاونها مع الاتحاد السوفيتي السابق في مجال تطوير طائراتها الحربية من سو خوي وفيغ ٢٤,٢٣ وعدد من تشكيلات ميراج ٢٠٠٠ الفرنسية أقول ان تطوير الهند في قدراتها الجوية هو عامل من عوامل إنهاء هذا التعاون الذي كان يحد من انطلاقه الهند السياسية بل ان هذه الخطوة الهندية هي في طريقها الى أحياء استقلالية الهند السياسية وعامل من عوامل من تغيراها السياسي والتحول السياسي نحو الاستقلال في السياسة الخارجية على نحو يبعد الهند على دور اللاعب الثانوي على المسرح السياسي الدولي .

بل ان الهند ذهبت الى أبعد من تطوير أسلحتها التقليدية الى إبراز أهميتها النووية ومحاولة استثمار هذه القوة في أعداد الهند للعب دوراً سياسياً في المحيط الآسيوي والدولي بشكل يخدم مصالح الهند على المدى البعيد في محيط سياسي دولي جديد بعيد عن الحرب الباردة بل أن الهند تعد نفسها لان تكون شريك فأعل ومؤثر في السياسة الدولية بدل من أن تكون جزء متأثر بالأحداث من حولها .

رابعاً : الهند دخلت معادلة صراع القوى الآسيوية وبالتالي العالمية حيث تشكل مع الدول الآسيوية إلى توازن قوى تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تشكيلة حتى يمكنها ان تلعب دوراً أكثر أهمية في المنطقة الآسيوية .

خامساً : تشكل الهجرات الهندية قوة ضاغطة لصالح الهند حول العالم وعلى الرغم من أهمية بعضها ألا أنها تشكل قوى مهمة في كل من أوروبا وأمريكا الشمالية .

وعلى الرغم من وجود عوامل جذب للهند فان هناك عوامل طرد تجعل العديد من الدول تأخذ جانب الحذر من التعامل مع الهند ومنها :

أولاً : صحيح ان الهند دوله هائلة السكان وعلى الرغم من وجود طبقة وسطى هائلة الاتساع تقدر بحوالي ٢٠٠ مليون نسمة وهي نسبة هائلة قادرة على الاستهلاك والإنتاج ألا أن الجانب الأخر هو عدد الفقراء و الأميين في الهند الذي يشكل عقبة حقيقية أمام ، الهند والقوى الحليفة للهند لانها تشكل عبئ اكثر من الفوائد عن هذا الكم الهائل من السكان

ثانياً : على الرغم من ديمقراطية وتسامح النظام السياسي ألا أن عدم الاستقرار في ثبات الحكومة والانقسامات الحقيقية في السياسية والتوجهات التي تعاني منها الأحزاب الهندية وعلى الرغم من عدم سيطرة توجه أو حزب بعينة على السياسة الهندية يجعل من الصعب التعامل مع اتجاه سياسي أو اقتصادي ثابت مع الهند مع تزامن هذا التقلب إلى المزاج السياسي والعدد الهائل من الأمية التي يمكن ان تنجرف لمثل هذا التغلب في المزاج .

ثالثاً : أن البيروقراطية والروتين الإداري في الهند يعد بحق واحد من اكثر البيروقراطيات الحديثة تعقيداً وتعطيلاً لأي تعامل مع الهند وان التعامل الاقتصادي والسياسي مع الهند يمر

بالعديد من الإجراءات والتعقيدات الإدارية التي يمكن أن يطغى على الحماس لهذه المشاريع الاقتصادية والسياسية .

رابعاً : ان الحدود الهندية هي حدود ملتهبة حيث حدودها مع الصين لم تعرف الهدوء والنزاع مع الصين حول التبت وكذلك حدودها مع باكستان بشكل عام والقضية الكشميرية مازالت تشكل أحد العوائق السياسية تجاه الهند .

ومهما يكن من جوانب سياسية واقتصادية سلبية كانت أو إيجابية فان أهمية الهند اليوم وفي المستقبل هي ظاهرة للأعيان ويجب على الدول العربية بشكل عام والمملكة بشكل خاص السعي إلى مزيد من تحسين العلاقة مع الهند لما لها من أهمية اقتصادية وسياسية في المستقبل بل انه يجب بناء علاقة مع الهند تتلافى الجوانب المعيقه التي ذكرت أنفاً وذلك من أجل ان يكون لنا حضور حقيقي وقبل ان تكون الهند لقمة سهلة للدول الأخرى وخصوصاً إسرائيل التي سوف تسعى إلى تعميم الفروقات والخلاقات العربية والإسلامية مع الهند وهذا لن يكون في صالح العالم العربي والإسلامي .

باكستان وتجربة الردع النووي

تعد مرحلة الحرب الباردة بين القوتين الأعظم السابقتين واحدة من أكثر التجارب السياسية والدبلوماسية أهمية ليس فقط لأن مثل هذه المرحلة تم تدوينها على أكثر من مكان وأكثر من صعيد لا بل لأن جميع صنوف قوة الدولة بمفهومها الشامل تم استخدامه وتسخيره من أجل تحقيق أكبر كمية من أهداف الدولة القومية وبالفعل فإن المزج بين البعد السياسي والأيدلوجي والاقتصادي والأخلاقي والاستخباراتي والجغرافي والعلمي المعرفي والتسلح تم توضيفها من أجل تحقيق أهداف الدولة الوطنية إلا أن أهم درس خرجت به الحرب الباردة هو مفهوم الردع أو ما يمكن أن يطلق عليه استبعاد الحرب والحرب المباشرة على وجه التحديد. ذلك أن الحرب تعني الفناء الكامل أما الضرر البالغ وكلاهما نتيجتين تصغر عندهما أي محاولة لكسب جولة هنا أو هناك ولذلك فإن أدوات الصراع تركت للميادين الباقية ولكن ليس دخول القوة العسكرية كواحد منها.

وبالفعل فإن سنوات الحرب الباردة التي امتدت لحوالي نصف قرن شهدت العديد من الأزمات السياسية والدبلوماسية ولكنها لم يحدث أن حدث تصادم مباشر بين الطرفين ورغم أن هناك من الأزمات المباشرة بين الطرفين مثل أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢م إلا أن شبح الحرب ونتائجها كان أكبر وأكثر من الإقدام على الحرب ذاتها. ولذلك فإن هذه المرحلة وكنتيجة لتوازن الرعب النووي فإن الحرب بالوكالة كانت أحد المخرجات السياسية والدبلوماسية التي تحدث من وقت وآخر.

إن ما تشهده شبه القارة الهندية اليوم وصراع حول كشمير بين الهند وباكستان هو نموذج كلاسيكي لمثل حالة الحرب الباردة مع بعض نقاط الاختلاف ومن هذه الاختلافات أن الصراع حول كشمير هو صراع حول أهداف استراتيجية أكثر من كونه صراع على منطقة جغرافية بعينها حيث أن الهند كانت ما تزال تعتبر أن الخطأ التاريخي بانفصال باكستان ثم بنغلادش كان واحد من أكثر الأخطاء التاريخية بحق الهند وكانت منطقة جامو وكشمير أحد رموز وتذكير ومهماز هذا الانفصال وهذا الخطأ الاستراتيجي التاريخي. وإذا كانت الهند لديها خلافاتها مع الباكستان فإن خلافاتها مع الصين أكبر حول مناطق شاسعة ومهمة ومنها مناطق التبت إلا أن الصراع مع الصين غير وارد من وجهة النظر الهندية اليوم وإنما الاستعداد العسكري التقليدي والنووي لأي صراع سياسي مقبل أو محتمل مع الصين. ولذلك فإن الهند كانت وما زالت تلعب اللعبة السياسية الدولية في فترة الحرب الباردة وما بعد الحرب الباردة حيث تمزج الهند اليوم

بين توازنات دولية والاعتماد على الذات، حيث يلعب البعد الاقتصادي والتقني عامل حاسم في لعبت الهند الدولية ويلعب الاعتماد على الذات بعداً حاسم في القوة العسكرية كأداة من أدوات الاعتماد على الذات ويبدو أن الهند استطاعت المزج بين الطرفين بكل نجاح في ضل التغيرات الدولية والتحولات المذهلة والكبيرة التي يشهدها النظام والمنتظم الدولي.

إلا أن الهنود في ذات الوقت كانوا يتعاملون مع طرف باكستاني أصبح ذو خبرة واسعة في إدارة دفة السياسة الدولية ولديه من المخزون المعرفي بفعل الأزمات المتلاحقة وبفعل الحرب الباردة فيكون لديهم مسلمات واضحة ومحددة والهند كانت هي السباقة إلى دفع الباكستانيين إلى هذه الحالة من الوعي المتراكم فإن حرب الستينيات بين الطرفين والمهانة الهائلة التي وجد الباكستانيين أنفسهم فيها كانت أكبر من الاحتمال ولذلك فإن نظرية الردع كانت الخيار الطبيعي والمنطقي للسياسي الباكستاني وللأمن الوطني الباكستاني. ورغم معارضة الغرب للتسلح النووي سواء للهند والباكستان إلا أن النفاق الغربي حول هذه القضايا واضح ومكشوف للطرفين في شبه القارة الهندية.

إن الإذلال العسكري والسياسي التي تلقته باكستان على يد القوة الهندية في مرحلة الستينات كانت الدافع إلى خلق حالة ردع باكستانية تجاه الهند وبالفعل فإن البرنامج النووي الباكستاني كان قد تزامن من تطوير الهند لترسانتها النووية وأصبحت هذه البرامج قيد الاستخدام السري حتى أعلن عن تجارب الطرفين في السنوات القليلة الماضية وإن إعلان امتلاك وإجراء تجارب نووية لم يكن ليكفي لحسم مهمة وهدف الرادع النووي وإنجاح نظرية الردع بل إن الأزمات كانت تتوالى بين الطرفين لعدم استيعاب كل طرف لحجم التدمير الهائل الذي يمكن أن يلحقه كل طرف بالطرف الآخر مما يمنع مجرد التفكير بالحرب ناهيك عن خوضها. ومرحلة الاستيعاب هذه يحتاج لها عامل زمني وعامل نفسي وعقلي حيث أن الزمن كفيل باستيعاب كل طرف لحجم الدمار الممكن تحقيقه لكل طرف من الطرف المقابل وهو عامل عقلي ونفسي باستيعاب إمكانية وحزم وتصميم أي طرف على معاقبة الطرف الآخر في حالة نشوب حرب بين الطرفين مما يبعد شبح الحرب بين الطرفين.

ورغم أن كل طرف بدأ يستوعب المفهوم الحقيقي لحجم الدمار الشامل والخسائر الوطنية والبشرية لحجم الدمار المتوقع إلا أن مفهوم تطور الصراع والانتقال من مرحلة صراعية إلى آخر لم يتم استيعابها من الطرفين وخصوصاً الطرف الهندي أي أن الهند ما تزال تلوح باستخدام القوة وإمكانية الحرب والفوز بها وقطع التهديدات المحددة لمعاقبة باكستان وهذا النوع من اللغة والسلوك السياسي لا يتماشى مع قوتين نوويتين مثل الهند والباكستان وأن اللغة السياسية الهندية يمكن أن تكون بين قوتين تقليديتين وليس قوى نووية.

إن التهديدات الهندية باستخدام القوة تدل على أن السياسة الهندية ما زالت تعيش ذهنية

مرحلة ما قبل القوة النووية ولم تستوعب بعد أن لغتها الدبلوماسية والسياسية يجب أن تتطور للتماشي مع القوة النووية الجديدة للهند وأن لغة التهديد وتحجيم الطرف الآخر أصبحت من مخلفات تاريخ القوى التي تعيشها كل من الهند والباكستان.

إن الرد الباكستاني على التهديدات الهندية وكذلك على اللغة السياسية والدبلوماسية الهندية يعكس حالة من التطور الفلسفي والفكري لدى المؤسسة السياسية والعسكرية الباكستانية حيث أن خطابها كان تطمين على مستوى اللغة وحاسم وفاعل على مستوى الفعل. إن باكستان ردة على اللغة القوية التهديدية الهندية بإجراء تجاربها على صواريخ متوسطة المدى وقصيرة المدى وكان هذا العمل يعكس حالة من الوعي السياسي والدبلوماسي الباكستاني واضحة حيث أن الرسالة الباكستانية كانت واضحة وغير مغلفة وكان مفادها التالي:

إن باكستان ترى التلويح الهندي يهدد بقائها وسوف تستخدم كل ما لديها من قوة وسوف تكون الهند ضحية مثل باكستان أي أن باكستان لن تغرق بمفردها بل سوف تكون الهند مشتركة في هذا الغرق وأن الباكستان ليس فقط لديها التصميم السياسي والأيدلوجي على تحقيق الهدف بل ولديها الإمكانيات الواضحة والتي تمثلت في التجارب الصاروخية الباكستانية وأنها لن تتردد في استخدامها في حالة الحرب والهزيمة الباكستانية.

إن اللغة السياسية والعقلية الباكستانية كانت أكثر تطوراً وأكثر عمقاً من السلوك السياسي الهندي في هذه الأزمة على أقل تقدير وأن باكستان استطاعت أن تستوعب وتستخدم مفهوم الردع وتوازن الرعب بشكل جيد وفعال بقي أن تتأكد الباكستان من عدم اختراق دفاعاتها وتحصيناتها العسكرية الأمنية والاستخباراتية من أجل أن يكون مفهوم الردع أكثر فاعلية وأن اختراق الهند للجدار ألمعلوماتي الباكستاني سواء العسكري أو السياسي أو ألاستخباراتي يجعل مفهوم الردع عديم الفائدة بل يجعل الطرف المقابل أكثر تصميم وأكثر مغامرة بخوض الحرب وذلك تحت مغريات حصوله على معلومات يمكن استخدامها لشن الحرب والفوز بها.

وبقي للهند أن تعي أن لغة الدولة الكبرى تجاه الدولة الصغرى تتلاشى وتنتهي عند امتلاك الدولة الصغرى قوة نووية وعسكرية ضاربة مع توازنات سياسية دولية مواتية وأن لغة سياسية جديدة يجب أن تتعلم الهند إتقانها بدل من لغة التهديد التي يمكن أن تقود إلى حرب تقليدية محدودة ولكن لا يمكن لأحد أن يضمن عدم توسيع الحرب لتكون حرب مدمرة هائلة يغرق فيها الطرفين.

تمثيل السعودية في الخارج وظاهرة المثقف الموسوعي

استطاعت هذه المملكة بحق أن تحقق ما يمكن اعتباره شيء من الخيال في مرحلة قصيرة جداً وفي منطقة جافة وقاسية بفضل الله سبحانه وتعالى ثم الرجال والنفط ولعل كثير من الناس ينتابه الفخر بهذا الإنجاز العمراني أو المالي أو القدرات الفردية في مجال الأعمال والمقاولات إلا أن أكثر ما يمكن فهمه على أنه أهم إنجازات المملكة العربية السعودية هو ذلك الكم الهائل والمميز من النخب الفكرية الذي تعج به بعض الجامعات السعودية حيث تخرج هؤلاء الأساتذة الجامعيون من أكبر وأرقى وأعرق الجامعات العالمية وخصوصاً من أهم جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وكان انعكاس هذه الأفواج من أساتذة الجامعة منعكس على مستوى بعض الجامعات السعودية حتى أنك لا تجد من العناء ما يمكن به ربط بين مستوى هذه الجامعة وعدد أساتذتها المتخرجين من الجامعات الغربية أما الجامعات التي لا تغص بهذه الأعداد فإن ذلك ينعكس على مستوى الجامعة ذاتها من حيث قدراتها العلمية المتواضعة أو مستوى خريجيها من الطلاب حيث نجد تواضع مستواهم العلمي والمعرفي.

وإذا كان لنا أن نفخر بهذا الإنجاز الرائع بحق وهو من الإنجازات التي بدأت المملكة العربية السعودية في المحافل العلمية والتجمعات والمؤتمرات الأكاديمية والتي من خلالها برز الأستاذ الجامعي السعودي وكأنه في حالة فكرية تتفوق على نظرائهم من العالم العربي من حيث الطرح الفكري والمنهج العلمي الصارم سواء في مجال العلوم الاجتماعية والطبيعية بما فيه الطب والعلوم الهندسية. أقول إذا كان لنا أن نفخر بهذه الإنجازات فإنه على الجانب الآخر المثقف الموسوعي السعودي يعد واحد من الظواهر المتجددة والمستمرة والممتدة منذ زمن بعيد ولم تستطع ظاهرة التخصص العلمي القضاء عليه أو الحد من انتشاره وحضوره.

المثقف الموسوعي هو الذي يحمل شهادة علمية في أحد التخصصات الهامة أو الهامشية ولكنه غير مؤمن أو مهتم بهذا التخصص ولكن لديه رغبة جامحة في المعرفة الغير عميقة في أغلب التخصصات وغالباً ما يختار المعرفة الأدبية وقرض الشعر والحديث الطويل والمسترسل بفعل التحصيل للغوي والمفردات الكثيرة والمتراكمة والمفسر بعضها بعضاً أقول يختار هذا المثقف الموسوعي هذا الجانب من أجل الحديث الطويل والجميل بدون فائدة علمية حقيقية بل بدون منهج علمي ولذلك فإن المثقف على هذا النمط يستطيع خداع الآخرين في الحديث في كل شيء وبدون علم حقيقي في أي شيء وما عدى كونه يستطيع تغليف حديثه بإطار أدبي وشعري من

أجل إخفاء الفكرة المعروضة منه أو الغير موجودة في الأصل.

إن المثقف الموسوعي يعد بحق ظاهرة تعج في السعودية بشكل مبهر ويهز أركان التحصيل المعرفي والإنجاز الحضاري الذي حققته المملكة خلال السنوات القليلة الماضية وساعد على ذلك هو انعدام الحوافز الحقيقية للفرد والأستاذ المتخصص وسعي وسائل الاتصال المختلفة إلى استمرار استخدام القدرة الكلامية والغير علمية للمثقف الموسوعي زد على ذلك أن المثقف الموسوعي لديه قدرة جيدة على إمتاع ومؤانسة العديد من الجلسات حيث يجد الحاضرون أن المثقف الموسوعي جنس ممتع بدون طرقه لمواضيع فكرية أو منهجية تستوجب الاستماع والثقافة الرزينة والواعية والجادة ومع المثقف الموسوعي استمرت هذه الجلسات ذات الإمتاع بالأدب والشعر والطرفة والدعابة.

كل ذلك ممكن ومحتمل إلا أن أمرين يعدان هامان في كيفية حضور المثقف الموسوعي والأديب المتعدد والمواهب يشكل عيباً حقيقياً بل ونقطة ضعف وتشويه للحياة العلمية المستقبلية في المملكة ومكانتها العالمية تأتي بفعل المثقف الموسوعي وهما:

أولاً: حضور المثقف الموسوعي في جلسات النخب المتعددة في المملكة العربية السعودية سواء في الداخل أو الخارج حيث يضفي على حديث المثقف قول الشعراء في مجال الصحراء والمرأة سواء شعر المرأة والتغني بها وأن حضور المثقف الموسوعي مثل هذه الجلسات يحولها إلى أفلام شعرية شفهية وكلامية مما يفوت الفرصة على أي طرح جاد وموضوعي من المثقف المتخصص والغير موسوعي أي يبعد الطرح العلمي ومناقشة القضايا الهامة وسوف نجد أن المثقف الموسوعي هو الأكثر حديث والأكثر حضور كلامي بدون فائدة وبدون معنى ولذلك تذهب مثل هذه اللقاءات أدراج الكلام الشعري ووصف بحور الشعر وطرائقه والمواضيع التي طرقها الشعر والشعراء وهذه بحق تجعل المثقف الموسوعي دائماً يقوم بدور المرفه عن النفس ولذلك فإن دور المثقف الغير منهجي هو دور سلبي على العمل الجاد في السعودية اليوم.

ثانياً: دور المثقف الموسوعي وحضوره الدائم بما يسمى بالمؤتمرات العلمية الداخلية أو الخارجية ودوره في اللقاءات الثقافية والتواصل الثقافي والمعرفي مع الآخر وخصوصاً وأخذ يطلق عليه الأيام الثقافية السعودية مع دول أخرى سواء في داخل العالم العربي أو خارجه.

وعلى الرغم من أهمية مثل هذه اللقاءات والمواضيع التي من المفترض طرحها إلا أن حضور المثقف الموسوعي الهائل الدائم في مثل هذه اللقاءات حولها إلى شبه رحلات متعة وترويح عن النفس بدل من رحلة تحمل هم الوطن والأمة بل إن المثقف الموسوعي الأديب طرح فكرة الرجل البدوي الأديب الذي قدم من الصحراء وأنه يعيش حالة شعرية قديمة تمثل رجل الصحراء المائل للشعر ولا يمد للحياة الحاضرة بصلة ولذلك فإن هؤلاء المثقفين الموسوعيين أخذوا يحرفون مثل

هذه اللقاءات إلى بكاء على الأطلال والنوم في الخمائل وكأننا نعيش حياة طرفة ابن العبد وهم قيس ابن الملوح وأصبح الآخرين عرب كانوا أم غير عرب ينظرون إلينا من هذا الجانب وهذه الزاوية.

إن حضور المثقف الموسوعي الغير ملتزم بأي منهج فكري بل بتسلح المثقف الموسوعي بمجموعة من الأدبيات والقصائد في جميع الندوات حول العالم، إن هذا المثقف يحمل صورة قاتمة متخلفة ونظرة بائسة للسعودية ينقلها للعالم الخارجي وخصوصاً غير العرب بحيث تقدم العديد من المجاميع الفكرية من خلال الملتقيات الثقافية أو الأيام الثقافية السعودية ما بين الأجانب والسعوديين ثم تكتشف أن المثقف الموسوعي صاحب حضور مكثف يعطي انطباع للباحث والعالم الخارجي أن السعودية ومثقفيها بدون منهج علمي وبدون فكر واضح متراكم حيث يعطي المثقف الموسوعي الانطباع بالا جدية وألا موضوعية وأن عواطفه وأحاسيسه هي التي تقوده إلى حيث ألا هدف وإلى ألا معنى ولذلك تصاب العديد من الشخصيات الغير عربية بالذهول وعدم الفهم والتصديق لما يطرحه المثقف الموسوعي السعودي من سطحية وبساطة وهامشية رغم الأحداث الجسام والعوامل الهامة التي تعانيها الأمة العربية والإسلامية التي تستلزم المواقف الحازمة والصرامة المنهجية والعلمية.

حرب الأفيون .. من بريطانيا إلى أمريكا

عندما عجزت بريطانيا خلال القرن التاسع عشر من الدخول إلى العالم الآسيوي وخصوصاً ما يعرف بالعالم الصيني خصوصاً وأن صادرات آسيا في ذلك الوقت كانت تتجه إلى أوروبا عبر طريق الحرير وكانت تجارة من جانب واحد هو الصادرات الآسيوية إلى أوروبا ولم يكن هناك تبادل تجاري بالمفهوم التقليدي والمعروف اليوم وإنما كانت أوروبا تشتكي من العجز التجاري تجاه آسيا ولم يكن لبريطانيا في ذلك الوقت من سبيل في تعديل الميزان التجاري سوى استخدام حرب الأفيون من أجل تعديل الميزان التجاري المختل لصالح آسيا تجاه بريطانيا وبالتالي فإن مبيعات المنتجات الآسيوية من البهارات والحرير أخذت تقابله بريطانيا في بيع الأفيون والمخدرات. إلا أن بريطانيا كرست جزء من تطورها المعرفي من أجل إيجاد معادلة كيميائية بموجبها يمكن تحويل بعض التبانات التي كانت موجودة على الأطراف من الأراضي الصينية إلى مسحوق سوف يكون أساس ما يعرف اليوم بالمخدرات الأفيون وسوف يعكف الكيمائيون البريطانيون على تطوير هذا المنتج من أجل أن تغزو بريطانيا الصين وتحويل جزء من شعبها إلى متعاطين لهذه المخدرات وكذلك يتم تعديل الميزان التجاري المائل لصالح الصين بحيث يتحول إلى صالح بريطانيا.

وبالفعل فإن ما يعرف بالمخدرات اليوم وخصوصاً المنتج من زهرة الخشخاش والذي تنتجه العديد من الدول المحيطة بالصين خصوصاً في أفغانستان فإن هذا المسحوق كان قد طور بوضعه الحالي على يد العقل والفعل البريطاني لغزو آسيا في ذلك الوقت وإذا كان هدف بريطانيا في ذلك اليوم هو الدخول لعالم الصين والعالم الآسيوي عن طريق ابتكار الأفيون وحرب المخدرات فإن ما يحدث اليوم هو وإلى حد كبير شبيه بما كان يحدث سابقاً.

وإن التقارير كانت قد وصلت إلى خلاصة مفادها أن هناك انخفاض حاد في كميات المسحوق المخدر المنتج والمصدر من أفغانستان خلال مرحلة حكم طالبان خصوصاً وأن سياسة هذه الأخيرة كانت صارمة تجاه زراعة زهرة الخشخاش العنصر الأساسي بإنتاج المسحوق المخدر بل إن التقارير تحمل أن المخزون في السوق من هذه الكميات أخذ بالنفاذ بعد فترة من الحرب الأفغانية ضد زراعة نبتت زهرة الخشخاش. وأن هذه التقارير كانت تقوم على دراسة أن ٧٠٪ من الأفيون موجودة ومصدرة من أفغانستان وأن ما قدره ٤٥٠ طن من الهروين يصدر من أفغانستان وأن ٩٠٪ من الهروين المصدر من أفغانستان عبر منافذه التقليدية يذهب إلى أوروبا ودور الجوار الأفغاني وأنه لا تصل أي كمية من الأفيون الأفغاني إلى الولايات المتحدة الأمريكية

بمعنى أن الأفيون الأفغاني يذهب إلى دول الطوق الأفغاني والدول العربية وأوروبا على وجه الخصوص وأن نصيب الولايات المتحدة الأمريكية منه تصل إلى كمية الصفر من المنتج الأفغاني كل هذه الأرقام والتقارير تدفع باتجاه أن منذ وجود طالبان في السلطة كانت هناك نجاحات تسجل على مستوى انخفاض كمية المخدرات في هذه المناطق وهناك نجاحات على مستوى حرب المخدرات.

وتذكر ذات التقارير أنه منذ دخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأراضي الأفغانية فإن الحرب ضد المخدرات قد توقفت وأن أغلب المزارعين قد عادوا إلى زراعة نبتت الخشخاش العنصر الأساسي في صناعة الأفيون والهروين وأن محصول هذه السنة فقط سوف يكون كافي لإمداد السوق لمدة تزيد عن ثلاث سنوات قادمة بل وأن التقارير الواردة من الغرب نفسه تقول أن العديد من الشخصيات البائعة والمتاجرة بالمخدرات هي من أكثر الشخصيات المتعاونة مع القوات الأمريكية وأن الهاجس العسكري والأمني الأمريكي دفع إلى مثل هذا التعاون حتى وأن كانت الأطراف الأخرى هي من تجار المخدرات ومصدريه، تذكر أغلب التقارير الصادرة من الغرب وهذا يفسر أن الاهتمام السياسي والأمني الأمريكي يطغى على الجوانب الأخرى والتي من ضمنها زراعة وإنتاج وتصدير المخدرات والهروين والتي طالما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تنتقد حكومة طالبان بسببها أي أن تجارة وزراعة المخدرات أخذت بالانتعاش بعد دخول القوات الأمريكية إلى أفغانستان.

إن السؤال يبقى مشروع ومشرع هو هل محاربة زراعة المخدرات تأتي في نهاية سلم أولويات الولايات المتحدة الأمريكية؟. أو هل الولايات المتحدة الأمريكية تجد أن زراعة وتصدير هروين أفغانستان هو عمل سياسي يتم فيه حرب دول الطوق الأفغاني سواء الآسيوي أو الآسيوي العربي؟. وهل أن مشروع حرب الأفيون الأمريكي موجه ضد الصين وأوروبا على حد سواء خصوصاً وأن معظم المنتج الأفغاني يذهب إلى أوروبا وأن المنتج الأفغاني لا يصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية؟. وأن أمريكا اللاتينية وخصوصاً كولومبيا هي الخطر الحقيقي الذي تعاني منه الولايات المتحدة الأمريكية وأن أفغانستان ليست في قائمة التصدير للولايات المتحدة الأمريكية.

كل هذه التساؤلات هي مشروعة ولكن الهدف السياسي شاهد قوي على النتيجة حيث نجد أن زراعة المخدرات ازدهرت في عهد دخول القوات الأمريكية إلى أفغانستان بشكل هائل وكبير. بل وأن أغلب جنرالات المخدرات هم من المتعاونين مع القوات الأمريكية في أفغانستان وأن ما تصدره أفغانستان هو مقره ومصيره إلى دول الطوق الأفغاني وأوروبا وأن نصيب الولايات المتحدة الأمريكية منه يصل إلى حد الصفر.

لكل هذه العوامل وغيرها يمكن أن نطرح التساؤل التالي هل الولايات المتحدة الأمريكية بصدد

حرب أفيون حديثة يمكن أن تنهك المجتمع الصيني والإيراني ودول آسيا الوسطى ودول الشرق الأوسط ودول أوروبا وهل هذه الحرب الأفيونية الأمريكية الجديدة فعلاً حقيقية أم أملتها الضروات الأمنية والعسكرية وهي مؤقتة كل هذه التساؤلات مشروعة ولكن الدلائل تميل إلى حد كبير أن هناك حرب أفيون جديدة تشنها الولايات المتحدة الأمريكية سواء من أجل إنهاك الشعوب المستهدفة وإرباك خططها الاجتماعية والسياسية أو أن الهدف تمويل الحملة الأمريكية على حساب شعوب الطوق الأفغاني وتخدير هذه الشعوب والشعب الأفغاني على رأس القائمة.

إن الإدارة الأمريكية اليوم مطالبة ومعنية إلى حد كبير بالإثبات للعالم أنها عنصر بناء وليس عنصر هدم وأن سياسة تدمير المجتمعات قد تلاقي نجاح سياسي واستراتيجي هائل لكنها سوف تكون سياسة قصيرة النفس ومضرة بالهدف والغاية وأن سياسة بناء المجتمعات سوف يكون أكثر جدوى وأكثر منفعة وأن تجربة كوريا الجنوبية واليابان خير مثال على النجاح الأمريكي الهائل القائم على سياسة البناء والتطوير بدل من سياسة الهدم والتخريب.

دول بدون أيدلوجيا

لم يكن من المتصور أبداً ان يكون هناك أنظمة سياسية يمكن أن تضع الأطر الرئيسية لسياستها الخارجية والداخلية في أعقاب الحرب العالمية الأولى والثانية دون أن تكون الأيدلوجيا هي المرتكز الحقيقي لهذه السياسة . صحيح ان العوامل الوطنية أي المصالح الوطنية والقومية كانت حاضرة في رسم هذه السياسة أو تلك وصحيح أن البعد الفردي والشخصي حاضر التأثير في هذه السياسة او تلك في هذه المنطقة أو الأخرى ولكن لا يمكن فهم السياسة الخارجية لدولة من الدول دون ان نضعها في إطارها الأيدلوجي حيث لا يمكن تصور السياسة السوفيتية دون النظرية الماركسية هذه الأيدلوجية التي عاشت كأحد عوامل التبرير السياسي للسياسة الخارجية السوفيتية طوال سنوات بقائه حيث أصبحت عامل محرك للمساعدات السوفيتية الاقتصادية وموجه لبرنامج بيع السلاح السوفيتي بل وعامل من عوامل تزعم الكتلة السوفيتية الاستراتيجية في ذلك الوقت . كما أنه لا يمكن فهم السياسة الخارجية الصينية قبل مرحلة ١٩٧٠م دون النظر لمفهوم النظرية الماوية والثورة الثقافية وتزعم حركة عدم الانحياز بل أن دول العالم الثالث كانت تتحرك بموجب من المد والمفهوم الأيدلوجي عندما كانت حركة عدم الانحياز أحد عوامل التقارب العالم الثالثي كانت الهند والعديد من الدول الأفريقية أقطابه الرئيسية .

بل أن العالم الغربي بما فيه الولايات المتحدة الأمريكية العالم الذي كانت المصالح هي المحرك للسياساته تجد أنه كان يتحرك بموجب وتوجيه من الأيدلوجيا حيث ان الأيدلوجيا الرأسمالية والحرب ضد الشيوعية كانت الهاجس الحقيقي الذي يتحكم برسم وممارسة السياسة الخارجية الأمريكية بشكل خاص والغربية بشكل عام حيث كانت المساعدات الأمريكية مربوطة مثلاً بضرب القوى الشيوعية والاشتراكية وضرب القطاع العام ومحاولة فتح السوق وتحكم حركة العرض والطلب بهذا السوق . هذه الشروط كانت جاهزة ومقننه مقابل أي مساعدات اقتصادية مباشرة من الدول الغربية أو عبر مؤسساته المالية المتعددة مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي بل وأن هذه الشروط جاهزة حتى على مستوى المساعدات السياسية والفنية والأمنية وأن لم تتحقق مثل هذه الشروط فإن الحصار والانقلاب العسكري أو السياسي هو البديل الذي تتبناه الدول الغربية ضد الدول التي لا تنسجم مع توجهاتها السياسية والاقتصادية والأيدلوجية يمكن أن نطلق على القرن المنصرم بالفعل بأنه عصر الأيدلوجيا التي كانت تحرك المشاعر السياسية وبالتالي تحرك عوامل تحريك ورسم السياسة الخارجية للدول.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتصار الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ليس على المستوى الأيدلوجي بل على المستوى الاقتصادي والتقني أصبح هناك أيمان دولي حقيقي أنه على

الرغم من أهمية الفكرة الأيدلوجية كوعاء للطاقة والحركة والشرعية السياسة سواء الداخلية أو الخارجية الا أن مثل هذا الوعاء لم يصمد قوياً أمام التطور المذهل في الإمكانيات الاقتصادية وخصوصاً التقنية والتطور العلمي المتشعب . بل أن القناعة أصبحت راسخة أن العلم والاقتصاد القوي البناء هو محور القوة الحقيقية ويمكن لهذه القوة الاقتصادية والتقنية أن تصنع من الأيدلوجية الهشة والضعيفة أيدلوجيا قوية مؤثرة بفعل القوة الاقتصادية والتقنية والقوة الشاملة .

وبالفعل فقد شاهد العالم نموذج الحياة الغربية سواء ببعده السياسي أو الاجتماعي أصبح سهل التسويق وواسع الانتشار بفعل التقدم الاقتصادي والتقني الغربي الذي كان عامل النقل والنشر وأحياناً الفرض على قوى اجتماعية وسياسية بعيدة عن مسارها الفكري والفلسفي .

بل أن مفهوم التغريب أو نشر الحضارة الغربية ثم صراع الحضارات ثم نهاية التاريخ ما هي الا مفاهيم استقت قوتها وتأثيرها من قوة وجبروت النموذج الاقتصادي الغربي الناجح والذي استطاع التسويق لقيم اجتماعية وثقافية اقل ما يقال عنها أنها بعيده عن السلوك الإنساني السوي ومع ذلك نكشف العديد من هذه الدول تتلقف هذه القيم الاجتماعية وكأنها رمز للتطور ونموذج من نماذج الرقي .

كانت الدول الآسيوية هي اكثر المجاميع الجغرافية التي تلقت وفهمت هذا الدرس بشكل سريع حيث تم التخلي عن القيم الأيدلوجية ولاستعاضة عنها ببعض القيم الاجتماعية الموروثة التي لا ترقي الى مفهوم البعد الأيدلوجي بكل مفاهيمها وابعادها الفكرية والسياسية والفلسفية . وأخذة الدول الآسيوية على نفسها أن تنغمس بالتطور الاقتصادي والتقني كحصاني رهان يمكن التعويل عليهما لفرض مكانه لهذه الدول الآسيوية بما فيها الصين على الخريطة العالمية وان ما نشاهده اليوم من سباق هائل حول التطور الاقتصادي في آسيا وابتعادها عن الأبعاد الأيدلوجية إلا أيمان راسخ لدى هذه المجموعات أن الاقتصاد و التكنلوجيا هي مفتاح المفاتيح وان التغيرات الاجتماعية ومفهوم التغريب يمكن استيعابه بل ولا ضرر من تبنية .

الملفت للنظر أن الدول الغربية هي من المناطق القلية من العالم الذي مازال البعد الأيدلوجي محرك لسياساتها الخارجية وأطروحتها الفلسفية حيث انه رغم النجاحات الاقتصادية والتقنية ألا أن مفهوم التوسع الحضاري مازال هاجس العالم الغربي ولا أدل من طرح مفهوم الصراع الحضاري مع العوالم الأخرى بل ان الرهان في يد الغرب هو كيفية استخدام التطور الهائل في الجوانب الاقتصادية والتقنية في خدمة الأيدلوجيا الغربية وبث النموذج الغربي بكل أبعاده السياسية والفكرية والاجتماعية حول العالم وأنه يجب ضرب القوى المناهضة لهذا المشروع سواء بالقوة المباشرة أو بالالتفاف عليها ومحاولة خلق جيل جديد له أيمان حقيقي بالمفاهيم والقيم الغربية .

روح وأخلاقيات العمل

تزخر وسائل الأعلام السعودي في هذه الأيام باطروحات لا تنتهي حول سعودة العمل سواء على المستوى الوظيفي في قطاعه العام او الخاص أو على المستوى التقني (التقني هي الكلمة التي أرجو أن تطرح بدل المهني وذلك لإعطائها بعداً علمياً ونفسياً للفرد والذي يرغب في العمل في المجال المتعامل مع التكنولوجيا والتكنولوجيا هنا هي كل آلة مهما كانت بسيطة إلى اكثر الأجهزة تعقيداً) أقول أن اطروحات السعودة هذه الأيام لها من المؤيدين الوطنيين المخلصين الكثير ولها من الرافضيين المستترين والذين يفتقدون مفهوم المستقبل الحقيقي مقابل أرباح مؤقتة وفرص يمكن تعويضها بشكل أفضل وأجدى .

ومع وجاهة الفريق الأول حول الأهمية الوطنية لإحلال القوة السعودة محل القوى الوافدة المؤقتة وذلك لاسباب اجتماعية وأخلاقية وسياسية و أمنيه ومعيشية وهذا مالا يختلف علية الفكر حول أهمية العمل وانعكاسه على الفرد والمجتمع ككل .

ألا أننا في هذه الصفحة نريد أن نتلمس ونتحسس لماذا يقاوم العديد من الأفراد السعودة وإحلال السعوديين محل الأجانب ومنها ما هو منطقي ومنها ما هو أقل من ذلك ويمكن أجمال أهم هذه الأسباب على شكل النقاط التالية :-

أولاً : هناك العديد من المسؤولين في القطاع الخاص والعام يتمسكون بشكل قوي إلى درجة أن نقول تمسك أعمى في المتعاقد وعندما تراقب هذه الحالة فإنك تكشف ثمة روابط أسرية وأصول عرقية حول تفضيل هؤلاء الأفراد لابناء جلدتهم السابقة وهذا ما تراه رأي العين والوضوح وخصوصاً في القطاع العام بعضه ما هو ظاهر وبعضه ما هو مستتر تحت مفهوم التعاقد الذي لا يرتبط بوزارة الخدمة المدنية أما على مستوى القطاع الخاص فإن ذلك هو الحصن الحصين الذي سوف يستعصي على كل ضغوط السعودة ألا في حالة التكاليف المادية التي تجعل تشغيل وتدريب السعوديين أقل تكاليف من الأجانب والوافدين وهذا ما يجب على القطاعات المعنية طرحه بقوة في السنوات القادمة .

ثانياً : أن العديد من السعوديين يفتقدون التدريب ولكن العديد من الأعمال ليست بحاجة إلى تدريب مسبق بل ونكتشف ان العديد من المؤسسات وظفت العديد من الأفراد في مجال من المجالات دون أي تدريب وكم سمعنا من اكبر المؤسسات والشركات ان السائق تحول إلى مسوق او مأمور مبيعات او مأمور مشتريات وان طابع الآلة الكاتبة تحول الى محاسب بل وان العديد من الشركات المساهمة زجت بأبناء المساهمين إلى المراكز الإدارية العليا دون

أن يكون لهم أدنى تدريب أو حتى تعليم .

ولنسلم أن بعض الأعمال تحتاج إلى تدريب كيف يمكن تدريب الأجانب وفتح معاهد لهم خارج السعودية من اجل توظيفهم داخل المملكة ثم يكون غير مجدي أن لا يدرب الفرد السعودي على العمل ويكون غير مجدي من وجهة نظر العديد من أصحاب العمل !.

ثالثاً : من الانتقادات التي توجه ، لتوظيف الفرد السعودي هو عدم الاستقرار وحبه للانتقال وكذلك رغبته في فتح عمل يكون خاص به . كل هذه الملاحظات هي صحيحة ووجيهة ولكن يمكن وضع نظام يحمي صاحب العمل ولكن في نفس الوقت فان تجربة البنوك على عدم اكتمالها هي جديرة بالمراقبة من حيث ان تدريب البنوك للأفراد السعوديين كان له عائد على جميع البنوك حيث نشاهد تنقلات الأفراد من مكان الى أخر أو من بنك إلى بنك كان ذا عائد جيد على البنوك على رغم خسارة البنك المؤقتة في مراحل التدريب والتعليم . ولذلك فإن مطالبة أصحاب العمل بتدريب او المساهمة في إنشاء مؤسسات تدريب هو عمل في غاية الأهمية ويصب في مصلحة السعودة على الرغم ان سعودة البنوك هي سعودة ظاهرية لم تمس المكاتب الخلفية من العمل .

رابعاً : أن ما يفتقده العديد من الأفراد هو مفهوم روح العمل والتفاني من اجله وهذا ما يعرف بأخلاقيات العمل وإذا كان العامل الوافد يجب ضبطه من الجانب المالي و السرقة سواء للمال أو لوقت العمل فإن الفرد السعودي لدية مشكلة أخرى هو عدم تفانيه في عملة من حيث الانضباط بالوقت الذي يشكل عقبة حقيقية في وجه السعوديين وحاجز حقيقي أمام توظيف الفرد السعودي حيث انه يجب وضع أسس وأنظمة تعطي صاحب العمل الحق في معاقبة التقصير في مسائله الانضباط في العمل . بل ان من اكثر جوانب القصور في العمالة الوطنية هو عدم إدراكها لمفهوم العميل والزبون او أخلاقيات التعامل مع الزبائن أين كان نوع العمل الذي يمارسه المواطن حيث تكتشف ان العديد من المواطنين يأخذون مفهوم العمل بالبعد المزاجي والتحولات المزاجية وليس بمفهوم العلمي والتسويقي الحديث .

خامساً : أن مع انفتاح العالم ومنظمة التجارة العالمية فان التحدي الذي يجب ان تواجهه الأجهزة الحكومية المعنية في مجال الأمن الاجتماعي وكذلك الأجهزة المعنية في مجال الاقتصاد والعمل والتوظيف وكذلك الأجهزة الأهلية المرتبطة في النشاط الاقتصادي وكذلك المرتبطة في مجال النشاط التوظيفي كل هذه ألاجهزه الحكومية والخاصة مطالبه بشكل سريع ومخطط بخطط استراتيجية تتكون من خطط مرحلية من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجي على العمل من أجل رفع كفاءة الفرد السعودي على مستوى العمل وإتقانه وعلى مستوى أخلاقيات العمل والتفاني من أجله ومن اجل إيجاد قوة عمل قادرة على المنافسة العالمية حتى يمكن ان تكون المملكة من الدول الرابحة في مراحل الانفتاح الدولي

ويكون الفرد السعودي هو محل طلب وتوظيف من قبل الشركات الفعاليات الاقتصادية السعودية وغير السعودية وهذا يأتي بخلق برامج تدريب وتعلم متطورة مصحوبة بجرعات عن أهمية العمل والتفاني فيه والولاء له وكذلك حب النجاح والعمل الجاد من أجله .

فتح الحوار

إذا كان الحوار والجدل هو سمة العلوم الفلسفية بشكلها العام والتي تتضمن العلوم الاجتماعية اليوم فإن الحوار ذاته كان ومازال عامل من عوامل تطوير العلوم الطبيعية ابتداء من جدل علوم الرياضيات في المرحلة الإغريقية حتى جدل علوم الفيزياء والكيمياء في العصر الحديث. بل ان عصر النهضة الأوربية كانت قائمة على مبداء الجدل والحوار بين القوى المختلفة التي تشكل النسق الاجتماعي والسياسي والعلمي للعالم الغربي ورغم ان هذا الحوار لا يخلو من عنف في وجه من الوجوه في مرحلة من المراحل الا أن مثل هذا السلوك لم يكن عائق في طرح أهمية الحوار والجدل كعامل من عوامل إبراز الجانب السلمي على الاختلاف والتناقض بدل من طغيان الجانب العنفي والصراعي للاختلاف وهذا كان أحد المبادئ الهامة التي حاول العالم الغربي طرحة على المستوى الداخلي على الأقل وهذا ما طرح مفهوم المشاركة بمفهومها الشامل سواء المشاركة بالحركة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية وهذا ما دفع أي أعاده بناء القيم السياسية والاجتماعية على أسس حوارية قابلة لوجود مخارج خارج دائرة العنف والتصادم في اغلب محطات التاريخ الأوربي وخصوصاً على الجبهة الداخلية.

وان كان العنف في بعض الأحيان هذا امتداد للحوار كما هي الحرب امتداد للدبلوماسية فإن الحرب لا تلغي الدبلوماسية بل تعززها عندما تقوم الحرب بدورها كعامل مكمل وهذا يصدق كذلك على الحوار والعنف امتداد للحوار الا أنه يصدق أن يكون قنوات الحوار مغلقة لدرجة أن تكون دائرة العنف مستمرة مترابطة بشكل يدفع موجات العنف الى مزيد من العنف.

ولكن ما نطرحة هنا هو ليس بهذا التوجه أو هذا المنحى وانما مفهوم فتح الحوار هنا ليس لتلافي العنف فهذا شيء مفروغ منه ولكن الهدف من فتح الحوار هو فتح المجال بشكل واسع من أجل المبادرات الفكرية الخلاقة في طرح الأفكار ذات البعد الاجتماعي والاقتصادي من أجل:-

اولاً : التعرف على أكبر قدر من الأفكار و الاطروحات سواء بمفهومها العلمي الرزين أو بعدها التخيلي المبسط من أجل أن تكون ساحة الحوار الحر هي المحك الحقيقي لمثل هذه الاطروحات وفرز جودتها وفاعليتها وقابليتها للتطبيق والتنفيذ.

ثانياً : ان طرح مفهوم الحوار العام هو منهج يكون من المصلحة العامة طرحة وأخذه كأسلوب من أجل تدريب المجتمع على الطرح المتعقل والمتأني وذلك يرجع الى أن الأفكار المطروحة سوف تلاقي اطروحات فكرية اجتماعية مقابلة وبالتالي يتم التأني في طرح الفكرة والتفكير الطويل فيها قبل طرحها بل انها تؤدي الى تهميش العديد من الأفكار التي لا يكون لها صدى اجتماعي أو

قبول عام مما يجعلها تستنفذ طاقتها المعرفية ويدفعها الى الاختفاء بشكل طبيعي بدل من عملية أبعادها عن السطح بشكل مؤقت على الأقل .

ثالثاً : ان إشراك اكبر عدد من الأفراد في طرح الحوار حول القضايا العامة سوف يوجد رشدية وعقلانية اجتماعية أوسع أو يمكن القول توسيع دائرة الرشدية الاجتماعية من خلال طرح الأفكار مصحوبة بآليتها التنفيذية وعوامل جاذبيتها وعيوبها وجوانب التناقض فيها وبالتالي فإن إشراك اكبر عدد من الأفراد في مثل هذا الجدل الأكثر تعقل يعقلن الفعل والتفكير العام حول القضايا العامة المختلفة .

رابعاً : ان عملية إشراك اكبر عدد من الأفراد في الاطروحات الفكرية والعلمية المختلفة سوف يشعل جذوة المشاركة والحماس الوطني في تنفيذ بعض الأفكار المفيدة كما أنه سوف يعقلن الوعي الجماعي عن محاذير بعض الأفكار والإجراءات التي سوف تجر المجتمع الى مزالق لا تكون في الصالح العام بمعنى آخر ان الحوار العام يخلق روح الوطنية لدي الأفراد ويخلق لديهم الحماس الحقيقي لتنفيذ وتشجيع وموازرة الأفكار البنائه والمفيدة .

خامساً: ان طرح مفهوم الحوار في العديد من القضايا الاجتماعية والاقتصادية سوف يساعد على تجسير الفجوة الواضحة القائمة بين شرائح اجتماعية مختلفة من حيث العمل وطريقة النشاط مما هو حادث أحياناً بين القطاع العام والخاص بل و المجتمع والقطاع العام والمجتمع والقطاع الخاص فان الحوار سوف يجسر مثل هذه الفجوات ويخلق آلية للفهم المتبادل بين هذه القوى المتعددة مما يدفع مزيد من الفهم المتبادل .

سادساً: أن أفضل ما يمده الحوار المفتوح والمتعدد حول القضايا المختلفة هو زرع روح الواقعية لدي المجتمع في متطلباتهم وتطلعاتهم وكذلك روح المسؤولية لدى القطاع الاقتصادي الخاص وروح العمل لدى القطاع العام وأن الحوار هو الوسيلة الحقيقية لاخراج المجتمع من دائرة التخيل والمطالب اللاواقعية الى الواقع كما هو وليس كما يجب أن يكون وبالتالي سوف تكون حركة المجتمع اكثر عقلانية واكثر علانية مما يقود إلى مجتمع طبيعي وصحي .

سابعاً : يجب أن تكون مبادرة حرية الحوار حقيقية ومستمرة حتى يتم تصديقها والأخذ بمصداقيتها حتى يتم جذب اكبر عدد ممكن من الأفراد والأفكار لمثل هذا الحوار البناء وان أوقات السلم والاستقرار والقوة هي المرحلة الحقيقية لطرح مثل هذه الطموحات وان طرحها في مراحل الحرب أو الأزمات المختلفة تفهم بشكل معاكس في كثير من الأحيان .

إعادة مأسسة النظام الدولي

عندما كتب أبن خلدون مقدمته الشهيرة حول مفهوم قيام وسقوط الدولة لم يكن في مخيلته هذه الديناميكية الحديثة وعندما كتب بول كندي كتابه الذائع الصيت

(قيام وسقوط الدول العظمى) كانت حاسته التاريخية أقوى بكثيراً من حاسته الحديثة وهو الأستاذ القادم من بريطانيا إلى صرح الجامعة المحافظة في الغرب الأمريكي حيث حاول تسليط الضوء و الربط بين البعد العسكري وأثرة على البعد الاقتصادي وبالتالي أثره على انهيار القوى العظمي وكان السيد كندي ضليع بالقراءة التاريخية النافذة والثاقبة إلا أن نظرته التاريخية هذه قد حجبت عنه النظرة الحديثة والمستقبلية .

وإذا كانت بريطانيا قد فقدت مقعدها كواحدة من القوى العظمي في النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية خصوصاً وأن بريطانيا استطاعت الاحتفاظ بهذا المقعد بعد انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من النظام الدولي بعد الحرب العالمية الأولى وانسحابها من منظمة عصبة الأمم ، المنظمة التي عملت إدارة الرئيس ولسن على إنشائها ثم تركتها فريسة للصراع الأوربي كل ذلك سوف يؤجل دخول الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي حتى تأتى الحرب العالمية الثانية وتنهار منظمة عصبت الأمم وتقوم على أنقاضها منظمة الأمم المتحدة ، هذه المنظمة التي سوف تضع نفسها كمؤسسه تكرس نصر المنتصر وتحكم المنتصر بالنظام الدولي أي أن منظمة الأمم المتحدة هذه سوف تكون واحدة من أهم أدوات البناء المؤسسي الدولي لتكريس قوة دول الحلفاء و الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص وبعد ظهور الاتحاد السوفيتي والحرب الباردة أصبحت المنظمة الدولية التي يراد أن تدير العالم منظمة شبة مشلولة كان لا بد من إنشاء أحلاف عسكرية خارج المنظمة ومؤسسات اجتماعية واقتصادية داخل وخارج المنظمة تستطيع العمل على تأسيس نظام دولي قادر على تكريس قوة المنتصر وتحديد سلم للقوى الدولية على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري .

وإذ كان العامل العسكري ولأيدلوجي حاسمين في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية فإن هذين العاملين أخذا بالتراجع أمام النجاحات الاقتصادية الهائلة التي حققتها الدول الغربية وأبرز أهمية هذا العامل وجوهريته هو النجاح الاقتصادي الياباني الهائل الذي تبعة نجاحات اقتصادية أسيوية كبيرة دفعت البعد الاقتصادي إلى مداه الكبير وجعلت الدول التي وضعت كل إمكانياتها وخططها المستقبلية وإستراتيجيتها في خانة الصراع الأيدلوجي والقوة العسكرية وأهمال البعد الاقتصادي إلى الشيخوخة المبكرة بل والموت البطي وكما حدث للاتحاد السوفيتي

واستطاعت الصين تلافي مثل هذه الشيخوخة المبكرة بتحولها إلى مفهوم (دولة السوق الاشتراكي) على الرغم من تناقض مثل هذا الشعار وهذا المفهوم وأصبح المستقبل هنا للدول التي أخذت بالبعد الاقتصادي كواحد من العوامل المهمة بل وأصبحت القيادة الدولية للدول التي لديها إمكانيات الجمع بين القوة الاقتصادية مدعومة وداعمة للقوة العسكرية والفكرية ومن خلال هذه المعايير يمكن جدولة القوة الدولية .

وإذا كان انهيار الدولة العثمانية والحرب العالمية الأولى ساعد على بناء نظام دولي قام على الحركة الاستعمارية والحرب العالمية الثانية ساعدت على إنشاء منظمة دولية لوضع الدولة المنتصرة على رأس القائمة الدولية وأن هذه الدول المنتصرة لم تخرج عن دائرة الصراع منها مما دفع إلى انهيار الاتحاد السوفيتي الذي أذن بإعادة مأسسة النظام الدولي على أسس جديدة يكون ترسيخ قوة الدول المنتصرة سلمياً على النظام الدولي وكان لا بد من آلية لتحقيق مثل هذا الهدف ويكون الاقتصاد هو واحد من أهم مفاتيح هذا العصر بسبب التطور المذهل في مجال التكنولوجيا والاتصالات فإن منظمة التجارة العالمية كانت أحد مداخل التأسيس لمثل هذا النظام حيث سوف تسمح هذه المنظمة الدولية أن تضع الدول المتطورة على مستوى الاقتصادي والتكلنوجي ومالي إلى إدارة الاقتصاد الدولي بشكل أكثر تنظيم وبشكل يخدم مصالحها في المستقبل ويثبت انتصاراتها على شكل مؤسسات دولية قادرة على استثمار مثل هذا الانتصار .

إن منظمة التجارة العالمية سوف تماسس للقوى المنتصرة في الحرب الباردة وسوف تضع قوانينها بدخول الدول المنتصرة جميع مناحي الحياة بل وسوف تحد إلى حد كبير من صلاحيات الدول الأخرى الوطنية والقومية في سن ووضع القوانين الاقتصادية على الرغم من أن بعض بنود المنظمة العالمية تشير إلى تفهمها لوضع الدول الأكثر ضعفاً إلا أنه في نهاية المطاف يكون الخيار أمام الدول الغير قوية على مستوى القوة الاقتصادية والتأهيل والتحديث البشري هو الخيار بين الذويان في النظام الاقتصادي للدول المتطورة أو العزلة والموت جفافاً وجوع والخروج من دائرة المناقشة الدولية .

وبالفعل فإن منظمة التجارة العالمية كانت بدايتها هو المأسسة للنظام الدولي للتأكيد على قيادة الولايات المتحد الأمريكية للاقتصاد الدولي من جانب وكذلك مشاركة الدول الأوربية المتطورة والدول الأسيوية المتطورة في هذه الكعكة العالمية ودخول بقية دول العالم كجزء من الفرقة الاقتصادية العالمية وليس كلاعب أساسي فيها .

وعلى الرغم من أن هذه المنظمة العالمية ذات جناح اقتصادي أحادى وذلك راجع إلى أهمية العامل الاقتصادي و حاسيته لدعم المشروع الأيدلوجي والمشروع العسكري فإن القوى الدولية عندما تتحكم بالبعد الاقتصادي الدولي فهي كذلك تؤثر إن لم تكن تتحكم بالفعل بالمشروع الأيدلوجي والعسكري الدولي وبالتالي فإن الجناح الاقتصادي للمنظمة الدولية يخفي تحقيق

أهداف أيدلوجية وعسكرية غير منظورة وذلك بالتحكم الغير مباشر في هذين العاملين الآخرين عن طريق التحكم بالبعد الاقتصادي .

ولكي تكون مأسسة النظام الدولي عبر منظمة التجارة العالمية اكثر دقة واكثر حزم فإنها ركزت على البعد الاقتصادي دون غيره وتركت البعد العسكري للدول المنتصرة في تشكيل منضماتها وأحلافها العسكرية وتحالفاتها الثنائية لتقوم بتحقيق البعد الأمني والعسكري الدولي ويقوم الجناح العسكري بحماية البعد الاقتصادي وبتالي سوف يكون جناح الاقتصاد عبر منظمة التجارة العالمية وجناح القوة العسكرية عبر المنظمات العسكرية والتحالفات الثنائية كفيلان بؤاد وقتل أي مشروع أيدلوجي يمكن أن يظهر في أي مكان في العالم في المستقبل المنضور مما يعني أن إعادة ممأسسة النظام الدولي سوف تكون في صالح الدول التي انتصرت في الحرب الباردة انتصاراً اقتصادياً وعسكرياً وأيدلوجياً .

الأزمات والسلوك السياسي بين المكاسب والخسائر

يتحدث العديد من ممتهني دراسة العلوم السياسية والدراسات الدولية عن مفهوم إدارة الأزمات والحقيقة ان الذهن في معظم هذه الأوقات ينصرف الى إدارة ألازمه عند وقوعها على الوحدة السياسية او داخل الدولة أي دولة كانت أي أن إدارة الأزمة تكون محاولة فهم وتعامل مع أزمة ومن ثم محاولة التخفيف من جوانبها السلبية على الدولة والمجتمع وتتراوح هذه المفاهيم بين أزمات طبيعية مثل الكوارث البيئة او الكوارث الطبيعية او حتى أزمات سياسية داخلية مثل فضيحة سياسية أو سقوط حكومة منتخبة او غير منتخبة نتيجة لظروف اقتصادية او إقليمية معينة ثم تحول بعض من مفاهيم إدارة الأزمات وخصوصاً في الدول الكبرى او المتطورة ذات السياسات الدولية الواسعة والمتشعبة الى مفهوم إدارة الأزمة الدولية وكان هذا المفهوم أدارة ألازمة الدولية وانصب هذا المفهوم لادارة الأزمة السياسية الدولية عندما تكون هذه الدوله طرف فيه مباشر ومعنية على وجه الخصوص وبالتالي فان هذه الدول تكون من الانغماس في إدارة دفه بعض الأزمات السياسية دون غيرها وبحكم إمكانياتها وقدراتها السياسية والاقتصادية والعسكرية فأنها تسعى الى تحقيق اكبر كمية من المكاسب مع تلافي اكبر كمية من الخسائر المحتملة ومع ذلك فان المفهوم الإدارة الأزمات الدولية هو تخفيف الأضرار الناجمة او المحتملة من هذه الأزمة أو تلك .

ومع كل ذلك فان حديث الدارسين والباحثين كان اقل من المطلوب في مجال دول الطرف الثالث في أزمة من الأزمات أي كيفية إدارة الأزمة من دول هي ليست معنية بشكل مباشر بهذه الأزمة او تلك ولكنها في ذات الوقت صاحبة ارتباطاً غير مباشر بما يحدث من حولها وعلى سبيل المثال ما هي آلية إدارة الأزمة الممكنة والمحتملة من قبل العديد من الدول العربية والإسلامية من أحداث ١١ سبتمبر الماضي والتي وجدت هذه الدول نفسها بدون مقدمات وبدون تحضير مسبق إنها في خضم الحدث وتأثيره ومع ذلك هي ليست طرف فيه وبالتالي يبقى التساؤل مشروع هو كيف يمكن لمثل هذه الدول إدارة مثل هذه الحدث ؟ سواء بالتلافي ؟ او الاستفادة ؟ وما هي آلية التصرف السياسي وفق المعطيات السياسية المحيطة بالحدث ؟

ان التاريخ والتجارب السابقة لمثل هذه المواقف التي تعيش فيها دول كطرف غير مباشر في الأزمة ولكنها مرتبطة فيه يثبت ان تأثير الأحداث والأزمات كان كبير على مثل هذه الدول سواء بالجانب السلبي او الإيجابي ومن الأمثل على ذلك هو الأحداث التي ارتبطت بالدول العربية

والإسلامية في الحرب العالمية الأولى التي لم تكن طرف فيه ولكنها كانت مؤثرة ومتأثرة فيها وكيف تحول الى حالة استعمار بل وكيف تأثرت هذه الدول على اثر الحرب العلامية الثانية بل ان الدول الأوربية المحيطة في قلب أوروبا مثل منطقة البلقان وأسبانيا والبرتغال كيف كان التأثير عليها كبير على الرغم من ان الأحداث لم تطلها بشكل مباشر ولم تكن طرف حقيقي في المعارك بل زج بها في جانب هذا الطرف او ذاك ان اكثر الأمثلة وضوح هو عند سقوط الاتحاد السوفيتي وكيف تغيرت الحال السياسية لدول أوروبا الشرقية والتحول السلمي الهائل فيها وكذلك تحديد الخيارات السياسية لدول أمريكا اللاتينية وبعد ذلك لدول آسيوية قريبة من الحدود السوفيتية السابقة .

كل هذه الحالات والأمثلة تعطي انطباع ان تأثير الدول الأخرى المعنية بالحدث السياسي حتى وان كانت غير مرتبطة بالحدث بشكل مباشر كان كبير وواضح ولكن السؤال هو أي نوع من التأثير يمكن ان يتحقق ؟ والحقيقة ان نوع هذا التأثير يتوقف على طبيعة السلوك السياسي الذي تمتهنه وتحفظه هذه الدولة أو تلك حيث تسعى بعض الدول الى محاولة تهميش الحدث والصمت عنه ومحاولة عزل نفسها عن الأحداث وكان الأحداث لا تعنيها وان كان ذلك يبدو خيار عقلاني وجيد في الوهلة الأولى الا انه كان ذو نتائج غير جيدة حيث تكشف الدولة أي دولة ان صمتها وعزلتها لم يجنبها تأثير الحدث ووتيعياته وبالتالي فان هذه الدول يبدو أنها حققت بعض المكاسب في المدى القصير إلا ان النتائج غالباً ما تكون سلبية عليها على المدى البعيد وكشفت العديد من التجارب ذلك .

الجانب الآخر هو الاندفاع داخل الحدث من اجل البحث عن مكان ودور في إدارة الأزمة وتحديد توجهات الأمواج السياسية وان كان مثل هذا السلوك فيه الدنياميكية وفيه ذكاء من حيث معرفة تموجات وتغيرات الأحداث وبالتالي الاستعداد لها الا ان مثل هذا التأثير على الأحداث والاستعداد لها مرتبط ارتباط واضح وكلي بالقدرات والإمكانيات السياسية والاقتصادية والموارد الطبيعية والبشرية بمفهومها الشامل سواء على المستوى الكمي أو النوعي وهذا في الحقيقة لا يرتبط او يتوفر في للعديد من الدول وبالتالي فان على الدوله أي دولة تحديد مواطن قوتها ومواطن ضعفها و أمكانيه تأثيرها على الحدث السياسي مستخدمة قدراتها وإمكانياتها .

اذا كان مثل هذا الآمر ليس من الوضوح والتحديد ماذا يمكن لدولة مرتبطة بالحدث السياسي ومتأثرة فيه ولكنها ليست طرف مباشر فيه أ، تتصرف؟ ان السلوك السياسي من التجارب السياسية السابقة تحاول جذبنا الى التواصل الى بعض النتائج الهامة ومنها :

اولاً : ان تهميش الذات والعزلة كانت دائماً عاملاً سلبياً في أي أزمة من الأزمات الدوليه أي أن عزلة الدولة لذاتها وعدم تفاعلها مع ما يجرى من حولها غالباً ما يكون ذو تأثير سلبي على

الدولة سواء على لمدى القصير او البعيد وبالتالي فان خيار العزلة كان خياراً سلبياً .

ثانياً : ان خيار الانخراط الكامل بالحدث كان دائماً غير مضمون أو واضح النتائج بل ان العديد من الدول التي اختارت الانخراط الكامل انجرفت مع الأحداث وتكبدت مسؤوليات اكبر من قدراتها وإمكانياتها وبالتالي كانت الجوانب السلبية لمثل هذا الانخراط اكثر من جوانبه الإيجابية بل ان من هذه الدولة فقدت استقلال قرارها السياسي بعد ان دفعت نفسها للانخراط في الأزمات الدولية .

ثالثاً : ان اكثر التجارب التاريخية نجاحاً في إدارة دفعة الأزمات الدولية هو الانخراط المحسوب والحذر بمعنى عدم الانخراط السطحي واللفظي دون العمل الحقيقي ويجب ان يكون محاولة الانخراط الجزئي هذا مرتبط بشكل واضح بالإمكانيات المتاحة لهذه الدولة او تلك مما يسمح لها بالخوض في الجوانب التي يمكن لها تحقيق مكاسب سياسية حقيقية فيها دون الخوض في جوانب الأزمة التي تحمل الدولة أعباء سياسية او اقتصادية اكثر من قدراتها او إمكانياتها سواء بالوعود او بالتوعد لاتخاذ هذا الموقف او ذلك .

أن إدارة دفعة أزمة لدولة أي دولة ليست طرف مباشر فيها هو من اكثر المواقف السياسية صعوبة ولذلك فان مثل هذا الموقف السياسي يتطلب دقة ورؤية استراتيجية واضحة حتى يمكن الاستفادة مد وجزر مثل هذه الأزمات بدل من ان يكون مد وجزر هذه الأزمات هي مصدر لرعب والتدمير على دول هي ليست طرف مباشر في الأزمة ولعل أزمة أحداث ١١ سبتمبر وما تبعها من أحداث لمثال صارخ من حيث تأثيرها على العديد من الدول العربية الإسلامية .

الاقتصاديات المحلية والأزمات الدولية

لن يكون جديداً الحديث عن الارتباط الهائل بين البعد الداخلي والخارجي في الجوانب الاقتصادية حيث أن التأثير الدولي والأحداث الدولية تؤثر على البعد الداخلي وخصوصاً على المستوى الاقتصادي بل إن عولمة الاقتصاد دفعت هذا النوع من التأثير المتبادل إلى أبعاد وآفاق أوسع واصبح متعارف على أن التحديث الاقتصادي هو الخروج من الإطار المحلي الى الإطار العالمي واصبح من المسلمات المعروفة أن الدول المتخلفة على المستوى الاقتصادي اقل تأثر بالأحداث الدولية وان اقتصادياتها اقل ارتباط باقتصاديات العالم ولذلك فإن دول عديدة على هامش الاقتصاد الدولي لا تعنيها الأحداث الدولية لا من قريب ولا من بعيد على العكس من الدول المحدثة على المستوى الاقتصادي والتي تتأثر بالأحداث الدولية سواء على المستوى السلبي أو الإيجابي .

وعلى ضوء الأحداث الأخيرة التي وقعت في نيويورك وواشنطن وما يمكن أن يعقبها من أحداث أخرى من جراء رد الفعل الأمريكي فإن العديد من الاقتصاديات الدولية سوف تترقب ليس لارتباطها القوي بهذا الحدث أو ذلك و إنما أن البعد الاقتصادي ذو جانب نفسي يلعب دوراً مهماً في حركة آلية السوق ألا أن ردود الفعل هذه التي يمكن أن تكون حقيقية أو نفسية تختلف من منطقة جغرافية وأخرى ومن دولة وأخرى حيث أن بعض الدول يمكن أن تتأثر بشكل مباشر والأخرى يكون التأثير عليها أقل وغير مباشر وعند النظر في احتمالية تأثير على الاقتصاد فإنه يمكن رصد النقاط التالية :

أولاً : أن المملكة العربية السعودية دولة نفطية بالدرجة الأولى وان سلعة النفط كانت وما زالت ومن المتوقع أن تستمر سلعة استراتيجية هامة ولذلك فإن الطلب على النفط من المتوقع أن يزداد وبالتالي فإن مداخيل المملكة متوقع أن تزداد أو أنها تبقي على معدلاتها الحالية في اسواء التقديرات ولكون النفط سلعة اقتصادية استراتيجية فإن تأثير هذه الأزمة على المستويات دخل المملكة محدودة جداً أن لم تكن معدومة بل يمكن أن يحدث تحسن واضح في مداخيل المملكة مثلما حدث في العديد من الأزمات السابقة التي استطاعت رفع الاستهلاك العالمي من النفط جنب الى جنب مع ارتفاع أسعار النفط .

ثانياً : على الرغم من أن أزمة الأحداث في نيويورك وواشنطن ضربت بعض المصالح الاقتصادية العالمية خصوصاً في مجال الأسهم والأوراق المالية ألا أن اكثر القطاعات تضرر هي ذات طابع أمريكي بحت في مجال الطيران والنقل والسياحة والاهم في مجال الأمن السياسي

والمكانة السياسية للولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً بعد ضرب أهم معاقل الأمن الأمريكي مبني البنتاغون أو وزارة الدفاع الأمريكي حيث كشفت هذه الأحداث الارتباك الأمني والمخابراتي الذي شل الولايات المتحدة الأمريكية في الساعات الأولى من الأحداث وهذه عوامل ذات بعد سياسي ذات تأثير اقتصادي غير مباشر .

ثالثاً : على الرغم من قوة ودقة تنفيذ العمل الهجومي على نيويورك وواشنطن ألا انه ليس من المتوقع أن يربك الاقتصاد الهائل للولايات المتحدة الأمريكي بل انه بمجرد امتصاص الصدمة النفسية لهذه الأحداث فإن تأثيرها لن يكون بعيد على المستوى الاقتصادي وذلك راجع الى ضخامة الاقتصاد الأمريكي وزيادة الاستثمارات الأجنبية فيه ومرونته وديناميكيته بل أن بعض النشاطات الاقتصادية الأكثر تضرر مثل الأسهم والنقل الجوي كان لابد من دعمها أعادتها لنشاطها المعهود وذلك لأهمية هذين القطاعين على المستوى النفسي والعمل للعودة بالاقتصاد الأمريكي الى ثقة المتعامل معه وهذه أهداف لا يمكن التنازل عنها ولا بد من تحقيقا على المستوى الاقتصادي الأمريكي المحلي وبالتالي الدولي .

رابعاً : إن مثل هذه الأحداث التي وقعت في كل من نيويورك وواشنطن والأثر الاقتصادي الذي تركته وان كان مؤقت تدفع اكثر من اهتمام لنا في المملكة العربية السعودية يجب الالتفات إليها من أجل تخفيف تأثيرها علينا خصوصاً في

أي أزمات مستقبلية ومن هذه الخطوات التي يجب العمل بها :

١- الاهتمام الجدي في إيجاد الدورة الاقتصادية المحلية أي الروابط الأمامية والخلفية للاقتصاد المحلي وهذا يمكن تحقيقه بخلق ديناميكية الاقتصادية محلية أقوى وأكثر فاعلية عن طريق الوظائف والأعمال الحرة والنشاطات الاقتصادية حيث يمكن خلق مناخ اقتصادي ذو حركة مترابطة يدعم بعضه البعض . عندما وقعت الأحداث الأخيرة كانت دعوة السياسة الأمريكيين للمواطن الأمريكي هو أن يستمر بالشراء من اجل إنعاش الحركة الاقتصادية أما في المملكة فإن عدد هائل من العمالة الأجنبية لن تقوم بالشراء من الاقتصاد المحلي بل العكس سوف تقوم بتصدير و إخراج مرتباتها ودخولها وهذا يعد خسارة للاقتصاد السعودي في مراحل الرخاء فما بالك في حالة مثل الأحداث الأخيرة بل أن عدد من السعوديين العاطلين عن العمل بدون دخل يمكن أن يساهموا سلبياً في حركة الاقتصاد المحلي وهذا يعد بحق خسارة للاقتصاد المحلي وذلك أن هؤلاء الشباب بدون عمل ليسو فقط هم عالة من الناحية الاجتماعية والأمنية بل عم عالة اقتصادية سلبية بدون وجود عمل لا يمكن أن ا يساهمو في الدورة الاقتصادية المحلية

٢- أن سعوده النشاط الاقتصادي يعد بحق خط الدفاع الأول من حيث ديناميكية العمل الاقتصادي وإعادة تدوير المال بالداخل وزيادة مداخيل المجتمع السعودي ولذلك فإن العمل على إدخال الفرد السعودي الى النشاط الاقتصادي كفاعل وليس كمالك فقط هو عمل في غاية

الأهمية للاقتصاد الوطني وأنه بدون ذلك فسوف يكون تأثر الاقتصاد الوطني ملموس في حالة السلم فما بالك في حالة الأحداث الدولية .

٣- أن التفكير بالخطة الوطنية من اجل مزيد من الرخاء الاقتصادي وزيادة التماسك الاقتصادي في أوقات الأزمات يبداء في إيجاد خطة جادة وتركز على كلمة جادة ولا تقبل المساومة أو التأجيل من اجل سعودة الاقتصاد وخصوصاً النشاط التجاري فإن أي عمل من أجل التأجيل سوف يعود بالأثر السلبي على الاقتصاد الوطني على المدى البعيد ناهيك عن آثاره الاجتماعية والأمنية والنفسية.

أرجو أن لا يفهم من ذلك السعودة الى الانغلاق في العمل الاقتصادي و إنما سعودة العمل التجاري هي دعوة للانفتاح والتوسع في العمل التجاري ولكن بأيدي وخبرة سعودية مع دورة اقتصادية محلية تفيد المملكة العربية السعودية وتبعث فيها الرخاء الاقتصادي .

الأمم المتحدة والنظام الدولي

كثر ويكثر الحديث هذه الأيام عن دور الأمم المتحدة ولقد تزعم هذه المقولة التصاريح المتتابعة التي يطلقها السيد كوفي عنان عن دور الأمم المتحدة اليوم وما هو المطلوب منها في المستقبل ولكي توضح معنى هذه الأحاديث وأبعادها السياسية على الأمم المتحدة بذاتها وعلى النظام الدولي بكاملة فإن حفر معرفي لهذه المنظمة لابد منه وبالتالي يمكن من خلال الحفر المعرفي توضيح نشأة الأمم المتحدة ونشاطها ونجاحاتها وإخفاقها والأبعاد والدواعي للدعوات الجديدة الخاصة بتطوير بعض بنود الأمم المتحدة .

إن القراءة الأولية لقيام الأمم المتحدة تدفع بدون عناء حقيقي نحو أن المنظمة الدولية كانت وليدة معاهدة سان فرانسسكو والتي كانت تقضي على الدول بالانظمام لهذا الإعلان والذي يعني فيما يعنيه هو إعلان الحرب على دول المحور في الحرب العالمية الثانية من جانب والانظمام إلى المنظمة الدولية أو منظمة الدول المنتصرة من جانب الآخر ، وكون المنظمة الدولية هي منظمة الدول المنتصرة لم يكن عملاً جديداً حيث كانت عصبة الأمم السابقة لها هي منظمة الدول المنتصرة إلا أن الخلل في عصبة الأمم المتحدة هو أن أهم دولة من الدول المنتصرة وهي الولايات المتحدة الأمريكية انسحبت من المنظمة الدولية وذلك بدافع قوى العزلة التي كانت مؤثرة على النظام الأمريكي في ذلك الوقت .

إلا أن الحرب العالمية الثانية وسياسة ملئ الفراغ السياسي الذي تركته بريطانيا حول العالم وأن العزلة السياسية الأمريكية لا تعني عدم الدخول في الخلافات والحروب الدولية كما أتضح في الحرب العالمية الثانية حيث كانت وراء اندفاع الولايات المتحدة الأمريكية نحو الخروج من طوق العزلة السياسية التي ضربتها على نفسها .

وبالفعل فإن الأمم المتحدة كانت المؤسسة العالمية التي أريد منها أن تكون الفاعل الحقيقي من أجل جني مكاسب الحرب العالمية الثانية حيث أصبحت الدول المنتصرة في الحرب هي الدول ذات النفوذ والهيمنة الحقيقية على المنظمة الوليدة عام ١٩٤٥م والدول الأخرى التي أنظمة لهذه المنظمة كان عليها أن تعلن ولائها ودعمها لهذا النظام الدولي الجديد الخاضع لهيمنة القوى الدولية بل وإن الدول الأكثر ضعفاً في القوى المهمة أصبحت تحت مظلة القوى الأقوى ولاعظم ومن هذا المنطلق خرج الصراع الذي سوف يشكل هذه المنظمة الوليدة وهو ما عرف بالحرب الباردة التي بداءت منذ أن اتضح أن الدوليتين الأكبر هما ذات جناحين سياسيين واقتصاديين متناقضين من حيث النظرة والتوجه وبالتالي أخذت المنظمة الدولية

بالتراجع في القضايا السياسية المهمة وأصبح دور الأمم المتحدة يتمثل في تحقيق الاعتراف الدولي للدول الوليدة والجديدة التي خرجت من النظام الاستعماري القديم والدور الآخر هو يتمثل ببعض النشاطات الاجتماعية والصحية مثل محاربة الأوبئة والجفاف التي كانت تعاني منه المناطق الأكثر فقراً .

وسوف تكون القضايا الأكثر حساسية وخطورة خارج إطار المنظمة الدولية متروكة للأحلاف السياسية والعسكرية التي أنشئها كل معسكر تجاه الأخر مما أضعف دور المنظمة الدولية بشكل حاد .

واليوم بعد أن انتهاء النظام الدولي القديم القائم على القطبية الثنائية بانهيار الاتحاد السوفيتي وتحوله إلى نظام أحادي القطبية بشكل قلق بداء الحديث عن التطوير الأمم المتحدة بشكل إدخال مزيد من الدول في مجلس الأمن بل وإدخال تعديلات جديدة على نظام التصويت بحيث أن صوت النقض الواحد غير كافي القتل أي قرار يصدر عن مجلس الأمن وإذا كان من وجاهه سياسية وعالمية لمثل هذا الأجراء فإنه في ذات الوقت سوف يضعف الأمم المتحدة بدلاً من تقويتها أي أن الدول المهمة والدول العظمى سوف تزيد من انتقائيتها السياسية بشكل أكبر وأكثر من قبل بحيث أنها سوف تدخل بعض القضايا التي ترى أنها سوف تستفيد منها في الأمم المتحدة وسوف تبتعد في بعض القضايا والإجراءات إذا وجدت أن الأمم المتحدة لن تكون ذات فائدة لهذه الدولة أو تلك بل إن مسألة الأحلاف العسكرية السياسية مثل حلف الناتو على سبيل المثال سوف تتولى الجانب السياسي والعسكري بشكل يؤدي إلى إخراج هذه القضايا بشكل اكبر عن ذي قبل من أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن بمعنى أخر أن الدول سوف تسعى إلى استثمار قدراتها الدبلوماسية والعسكرية من أجل تنفيذ مخططاتها السياسية والعسكرية بعيداً عن تعقيد إجراءات الأمم المتحدة وتناقضاتها .

وإذا كانت الأمم المتحدة في السابق قد نجحت في بعض القضايا الاقتصادية والاجتماعية فإن هذه الميزة سوف تذهب أكثر بكثير بعد أن يكتمل بناء منظمة التجارة العالمية ويتم استيعابها لأكثر دول العالم وبالتالي يكون الجناح الاقتصادي الدولي يبدو تحت مظلة قانون منظمة التجارة العالمية ، وهذا من المحتمل أن يزيد من أضعاف وتهميش المنظمة الدولية .

إذاً يمكن القول أن التغير في النظام الدولي من حيث تحوله إلى القطبية الواحدة وهو نظام دولي قلق ونشوء منظمة التجارة العالمية هذه المنظمة التي سوف تسعى إلى تعزيز مكانة الدول المنتصرة في الحرب الباردة بشكل أكبر يعنى أن الجناح السياسي العسكري والاقتصادي من أحتمل أن تكون خارج دائرة المنظمة الدولية على الرغم من التعديلات

المقترحة الجديدة على ميثاق وعمل المنظمة الدولية .

ومن هذا المنطلق في هذا التحول في النظام الدولي سوف يسعى فيما يسعى إلى مزيد من أضعاف المنظمة الدولية ومزيد من تهميش دورها على أنها منظمة لا تستطيع مجاراة النظام السياسي الدولي الجديد ، وأن آلية جديدة تقوم على أعقاب هذه المنظمة سوف تكون ذات حاجة واضحة وماسة ولكن يبدو أن القوى المنتصرة في الحرب الباردة سوف تسعى إلى استباق الحديث بإنشاء منظمات اقتصادية وهي منظمة التجارة العالمية ونظم أمن سياسية وعسكرية قائمة على مفهوم التحالف السياسي والعسكري قائمة على مفاهيم أيدولوجية منطلقة من القيم اللبرالية الغربية في نظرتها للتكوين السياسي للعالم والمجتمعات .

التحول الحضاري

عندما يتحدث علماء النفس والاجتماع عن التحول الحضاري فإن مثل هذا الحديث يكون مرتبط بالقيم النفسية والاجتماعية بكل ما يحمله هذا المفهوم من بعد فلسفي على البعد السلوكي الفردي أو سلوك المجاميع البشرية . والاقتصادي في هذا الجانب يطرح التحول الحضاري ببعده الاقتصادي ومفهوم التقارب الاقتصادي والتقني الذي يعيشه العالم ولكن ما يمكن أن يطرحه المراقب السياسي هو المفهوم الصراعي الموروث عن الصراع السياسي أكثر من ما هو موروث عن تشابه العناصر البشرية سواء الاقتصادية أو النفسية أو الاجتماعية.

ولكون المراقب السياسي يتحدث عن البعد الصراعي فإن ذلك يبدو غريب جداً مع حديث العولمة المختلفة الأبعاد والتوجهات بل يبدو أكثر غرابة في اليوم الذي تكشف فيه الأبحاث الطبية خريطة الجينات البشرية هذه الخريطة التي سوف تحرج أطباء اليوم الذين سوف يكتشفون بعد عشر سنوات من الآن أن ممارسة الطب بدون الخريطة الجينية للأنسان هي حرب في الظلام بل عمل من أعمال الشعوذة والمقامرة وأن الوصفات الطبية ما هي إلا عمل تخميني وبذلك يرجع هذا الاكتشاف الهائل أن الطب على مستوى البحث والممارسة لم يتقدم كثيراً بالقدر الذي تقدمت به التكنولوجيا الطبية .

ولكن ما علاقة كل ذلك بالتحول الحضاري وعلى المستوى السياسي في هذا المجال إن المراقب للبعد الاقتصادي والنفسي والطبي مع البعد العسكري والسياسي الذي تنعم القوى الدولية المتنفذة بالعديد من هذه العوامل وتوفرها على المستوى السياسي والعوامل الأخرى يكتشف ويراقب أن التحول الحضاري يسير بشكل هائل ومحرج للأمم المهزومة إلى نظام حضاري غربي وهنا يكمن السؤال عن الصراع الدولي وكيف سوف يتحول إلى أداة من أدوات الصراع الحضاري .

كان الهدف الاقتصادي الداخلي وراء الحركة الاستعمارية للقوى الكبرى في بداية القرن الثامن عشر والتاسع عشر ومنتصف القرن العشرين البعد الاقتصادي وتحسن الوضع الاقتصادي المحلي وراء الحركة الاستعمارية القومية ثم انتقل الى مسئله نشر المفاهيم الحضارية المنبثقة من القيم الغربية خصوصاً على مستوى السلوك السياسي والعلاقات الدولية ثم أصبح العائق الحضارية الاجتماعي بل والديني أحياناً عامل من عوامل الوقوف أمام الهيمنة الحضارية من العالم المتقدم على العالم المتخلف أصبحت القيم الاجتماعية والحضارية حاجز منع ومصدات ثقافية تمنع الذوبان في خضم الحضارة الوافدة والقادمة من القوة المنتصرة .

ان المتابع للنموذج البشري للأفارقة الذين قدموا الى القارة الأمريكية وجزء من أوربا سوف يمكنه بالمراقبة الدقيقة والدراسة المتمعنة للسلوك البشرية لهذه المجموعات البشرية التي جاءات مكرهة أو راغبة إلى الأرض والحضارة الجديدة أقول أن المراقب لهذه المجموعات البشرية لا يقاوم الوصول إلى خلاصة مفادها أن هذه المجموعات البشرية تعد بحق أحد أهم معامل الاختبار البشري الذي أثرى الذهنية البشرية الغربية بالعديد من التجارب الهائلة والتي منها وعلى ضوئها يمكن فهم سلوك رموز الحضارة الغربية مع الشعوب والدول الأخرى .

عندما قدمت هذه المجموعات البشرية كانت من الغضب والإذلال ما يمكن أن تقول انه جيل من هؤلاء انساقوا بفعل القوة الهائلة والغاشمة التي يتمتع بها الرجل الأبيض الى العمل على مقتضى الرغبة للسيد الأبيض إلا إن العناصر التي كانت تشكل شخصية الفرد الأفريقي المكره على القدوم أخذت تتحول وتتشكل من جديد بعد أجيال متعاقبة بحيث تخلت الشخصيات الأفريقية من الجيل الجديد عن القيم التي تحكم السلوك الفردي والجماعي للإنسان الأفريقي بل ويمكن القول إن تفكيك القيم الاجتماعية والقيمة للفرد الأفريقي ساهمت بإعادة جدولة هذه الأولويات النفسية والاجتماعية والقيمية لدى الفرد الأفريقي القادم الى عالم الرجل الأبيض وبفعل هذا التفكيك فان أعادة رسم أولويات الفرد أخذت تتشكل من جديد وعلى أسس جديدة من القيم والمبادئ الحضارية في مرحلة ما بعد مرحله ١٩٦٠م عندما اخذ قادة هذه المجموعات البشرية من أصول أفريقية إلى زرع سلوك حضاري على أسس من البنية الحضارية للرجل الأبيض وعلى الأسس الأوربية ولم يكن ذلك سلوك هذه المجاميع بل إن التفكيك الحضاري الذي مورس ضد هذه المجموعات كل من القوة والجبروت ما أجبرهم على قبول النموذج الحضاري للرجل الأبيض خصوصاً بعد تفكيك وتدمير البناء الحضاري والقيمي لهذه المجموعات البشرية القادمة من القارة السوداء.

ولذلك فان الدارس للسلوك السياسي والاجتماعي والاقتصادي لا يستطيع إلا أن يجد إن القيم الاجتماعية والسلوكية والسياسية التي تمارسها المجموعات البشرية السوداء ما هي إلا امتداد للحضارة التي بناها الرجل الأبيض بكل ما تمثله هذه الفكرة من معنى مع بعض التشويه لهذه الحضارة والتي لا تؤثر على الجوهر الفعلي .

ان السؤال الجوهري هو التالي : ما يفعله الغرب مع المجاميع الأفريقية وتغيرها الحضاري هل سوف يكرر نفسه مع المجاميع البشرية الأخرى في آسيا والعالم الإسلامي والعربي ؟ أو هل يمكن أن تكون منهجية الرجل الأبيض مع الحضارات الأخرى هو صورة مقاربة لتعامله مع المجاميع الحضارية ذات الأصول الأفريقية ؟ بحيث يمكن إبراز مفهوم

العولمة ومفهوم التوسع الحضاري أو حتى التوسع الفكري والاقتصادي ما هو إلا تحطيم وتدمير للمتاريس الفكرية والاجتماعية التي تحمي المجتمعات الأخرى من هيمنة القيم الحضارية الغربية . والسؤال هل الدول الأخرى لديها خيارات ؟ أو أنها المسألة هي مرتبطة بالوقت وليس الكيف ؟ وهل ما يجري من صراع دولي هو امتداد لهذه الهيمنة وصبغتها بالبعد السياسي والاقتصادي هو لمجرد اكتمال أدوات الهيمنة ؟ ثم ماذا يمكن للأمم الأخرى فعله وعملة ؟ هل سوف يكون الهروب للخلف هو الأفضل أم أن الهروب الى الأمام . هو العمل الأكثر منطقية ؟

التوجه العالمي حتى 2015م

(Global Trends 2015) التوجه العالمي حتى ٢٠١٥م كانت حصيلة عمل جماعي لمجلس الأمن القومي للشؤون الخارجية المنبثق عن وكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA) هذا العمل والدراسة الجماعية جمعت الى جانب خبراء وكالة الاستخبارات الأمريكية خبراء حكوميون وخبراء أكاديميون من اجل وضع تصور عن توجهات العلام خلال الخمس عشرة عاماً القادمة مع تحليل لأبرز العوامل التي سوف تشكل وتؤثر على مثل هذه التوجهات والتحولات حيث يعد هذا العمل وهذه التقارير تجمع بين البعد السياسي المحترف وبين البعد الاستقرائي و الاستنتاجي الى ما يمكن أن يحث في المستقبل عن طريق الاستعانة بالقدرات المعرفية والمعلوماتية للخبراء والأكاديميين وهذا ما يجعل مثل هذه الدراسات والتقارير على درجة عالية من الأهمية ليس فقط لأنها تضع تصورات لمستقبل العالم والقضايا التي من المتوقع أن تشغيل الساحة السياسية في المستقبل فقط بل لان مثل هذه التقارير والدراسات تضع وتؤثر بشكل أو بأخر على سلوك الدول سواء مصدر التقرير والدراسة مثل الولايات المتحدة الأمريكية أو الدول الأخرى على اختلاف أحجامها وقدراتها ومثل هذه الدراسات هي في غاية الأهمية لصانع السياسة سواء الداخلية أوالخارجية حيث أصبح التكامل والتزامن بين البعد الداخلي والخارجي أكثر ترابط وأكثر تأثير متبادل .

في هذا المقال سوف نحاول التعرف على الخطوط العريضة والعناوين الرئيسية لهذا التقرير وهذه الدراسة حيث يتبع هذا المقال مقالات أخرى تسلط الضوء على جوانب متعددة من هذه الورقة .

كانت الجهات الحكومية والخاصة التي قامت وتبنت التقرير والدراسة هي على النحو التالي :

١- ردود الفعل الخارجية (خارج الولايات المتحدة الأمريكية) للثورة في القوات العسكرية . هذه الورقة مقدمة ومدعومة من جامعة جورج تاون.

٢- تقييم لدور الدولة القومية . ورقة مقدمة من جامعة مريلند .

٣- التوجهات الديمقراطية . ورقة مقدمة من جهاز الاستخبارات الأمريكية ((CIAوخبراء أكاديميون .

٤- القوة الاقتصادية الأمريكية . ورقة مقدمة من قطاع خاص من منظمة تحت أسم] الاستراتيجية الصناعية والتجارية [في سان فرانسسكو ولاية كلفورنيا .

٥- التحولات والتغيرات في الصناعات العسكرية . ورقة مقدمة من المعهد العالمي للدراسات

الاستراتيجية . لندن . بريطانيا وهذا المعهد متخصص في قضايا التسلح والشؤون العسكرية .

٦- الخيارات المستقبلية للحروب والنزاعات . ورقة مقدمة من وكالة الاستخبارات الدفاعية وكلية الحرب البحرية . في نيوبورت ، دور أيلند وكذلك وكالة الاستخبارات الامريكية (CIA)

٧- الخروج من الظلام (الصندوق) الى المستقبل . حوار بين المقاتلين في الحروب والعلماء عن حروب المستقبل . ورقة مقدمة من Potomac Institute وهو معهد متخصص في الدراسات العسكرية والتسلح ويصدر عنه العديد من الدراسات العسكرية سواء في عقائد الصراع العسكري أو قضايا التسلح وله حضور قوي ومؤثر على التوجهات العسكرية الأمريكية ويقيم العديد من المؤتمرات المفتوحة والمغلقة حول قضايا التسلح والصراع العسكري هذا المعهد موجود في أرلنتن ، فرجينيا .

٨- المستقبل وتحديد التكنولوجيا مقدمة من
(MI TRE Corporation, mclean, VA.)

٩- أثر وتوجهات الثورة العالمية للمعلومات وتوجهات التكنولوجيا. ورقة مقدمة من مؤسسة راند ، سانتامونكا كلفورنيا وهي مؤسسة قدمت العديد من الدراسات الهامة في القضايا الدولية خلال العقود الماضية أثرت الساحة العسكرية والسياسية .

١٠- الثورة العلمية في المعلومات وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي الدولي . ورقة مقدمة من مؤسسة راند في كلفورنيا .

١١- الشرق الأوسط وتأثير الأعلام والمعلومات التكنولوجية والمعلوماتية وشبكة الإنترنت . ورقة مقدمة من جامعة الدفاع القومي ، في فورت مكنيل ، واشنطن العاصمة .

١٢- توجهات الهجرة وأثرها العالمي وعلى الولايات المتحدة الأمريكية . ورقة مقدمة من معهد كورنيجي أندومنت للسلام الدولي ، في واشنطن العاصمة .

١٣- التوجهات الدولية المحتملة : ٢٠٠٠م- ٢٠١٥م . ورقة مقدمة من وزارة الخارجية الأمريكية ومركز البحوث والتقصي ومركز وكالة الاستخبارات الأمريكية للدراسات المستقبلية.

إذاً يركز هذا التقرير الطويل على أهم النقاط التي يمكن أن تشغل الساحة الدولية خلال الخمس عشرة سنة القادمة والنظر إليها بعين التحليل مع أخذ الاعتبار للمصالح الأمريكية العليا ولعل أهم النقاط التي سوف تخضع للبحث والتحليل هي النقاط الجوهرية والهامة التي سوف تحرك الدراسة وهي :-

١- السكان (أي زيادة عدد السكان في المناطق المختلفة من العالم) .
٢- الموارد الطبيعية والبيئة .
٣- العلوم والتكنولوجيا .
٤- الاقتصاد الدولي و العولمة .

٥- الدولة القومية والدولة العالمية .
٦- الصراعات الدولية في المستقبل .
٧- دور الولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل .

ويؤكد التقرير أن الدراسة تعترف بأن تقسيم هذه الدراسة الى هذه الحقول لا يعني بحال من الأحوال هي أن هذه الحقول هي فقط التي سوف تشغل العالم خلال الخمس عشرة سنة القادمة فقط وإنما يمكن أن تدخل عوامل لم تدخل في الدراسة وتؤثر على النظام الدولي والتوجهات الدولية . كما يقر التقرير أن أي من هذه العوامل لا يمكن أن يكون المؤثر الوحيد وإنما هناك تزامن وديناميكية بين هذه العوامل يجعلها تعمل بشكل مترادف ومتشابك ولذلك يجب دراسة وتحليل هذه العوامل بكل سعت أفق واستيعاب لديناميكيتها وتداخلها وتشابكها .

وإذا كنا هنا قدمنا لأهم العناوين الرئيسية لهذا التقرير فأنني آمل أن تكون عدد من المقالات القادمة تقوم بدراسة وعرض وتحليل هذه العناوين السابقة حتى يتم عرضها بشكل يفيد من أجل فتح آفاق جديدة من التعرف على تفكير الآخرين .

التوجه العالمي حتى 2015م (المناطق الهامة)

في هذا المقال في سلسلة من المقالات تناولت التقرير الصادر عن مستقبل العالم حتى عام ٢٠١٥م وفية كان تسليط الضوء على الجوانب المختلفة التي يمكن أن تؤثر على تحولات ومستقبل السياسة الدولية ومما يزيد هذا التقرير أهمية هو احتوائه على العديد من الخبراء الحكوميون والعديد من الأكاديميون حيث تفاعل الجانب المعلوماتي والتحليلي جنب الى جنب مع الموضوعية العلمية والمصالح الوطنية لبعض المشاركين في مثل هذا التقرير .

ومعنى المناطق الهامة هو محاولة جادة من المشاركين لتسليط الضوء على المناطق التي يمكن أن تلعب دوراً إيجابياً أو سلبياً على المستوى الدولي أو التي من الممكن والمنتظر عن تكون على الساحة الأخبارية سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو العسكري سواء إلى الجانب الإيجابي أو حتى السلبي بل ذهب الخبراء إلى تحديد جزء من التحديات المتوقع بروزها واحتلالها ساحة هامة من الاهتمام العالمي .

شرق وجنوب شرق آسيا :-

إن منطقة شرق وجنوب شرق آسيا سوف يكون العامل الاقتصادي والديناميكية الاقتصادية هي المؤشر والعامل الحقيقي لهذه المنطقة سواء العلاقة البينية بين دول هذه المنطقة أو البنية الداخلية لهذه الدول منفردة . وهذه الديناميكية الاقتصادية سوف يكون محركها ودوافعها هو البعد السياسي والوطني وليس البعد الأيدلوجي وهذا ما سوف يخلق حالة من التحفز لاحتماليه صراعات بينية على أسس من المصالح الاستراتيجية والتي من الممكن أن تتحول الى صراع مفتوح وواسع .

دول منطقة شرق وجنوب شرق آسيا سوف تكون محكومة ومدارة من قبل حكومات وطنية بعيدة عن المفهوم الأيدلوجي ولكنها متحمسة للبناء الوطني والتنمية الوطنية هذه الدول الوطنية سوف تحاول استيعاب التوسع العلمي في مجال المعلومات وتحديث الاقتصاد والإنتاج الاقتصادي والخضوع لآلية السوق وسوف تحاول محاربة الجريمة العالمية المنظمة والأمراض الوبائية . كمأن هذه الدول سوف تحاول توسيع التنوع الثقافي والاجتماعي ومحاولة التحول الديمقراطي واحترام حقوق الإنسان .

وأن فشل الزعماء في تحقيق هذه التطلعات الشعبية سوف تنتج عنه أزاحه هذه الزعامات سدة السلطة عن طريق الانتخابات في الديمقراطية الناشئة أو عن طريق المظاهرات العامة و العارمة في الدول ذات الأنظمة الدكتاتورية المغلقة.

أما البعد السياسي والأمني في هذه المنطقة فإنه سوف يقوم ويعتمد الى حد بعيد على التحولات الأمنية والسياسية بعد الحرب الباردة وكيف سوف تتعامل دول المنطقة والزعماء السياسيون مع هذه التحولات التي سوف يحكمها صراعات القوى العظمى الجديدة مثل العلاقات الأمريكية – الصينية والعلاقات الصينية – اليابانية والعلاقات الصينية – الهندية وارتباط هذه العلاقات والمناطق ساخنة مثل تايوان ، كوريا وبحر الصين الجنوبي وكذلك سوف تحكم هذه الصراعات المستقبل السياسي للدول مثل إندونيسيا وكوريا الشمالية في حالة عدم تحقق الوحدة مع كوريا الجنوبية ومستقبل النظام السياسي في الصين . كما سوف يحكمها العديد من الأقليات وأثرها السياسي خصوصاً في الصين ، إندونيسيا والفليبين وماليزيا . وأن هذه القضايا وتوازناتها وأثرها على تفاعل القوى الكبرى في هذه المنطقة يمكن أن تقود الى صراعات سياسية أو حتى الى صدمات عسكرية في هذا الجزء من العالم .

أي أن تحول الصين إلى قوة إقليمية وعالمية مع تناقص أهميتها الماركسية بطرح شيء من الضبابية في مستقبل المنطقة كما أن الوحدة أو عدم الوحدة الكورية تطرح العديد من التساؤلات وآثارها الهائلة على المستوى الأسيوي كمأن أعادة تقييم ومراجعة القوة اليابانية كل هذه العوامل تجعل من منطقة شرق وجنوب شرق آسيا مناطق هامة سياسياً وأمنياً لفترة التقرير المحددة عام ٢٠١٥م . كمأن عدم الاستقرار في روسيا ووسط آسيا والقوة النووية لهذه المناطق وخصوصاً في الصراع الباكستاني الهندي على مناطق كشمير يجعل من التحولات الهادئة هذه اكثر صعوبة وأقل احتمالية بالتصور المستقبلي لهذه المناطق .

وعلى أن الديناميكية الاقتصادية سوف تجعل هذه المناطق تندفع نحو النظام العالمي إلا أن هذه المناطق الآسيوية سوف تشكل بعض التحولات منها تقارب كل من اليابان ، كوريا ، هونغ كونغ ، تايوان ، سنغافورة ومناطق معينة في الصين حيث أن هذه المناطق سوف تزداد ثراء خصوصاً أن اليابان سوف يتقدم هذه الدول في مجال المعلومات التكنولوجية وقابليتها للتطبيق في الأسواق العالمية . وعلى الجانب الآخر فإن دول مثل فيتنام ، كمبوديا ، لغوس ، وبعض المناطق في غرب الصين سوف تعاني من مزيد من الفقر . مزيد من التواصل الاقتصادي بين تايوان ، هونغ كونغ وجنوب الصين كنتيجة للاستثمارات المتبادلة والبنية الاقتصادية التحتية المتطورة . ومع أن الصين سوف تدفعها الاستثمارات الأجنبية الى مزيد من الانغماس في النظام الاقتصادي الدولي ومنظمة التجارة العالمية . وأن الحاجة إلى الطاقة ومزيد من الطاقة سوف يساعد على التقارب الآسيوي البيني كمأن هناك العديد من احتمالات الصراعات وعدم الاستقرار يقودها تشيّخ المجتمع الياباني والصراع المحتمل على الطاقة والمياه للصين والمأزق المحتمل للزعامة السياسية أي أزمة الزعيم السياسي لكل من إندونيسيا والصين وأثر مرض الإيدز على كل من كمبوديا وتايلاند وفيتنام .

ومع الترتيبات الأمنية الضعيفة والهشة التي تعانيها منطقة شرق وجنوب شرق آسيا سوف يكون للولايات المتحدة دور مهم وهذا الدور هو الذي سوف يضاعف شكوك كل من اليابان والصين حول هذا الدور ومدى استمراريته وجديته ولهذا فإن كل من الصين واليابان سوف يعزز قدرته السياسية والعسكرية والدبلوماسية من أجل أن يتأكد من أن مصالحة السياسية سوف تكون محفوضة في حالة أي تغيير في السياسة الأمريكية في هذا الجزء من العالم .

سوف تسعى اليابان الى استمرارية التواجد الأمريكي في المنطقة مع تجسيرالعلاقة مع الصين الى أن الخلافات السياسية والإستراتيجية بين اليابان والصين سوف تدفع اليابان الى الترحيب بالوجود الأمريكي وعدم الاندفاع نحو التقارب مع الصين . فيما سوف تسعى الصين الى تعزيز العلاقة الاقتصادية مع الولايات المتحدة الأمريكية ألا أنها في ذات الوقت سوف تسعى الى إشراك روسيا وقوى أخرى تحسباً لأي تعبير في السياسية والموقف السياسي الأمريكي .

جنوب آسيا :-

أن أتساع الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية بين الهند وباكستان سوف يضيف مزيد من الشك والريبة بين الطرفين على المستوى العلاقات الثنائية او الداخلية . الهند سوف تكون قوة إقليمية هائلة مسلحة بقوة نووية وقوة تقليدية هائلة على المستوى القوات البرية أو البحرية وتوسع هائل في الديناميكية الاقتصادية . وهذه الفجوة بين باكستان والهند سوف تساعد على مزيد من الخلاف واحتمالية الصراع خصوصاً وأن باكستان سوف تعاني من مزيد من العزلة السياسية ومزيد من الاعتماد على المساعدات الخارجية . دول مثل بنغلادش ، سريلانكا ، ونيبال سوف تتوجه بمزيد من الاعتماد على الاقتصاد الهندي ولذلك فإن تقارب هذه الدول مع الهند سوف يكون واضح خلال السنوات القادمة .

أن قلق الهند من الصين سوف يدفع الهند نحو الدول الغربية ألا أن حاجتها للطاقة والنفط سوف يجعلها تقدم مزيد من التقارب لدول الخليج العربي من أجل الحصول على الطاقة من جانب وموازنة باكستان في علاقاتها مع دول الخليج العربي .

يتحدث التقرير عن أن التحديات الديمغرافيه أي زيادة عدد السكان بعد واحد من مصادر القلق السياسي لهذا الجزء من العالم حتى عام ٢٠١٥م . على الرغم من أن نسبة الزيادة السكانية في جنوب آسيا هي بانخفاض الا أن الزيادة السكانية هي في تسارع حيث انه من المتوقع أن يكون هناك زيادة سكانية تصل الى ٣٠٪ عام ٢٠١٥م عما هي علية اليوم أي أنه من المتوقع أن عدد سكان الهند ١,٢ بليون نسمة وأن باكستان سوف تنمو سكانياً من ١٤٠ مليون اليوم الى ١٩٥ مليون عام ٢٠١٥م وهذا سوف يجعل هناك ضغط على الاقتصاد الباكستاني الذي يعاني اليوم من توفير الحد الأدنى من المتطلبات الاقتصادية وأن التحول للمدن سوف يزيد عن معدلة الحالي من ٢٥- ٣٠٪ الى ٤٠- ٤٥٪ عام ٢٠١٥م وهذا سوف يخلق تحدي للاقتصاد

الباكستاني كما سوف يفصل المناطق الريفية عن اهتمام الحكومة المركزية في المستقبل .

سوف يتم يتابع تسليط الضوء على المناطق الهامة التي من المتوقع أن تشغل العالم سواء بنتائجها الإيجابية أو السلبية خلال الخمس عشرة سنة القادمة حيث قسم التقرير المناطق الهامة الى شرق وجنوب آسيا وجنوب آسيا حيث أن مثلث اليابان – الصين – كوريا كعوامل مهمة مع بقية الدول الآسيوية التابعة ثم جنوب آسيا أي الهند وباكستان والانطلاقة الهندية مع مزيد من اعتماد دول جوار الهند على الهند مقابل تعقد مشاكل باكستان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية في مجابهة المنافسة الهندية كما أن كل من أفغانستان وبنغلادش وسيريلانكا مرشحات لمزيد من ضعف الأداء خلال الخمس عشرة سنة القادمة .

روسيا ودول الآسيو أوروبية : أن مزيد من ظلال الشك وعدم اتضاح الرؤيا تحوم حول مستقبل هذه المناطق حيث أن محاولات التقارب والتنسيق بين هذه الدول كتب لها الفشل تلو الأخر وفشلت العديد من هذه الدول للتخلص من تبعات سنوات الاتحاد السوفيتي الذي كان عاملا من عوامل ربط هذه الجمهوريات واصبح اليوم من الصعب استمرارية هذا التعاون بين هذه الدول وذلك لعلاقة الهيمنة لروسيا على هذه الدول في مرحلة الاتحاد السوفيتي والترتيبات الاقتصادية السابقة التي كانت قائمة على التفكير الاقتصادي الاشتراكي والعام من جانب ومن جانب الآخر أصبح انفكاك هذه الدول واستقلالها التام في غاية الصعوبة خصوصاً مع ثقافة سياسية واقتصادية سائدة غير قادرة على الإنتاج والاندماج مع الاقتصاد العالمي مع بنية تحتية متواضعة وقديمة وغير فاعلة . وإن كان هناك من بوارق أمل فإن بعض الجيوب ذات المخزون الهائل من مصادر الطاقة في بعض هذه المناطق .

أن موقع روسيا المركزي في مناطق دول أسيو أوروبية هو في تناقص وانقراض مستمر بل إن عبارة مركز الآسيو أوروبيا الذي كانت تتمتع به روسيا سوف يكون ذو بعد جغرافي اكثر منه بعد سياسي حقيقي فاعل وذلك لاندفاع العديد من الدول المتخمة لروسيا من الجهة الغربية تدير وجهها الى أوروبا والانضمام الى المنظمات السياسية والعسكرية والاقتصادية الأوروبية و أصبحت تدير ظهرها لروسيا .

روسيا : سوف تشهد روسيا انحدار في أهميتها وتأثيرها مع بقائها المركز الأهم من بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وذلك ليضعف باقي الجمهوريات وليس لقوة روسيا – وذلك لضعف قدراتها من جانب ومن جانب آخر ضعف قدراتها على أدارة الموارد المتوفرة لديها . إن روسيا اليوم تعاني تبعات النظام السوفيتي السابق مع بنية تحتية متآكلة وغير فعالة كما أن التدمير الذي حدث للبيئة كان كبير ومدمر.

إن اكثر ما يهدد روسيا اليوم هو أن عدد سكانها في تناقص ليس فقط على مستوى العدد بل القدرات الصحية والصحة العامة للشعب الروسي سوف يكون في تناقص وضعف مما يجعل

الرهان على الشعب الروس للقيام بنشاط اقتصادي في المستقبل فيه كثير من الشكوك والضبابية للمستقبل الروسي . أن مستقبل الاقتصاد الروسي في أحسن الأحوال واكثر التوقعات تفاؤل فإنه سوف يبلغ عام ٢٠١٥م ما يقارب ١/٥ (خمس) الاقتصاد الأمريكي . أن روسيا اليوم وفي المستقبل مهددة بسناديوهات تذهب الى الفكك الجغرافي والسياسي الى الضعف الاقتصادي ووصول نظام دكتاتوري في روسيا من أجل إيقاف التدهور في النظام السياسي والاقتصادي الروسي . أن التحول من المركزية الى اللامركزية في روسيا هو من الخيارات المطروحة ألا أن ذلك سوف يجابه بعدم ديناميكية روسيا المجابهة النظام الاقتصادي العالمي وتدفق المعلومات مما يجعل اللامركزية والتي هو حل سياسي و اقتصادي خطر يهدد بتفكك روسيا في المستقبل .

أن روسيا متسلحة بقدراتها النفطية وثاني اكبر قوة نووية سوف تسعى جاهدة الى إعادة نفوذها في عهد الاتحاد السوفيتي على مستوى السياسة الخارجية سواء في محيطها الآسيوي أو الأوروبي .

أما روسيا البيضاء فان تحولها الصعب نحو الديمقراطية وصراعها مع الفساد الحكومي والجريمة المنظمة فسوف يؤخر تحولها الى نظام فعال بل سوف يؤخر حسم خيارها السياسي والاقتصادي أما دول جنوب الاتحاد السوفيتي السابق ابتداء من جورجيا ، أرمينيا ، أذربيجان ، فسوف تعاني مشاكل حقيقية حول تحولها السياسي الاقتصادي مع أن امتلاك لبعض القدرات النفطية سوف يسهل من عملية التحول الصعبة .

أما وسط أسيا فإن العوامل الاجتماعية والبنية التحتية والبيئة سوف تعطل المشاريع السياسية وتهدد الاستقرار السياسي في هذه المناطق .

الشرق الأوسط وشمال أفريقيا : أن دول تمتد من المغرب حتى إيران سوف يتعين عليها أن تتعامل مع العوامل السكانية والعوامل الاقتصادية والعوامل الاجتماعية كل ضغط هذه العوامل من الداخل ومن البعد الخارجي عليها أن تتعامل مع عامل العولمة وهذين عاملين متناقضين الى حد ما ويتعن على هذه الدول مجابهتها والتعامل معها ومما يعقد هذه القضية أنه لا أيدلوجية أو فلسفة لديها القدرة على توحيد الجبهات الداخلية لهذه الدول من أجل التعامل مع البعد الداخلي والخارجي في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . مع أن هناك رفض وعدم قبول لبعض القيم الغربية لأسباب اجتماعية أو دينية يمكنها أن تلعب دور توحيدي لهذه المجتمعات ألا أنها تحمل بذور تناقضها واحتمالية تصادمها في ذاتها .

بحلول عام ٢٠١٥م سوف يكون هناك سلام بين إسرائيل وجيرانها العرب ألا انه سوف يكون سلام بارد مع اتصال اجتماعي والاقتصادي وثقافي محدود .

كما سوف يكون هناك دولة فلسطينية وأن العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية سوف تستمر

متوترة وتتحول الى أزمات من وقت الى أخر .

ويتوقع التقرير أن المنافسة بين الدول المركزية السابقة سوف يتجدد في الخمس عشرة سنة القادمة وأن دول الخليج سوف تتمتع بأهمية كبيرة على مستوى الطاقة والنفط في الخمس عشر سنة القادمة وأن الاهتمام العالمي سوف يزداد على دول الخليج كمصدر هام للطاقة للاقتصاد العالمي خلال السنوات التي يغطيها التقرير وأن دول مثل العراق وإيران والمملكة العربية السعودية دول مرشحة أكثر للعب دور أكبر في مجال الطاقة والنفط في المستقبل .

هناك بعض التحولات التي يمكن أن تقود دول شمال افريقيا الى مزيد من الارتباط الاقتصادي مع أوروبا ودول الخليج في مزيد من العلاقة مع الهند والصين في مجال الطاقة والبترول وعلاقة كل من تركيا وإسرائيل والهند في مجال الاقتصاد والتكنولوجيا والأمن في مجال العلاقات التركية الإسرائيلية .

إن أكثر التحديات التي سوف تواجهها دول الشرق الأوسط هو التحدي في الزيادة السكانية وكيفية توفير العمل والوظائف والإسكان والخدمات العامة وتوفير الخدمات لمزيد من الهجرة للمدن والتوسع فيها .

بحلول عام ٢٠١٥م سوف يكون سكان العالم العربي أكثر من اليوم واكثر فقراء ، وأكثرهم من سكان المدن مع فقدان التوجه العام و التفاؤل في المستقبل . أن أكثر من نصف سكان دول الشرق الأوسط اليوم هم أقل من ٢٠ سنة وأن أغلب الدول في الشرق الأوسط سوف تعاني من وجود مجتمع شاب حتى نهاية فترة الدراسة ٢٠١٥م وهذا سوف يشكل تحدي قوي لحكومات دول الشرق الأوسط .

يقول التقرير أنه باستثناء إسرائيل فإن العولمة سوف ينظر إليها على أنها تشكل تهديد وتحدي وليس فرصة لدول الشرق الأوسط ولهذا فإن تحرك المعلومات وتوفرها في دول الشرق الأوسط سوف يكون واضح ألا انه محدود وذلك أن الشبكة العالمية ما زالت محدودة الاستخدام وأن هناك عدم جدية في تشجيع الاستثمارات العالمية لدول الشرق الأوسط . وأن التناقض بين العولمة والانضباط الاجتماعي والسياسي هو المحرك لسياسات دول الشرق الأوسط وكيف يمكن المزاوجة بين قوى العولمة والمصالح الاجتماعية والسياسية التي تراها حكومات الشرق الأوسط وأن هذه العوامل المتضاربة في بعض الأحيان كما يراها التقرير تقود الى مزيد من الترقب والتحولات التي يمكن أن تزيد من المشاركة السياسية في دول الشرق الأوسط .

هذا المقال يكون هو آخر هذه السلسلة من استعراض وتحليل تقرير وكالة المخابرات الأمريكية مع الخبراء الحكوميون وأكاديميون لمستقبل المتوجة العالمي حتى عام ٢٠١٥م .

التوجه العالمي حتى 2015م (الموارد الطبيعية)

تحدثنا في المقالين السابقين عن تقرير التوجه العالمي حتى عام ٢٠١٥م تم فيه التركيز على الخطوط العريضة لهذا التقرير ثم تحدثنا في العامل السكاني وأثره على التوجه العالمي للخمس عشرة سنة القادمة في هذا اليوم سوف نأخذ عامل الموارد الطبيعية كمحرك للتوجه العالمي حتى عام ٢٠١٥م حسب ما قدره التقرير.

إن التقدم المذهل في مجال الزراعة تفيد أن هناك إمكانية كبيرة لتوفير الغذاء السكاني للزيادة السكانية المتوقعة للخمس عشرة سنة القادمة أي أن العرض من المنتجات الزراعية سوف تلبي الطلب المحتمل تزايده في المستقبل على الغذاء والمنتجات الزراعية. ومع الفهم والتسليم فإن مسألة توزيع هذا الغذاء وهذه المنتجات الزراعية سوف تكون عامل يؤثر على مسألة توفير الغذاء في بعض المناطق. وأن عدد الأفراد الذين سوف يعانون من نقص وسوء التغذية من المحتمل أن يزداد وخصوصاً في المناطق التي تعاني من الصراعات ودول الصحراء الأفريقية حيث من المتوقع أن يكون نسبة ٢٠٪ زيادة في سوء التغذية حتى عام ٢٠١٥م أما احتمالية المجاعة فإنه مازال قائم خصوصاً في المناطق التي تعاني من حكومات متسلطة مع حروب أهلية أو نزاعات محلية. كما أن الكوارث الطبيعة والغير متوقعة يمكن أن تكون عامل من عوامل المجاعة كما حدث في الصومال في بداية التسعينات وكوريا الشمالية في الفترة الأخيرة. تقديم المساعدات لهذه الأماكن التي من المتوقع أن تشهد صعوبات سوف يكون قليل ومحدود خصوصاً وأن الدول المانحة لديها قناعة أن المساعدات سوف تكون سلاح بيد الحكومات العسكرية تزيد من سلطاتها وقوتها وجبروتها.

أن استخدام زراعة القمح المعدل وراثياً كان أحد العوامل التي فتحت الأفاق للتوفير الغذاء الى أن محاصرة ومحاربة دول الجماعة الأوروبية بشكل كبير والولايات المتحدة الأمريكية بصورة أقل جعلت هناك المزيد من الشكوك في المضي قدماً في استخدام الزراعة والمنتجات الزراعية المعدلة وراثياً في المستقبل.

يتحدث التقرير أنه تحول ٢٠١٥م سوف يكون هناك ثلاثة بليون فرد يعيشون في مناطق تعاني من شح بالمياه مثل شمال أفريقيا، الشرق الأوسط، وجنوب آسيا، وشمال الصين. ٨٠٪ من المياه المستخدمة في الدول النامية تذهب الى الزراعية والمنتجات الزراعية وبحلول عام ٢٠١٥م فإن العديد من دول العالم الثالث المنتجة للزراعة والقمح لن تستطيع الاستمرار في الزراعة مع عدم توفر الماء حيث أن ١٠٠٠ طن من الماء كافي لإنتاج طن واحد من القمح. حيث

أثبتت الدراسات أن مناطق الزراعة في دول العالم الثالث يعش حالة من غموض المستقبل حيث يعاني شمال الصين على سبيل المثال من انخفاض منسوب المياه الى خمس أقدام بالسنة وأن الهند تعاني من انخفاض منسوب المياه بمعدل يتراوح بين ٣- ١٠ أقدام بالسنة.

هناك العديد من الاقتراحات من أجل مجابهة مشكلة المياه ومنها الاستخدام الأمثل والفعال للمياه ، التوسع في تحلية المياه ، تنمية الزراعة المعدلة وراثياً من أجل استخدام أقل للمياه ، واستيراد المياه كل هذه العوامل لديها جوانب سلبية وبطيئة التطبيق ويصعب مراقبتها خصوصاً في الدولة النامية التي يشعر الأفراد أن الماء هو الشيء الذي يجب أن يتوفر لهم بشكل وأضح وبأسعار زهيدة بل إن طرح مثل هذه الحلول تجده العديد من الحكومات موضوع حساس على المستوى السياسي ولذلك فإنها تؤثر عدم طرحة للنقاش أو وجود حلول له .

بحلول عام ٢٠١٥م تكون تركيا قد أكملت تقريباً منضمومة سدودها على نهر دجلة والفرات وهذا سوف يشكل عقبة حقيقية أمام سوريا والعراق التين تشهدان تزايد عدد سكانها مع زيادة الحاجة لمزيد من المياه كما أن الدول التي تعد منابع أو ممر لنهر النيل سوف تسعى الى أخذ أكبر كمية من مياه النيل من أجل تنمية بعض المناطق لديها مما سوف يخلق إشكاليه في مسئله المياه بين الدول التي تمر بها الأنهار ولذلك يقترح التقرير أن تظهر ثقافة أو سياسة وتفاهم الاشتراك المائي بين الدول الذي لديها أو تعبرها أنهار ويرى التقرير أن الشرق الأوسط مرشح أن يكون منطقة صراعات حول مصادر المياه .

وعلى مستوى الطاقة فإن التقرير يرى أن هناك جهود جيده وحقيقية الى العمل على عدم وجود أزمة طاقة في المستقبل خصوصاً وأن المنتجات الحديثة قائمة على تحسين استهلاك الطاقة وأن التحولات الاقتصادية تنتقل من نشاطات ذات استهلاك للطاقة الى نشاطات أقل استهلاك للطاقة بل إن استخراج الطاقة اليوم أصبحت اكثر فاعلية وأكثر إنتاجيه من السابق حتى أن أعماق البحار أصبحت اليوم مسرح حقيقي لإنتاج النفط والطاقة وهو ما لم يكن ممكن في السابق .

آسيا سوف تكون المناطق التي سوف تحل محل أمريكا الشمالية باستهلاك الطاقة والنفط بحلول عام ٢٠١٥م حيث سوف تشهد الصين والهند زيادة حقيقية في استهلاكها للطاقة ويذكر التقرير أنه بحلول عام ٢٠١٥م أن ١ / ١٠ (عشر) من إنتاج الخليج العربي سوف يوجه الى الأسواق الغربية وأن ١ / ٤ (ثلاثة أرباع) إنتاج الخليج العربي سوف يذهب الى آسيا .

بحلول عام ٢٠١٥م فإنه من المتوقع أن يزداد التوسع في استخدام الطاقة الشمسية والتحولات العلمية في الطاقة واستخدام الجينات في استخدام طاقة مستمدة من الاثنول وإن الطاقة المستمدة من القوة النووية سوف تشهد ثبات وعدم توسع أي أنها سوف تبقى على معدلها الحالي .

خلال السنوات الى عـام ٢٠١٥م وبعدم وجود حـروب أو نزاعات فإن الخليج العـربي سوف يكون مرشح لزيادة نسـبته من الإنتـاج العالمي من النفط وسـوف يحتل مكانه اكبـر من تصدير النفط للعالم مع أن مناطق أخرى مرشحة أن تزيد من إنتاجها من النفط مثل روسيا دول الساحل الغربي لأفريقيـا والجزر الخضراء فإن هذه المناطق من المتوقع أن تزيد حصـتها من سوق النفط ودورهم في سوق النفط .

روسيا والشرق الأوسط سوف تحتوي على ٣/ ٤ (ثلاثة أرباع) الاحتياطي العالمي المعروف من الغاز .

دول أمريكا اللاتينية مثل فنزويلا ، المكسيك والبرازيل لديـها ١١٧ بليون برميل احتياطي من النفط ومن المتـوقع أن تزيد هذا الاحتـياطي بزيـادة قدرها ١١٤ بليـون برميل من النفط حـسب تقدير ودراسات قدمت من الجمعية الأمريكية للدراسات الجيولوجية .

بتعاون دول أمريكا اللاتينية مع الدول ذات قدرات تكنولوجية عالية فإنه من المتوقع أن يرتفع إنتاج أمريكا اللاتينية من النفط من ٩ بليون برميل الى ١٤ بليون يومياً .

أما نفط منطقة بحر قزوين فإنه بحلول عـام ٢٠١٥م سوف يكون إنتاج نفط وغاز منطقة بحر قزوين تحت العمل ومتواجد في الأسواق .

أن استفادة الدول المنتـجة للنفط من السوق العالمية سوف تكون قـوية وواضحة ألا أن ارتفاع أسعار النفط أمـر غير محتـمل في السنوات القادمة حتى ٢٠١٥م أي أن أسـعار النفط لن تكون مرتفعة حسب نظرة التـقرير بل أنه يقول أن ارتفاع أسعار النفط سوف يعقـبه انخفاض حاد في مستوى أسعار النفط في العالم .

إذاً الصورة التـي سوف تكون للطاقـة عام ٢٠١٥م هي على النحـو التالي : أن العـالم سوف ينقسم الى قسـمين وهميين هما أسيا وسوف تتـزود طاقتها وقدرتها من إنتـاج الفحم الأسيوي والنفط والغاز من الخليج العربي و روسيا . والجزء الثاني هو أوروبا و الغرب بشكل عام سوف يذهب الى محـاولة استخراج وإنتـاج النفط من المحيط الأطلسي وتضع إنتـاجها حسب السـعر العالمي للنفط .

أي أن آسيـا سوف يكون ارتبـاطها اكـثر في منطـقة الخليج العـربي وروسيـا فيمـا أوروبا والشـمال الأوروبي والغـرب سوف يـكون مربوط الإنتـاج النفطي في المحـيط الأطلسي وهذه التوقعات إذا كانت صـحيحة أو قريبة من الصـحة فسوف يكون لها انعكاسات قوية الى السياسة الدولية في المستقبل .

في المقال القادم تتابع أهم نقاط التقرير انشاء الله .

التوجه العالمي حتى 2015م (العامل السكاني)

كنا قد استعرضنا الخطوط العريضة والعناوين الرئيسية التي احتواها التقرير الذي أعدته وكالة الاستخبارات الأمريكية مع الخبراء والجامعات حول التوجه العالمي حتى ٢٠١٥م وكنا قد وعدنا بان نقوم بمسح سريع لأهم النقاط التي احتواها التقرير وفي هذا المقال سوف يسلط الضوء على أثر العامل السكاني العالمي واحتمالات تأثيره على التوجه العالمي خلال الخمس عشرة سنة القادمة .

يذكر التقرير أن سكان العالم سوف يكون ٧,٢ بليون إنسان عام ٢٠١٥م بعد أن كان ٦,١ بليون عام ٢٠٠٠م وأن في أغلب الدول معدل الأعمار سوف يرتفع عنه في السابق وان ٩٥٪ من الزيادة السكانية التي سوف يشهدها العالم حتى عام ٢٠١٥م سوف تأتي من دول العالم الثالث وسوف يكون العالم الثالث يحض بالتوسع في المدن أكثر من المناطق الأخرى من العالم . بمعني أن التوسع السكاني وأتساع المدن الذي سوف يأتي كنتيجة لهجرة الأرياف وزيادة معدل المواليد من نصيب دول العالم الثالث .

وأن زيادة في معدل الأعمار في هذه المناطق سوف يضخم من هذه المشكلة في السنوات القادمة .

في الدول المتقدمة والأسواق الجديدة في الدول التي أخذت تتحول نحو التحديث فإنه من المتوقع أن ينقص عدد المواليد مع زيادة في نوعية الخدمة الصحية مما يعني نقصان في عدد الأفراد من هم في سن العمل وهذا يعني أن الدول المتطورة سوف تشهد نقص واضح في سوق العمل أي النقص في عدد الأفراد الذين هم في سن العمل .

وفي مناطق أخرى من دول العالم الثالث وخصوصاً في الدول التي لديها قاعدة صناعية جديدة وأسواق وأعدة فإنه من المتوقع أن تتوفر أعداد كبيرة من السكان من هم في سن العمل مع انخفاض في أعداد الشباب وهذا يعني أن هذه الدول سوف تشهد توفر أيدي عاملة وأفراد في سن العمل مع استقرار سياسي يسمح لمزيد من التنمية كنتيجة طبيعية لزيادة عدد الافراد في سن العمل ونقص عدد الشباب الذين يدفعون الى مزيد من القلاقل السياسية وبالتالي الأستقرار.

أن هذه الزيادات السكانية سوف تدفع تأقلم الزراعة وصناعة الغذاء من أجل أن تفي بتلبية حاجات هذه الأعداد الهائلة من الأفراد حول العالم إلا أن المناطق التي تعاني من انعدام البنية التحتية للزراعة وتوزيع ضعيف وعدم استقرار سياسي سوف يكون فيها نقص في الغذاء و

سوء تغذية في أفضل الحالات وخصوصاً في دول الصحراء الكبرى في أفريقيا . وإن الفقر والمجاعة سوف تظهر في المناطق التي تعاني من حكومات دكتاتورية شديدة الانغلاق أو الدول التي تعاني من صراعات دموية محلية .

أما بخصوص توفير الطاقة لهذه الأعداد البشرية فإن كل المؤشرات تقود أنه لا يكون هناك إشكالية حقيقية في توفير الطاقة لهذه الزيادة السكانية وسوف تلبي طلبات الزيادة السكانية من الطاقة في الفترة الزمنية للدراسة أي حتى ٢٠١٥م خصوصاً وأن أكثر الدراسات تشير إلى أن ٨٠٪ من النفط المعروف و ٩٥٪ من الغاز المعروف لا يزال تحت الأرض في مخازنه الطبيعية .

وسوف يضل الخليج العربي المصدر الأساسي للنفط مع توجه بعض الدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية إلى التنويع في مصادرها النفطية عن طريق استخراج النفط من مناطق أخرى من العالم وخصوصاً المحيط الأطلنطي إلا أنه في ذات الوقت فسوف تشكل الصين والهند زيادة حقيقية على الطلب من نفط الخليج . وسوف يكون طلب الهند والصين على نفط قزوين ووسط آسيا في تزايد إلا انه سوف يضل محدود على كل حال .

وعلى عكس من توفير الطعام والطاقة لهذه الأعداد من السكان المتزايدة إلا أن الصراع الحقيقي سوف يكون على المياه وسوف تشكل هذه معضلة حقيقية لدول الشرق الأوسط والصحراء الأفريقية وجنوب شرق آسيا وشمال الصين حيث من المحتمل أن تشهد هذه المناطق بعض التوتر على مصادر المياه وسوف يكون هذا التوتر اكثر وضوح عند حلول العلم ٢٠١٥م .

وفي ضوء البعد السكاني مع البعد المواد الطبيعية سواء الطاقة أو الغذاء أو الماء فإن التقرير يرى أن الشرق الأوسط سوف يشهد قليل من التغيرات الجيدة أي التحولات الجيدة سوف تكون محدودة في الشرق الأوسط حتى عام ٢٠١٥م . فمع زيادة عدد السكان وعدم الاستقرار الاجتماعي وتوجهات العنف والتشدد الأيدلوجي الفكري وتوسع دائرة الإرهاب ضد الوجود الغربي ومؤيديه .

ومع التوسع الهائل والمفاجئ في شبكة الاتصالات العالمية والتحول نحو التحديث في القضايا الاقتصادية ووجود زعماء يسعون الى التحديث المستمر فإن الصورة يمكن أن تتحسن في منطقة الشرق الأوسط بعض الشيء ويضرب التقرير مثال على إيران في هذا الخصوص . وأن المعضلة التي يراها التقرير لدول الشرق الأوسط هو أن توفر الطاقة الهائلة سوف تكون سلاح المقاومة للعولمة وعدم الاندماج العالمي وهذا ما يراه التقرير أنه عامل من العوامل التي سوف يخلق فجوة بين دول الشرق الأوسط والتوجه العالمي في المستقبل .

وفي الصين فإن التطور الاقتصادي المتسارع والقوي والمتراكم والتحديث الذي يشهده الاقتصاد الصيني سوف يشكل ضغط حقيقي على شرعية النظام السياسي الصيني أن لم يهدد وجوده من الأصل .

إن دخول الصين الى منظمة التجارة العالمية والشروط المفروضة على هذا الدخول سوف يدفع الصين الدخول في العولمة الاقتصادية وهذا يعني إعادة توزيع القوى الاجتماعية والاقتصادية داخل الصين وهذا التحول سوف يعني مزيد من التحولات والمتاعب والتحديات التي سوف تضاف الى التحديات والمتاعب المتراكمة على النظام السياسي الصيني سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي للصين .

ولكن الصين لديها القدرة الاقتصادية والديناميكية التحديثيه و المرونة السياسية التي يمكن أن تحقق جوانب إيجابية في مقابل التحديات السابقة .

وسوف تسعى الصين الى تطوير ترسانتها العسكرية من أجل أن تحقق حضور عسكري وسياسي في منطقة آسيا ومحاولة الوقوف بندية تجاه القوة الأمريكية في آسيا .

ويذكر التقرير أنه لن تكون هناك مفاجئة قوية في حالة حدوث إصلاحات سياسية جوهرية على النظام السياسي الصيني .

يذكر التقرير أن روسيا سوف تعمل على أقلمة نفسها خلال السنوات القادمة على دورها الجديد وتجمع قدراتها على لعب الدور الجديد كدولة إقليمية بل وأن التحدي الحقيقي لروسيا هو العمل على بنا مؤسساتها السياسية وتجميع قوتها الاقتصادية من أجل أن تلعب دوراً في مجال الأمن الأوروبي الذي سوف يكون الشغل الشاغل لروسيا في المستقبل .

أما اليابان فإن التقرير يرى أن الإصلاحات الاقتصادية الضرورية لليابان ومسائله التعاون العسكري والأمني مع الولايات المتحدة الأمريكية هما العاملين الذين سوف يشغلان الإدارات اليابانية القادمة وأن دور الحكومة في هذه القضايا سوف يكون جوهرياً الى حد كبير .

كل المؤشرات تقود الى أن الهند هي في طريقها الى أن تكون قوة إقليمية مهمة وأن التعقيدات الاقتصادية المحلية في الهند والفجوة بين الأغنياء والفقراء وتعقيد نظامها السياسي سوف تعمل على كبت جماح القوة الهندية الصاعدة وان عدد سكان الهند سوف يبلغ ١,٢ بليون نسمة ومهما يكن من قوة الهند في المستقبل فإن علاقتها سوف تكون حذرة مع كل من الصين وتعقيد العلاقات مع روسيا واليابان والدول الغربية وصراعها النووي مع باكستان .

وفي المقال القادم سوف يتم تسليط الضوء على النقاط الهامة في تقرير التوجه العالمي ٢٠١٥م إن شاء الله .

التوجه العالمي حتى 2015م (الدولة الوطنية والدولة العالمية)

يتابع التقرير الصادر عن وكالة الاستخبارات الأمريكية بالاشتراك مع الخبراء الحكوميين والأكاديميين عن مستقبل العالم حتى عام ٢٠١٥م حيث ينصب الحديث اليوم عن الدور المرتقب للدولة الوطنية وكذلك الدولة العالمية أو التوجه العالمي حيث يرى التقريران الدولة الوطنية سوف تضل أهم عامل فاعل ومنظم حتى عام ٢٠١٥م للتعامل مع القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية مع أنها سوف تواجه العديد من التحديات الحقيقية ومن أهمها هو تفاعل الدولة الوطنية وتعاملها مع عوامل العولمة واستفادتها من هذه العوامل والجانب الآخر هو مدى تفاعل الدولة الوطنية مع جمهور ومجتمع أصبح اكثر تحفز واكثر تنظيم من السابق .

أن عامل العولمة المسلح بمعلومات حرة وسهلة الحصول عليها وكذلك عولمة تتصف بسهولة حركة رأس المال والسلع والخدمات وسرعة تنقل البشر وتحول جزء من القوة الى قوى هي ليست جزء من الدولة على اختلاف هذه القوى سوف يشكل تحدي حقيقي للدولة في المستقبل كمأن العولمة سوف تخلق طلب عالي وقوي لزيادة التعاون الدولي . وهذا ما سوف يدفع الدولة الوطنية لتقديم مزيد من التنازلات من أجل الحصول على هذا التعاون الدولي والاستفادة منه .

وخصوصاً في القضايا ذات الطابع الدولي أو العابر للقوميات والعوامل المتنقله عبر الأقاليم .

يذكر التقرير أن كل الدول سوف تواجه رغبة شعبية ومطالب من أجل المشاركة السياسية واهتمام بالحقوق المدنية وحقوق الإنسان هذه الضغوط والمطالبات سوف تزيد الضغط من أجل تبني قيم ومبادئ ديمقراطية ومزيد من التحول حسب تعبير التقرير .

يذكر التقرير أن ثلث دول العالم كانت تتمتع بقيم ديمقراطية قبل خمس وعشرون سنة أما اليوم فان نصف دول العالم يمكن تصنيفها على أنها دول ديمقراطية تحتوى على نوع من المشاركة السياسية أو الانتخابات أو الحقوق المدنية والسياسية . وان الخمس وعشرة سنة القادمة تعطي مؤشر أن الغالب من الدول سوف تبقى ديمقراطية بينما يمكن أن يحدث بعض الانتكاسات لبعض الديمقراطيات الجديدة أو الحديثة عهد بالنظام الديمقراطي .

أن الدولة الوطنية التي سوف يحالفها النجاح حتى عام ٢٠١٥م هي الدولة التي تستطيع التعامل والتفاعل القوي مع القوى غير الحكومية في إدارة دفة السلطة وتحمل المسؤولية أي أن

التقرير يذكر أن توزيع المهام مع القوى المختلفة مع توزيع المسؤولية سوف يكون عنوان النجاح لدولة حتى عام ٢٠١٥م وهذا يعني أن هناك ثلاث تحديات سوف تواجه الدولة الوطنية هي : -

١ - أدارة العلاقة والشراكة مع القوى والعوامل غير الحكومية بشكل جيد وفعال .

٢ - مقدرة الدولة الوطنية على مجابهة شبكات الجريمة المنظمة والعصابات المحترفة .

٣ - قدرتها على التفاعل والتعامل مع الاختلافات العرقية والدينية التي يمكن أن تنشاء وتهدد أمن العديد من الدول حول العالم .

أن العامل الأول يتحدث عن قدرة الدولة على التعامل مع القوى الاقتصادية والقطاع الخاص خصوصاً وان هذا القطاع يهمه الربح والعائد المادي وأن التقرير يرى أن هذه القطاعات الخاصة سوف تحصل على مزيد من القوة والتأثير للخمس عشرة سنة القادمة مدعومة بحرية التجارة وحرية انتقال السلع والمال وكذلك الفرص المتعددة لهذه القوى التي أصبحت التكنلوجيا والاتصالات تحقق هذا التأثير بشكل سريع وفعال .

أما الشركات المتعددة الجنسيات حيث يصل عددها الى خمسون آلف شركة (٥٠٠٠٠) مع ضمها و تبنيها لاكثر من مليون ونصف شركة ومؤسسة حول العالم فإنه من المتوقع أن هذه الأعداد التابعة للشركات المتعددة الجنسيات سوف تزيد بشكل متسارع خلال الخمس عشرة سنة القادمة حسب نظرة التقرير .

أن الأعمال والمؤسسات الباحثة عن الربح سوف تزداد وتتعدد خلال الخمس عشرة سنة القادمة وسوف تكون من التوسع والانتشار بحيث تضغط على الحكومات الوطنية من أجل تعديل أنظمتها الإدارية ونظامها القضائي من أجل التعامل مع هذه القوى الجديدة . وفي نفس الوقت فان الحكومات الوطنية مطالبة بضبط نشاط هذه المؤسسات الربحية من اجل أن يكون نشاطها وسلوكها يتمشى مع مقومات ومستوى الحياة الاجتماعية والرفاهية الاجتماعية لهذه الدول . ويذكر التقرير أنه على الرغم من هذا التناقض فان الإدارة الجيدة للحكومات الوطنية سوف تنجح في الجمع بين هذين المتناقضين حتى عام ٢٠١٥م .

أما الأعمال المتوسطة فانه من المرجح أن يكون النشاط الزراعي هو المرشح للنشاطات المحلية والمتوسطة خصوصاً بعد انهيار التجمعات الزراعية الكبيرة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الشيوعية يرى التقرير أن نظام المشاركة السياسية هي افضل الجوانب والحلول من أجل أدارة وحكومة جيدة حسب تعبير التقرير حيث أن ذلك سوف يخلق شرعية للقوى الحكومية وكذلك للقوى الاقتصادية غير الحكومية كما أن هذا النظام سوف يعزل ويهمش القوى الإرهابية أو القوى التي تمتهن العنف وسيلة للتعبير عن ذاتها أو قوتها كما أن هذا النظام سوف يسمح بإيصال وتوفير الخدمات بأقل التكاليف الاقتصادية الممكنة بل وسوف يصنع نظام محاسبة التقصير ويسمح بوصول العناصر الجيدة وفرزها من العناصر الأقل جودة سواء على

المستوى البشري أو العملي والاقتصادي .

يذكر التقرير أن دول أوربا الغربية وأمريكا و اليابان واستراليا ونوزيلاندا تستطيع التعامل مع هذه المستجدات بينما كل من تركيا ، كوريا الجنوبية ، الهند ، الصين والبرازيل هي في طريقها للتعامل مع هذه القضايا الشائكة .

اما الديمقراطيات الحديثة والدول الحديثة ذات الأنظمة الأكثر انغلاق فان هذه الدول سوف تساعد على نشوء قطاع خاص وكذلك دور للدولة لتعزيز الخدمات مما سوف يجعلها تستطيع تحقيق بعض النجاحات خصوصا في تبيني بعض الأفكار التي تدفع الى مزيد من النشاط الاقتصادي الفعال من هذه الدول تايوان ، ودول أمريكا اللاتينية وبعض دول الشرق الأوسط أما باقي الدول ذات الأنظمة الدكتاتورية والتي ليس لديها قطاع خاص أو قوى اقتصادية خاصة فسوف تعاني اكثر من غيرها في المستقبل وسوف لن تستطيع حكوماتها توفير الخدمات الصحية أو الخدمات اللازمة مما يعني احتمالية قيام قوى متطرفة بالسيطرة على النشاطات المختلفة وسوف تعاني من عدم فاعليتها في المستقبل . وبذكر التقرير أن عجز مثل هذه الحكومات على أدارة التعاون مع قطاع خاص سوف يكون هو مؤشر ومعيار الفشل حيث سوف تعاني العديد من الدول في أفريقيا والشرق الأوسط من هذه العوامل . هناك العديد من الدول سوف تعاني كما كانت تعاني منذ عام ١٩٤٥م من بقايا الاستعمار حيث ان هذه النسبة من الدول التي تعاني من هذا الإرث الاستعماري سوف تعاني من عدم الاستقرار منها دول الصحراء الأفريقية ودول آسيا الوسطى وإندونيسيا حيث سوف تعاني هذه المناطق من حركات الانفصال والاستقلال من هذه المناطق والدول مما يعني مزيد من عدم الاستقرار والهزات الاقتصادية والاجتماعية لهذه الدول .

في المقال القادم سوف يكون الحديث عن الصراعات المستقبلية حسب التقرير حتى عام ٢٠١٥م .

التوجه العالمي حتى 2015م (الصراعات المستقبلية)

يذكر التقرير الصادر عن وكالة المخابرات الأمريكية والذي أشترك فيه العديد من الخبراء الحكوميون والأكاديميون والذي برصد التوقعات الدولية حتى عام ٢٠١٥م أن الصراعات الداخلية حول العالم سوف تكون المحرك الحقيقي للعديد من الصراعات حيث يمكن أن تتحول هذه الصراعات الى صراع بين دولتين أو اكثر حيث أن هذه الصراعات المحلية سوف تكون من التعدد والتعقيد حول العالم بفعل التحولات السياسية خصوصاً وأن هذه الصراعات المحلية يمكن أن تجر معها دول متعددة وذلك بسبب اعتقاد بعض الدول أن الدخول بمثل هذه الصراعات هو فرصة للحصول على مكاسب جديدة أو حتى محاولة التأثير على مثل هذه الصراعات من أجل تجنب مشاكلها وآثارها . التقرير يرى أن الصراعات بين الدول سوف يكون لها آثار على الدول المشتركة بسبب القدرة التدميريه الكبيرة التي تملكها الدول والأذى الذي تستطيع أن تحدثه على الطرف الآخر .

يذكر التقرير أنه يتعين على العالم التعامل الظهور والبروز العسكري والسياسي والاقتصادي لكل من الصين والهند على الساحة الدولية وتآكل الأهمية والهامشية التي تقلل من ثقل روسيا على المستوى الدولي خلال السنوات القادمة .

ان الصراعات الداخلية سوف تكون عنوان لعديد من مناطق الصراع حول العالم خصوصاً وأن هذه الصراعات مدعومة ومسنودة بمنطق محلي مرحلي يدفعها لمزيد من الاستمرارية وطول النفس وهذا سوف يسبب العديد من المآسي والهجرات البشرية والظروف البشرية الصعبة ونقل الصراعات من مناطق جغرافية إلى أخرى مجاورة . وغالباً ما تكون الدول الضعيفة هي الحلقة الحقيقية لنشوء مثل هذه النزاعات والصراعات مما يدفعها إلى تدويل مثل هذه الصراعات بشكل أو بآخر .

ويرى التقرير أن العديد من الصراعات المحلية سوف تحدث كنتيجة لهيمنة مؤسسات الدول وأنظمتها السياسية كذلك للتفرقة على أساس من الاختلاف الديني أو العرقي والمناطق المرشحة لمثل هذه الصراعات هي دول الصحراء الأفريقية ومناطق البلطيق ووسط آسيا وجنوب شرق آسيا . وسوف يكون للأمم المتحدة دور في أدارة دفة بعض هذه الصراعات .

يذكر التقرير أن الإرهاب الدولي سوف يكون أحد العوامل في الساحة الدولية إلا أنه لا يعطيه الأهمية التي اعتدنا عليها في العديد من التقارير المماثلة أو السابقة.

يذكر التقرير أن الصراع بين الدول سوف يكون واحد من المظاهر الملفتة للنظر خلال الخمس عشرة سنة القادمة وذلك بسبب التحولات التي يعمل بها النظام الدولي حيث يرى التقرير أن الصين تعمل على أقلمة نفسها للعب دوراً دولياً متعاظماً وذلك أما بسبب أهميتها الاقتصادية والعسكرية المتعاضمة أو بسبب الأزمة السياسية المحتملة داخل الصين بسبب التطور العسكري الاقتصادي وجمود العامل السياسي هناك وهذا ما يدفعها الى المزيد من النشاط على مستوى بسط جزء من نفوذها الدولي والبعض يرى أن الصين سوف تسعى الى محاولة إيجاد أطول مدة من السلام في آسيا من أجل إنجاح برامجها التنموية سواء الاقتصادية أو العسكرية او الاجتماعية حيث يرى بعض خبراء التقرير أن صين قوية افضل بكثير من صين ضعيفة حيث أن صين ضعيفة سوف تزيد الجريمة حول العالم والتجارة غير المشروعة والهجرة الغير قانونية وعدم ضبط انتشار الأسلحة ذات التدمير الشامل وعدم استقرار اجتماعي .

يذكر التقرير أن روسيا هي التي تواجه مصير غير براق حيث أن انخفاض أهمية روسيا سوف يزداد وأن التحدي أمام الروس هو أقلمة أنفسهم وإمكانياتهم للعب دور محدود في الساحة الدولية يتناسب مع قدراتهم ومع فاعلية الحكومة الروسية التي أثبتت العجز تلو الأخر على التعامل مع القضايا الدولية بشكل فعال .

أما اليابان فإن التقرير يرى أنه سوف يصعب على اليابان أن يحتفظ بمكانة كثالث أكبر اقتصاد عالمي بل أن عدم وجود الصدمات الخارجية لليابان سوف لن يدفع اليابان لتغيير سياستهم الاقتصادية ولذلك فإن هناك مزيد من الشكوك حول الدور الياباني المرتقب بل ومزيد من الشكوك حول بث الفاعلية والديناميكية للاقتصاد الياباني في المستقبل المنظور . كما أن العديد من التفائل يصاحب الهند حول دورها في المستقبل ألا أن هناك مصاعب حقيقية تصاحب الهند خصوصاً إلى أي مدى ممكن أن تذهب الهند في سبيل التطور والانفتاح وهي لديها مشاكل طبقية هائلة وقلة في الموارد الطبيعية وتعقيد حقيقي على مستوى النظام السياسي .

أما على مستوى الصراعات فإن جنوب آسيا سوف يكون أكثر المناطق حساسية للصراعات في المستقبل خصوصاً مع التسلح الهندي الباكستاني واحتمالية الحسابات الخاطئة التي يمكن أن تقود إلى حرب هائلة خصوصاً وأن الطرفين يعيشان حالة من سباق التسلح المحموم . ومن جانب آخر فإن روسيا تعيش حالة تأقلم مع قواتها التقليدية الغير فعالها في حربها مع الشيشان والصراعات المحلية الأخرى وان هذا التحول الصعب يجعل روسيا في حالة من الضعف خلال السنوات القادمة مع احتفاظ روسيا بقوة صاروخيه نووية رادعة يجعلها تعيش على سطح سلم القوى في العالم . إن القوة العسكرية المحتملة القادمة سوف تأتي من الصين حيث سوف تسعى الصين إلى زيادة قدرتها العسكرية النووية الاستراتيجية بكل ما تحمله من زيادة أعداد الصواريخ النووية وصواريخ ذات رؤوس نووية متعددة . والصين من جانب آخر سوف تزيد

من إنتاجها العسكري مستخدمة التطور التكنولوجي من الخارج خصوصاً من روسيا وإسرائيل ، وأوربا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية . هذه الإمكانيات سوف تجعل من الصين قدرة جيدة لربط التنسيق بين قواتها الجوية والبحرية والبرية مما يعني تمهيد لضبط هذه القوى و تنسيقها تجاه تايوان حيث أن ذلك يدفع العديد من الدراسات الاستراتيجية الصادرة عن الصين للحديث عن هذا التنسيق لمد ذراع الصين إلى كافة بحر الصين بل تعداه إلى الحديث عن قدرة الصين لمد قدرتها العسكرية من أجل حماية خط تموينها من النفط من منطقة الخليج العربي إلى الصين تحت حماية القوة العسكرية الصينية . وهذا ما يشبه الاستراتيجية الأمريكية للخمسون سنة الماضية . كما أن الصين ماضية قدماً في تطوير أسلحتها النووية سواء بعيدة المدى الموجهه ضد الولايات المتحدة الأمريكية أو صغيرة المدى الموجهة ضد العديد من المناطق القريبة من الصين .

أما اليابان فإنه رغم القدرة التكنولوجية الجيدة إلا أن حجم القوة اليابانية مازال حقير والاستراتيجية اليابانية مرهونة بالاستراتيجية الأمريكية والديناميكية الاقتصادية اليابانية في السنوات الخمس عشرة المقبلة .

أن كوريا الموحدة وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تلعب دوراً حاسماً وهاماً في توازن القوى في آسيا حيث سوف تتزاوج القوة التقنية والاقتصادية للجنوب مع القاعدة العسكرية للشمال ودعم الولايات المتحدة الأمريكية من اجل أن تكون كوريا لاعب سياسي هام للسنوات الخمس عشرة القادمة .

ويذكر التقرير أن دول الشرق الأوسط سوف تستمر على معدلاتها في الصرف على الأسلحة التقليدية غير النووية ويمكن أن ينخفض هذه الصرف قليلاً وأن بعض الدول في الشرق الأوسط سوف تسعى الى الاحتفاظ بجيش كبير العديد ليس لأنة سوف يكون ذو قوة كبيرة و إنما من أجل أن يكون مجال للتوظيف للعدد الكبير من الشباب العاطل عن العمل . وأن العديد من جيوش دول منطقة الشرق الأوسط محكومة بالتوسع الاقتصادي أو عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي مما يعني استخدام الجيوش من أجل ضبط هذه التغيرات والصراعات ليس فقط على المستوى الضبط الأمني بل على مستوى التوظيف أيضاً .

يتحدث التقرير عن أن إيران والعراق هما الدولتان المرشحتان لامتلاك قوة عسكرية غير تقليدية سواء على مستوى الصواريخ متوسطة وبعيدة المدى وقدرتها على حمل رؤوس ذات قدرة تدميريه غير تقليدية . حيث يرى التقرير أن إيران هي منخرطة في برنامج تطوير صواريخ يمكنها الوصول إلى أهداف بعيدة وأن عام ٢٠٠١م اصبح لدى إيران قدرة على أطلاق صواريخ متوسطة المدى وأن عام ٢٠٠٤م قادرة على إرسال صواريخ الى الفضاء . ومن جانب آخر يرى التقرير أن العراق قادر على اختبار صواريخ بعيدة المدى قبل حلول عام ٢٠١٥م وان مستوى

المساعدات الخارجية للعراق يمكن أن تجعله يصل إلى هذه الأهداف حتى قبل عام ٢٠١٥م.

يقر التقرير أن تفوق أمريكا في مسائل المعلومات وتكنولوجيا السلاح أعطتها الوضع المهيمن على العالم حتى عام ٢٠١٥م إلا أن هذه الهيمنة سوف تخلق حالة من المنافسة الدولية يمكن أن تدفع العديد من الدول لعدم الاندفاع للتعاون العسكري مع الولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل. وأن التهديد الذي يمكن أن يحدث للولايات المتحدة الأمريكية هو على مستوى البنية التحتية أي على مستوى تدمير خطوط الاتصالات والمواصلات خصوصاً وأن هذه الخطوط قائمة على تكنولوجيا حديثة قابلة للاختراق والتدمير في المستقبل. بل وأن احتمالية ضرب القدرة الأمريكية خصوصاً العسكرية عن طريق ضرب الخطوط الإلكترونية والحرب الإلكترونية والحرب النفسية وحرب المعلومات والحرب النفسية عن طريق استخدام المعلومات ذات البعد النفسي واستخدام المعلومات ذات البعد في مجال الصناعات النووية كعامل ضغط وعامل حرب نفسية ضد الولايات المتحدة الأمريكية. هذه العوامل سوف تلعب دوراً هاماً في استخدام القوة الأمريكية وخصوصاً مستوى الدعم الداخلي لمثل هذا الاستخدام الخارجي للقوة العسكرية. أن الحرب الإلكترونية وضرب حلقات الوصل والاتصال الإلكترونية في حروب المستقبل سوف تكون من أولويات الصناعات العسكرية والفكر الاستراتيجي الأمريكي لدورها في المستقبل على الساحة الدولية.

في المقال القادم وهو الأخير في هذه السلسلة سوف يكون الحديث عن نظرة التقرير حول المناطق العالمية الهامة وآثرها على السياسة الدولية حتى عام ٢٠١٥م.

التوجه العالمي حتى 2015م (الاقتصاد العالمي)

أن الاقتصاد الدولي متحفز لتحقيق مزيد من النجاحات على المستوى الدولي حيث ان حالة التحفز هذه تشبه حالة الاقتصاد الدولي خلال مرحلة الستينات من القرن المنصرم وكذلك الى ديناميكية الاقتصاد في مرحلة بداية السبعينات حيث النمو المضطرد والمتواصل والطويل . الاقتصاديات الجديدة سوف تكون المستفيد القوي من النمو الاقتصادي الجديد وخصوصاً العملاقان الآسيويان الجديدان هما الصين والهند ان النمو الاقتصادي المحتمل سوف يشمل العديد من الدول الا أنه كذلك سوف يصنف بعض الدول وان تكنلوجيا الاتصالات سوف توضح الفروق بين النجاحات والاخفاقات بين دول ومناطق العالم حيث ان نقل الصورة والتجربة سوف يخلق وضوح حول النجاحات والاخفاقات لبعض الدول والمناطق خلال السنوات القادمة حتى عام ٢٠١٥م . هناك خمس عوامل رئيسية سوف ترافق وتدفع الى مزيد من الديناميكية الاقتصادية والنمو الاقتصادي هي:-

اولاً : الضغط السياسي من أجل مستوى معيشة مرتفعه حيث ان الطبقة الوسطى حول العالم تشكل حوالي ٢ بليون نسمة حيث تخلق هذه الطبقة رغبة عارمة بالتطور الاقتصادي والضغط نحو الديناميكية الاقتصادية رغبتاً منها برفع مستوى معيشتها وتحسين مداخيلها عن طريق التعليم وزيادة استثمار الثورة في المعلومات والاتصالات وضغطها على الحكومات من أجل المشاركة الفعالة في القرارات السياسية والاقتصادية .

ثانياً : تحسين وتجديد القوى الاقتصادية الفاعلة والمؤثرة على الاقتصاديات الفرعية حيث ان التطوير والتجديد للسياسات الاقتصادية والإدارة الاقتصادية الفاعلة والانخفاظ الحقيقي والواضح في مستوى التضخم العالي واختلال أسعار الصرف الثابت الذي تبنته بعض الدول الأسيوية وإنشاء مركزاً إدارياً للمراقبة الاقتصادية وهو مركز مالي (Emu) سوف تساهم كل هذه العوامل مزيد من النشاط الاقتصادي الدولي.

ثالثاً : ارتفاع معدل التجارة والاستثمار الدولي حيث سوف يشهد الاقتصاد الدولي مزيد من التوسع في مجال الناتج الدولي بشكل كبير بفعل التكنلوجيا والمعلومات التي تسهل عملية التجارة العالمية . وأن المعارضة للتجارة العالمية من بعض جماعات المصالح أو الدول لن تستطيع إيقاف التوسع القوي والحقيقي في مجال التجارة العالمية .

رابعاً : الاستخدام الفعال لمجال وعامل التكنلوجيا المعلوماتية حيث سوف يشهد العالم

والاقتصاد الأمريكي طفره حقيقية في مجال تفعيل واستخدام تكنلوجيا المعلومات لصالح الاقتصاد وأن بعض الدول سوف تواجه مصاعب اقتصادية نتيجة لضعفها وعدم اهتمامها في تبنيها وأخذها والاستفادة من الثورة الهائلة في مجال تكنلوجيا المعلومات وتوظيف مثل هذه التكنلوجيا لصالح الاقتصاد الوطني وان من شروط الاستفادة من تكنلوجيا المعلومات هي العوامل التالية :-

١ - مستوى عالي من التعليم .

٢ - بنية أساسية فعالة وجيدة وقابلة للتطوير .

٣ - سياسات مناسبة قابلة للتعديل والمرونة وقت الحاجة والضرورة أي المرونة السياسية والاقتصادية من أجل أجراء التعديلات اللازمة للنمو الاقتصادي .

خامساً : زيادة ديناميكية وتوسع القطاع الخاص حيث أن التوسع في الدور الاقتصادي للقطاع الخاص مع التوسع في الخصخصة في مناطق عديدة من العالم خصوصاً في أوربا واليابان سوف يخلق وضع اقتصادي حاد التنافس حيث تصبح الفاعلية الاقتصادية ذات أهمية وخصوصاً في الاستخدام الأمثل للموارد وتوظيفها التوظيف الاقتصادي الأمثل . أن السياسات الجيدة لتكنلوجيا المعلومات سوف تعزز القطاعات الاقتصادية الفعالة والقوية عن الضعيفة ويرى التقرير أن عوامل السوق والفاعلية سوف تحكم حركة الاقتصاد العالمي بشكل اكبر عن ذي قبل .

يتحدث التقرير بعد ذلك عن أن مناطق عديدة سوف تشهد تقدم اقتصادي ما عدى بعض المناطق التي تعاني من حروب أهلية أو مع جيرانها أو الدول التي لم تستطيع تحقيق توزيع في مداخيلها الاقتصادية . ويتوقع التقرير أن اقتصاديات دول الصحراء الأفريقية ودول الشرق الأوسط وبعض الدول في أمريكا اللاتينية سوف تعاني مصاعب اقتصادية حقيقية حتى عام ٢٠١٥م . كما أن دول الواقعة على المحيط الأوربي خصوصاً الآسيوي الأوربي من وسط آسيا والدول المستقلة من الاتحاد السوفيتي السابق الى بعض دول جنوب شرق أوربا سوف تواجه مستقبل غير جيد على المستوى الاقتصادي حتى عام ٢٠١٥م .

وان مستوى المعيشة سوف تزداد الفجوة فيه بين الدول الصاعدة والدول التي لم تتمكن من النهوض الاقتصادي حتى ان المناطق الي سوف تنمو مثل آسيا سوف تصنع وتخلق جيوب من مناطق تخلف حولها .

آسيا : سوف تشهد الهند والصين تطوراً مذهلاً على المستوى الاقتصادي حيث سوف تشكلان ١/٦ (سدس) الناتج العالمي وأن الاقتصاد الصيني سوف يكون اكثر ديناميكية مع دخول الصين منظمة التجارة العالمية مع أن المناطق الزراعية والريفية الصينية في شمال غرب الصين سوف تكون اكثر المناطق تخلف في الصين . مما سوف يشكل تحدى على الحكومة

الصينية لمجابهته في المستقبل .

ان مستوى التعليم المعقول في الهند ونظامها الديمقراطي والتوسع في اللغة الإنجليزية سوف يساعد الهند في التوسع في مجال تكنلوجيا المعلومات ، التحدي للهند هو كيفية توزيع هذه الفوائد الاقتصادية على ملايين الفقراء والأميين في الهند وخصوصاً في الولايات الشمالية من الهند .

أوربا واليابان :

من المتوقع أن تقلل أوربا من الهوة الاقتصادية مع الولايات المتحدة الأمريكية وسوف تسعى دول شرق أوربا الى الانضمام الى الجماعة الأوروبية وسوف يتحسن الوضع الاقتصادي هناك عن طريق أجراء الإصلاحات الاقتصادية الضرورية . أما جنوب شرق أوربا سوف يتحسن الوضع الاقتصادي فقط في حالة تحسن الوضع الأمني في المنطقة . سوف يكون الأداء للاقتصادي الياباني اكثر ديناميكية حتى عام ٢٠١٥م وسوف يكون دور اليابان أقوى في المستقبل عنه في مرحلة التسعينات في الاقتصاد العالمي .

أما روسيا وآسيا الوسطي فإن النظرة غير متفائلة ولا مشجعة لمرحلة الخمس عشرة سنة القادمة .

أمريكا اللاتينية :

سوف تشهد العديد من دول أمريكا اللاتينية تطور ملحوض خصوصاً الديمقراطيات منها و التي تبنت البعد السوقي للاقتصاد مثل المكسيك بينما سوف تواجه بعض المناطق مزيد من الصعوبات في بعض دول أمريكا اللاتينية . وسوف تعاني من عدم تعليم العمالة وتدني مستواها التقني والتعليمي سوف يلعب ويحجب الفوائد الاقتصادية من الاستغلال .

الشرق الاوسط وشمال أفريقيا :

سوف يطبع البعد الداخلي دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حيث سوف تحدد العديد من السياسات والعوامل الداخلية على قدرة الدولة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا على التعامل مع حركة العولمة أو تقاربها مع الجماعة الأوربية خصوصاً لدول شمال أفريقيا . ولذلك فان ديناميكية هذه الدول للتعامل الفعال مع العولمة هو الذي سوف يحدد مدى النجاحات والاخفاقات التي يمكن أن تعانيها هذه الدول . أما دول صحراء أفريقيا فان دكتاتورية الحكومات والفساد المالي والإداري وسوء التعليم والأمراض المنتشرة سوف تحد من اقتصاديات هذه الدول في المستقبل .

وفي الختام يتحدث التقرير عن احتمالية حدوث أزمات اقتصادية عالمية مفاجئة الا أن قدرة الاقتصاد الدولي على التعامل مع العديد من الأزمات الاقتصادية عند ارتفاع أسعار النفط أو أزمة (Y2K) والازمة اقتصادية الآسيوية عام ٩٧- ١٩٩٨ م بشكل افضل من تعامل

الاقتصـاد الدول مع أزمات سابقة يـعد مؤشر جيـد الا أن اقتصاد مـفتوح ويعتـمد على القطاع الخاص لن يكون آمن تماماً من الأزمات الاقـتصادية المفاجئة . كما أن أي تأثيـر أو عدم استقرار في أي من اقتصاديات المناطق الهامة سوف يؤثر على بقية الاقتصاد العالمي بشكل أو بآخر .

في المقال القادم تتابع تقرير التوجه العالمي حتى عام ٢٠١٥م أنشاء الله .

التوجه العالمي حتى 2015م (البيئة والعلم، التكنولوجيا)

سوف تزداد معانات العالم خلال السنوات الخمس عشر القادمة من تدمير الغابات والانحباس الحراري وزيادة في معدلات درجات الحرارة إضافة للتلوث وخصوصاً في المناطق الصناعية من العالم . إن قضايا البيئة سوف تكون من شواغل السياسات في الدول المتقدمة أي أنها سوف تشكل جزء من العمل السياسي في الدول المتطورة ومع ذلك فإنه ليس من المتوقع أن تخرج قضايا البيئة منتصرة بشكل واضح وقوي ومع ذلك فإن مسألة البيئة سوف تكون قضايا محلية لكل دولة خصوصاً الدول التي تعاني من تلوث الأنهار وانبعاث الغازات الكيمائية فيما لن يكون لقضايا البيئة ذلك الحضور في دول العالم الثالث على الرغم من مجابهة ومعانات دول العالم الثالث من عوامل البيئة التي يزيد ضغطها عامل تزايد السكان والتنمية الاقتصادية وزيادة سكان المدن حيث سوف تشكل سعة وزيادة المدن الى مشاكل في نقاء الهواء ووفرة المياه الصالحة للاستخدام ومن المدن التي على رأس اللائحة هي مكسكو ، ساو باولو ولاغس ، بكين .

كما سوف تعاني روسيا وروسيا البيضاء بشكل خاص ودول شرق أوروبا بشكل عام من مخلفات الاستخدام السيئ للبيئة في عهد النظام السياسي القديم وأن بقايا الاستخدام السيئ للطاقة النووية سوف يخيم على البيئة هناك وانه ليس من المتوقع حل لهذه القضايا مع انشغال هذه الدول بالعامل الاقتصادي ومحاولة تحسين الوضع الاقتصادي والمعيشي .

ان الاتفاقات الموقعة أو التي يمكن أن توقع مثل برتكول منتربال لن يحقق شيء يذكر في قضايا البيئة خصوصاً وأن الفارق بين السبب والنتيجة في قضايا البيئة وآثارها الصحية مثل موضوع السرطان هو غير واضح ويبرز بعد فترة زمنية بعيدة مما يجعلها اقل حده للعمل الجاد ضدها. مما يجعل العديد من دول العالم الثالث أقل حماس لنظام صناعي خاضع للضوابط البيئية .

في مجال العلوم التكنولوجيا فان تقرير التوجه العالمي الى عام ٢٠١٥م يرى أن هناك عاملين سوف يدفعان العلوم والتكنولوجيا الى التأثير الهائل على المستقبل خلال الخمس عشرة سنة القادمة وهو تزاوج تكنولوجيا المعلومات والتكنولوجيا الحيوية التي تربط التكنولوجيا الإنسانية والحياتية مع التكنولوجيا التقنية مع علم المواد

وارتباطها مع الجوانب الأعمال التي ليس لها ارتباط بالتكنولوجيا بشكل مباشر ومع التجارة والصحة العامة والأمن أن ارتباط هذين العاملين سوف تفتح آفاق للعمل وتأثير العلوم والتكنولوجيا بشكل هائل وفاعل في المستقبل المنظور حتى عام ٢٠١٥م .

وفيما يخص التكنولوجيا التقليدية فسوف تنمو جنب الى جنب مع التكنولوجيا المتطورة في مناطق عديدة من العالم . كما أن الفارق بين فترة البحث واكتشاف وتطبيق المكتشف وفترة بيعه في الأسواق سوف يكون قصير ويزداد قصراً من أجل تعظيم الفائدة المادية وحتى الأرباح .

وفي مجال تكنولوجيا المعلومات فان الخمس عشرة سنة القادمة سوف تشهد تقدم هائل ومهم في هذا الجانب وأن انتقال المعلومات سوف يكون اسهل وايسر خصوصا وان المواد والمعدات التي تساهم في نقل المعلومات سوف تكون رخيصة مع طلب مرتفع وهائل على المعلومات مما يجعلها في توسع مستمر وأن نظام الشبكة العالمية سوف ينقل المحلي الى عالمي في المستقبل كما أن تكنولوجيا الأقمار الصناعية واستخدامها سوف يكون أكثر توفر ورخص مما يزيد من الاتصالات والمعلومات بأسعار رخيصة ومتوفرة .

إن تكنولوجيا المعلومات سوف يزداد الطلب عليها بشكل كبير ليس في المناطق المكتضة وذات العدد السكاني الهائل بل حتى في المناطق الريفية وقليلة السكان وأن أول وأهم المستخدمين لتكنولوجيا المعلومات في أغلب المجتمعات هي القوى الاقتصاديات المحلية في كل مجتمع والنخب السياسية ثم سوف تتوسع وتنتشر تكنولوجيا المعلومات بشكل هائل ومتزايد .

يفيد التقرير أن بعض الدول والمناطق سوف تفشل في توظيف واستخدام تكنولوجيا المعلومات إلا أن من دول العالم الثالث التي سوف تسهم في توفير تكنولوجيا المعلومات في الهند و سوف تسهم الصين في تطبيقه واستخدام تكنولوجيا المعلومات وسوف تسعى روسيا الى اقتناء والاستفادة من تكنولوجيا المعلومات قبل عام ٢٠١٥م ما عدى بعض التجمعات السكانية النائية هناك .

أما البرازيل والأرجنتين والمكسيك فسوف تسعى بقوة الى إدخال واستثمار تكنولوجيا المعلومات وذلك لوجود شركات هامه في هذا المجال وزيادة الطلب عليها والاستثمار الهائل في مجال تكنولوجيا المعلومات . أما في الصحراء الأفريقية وجنوب القارة الأفريقية سوف تحقق بعض التقدم المعقول في هذا المجال هناك العديد من الحكومات والمجتمعات سوف تسعى الى الحد من انتشار وتأثير تكنولوجيا المعلومات

تحت مبررات منها التهديد الأمني ، الخصوصية الثقافية ، الخوف من العولمة وذلك سوف تسعى بعض الحكومات للسعي من الحد من تأثير تكنولوجيا المعلومات غير المحببة لها .

أما في مجال التكنولوجيا الحيوية أي التكنولوجيا التي تربط بين البعد التقني والحياتي Biotchnology أن البحث والتطوير في التكنولوجيا الحيوية سوف يكون هائل وفاعل ومؤثر خصوصاً في مجالات ونجاحات مثل : إيقاف الأمراض وإيجاد الحلول لها ، زيادة الإنتاج الغذائي على أختلافه ، تقليل والحد من الزيادات السكانية ، وزيادة جودة الحياة وزيادة جودة نمط الحياة .

أغلب هذه النجاحات سوف تسجل في قطاع الطب على وجه العموم. كل هذه النجاحات والإنجازات سوف تكون مكلفة بشكل كبير حتى عام ٢٠١٥م وسوف تكون متوفرة في الدول الغربية والدول الأخرى الغنية بشكل خاص كما أن هذه الإنجازات سوف تواجه اعتراضات أخلاقية ودينية من العديد من المجتمعات حول العالم .

أن التطور في مجال الجينات سوف يسمح الى حد بعيد بتلافي العديد من الأمراض عن طريق التدخل في عدم نشوئها بدل من علاجها بعد حدوثها .

كما أن ذلك سوف يسمح في إجراء عمليات واستخدام مواد أفضل في المجال الطبي وأن استخدام الجينات سوف يلعب دوراً مهماً وخصوصاً ((stem cellsسوف يلعب دوراً في تنشيط أو أعاده العمل للأعضاء البشرية أو تعويضها بل والتدخل في عملية عمل المخ ودوره في إصدار الأوامر للأعضاء في جسم الإنسان.

بل أن العمل في مجال التكنولوجيا الحيوية وفي مجال الجينات سوف يعمل على استخدام أمثل للأدوية بل سوف يحقق تغيير حقيقي بمفهوم تشخيص المرض ثم علاج المرض سواء الأمراض المستعصية والوراثية أو الأمراض الطارئة والعارضة . بل أن هذا المجال سوف يسمح بما يسمى تصميم الأشياء أي تصميم أنواع جديدة من الأطعمة والمأكولات والمزروعات ورغم المعارضة الأخلاقية والدينية والثقافية والقصور التكنولوجي الحاضر فأن تصاميم الأفراد والأعضاء البشرية والحيوانية سوف تكون على قائمة الاهتمام الباحثين في المستقبل .

أن نظام معرفة الفرد أو تحديد هويته وشخصيته المعروف بـ DNA سوف يكون أكثر رخص وتوفير في السنوات القادمة .

وأن الفتوحات الهائلة والجديدة في هذا المجال يمكن أن تكون في مجال الصناعات والتكنولوجيا والاستخدام القومي التي سوف تكون اكثر بقاء واكثر فاعلية مع تأقلمها مع النظام البيئي الدولي .

إن أهم ما يمكن أن يحدث فتح جديد وهائل هو العمل والاكتشافات القوية في مجال التكنولوجيا الدقيقة (nono technology) أي أن العمل في هذا المجال سوف يغير العديد من المفاهيم من بناء المجمعات السكانية والطرق الى عوامل التحليل الطبي والنقل وفحص الدم . و سوف تكون للبحث في مجال التكنولوجيا الدقيقة الأثر الكبير حتى على البحوث في مجال الجينات في المستقبل .

في المقال القادم سوف يكون حديثنا نظرة هذا التقرير والدراسة عن الاقتصاد الدولي إنشاء الله .

الحضارة المجتاحة

كل ما سجله التاريخ لنا عن الحضارات الإنسانية هي تلك القيم الحضارية والإنجازات الهائلة على مستوى الروائع المعمارية والنقوش الهائلة الدقة والإرادة البشرية التي لا تعرف حد أو تعترف بمدى وفوق ذلك كله سعي الإنسان الحثيث نحو تنمية ذاته والاستفادة مما حوله . وذلك فإن الحضارة ما بين الرافدين والحضارة المصرية وحضارة بلاد الشام وتركيا والحضارية الصينية والهندية القارات الأمريكية هي إنجازات بشرية هائلة عمقت الذات البشرية بأنواع المعارف والتجارب التي خدمت الإنسان نحو تحرره للحياة الأفضل عن طريق تهذيب الأديان السماوية لهذا السلوك الحضاري أو ذلك .

ألا أن ما يميز هذه الحضارات أنها على الرغم من تأثيرها على الإنسان على الكرة الأرضية ألا أن هذا التأثير كان محدوداً إلى حد بعيد حيث أن كل حضارة أصبحت المركز الذي يؤثر في المحيط حوله حيث نجد أن حضارة شبة القارة الهندية كان تأثيرها بالمحيط أكثر من العالم وكذلك الحضارة الصينية وكذلك الحضارات الشرق الأوسطية القديمة ولم يحدث لحضارة امتدت وتوسعت وقاومت عوامل الزمن مثل الحضارة التي ارتبطت بالقيم والمعارف العقائدية حيث استطاعت أن تبقي هذه القيم وهذه المعالم وتغير المعايير والسلوك الإنساني من حولها وإن كان مسألة الثبات والتغير من المسائل النسبية التي لا يمكن القطع بحتميتها وثباتها .

لم يحدث في تاريخ البشرية أن تقوم حضارة واحدة بهذا التوسع وهذا الانتشار مثل ما يحدث اليوم للحضارة الأوربية حيث فتحت هذه الحضارة صناديق مجتمعاتها البشرية بشكل لم يسبق له مثيل بل تزامنت المعارف البشرية والعلمية مع القيم الحضارية والأيدلوجيا الفكرية والدينية مسلحة بقوة عسكرية وخيال سياسي جعل من الحضارة الغربية قوة تجتاح بدون هوادة أو أستاذان .

إنها المرة الأولى في التاريخ التي تستطيع بها حضارة فتح مناطق جغرافية وبشرية من قبل قوة أجنبية وحضارة مغايرة وهذه المرة ليس بالقوة العسكرية وحدها بل بتضافر القوى المختلفة وعلى رأسها حضارة الاتصالات والإنجازات الاقتصادية .

منذ اكثر من آلفين عام وهو التاريخ التقريبي لدخول البوذية إلى منطقة التبت في الصين وهذه المنطقة تعيش مرحله العزلة الجغرافية بفعل المنطقة الجغرافية الوعرة والصعبة على الغزات ولكونها عصية على الغزات فكانت عصية على الأفكار الواردة

والتأثيرات المختلفة وهي منطقة معزولة اقتصادياً ساعدها على ذلك وجود خزانات من المياه ومناطق زراعية خصبة جعلت من المنطقة ذات استقلال اقتصادي دفعها وشجعها على العزلة والابتعاد عن الآخرين وهي أخيراً زاوجت بين القيم البوذية والاجتماعية في اتحاد من أجل جعل كل طرف يقوي ويتعزز بالأخر في تلاحم تاريخي .

من ذلك التاريخ البعيد ومنطقة التبت عصية على رياح التغيير حتى جاءات الحضارة الغربية اليوم سواء بالوجود الغربي المباشر كما حدث للحضور البريطاني أو بالتواجد الصيني الذي يعبر عن التوجه الحضاري الغربي على الطريقة وبالأهداف الصينية ولكنها المرة الأولى التي تقوم النشاطات الاقتصادية والاجتماعية في التبت بضرب المقومات الحضارية الاجتماعية التي جعلت من منطقة التبت ذات مقاومة هائلة للتأثيرات الخارجية عبر التاريخ . ونشاهد اليوم كيف تتم عملية تفكيك عرى الحضارة في التبت بشكل لم يسبق له مثيل وجاء هذا التفكيك على المستوى البنائي والاقتصادي والاجتماعي والذي يعني حتمية التاريخ .

وحالة سلسلة جبال التبت لم تكن ألا آخر هذه الحالات حيث نجحت الحضارة الغربية بفعل القوة المباشرة من دخول القارة الأسترالية وهي اليوم تعد امتداد للحضارة الغربية بل وان سكانها الاصليون هم من الشعوب المهددة بالانقراض على المستوى العنصر والمستوى الثقافي والحضاري وما يصدق على استراليا يصدق على نيوزيلندا والجزر المتناثرة في المحيط الهندي والكاريبي والمحيط الهادي ولم يحدث أبداً أن تقوم حضارة بكل مثل هذا الحضور حتى على آخر غابات الامزون في أمريكا الجنوبية والتي استطاعت هذه الحضارة الأوربية الحضور وتغيير القيم الاجتماعية والبناء الهيكلي التي قامت عليه العديد من المجتمعات والتجمعات البشرية حيث أتت على بنائها الاقتصادي والاجتماعي مما دمر بنائها الحضاري والقيمي بل والعديد منها مهدد بالانقراض .

انه لمن المثير للضحك عندما يتحدث الكتاب والمفكرين عن التأثير الحضاري الغربي على الحواضر المأهولة والقديمة ويتحدثون عن كفاءات المقاومة الحضارية في حواضر هي معروفة ومجتاحة من قبل . أن الاجتياح الحضاري الغربي لم يتوقف عند هذه الحواضر القديمة بل اندفع إلى الحواضر المجهولة والمعزولة تاريخياً من أجل القضاء حتى على جيوب محتملة للمقاومة .

ويبقى السؤال العصى حتى على أرباب التخطيط الحضاري الغربي والمغرمين والمنتشين بالانتصار الحضاري الغربي هو هل هذا الانتصار هو نهائي ولا رجعة فيه ؟ بل أن السؤال الأكثر حدثه هل الانتصار سوف يكون نابع من الحضارة والقيم الغربية

أم أن الحضارات الأخرى سوف تجد وسيلة للتأثير وكم نسبة هذا التأثير وما هي مناطق التأثير ؟ أم أن الحضارة الغربية سوف يطالها التغيير بفعل التحول والتبدل والتوسع الغير محسوب والغير مسبوق ؟ .

الدولة القومية.. الدور المستقبلي

كانت ولا تزال الدولة القومية تعد وأحده من اكثر عوامل التأثير على المستوى الدولي سواء على البعد السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي حيث استطاعت الدولة القومية أن تكون اللاعب السياسي الأكثر تأثير على مجريات الأحداث الدولية خلال القرون الخمس الماضية واستطاعت خلال بروز دورها ان تزيح بعض العوامل المؤثرة على المستوى السياسي سواء على البعد الداخلي والخارجي وان يكون البعد القومي بأبعاده اللغوية والجغرافية والسياسية والاجتماعية هي العوامل التي تقرر عوامل السلام والحرب الاستقرار او القلاقل.

وعندما أصبحت ذات الدولة القومية عامل من عوامل القلق السياسي الدولي بفعل رغبتها بالتطور والتوسع على حساب الدول الأخرى أصبحت قوة هائلة وجامحة لا بد من ضبطها خصوصاً وان الدولة القومية تسلحت بقوة اقتصادية ضاربة أفضت الى الاستعمار وكذلك قوة عسكرية يقودها شخصيات قومية طموحه مما يعني توسع وقلق سياسي تكون الدولة القومية أحد عوامله وأحد أدوات وقوده ومنذ الحرب العالمية الأولى والثانية اصبح النظام الدولي هو نظام الدول القومية المرتبطة بقوة المنظمات الإقليمية والعالمية والتي استطاعت أن تربط عوامل المجتمع الدولي بحزمة من الارتباطات المتشعبة والتي من خلال هذه التشعبات يمكن ضبط سلوك الدول القومية الجامحة وبالفعل فإنه كلما قويت وتعددت المنظمات الدولية كلما كانت حرية وحركة الدولة القومية على المستوى السلوك الدولي اقل ولذلك كان هناك علاقة عكسية بين تعدد العضوية للدول القومية داخل المنظمات الدولية وحرية هذه الدولة في سلوكها السياسي وحرية فعلها الدولي وبالفعل فإن الحرب العالمية الأولى والثانية كانت معبرة عن هذه العلاقة العكسية مع المنظمات الدولية سواء مع المنظمات التحالفيه في الحرب الأولى او مع منظمة عصبت الأمم في الحرب العالمية الثانية .

منذ الحرب العالمية الثانية وهناك توسع قوي على المستوى المنظمات العالمية والإقليمية أخذ أبعاد وأشكال متعددة كان الضابط السياسي الدولي وعوامل الحرب والسلام هما عاملان الضبط والحركة في المنظمات الإقليمية والدولية وكان موضوع الحدود والاستقلال والحرب الأهلية والنزعات هي معايير النجاح والفشل في هذه المنظمات حتى انهيار الاتحاد السوفيتي والتغير الحقيقي في شكل ومضمون النظام الدولي وانتقاله من الثنائي القطبية الى أحادي القطبية.

واليوم نشهد تحول حقيقي ومتسارع في ذات النظام الدولي و تأثيره مرة أخرى على الدولة

القومية حيث يتجه هذا النظام الدولي الى أضعاف الدولة القومية وان كانت هذا الدولة القومية مرشحة للبقاء والفاعلية فإن هذا البقاء وهذه الفاعلية مرتبطة بكيفية التعامل والتفاعل مع هذه العوامل الجديدة .

هذه هي المرة الأولى عبر التاريخ السياسي البشري الحديث الذي يتم الربط فيه بين العوامل الاقتصادية والعوامل القيميه ويكون العامل العسكري هو عامل ضبط ومراقبة . هذه المرة الأولى في التاريخ السياسي الحديث الذي يتم بها الربط بين التوسع الاقتصادي والقيم الاجتماعية والسياسية الدولية حيث نشاهد اليوم أثر العولمة الاقتصادية وأثر انضمام الدول الى منظمة التجارة العالمية مقرون بإدارة سلوكها السياسي والاجتماعي واليوم تجد هذه المؤشرات واضحة حيث يتم حرمان العديد من الدول نتيجة لسلوكها السياسي الدولي من الانضمام الى الحرية الاقتصادية والتعامل الدولي الحر ناهيك عن انضمامها الى منظمة التجارة العالمية واصبح العقاب الاقتصادية مقرون بحسن السيرة والسلوك السياسي والاجتماعي ولم يعد هناك مكان للمغامرات السياسية والاجتماعية .

إن هذه القيم المرتبطة هي التي دفعت دولة مثل يوغسلافيا الى تسليم مجرمي حربها وهي التي تدفع الروس اليوم الى وضع مساحيق مجمله لسلوكها الوحشي في الشيشان حيث تتعامل روسيا اليوم مع الشعب الشيشاني بعقلية القرن الماضي والحرب السابقة وليست بعقلية متحضرة وحديثة وهذه القيم الحديثة هي التي تدفع الصين الى تحسين صورتها وضبط سلوكها تجاه تايوان وآسيا وهذه القيم الدولية هي التي دفعت دول أمريكا اللاتينية الى خوض غمار تجارب سياسية جديدة على ثقافة أمريكا اللاتينية .

إن مثل هذه القيم الدولية الجديدة والربط بين البعد السياسي والاقتصادي والقيمي سواء القيم السياسية او الاجتماعية هو الذي دفع الى الفرز الجديد بين سلوك الدول اليوم وهو الذي من المتوقع ان يؤثر في علاقاتها وسلوكها الداخلي والخارجي وبالفعل فإن هناك مؤشرات تدلل على اتجاه دول العالم نحو ثلاث توجهات رئيسية يمكن تداخلها ولكن يمكن تصنيفها الى ثلاث توجهات رئيسية هي :

الأول : دول الاندماج الدولي وهي الدول صاحبة المبادرة الدولية في مفهوم العولمة وهي دول قوية ذات حضور سياسي واقتصادي وعسكري وهذه الدول تعتبر هي المحرك الحقيقي للتحولات الدولية وهذه الدول بعضها ذو استعداد قوي تخوض تجربة العولمة والانتصار بها وبعض هذه الدول متحمسة جداً دون استعداد لهذه العولمة ولكن خوفها من تأخر قطارها السياسي والاقتصادي كما أنها ذات قيادات فاعلة وديناميكية وشابة .

ولذلك فإن دور هذه الدول هو دور المبادر على المستوى الدولي ودور الدولة القومية هو دور المنسق على المستوى الاقتصادي المحلي والدولي وهو دور الضابط السياسي والأمني الدولي .

الثاني : وهي الدول المترددة وهي الدول القومية التي ترى قوة الاندفاع الدولي نحو العولمة والقيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية العالمية ولكن ليس لديها القوة الكافية والشجاعة لخوض غمار هذه التجربة ولذلك فسوف يكون دور هذه الدولة هو شيء من عدم الاندفاع نحو العولمة تحت مطرقة حماية المجتمع والقيم الاجتماعية من تأثير العولمة بكل قيمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهي القيم التي تؤثر على القيم المحلية لهذه الدول بشكل قوي ولذلك فسوف يكون دور هذا الصنف من الدول وهو حماية جزء من التركيبة القديمة مع الزج في الجزء الآخر في النظام الدولي وخصوصاً سوف يكون الزج بالجانب الاقتصادي اكثر مع محاولة حماية البعد السياسي والاجتماعي .

الثالث : الدول المحجمة عن النظام الدولي وهي الدول التي ترى أن الدخول في النظام الدولي والمشاركة فيه يعني تحولات جذرية هائلة سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي او الاقتصادي ولذلك سوف تتجه مثل هذه الدول باسم حماية الذات الى تدمير القوى الاجتماعية ذات الفاعلية وتقويت الدولة القومية ومؤسساتها من اجل حماية ذات الدولة القومية وبفعل هذه الحماية سوف يتم تدمير القوى الاجتماعية والاقتصادية من اجل البقاء السياسي وهذا ما سوف يدفع الى العزلة والضعف وهذه الدول سوف تكون الحلقة الأضعف والأكثر تخلف في النظام الدولي .

هذه الأنماط من الدول سوف تكون سمت ونمط الدول الفاعلة في النظام الدولي في المستقبل المنظور وبناء علية سوف تتحدد الدول ذات الفاعلية والدول الأقل فاعلية والدول الخاملة المعزولة في النظام الدولي الجديد .

الرمز ... والتحولات السياسية

يناقش ويدرس طلبة وأساتذة العلوم السياسية ومتخصصي السياسية الخارجية على وجه الخصوص العلاقة التي تجمع مفهوم الشخصانية في السياسة الخارجية أي ربط التصرف والسلوك السياسي الخارجي بقيم ومنطلقات شخصية تعبر عن أسلوب هذا الزعيم أو ذاك وتكون هذه الشخصانية أو الرابط بين شخصية الزعيم والسلوك السياسي أكثر قوة وحدة إذا كان الزعيم السياسي ذو توجه واهتمام نحو السياسية الخارجية وهناك تعلق خاص بالقضايا الدولية . أقول يدرس متخصصي السياسة الخارجية الربط بين مفهوم الشخصانية في السياسة الخارجية ومفهوم الهيمنة الشخصية على القرار السياسي أي أن مفهوم الشخصانية في السياسة الخارجية لا ينطبق كثيراً على الدول ذات المؤسسات السياسية التي عن طريقها يتم تنظيم مفهوم المشاركة السياسية بمعنى أن الشخصانية في السياسة الخارجية مرتبطة بالدول الأقل عراقة في بناء مؤسساتها الديمقراطية ولذلك كانت الدول ذات المؤسسات التي تساهم في تنظيم المشاركة الديمقراطية أقل عرضة لموجات الشخصانية في السياسة الخارجية من غيرها وإن كانت هذه الدول لا تخلو من مثل هذه الشخصانية في سلوكها السياسي إذا تضافرت مع وجود أزمة سياسية محلية أو دولية أو أزمة اقتصادية أو زيادة عدد البطالة إلى حد ينذر بأزمات اجتماعية فإن هناك العديد من الزعماء يطمح إلى استغلال مثل هذا الحدث واستثماره في قضايا خارجية تكون ذات طابع شخصاني وإلا أن مفهوم الشخصانية هذا يرتبط بدول العالم الثالث بشكل أكثر قوة وأكثر تكرار .

وبالفعل فإن غياب مؤسسات صناعة السياسة الخارجية وغياب دور مؤسسات الخبراء وغياب الخبير في شؤون السياسة الخارجية ومحاولة تحوير أهداف السياسة الخارجية إلى أهداف ضيقة ذات مردود على الأفراد صانعي هذه السياسة جعل دول العالم الثالث تتوجه بشكل كبير إلى الربط بين الفرد ونمط السياسة الخارجية أو الفرد ونمط السلوك الخارجي أو الفرد وأهداف السياسة الخارجية ومن هنا فإن تحول وتغير الأفراد الصانعون للسياسة الخارجية يعني تحول وتغير السياسة الخارجية برمتها ابتداء من أهدافها ووسائل وأدوات تنفيذها وكيفية تحقيقها .

ومن هذه المنطلقات جاء مفهوم الربط بين الرمز أو الزعيم والسلوك السياسي الخارجي ومن هنا كذلك جاء الربط بين مواقف محدودة وقضايا معينه والزعيم هذا أو ذاك لا يمكن أن تتحول هذه المواقف أو تتغير إلى بتغير الزعيم ومجيء زعيم آخر . ولكن السؤال هو لماذا هذا الارتباط

بين الفرد وبعض المواقف مع أن السياسة هي فن الممكن وهي فن التحول والتشكل مع المتطلبات الجديدة إن جزء من التغير يكمن في التكوين الثقافي للفرد بحيث يظفى هذا التكوين الثقافي والاجتماعي على الفرد ويأخذ هذا التكوين طابع التسليم في بعض القضايا التي ليست مسلمة أي إن بعض المظاهر السياسية والاجتماعية ويمكن الاقتصادية القابلة للتحول والتغير والتطوير يصبح شبة مسلمات لا يمكن تغييرها أو تطويرها لدي بعض الزعماء نتيجة لمفهوم الثقافة الاجتماعية والسياسية التي عاشها الزعيم على الرغم من التبريرات السياسية والاجتماعية التي يمكن صياغتها وطرحها على أنها السبب الحقيقي لعدم حدوث مثل هذه التطورات في ذهن الزعيم إلا أن مسألة الثقافة السياسية والاجتماعية غالباً ما تكون خلف مثل هذه المواقف أكثر من المبررات الجانبية .

ومن هذا المنطلق ظهر مفهوم الجيليه السياسية أي ارتباط قيم سياسية واجتماعية بجيل من السياسيين لم يكن من الممكن تحويلها أو تغيرها دون ذهاب مثل هؤلاء الزعماء وبالتالي فإن الكثير من الدارسين والمراقبين يهملون مثل هذه المسائل الجيليه في تطور الذهنية التحليلية بل وأهمية المسألة الجيليه في تطور الفهم والنظر للكثير من القضايا المطروحة على الساحة الدولية .ومن هذا المنطلق يمكن القول أن جيل الحرب العالمية الثانية من الزعماء الغربيين والأمريكيين يختلفون في تكوينهم الثقافي والاجتماعي والسياسي عن جيل الحرب الباردة وبالتالي فإن نمط الفهم السياسي للقضايا الدولية المطروحة يأتي بشكل مغاير بين جيل وجيل آخر . بل إن جيل ما بعد حرب فيتنام يعتبر جيل مخالف لجيل ما بعد الحرب العالمية الثانية بشكل واضح من خلال تكوينه الثقافي السياسي على الرغم من عملية الامركة السياسية وإعادة إنتاج المفاهيم السياسية.

وإذا كان ذلك كذلك فإن زعماء العالم الثالث يمكن تصنيفهم إلى جيل الاستقلال الذي كان ينظر لمسألة الاستقلال أنها هدف الأهداف وكل ما عدا ذلك شيء من المسائل الأقل أهمية ثم جاء جيل الأمن السياسي واصبح الهاجس الأمني هو هاجس الهواجس وهدف الأهداف ثم سوف تأتي الجيل الجديد وهو الجيل الذي من المتوقع إن يظفى عليه مفهوم التعاون من أجل الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية والتي يمكن أن تتحول إلى مفاهيم أكثر لبرالية على المستوى الاجتماعي والسياسي ومن هذا المنطلق فإن ما يفكر فيه الجيل الجديد من الزعماء يختلف في هدفه وأسلوبه إلى حد ما عن ما يفكر فيه الجيل القديم وهو ما يعرف بالمرحلة الانتقالية التي يعيشها العالم الثالث أو التحول من مفاهيم وقيم قديمة إلى مفاهيم وقيم جديدة سوف تكون محك ومحل جدل على المستوى السياسي والإعلامي لعقود قادمة .

السعودية والأسواق الواعدة

لم يعد خافياً أو غامضاً من أن مفهوم التصدير والاستيراد جزء من النشاط الخارجي لأي دولة من دول العالم وأن هذا النشاط لا يعد فقط نشاطاً اقتصادياً محضاً بقد ما هو عملية متراكمة ومتشابكة بين البعد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في سلسلة تدعم حلقاتها بعضها البعض . ولم يعد سراً أن مفهوم التصدير للمنتجات الوطنية أصبحت علمية وحرفية وهي كذلك عملية تفاوضية وتبداء بالشد والجذب ولكون التوقع اليوم هو أن منظمة التجارة العالمية سوف تذيب أو توحد شروط المفاوضات مما يخلق نظام لعملية الصادرات والواردات وهذا ما تشهده الأسواق العالمية اليوم من الدول المتطورة المنظمة لمنظمة التجارة العالمية أو التي على وشك الانظمام من حيث قدرتها على التأثير الأكبر مثل الصين على سبيل المثال .

وإذا كان العالم اليوم يتحدث عن انفتاح الأسواق العالمية على بعضها البعض وهذا ما سوف يحدث بالفعل الا أن هذا الانفتاح محاط بكثير من عدم الإدراك الدقيق لطبعيه هذا الانفتاح واحتمالاته . حيث أفترض العديد أنه بسن قوانين من أجل تسهيل حركة البضائع والمنتجات من مكان جغرافي الى آخر أو من دولة الى أخرى فإن كل شئ سوف يسير بشكل دقيق وسهل ولكن هذا افتراض نظري اكثر من كونه افتراض عملي من حيث ان هذه النظرة وهذا التوجه يفترض تكافوء القوة والقدرة ولإنتاجية والذهنية التسويقية والقدرة على غزو الأسواق الأجنبية .

يجب أن يفهم أن منظمة التجارة العالمية مثل أي منظمة دولية سابقة أو جدت و نظمة ووضع قانونها الداخلي والخارجي من أجل خدمة مصالح الدول المؤسسة لها والدول المنتصرة اقتصاديا والمتطورة على مستوى الإنتاج والتسويق . ومع ذلك فإن الدول الأخرى الضعيفة ليس لها من الخيار الكثير وليس لها البدائل الكثير سوى الانظمام لهذه المنظمة على أمل أن نستفيد من قوانينها ومؤسساتها بدل العزلة السياسية والاقتصادية التي يمكن ان تحدث في حالة عدم الانظمام لهذه المنظمة الدولية .

إذا المنظمة العالمية هدفها وضع القوانين الدولية من اجل تسهيل غزو الدول الغنية اقتصادياً لدول الأقل قوة وأقل إنتاجية ولاقل تطور . ومن هذا المطلق فإن تسابق الدول للمضي قدماً للانظمام لهذا المنتدى الدولي هو عملية في غاية الواقعية على الرغم من الخسائر المحتملة الا أن البديل هو اكثر قوة واشد ضرراً .

ان المملكة العربية السعودية وهي اليوم تسعى جاهدة للانظمام الى منظمة التجارة العالمية تكاد تكون اكثر دول العالم الثالث استعداد من الناحية الاقتصادية والإنتاجية للنجاح في

تجربتهـا في الانظمام المحتمل للمنظمـة الدولية وذلك بتوفر البنية الاقـتصادية النامية مـدعومة بيئة اقتـصادية نفطية هائلة على مستوى المخزون أو الإنتـاج او تكنولوجيا التكرير وعلى الرغم من أن هذا القطاع غير مدرج في سلة التجارة العالمية الا انه يعتبر أحد أهم روافد وضمانات القوة الاقتصادية السـعودية . والى جانب ذلك فان القطاع الخاص السعودي والصناعـات الغير نفطية أو حتى المشتـقة من المنتجات النفـطية تعد المملكة بمكانه جيـدة في مصاف الدول المستـفيدة من قوانين وأنظمة التجارة العالمية .

ومن اجل تحـقيق مـثل هذه الفائدة التي يمكن ان تحـققـه فإن تنظيم جـديد ودراسة جـديدة للأسواق العـالمية وامكانية غزوها بالمنـتجات السعـودية اليوم يعد بمثابة ضـرورة ملحة بل ان المملكة العربية السعودية اليوم تكاد تكون غائبة الى حد كبير عن اكثر أسواق العالم نشاط واكثر الدول استهـلاك خذ على سبيل المثال لا الحـصر كيفيـة غياب الصناعة السـعودية عن الأسواق الأمريكيـة والتي تعد بحق واحدة من أهم الأسواق العـالمية وعلى الرغم من العلاقة القـريبة التي تربط الولايات المتحـدة الأمريكية و المملـكة العربية السـعودية وعلى الرغم من انفتـاح الأسواق الأمريكية إلا أن المنتـجات السعودية على اختلافـها لا تجد طريقها إلى الأسواق الأمـريكية حتى عند مقارنتها بدول كثيرة في آسيا وأفريقـيا أو أمريكا اللاتينية فإن كثير من المنتجات العديد من الدول تجـدها على أرفف المحلات في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ولكن لا تجـد أثر للمنتجـات السعودية هناك .

أن الخلل يكمن في عـدم القدرة على الاستـفادة من التسـهيلات المتـوفرة على مسـتوى النقل والتخـزين ويكمن اكثر مـا يمكن على مسـتوى التسـويق أي يكمن الخلل في تسويق المنتـجات السعودية سواء على المستوى الفردي أو الجماعي إن دراسة دقيقة عن غياب المنتجات السعودية عن الأسواق العالمية بشكل ملحوض يحتاج وقفـة جادة ودراسة واقعية للوقوف على أسباب هذا التقـصير وهـذا الغياب من أجل أن نبـرز الوجه الاقتـصادية الأخـر للمملكة وليس فـقط الوجه النفطي المعروف للعالم أجمع .

الصين... أمام الاختيار الأصعب

لعقد ونصف من الزمن والصين تتمتع بمستوى تنموي اقتصادي عالي ومتسارع دفع الى تدفق الاستثمارات الأجنبية أليها ودفع الى الزيارات التي يقوم بها العديد من زعماء الدول القوية والغنية الى اخذ نصيبهم من هذه الحركة الاقتصادية الدؤبة و أصبحت بكين محطة للعديد من زعماء العالم خصوصاً دول أوروبا وأمريكا ذات الرغبة الاقتصادية والاستثمارية والتسويقية العارمة .

خلال هذه المرحلة استطاعت الحكومة الصينية أن تعوض الفرد الصيني بالنجاحات الاقتصادية واللبرالية الاقتصادية مقابل غض طرف المواطن عن التطور السياسي الذي يتطلع العديد من النخب السياسية له وان كانت هذه العوائد الاقتصادية استطاعت شراء الولاء من قبل القوى اللبرالية فإنها كذلك استطاعت شراء ولاء القوى اليسارية في ذات الوقت .

ألا أن ما تواجهه الصين اليوم من مفترق طرق كان نتاج لهذا التحول الاقتصادي الذي قادته سنوات من التوسع الاقتصادي ونسب التنمية الهائلة وبالفعل فإن الصين اليوم تسير بخطى اقتصادية قوية نحو الفاعلية الاقتصادية وخطط طموحه من اجل غزو الأسواق العالمية .

ألا أن هذا النجاح الاقتصادي الباهر يجب أن لا يخفى عن نظر المحلل جمله من الحقائق التي تواجهها الصين منها :

أولاً : تواجه الصين اليوم تركيز مزيد من القوة بيد الرئيس الصيني وهو قمة الهرم السياسي للحزب الشيوعي الصيني وهذه مفارقة ملفتة للنظر حيث أن السيد زمين الرئيس الصيني يترأس حزب ليس (ذات الزعيم) على إيمان قوي وحقيقي بأهدافه حيث أن كل سلوك وسياسات هذا الرئيس هي كل شيء ألا أن تكون ماركسية أي أن الرئيس الصيني يعمل على تقويض نفس وذات الحزب الذي هو على قمة هرمة السياسي ومما يزيد الأمر تعقيداً هو أن هذه القيادة هي قيادة طاعنة في السن مما ألهب سباق التنافس السياسي ومع أن الزعيم الصيني قد بادر الى إشراك مجموعة شنغهاي أي فريق تطوير مدينة شنغهاي حيث خبرتها الإدارية والاقتصادية والاستثمارية الهائلة الى أن هذا الإشراك هو بذاته الذي أشعل المنافسة السياسية الصينية الداخلية و أخذت الدعوات الأيدلوجية تصدر من هنا وهناك ليس بهدف أيدلوجي و إنما بهدف سياسي مصلحي مغلف بغطاء وشرعية أيدلوجية سواء كانت هذه الدعوات للماركسية المادية أو الليبرالية الرأسمالية .

أقول أن عامل تقدم السن عند القيادة الصينية يعد بحق واحد من التحديات القوية للصين اليوم حيث سوف يصبح عملية تحول السلطة عملية اكثر تعقيداً في ضل ظروف الصراع داخل

أروقة النظام السياسي الصيني من جانب ومن الجانب الآخر فإن مثل هذا الصراع يدفع الى إطالة العملية السياسية و إطالة عملية التحول السياسي وان كان السيد بينغ قبل زمين تمتع بمثل هذه الحالة فإن التحولات الاقتصادية الهائلة كانت في خدمة زعيم التحول الاول شاوى واي بينغ أما اليوم فإن الاقتصاد و العولمة أصبحت تخلخل التحول البطيء المحتمل للصين ويبقى هنا الجيش وهو المصدر الحقيقي والضابط السياسي للنظام وهذا إن كان مصدر للامان فإنه مصدر للقلق من بداية تدخل الجيش في الصراع السياسي الدائر في بكين .

ثانياً : عندما كانت الصين في بداية تطوراتها الاقتصادية كانت تنميتها ذات بعد اقتصادي تنموي أما اليوم فإن التطور الاقتصادي الصيني ذو بعد سياسي دولي أي أن حصول الصين على مكاسب اقتصادية يجب أن يكون مصحوب بمضلة سياسية وعسكرية قادرة على الأخذ والعطاء في المحيط الدولي . وإن اليابان لم يكن ليحقق هذا النجاح دون المضلة السياسية والأمنية الأمريكية . أما الصين اليوم فإن أي اندفاع اقتصادي جديد وفعال فإنه لا بد أن يكون مدعوم بقوة سياسية وعسكرية وهذا محك ومأزق جديد سوف تواجهه الصين حيث أن هذا يتطلب من الصين مزيد من التنازل من جانب ومزيد من الديناميكية السياسية على المستوى الدولي من جانب آخر وهذا التنازل أو الديناميكية محكومة بحزمة من العوامل المتشابكة منها :

١ – العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية والتي آخذ منحى يختلف في تكتيكه خلال المرحلة الحاضرة حيث أخذ الجانب المشدد تجاه الصين سواء في محيطها الآسيوي سواء على مستوى تايوان أو اليابان أو الهند أو الدول الآسيوية الأخرى حيث أخذت هذه اللعبة السياسية منحنى التشدد والترقب .

٢ – العلاقة العسكرية حيث آخذت الأفكار الأمريكية الجديدة في فكرة الدرع الصاروخي الأمريكي يقزم القوة الصينية ويجعلها قوة إقليمية في المحيط الآسيوي وهذا ما دفع الصين اليوم الى التقارب مع الدوله المريضة والعجوز وهي روسيا حيث ذهبت الصين اليوم للتقارب مع دولة كانت وما تزال عوامل الجمع بينها اصعب واقل من عوامل الاختلاف والفرقة حيث يجمع بينهما المصالح الاستراتيجية الدعائية اكثر من المصالح الحقيقية الملموسة والاقتصادية أو السياسية .

ثالثاً : أن الصين اليوم بناء على هذه المعطيات تتأرجح بين الدور الإقليمي الشائك والمعقد الذي يمكن أن تكون قوة إقليمية ولكنة يبعدها عن أي تأثير عالمي أو دور صيني ذات قوة عالمية ألا أنها قوة ضعيفة التأثير في الأحداث الدولية في المستقبل المنظور .

أن خيارات الصين صعبة اليوم بين تجاذب كل هذه التيارات السياسية والاقتصادية وذلك راجع الى حد ما الى عدم توازن أجنحة التنمية فيها حيث عدم التوازن بين تطوير المؤسسات

السياسية والعمل الاقتصادي الديناميكي بل أن اكثر ما يمكن أن يحدث للصين هو استمرارية الوضع القائم وهذا الوضع وان كان يبدو للمراقب البعيد أن النجاحات تتوالى والصين ماضية قدماً نحو القوة العالمية ألا انه يخفي تحت السطح صراع داخلي و إطالة مدة الصراع و التمحور السياسي والذي يمكن ان يتجاذب الصين الى مراحل من الصراع الداخلي الغير واضح المعالم .

فهرس

مقدمة ٣

التنظير لمنطقة الخليج ٥

أعلام بدون أيدلوجيا ٩

الأبتعاث والتنمية ١٢

الأزمة الخليجية في قمة مسقط ١٥

الأستعداد للمستقبل ١٩

الأمة والهيبة الدولية ٢٢

الأنتفاح والديناميكية ٢٥

الايدلوجيا والمرأة العربية ٢٧

البانيا الدرس المستفاد ٣١

البطالة والاستقرار السياسي ٣٥

البعد التاريخي للحدث ٣٨

التثقيف السياسي ٤٠

التجربة الأسبانية ٤٢

التدرج التنموي ٤٥

التصدير والتنمية ٤٧

التغيير في مرحلة القوة ٥٠

التفكير الاستراتيجي ٥٢
التفكير الأكثر شمولاً ٥٥
التفكير الموضوعي ٥٨
«الجامعات العربية وعربة القطار» ٦١
الديمقراطية والعالم الضعيف ٦٤
الديناميكية الاجتماعية ٦٨
الرفاهية كأساس للشرعية ٧٠
العالم الثالث... والزعيم الموهوب ٧٣
العالم العربي ... عالم الايدلوجيا ٧٦
العالم العربي بعد السلام ٧٨
العالم العربي والتنمية ٨٣
العالم العربي والحروب العشرية ٨٦
العرب تنظر الى الغرب ٨٩
العرب لا يستعدون للقرن القادم ٩٣
العرب واستثمار القوى المهاجرة ٩٦
العرب وآسيا ٩٩
القدوة ١٠٢
القرن المقبل ... قرن القوة بالاندماج ١٠٥

القوة البشرية كبنية تحتية ١٠٧
المد اليبرالي ١١١
المسألة الحضارية والهم العام ١١٥
المسألة السكانية والمستقبل ١١٨
المسؤولية العابرة ١٢٢
الموضوعية والقانون ١٢٤
جرش التي تموت ١٢٧
أندونيسيا الدرس المستفاد ١٣٣
إيه .. أيتها الرياض ١٣٦
تصنيع الخبير ١٣٨
الأثار الأموية ١٤١
السياسة الخارجية والسفارات ١٤٥
صنع في السعودية ١٤٨
عن المواطنه أتحدث ١٥٠
كسوفو والموقف الاسلامي المرتقب ١٥٣
لكي لا ننسى ١٥٦
مأسسة القيم ١٥٩
مستقبل النفط ١٦٢
من أجل المستقبل ١٦٥

نفحات الربيع ١٦٧
أساطير السياسة العربية ١٧٠
الإسلام هذا العملاق ١٧٣
الإعلام العربي ونشر الثقافة الهجينة ١٧٥
التحولات الاجتماعية في مرحلة القوة ١٧٨
العالم العربي وانسداد الأفق ١٨٠
العرب وحرية القرار السياسي ١٨٣
الغرب أسير النظرة التاريخية ١٨٦
الليبرالية كعامل جذب ١٨٩
الممارسة السياسية وروح التعامل ١٩١
اللغة كأداة حضارية ١٩٤
المنطقة العربية ... وجيل الشعوب الجديدة ١٩٦
الهجرة الدائمة ١٩٩
السياسة وافتقاد الخيال ٢٠١
دبلوماسية بدون قوة عسكرية دبلوماسية فاقدة القدرة ٢٠٤
الابتعاد عن الانهزام الحضاري ٢٠٧
إعادة صياغة الصراع ٢١٠
الإعلام الغربي النجم الذي هوى ٢١٣

الدكتاتور الفرد .. مصدر الهزيمة ٢١٦
الإرهاب ... الثمن الاقتصادي ٢١٩
العرب والتسلح ... الدائرة المغلقة ٢٢٢
التعامل مع الآخر من منطلق الثوابت ٢٢٥
العنف ... والحصاد للأمة ٢٢٨
المواطن العربي يدافع عن ماذ ؟ ٢٣١
بوش ... سياسة خارجية لحملة انتخابية ٢٣٤
الهند القوة القادمة ٢٣٧
باكستان وتجربة الردع النووي ٢٤٠
تمثيل السعودية في الخارج وظاهرة المثقف الموسوعي ٢٤٣
حرب الأفيون .. من بريطانيا إلى أمريكا ٢٤٦
دول بدون أيدلوجيا ٢٤٩
روح وأخلاقيات العمل ٢٥١
فتح الحوار ٢٥٤
إعادة مأسسة النظام الدولي ٢٥٦
الأزمات والسلوك السياسي بين المكاسب والخسائر ٢٥٩
الاقتصاديات المحلية والأزمات الدولية ٢٦٢
الأمم المتحدة والنظام الدولي ٢٦٥

التحول الحضاري ٢٦٨
التوجة العالمي حتى ٢٠١٥م ٢٧١
التوجة العالمي حتى عام ٢٠١٥م (المناطق الهامة) ٢٧٤
التوجة العالمي حتى عام ٢٠١٥م (الموارد الطبيعية) ٢٨٠
التوجة العالمي حتى ٢٠١٥م العامل السكاني ٢٨٣
التوجة العالمي حتى ٢٠١٥م (الدولة الوطنية والدولة العالمية) ٢٨٦
التوجة العالمي حتى عام ٢٠١٥م (الصراعات المستقبلية) ٢٨٩
التوجة العالمي حتى عام ٢٠١٥م (الاقتصاد العالمي) ٢٩٣
التوجة العالمي حتى عام ٢٠١٥م (البيئة والعلم ، التكنولوجيا) ٢٩٧
الحضارة المجتاحة ٣٠١
الدولة القومية . . الدور المستقبلي ٣٠٤
الرمز والتحولات السياسية ٣٠٧
السعودية والأسواق الواعدة ٣٠٩
الصين ..أمام الاختيار الأصعب ٣١١